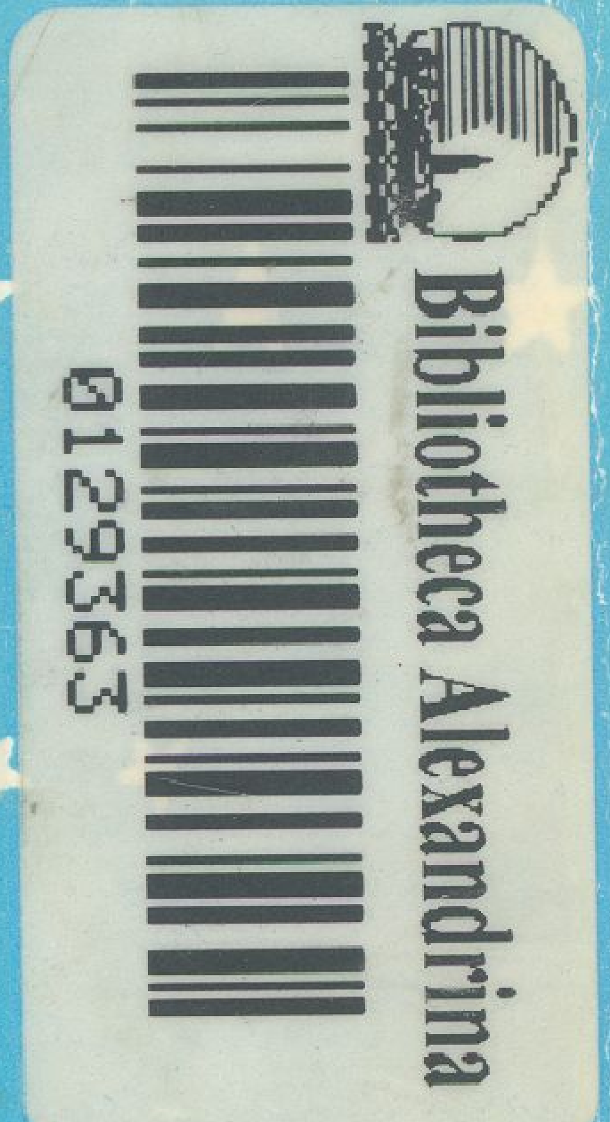
الكتب الجغرافية

الدراسة الميدانية في العمل الجغرافي

دكتور
صلاح الدين الشامي
أستاذ الجغرافية
كلية الآداب - جامعة بنها



الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى وشركاه

الدراسة الميدانية في العمل الجغرافي

دكتور
صلاح الدين الشامي
أستاذ الجغرافية
كلية الآداب - جامعة بنها

١٩٨٧

الناشر المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

رحلة دراسة ميدانية مناسبة ، الى المساحة المعنية • وتغطى هذه الرحلة اهتمامات الباحث الجغرافى بالقضية الجغرافية ، التى تشغله عن الأرض لحساب الانسان ، أو عن الانسان وحضوره وأنشطته فى ربوع الأرض •

وهكذا نفهم جيدا ، كيف تكون حاجة الباحث الجغرافى لانجاز البحث ملحة ، الى دراسة مكتبية وحسن استيعاب نتائج العلوم الطبيعية والانسانية والتحلى بمهارات الأخذ منها ، ودراسة ميدانية وحسن خروج الى حقل الدراسة فى المساحة المعنية ، والتحلى بمهارات الحصول على أطراف من مادة علمية خام ومعلومات وبيانات مناسبة •

كما نفهم جيدا ، كيف تكون مهارة الباحث الجغرافى فى التركيب مطلوبة بالحاح ، لكى يفلح فى حسن الصياغة والتوليف بين محصلة انجازه المناسب من الدراسة المكتبية ، ومحصلة انجازه من الدراسة الميدانية • ويكون البحث الجغرافى بناء على هذه المهارة ، جيدا فى حسن العرض والتعبير، وموفقا فى حسن التجديد والاضافة •

ومثل هذا الاقدام العلمى الجغرافى النشيط على الدراسة الميدانية فى ربوع المساحة المعنية يضع علم الجغرافية فى صف واحد مع العلوم العملية والتجريبية • وتبدو المساحة المعنية التى تشهد هذه الدراسة الميدانية ، سواء كان البحث الجغرافى طبيعيا عن الأرض لحساب الانسان ، أو كان البحث الجغرافى بشريا عن الانسان وحضوره فى ربوع الأرض ، وكأنها المعمل الفسيح الذى يجرى فيه الباحث الجغرافى تجاربه العملية ، ويجمع منه أوصال المادة العلمية الخام والنتائج المطلوبة لانجاز البحث ، فى المكان والزمان •

ويحتاج الباحث الجغرافى أن ينال حصة من التدريب العملى فى العمل الجغرافى الميدانى • وينبغى أن يدخل التجربة العملية على صعيد المساحة المعنية ، لكى يكتسب المهارات المناسبة ، فى انجاز المهام المطلوبة ، لحساب العمل الجغرافى الميدانى • كما يحتاج الباحث الجغرافى أيضا ، أن يتعلم فى الميدان ، كيف تجرى الدراسة الميدانية ، لحساب التخصص الدقيق فى البحث الجغرافى ، أو لحساب الشمول فى المسح الجغرافى ، أو لحساب الانجاز الجغرافى التطبيقى فى خدمة التنمية • بل قل أن الباحث الجغرافى يصبح فى حاجة ملحة الى أكثر من تدريب ومن ممارسة عملية ، لاستيعاب هذا التنوع الكبير فى الدراسة الميدانية الجغرافية ، وتوجهاتها المتباينة •

هذا ، ويسعدني أن أقدم هذه الدراسة بكل أبعادها الفلسفية ، التي تجسد مفهوم الدراسة الميدانية لحساب العمـــل الجغرافي العلمي واتجاهاته التطبيقية فى خدمة حركة الحياة . وتصور هذه الدراسة فى هذا الكتاب ، الكيفية التى يتسنى بموجبها اجراء الدراسة الميدانية من كل نوع خاص أو متميز ، أو الكيفية التى يتسنى بموجبها التعامل فى الميدان على صـــعيد المساحة المعنية ، أو التعامل العملي مع المدركات الجغرافية الطبيعية أحيانا ، أو مع المدركات الجغرافية البشرية أحيـــانا أخرى ، فى طلب المـادة العلميـة الجغرافية الخام .

وأتمنى على الله أن يكون هذا العرض اضافة مناسبة الى صف الكتب الأخرى ، فى المكتبة الجغرافية العربيـــة . وأرجو أن يرشد هـذا العرض اجتهاد الباحثين الجغرافيين ، وأن يوجه مسيرة بحوثهم الجغرافية العلمية ، فى الاتجـــاه العلمى العملي التطبيقى الصحيح . وعـلى الله وحده قصـــد السبيل .

سبتمبر ١٩٨٧

صلاح الدين على الشامى

تصدير

صحيح أن علم الجغرافية يمثل علما بينيا ، ولد وهو يعرف مكانه الأنسب بين مجموعة العلوم الطبيعية ، التى تسعفه وتعينه وتشد أزر عنايته واهتمامه بدراسة الأرض فى المكان والزمان فى جانب ، ومجموعة العلوم الانسانية ، التى تسعفه وتعينه وتشد أزر عنايته واهتمامه بدراسة حضور ونشاط الانسان فى ربوع الأرض فى جانب آخر • ولا مكان أنسب من هذا المكان أبدا •

وصحيح أيضا أن علم الجغرافية فى هذا المكان البينى المناسب ، يعرف جيدا ، بل قل يجيد الاطلاع على نتائج هذه العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، ويحسن استيعابها والأخذ منها بمهارة ، لكى يبنى عليها ، أو لكى يدخلها فى نسيج البحث الجغرافى • ولا شىء أهم من هذا الأخذ ، وهو يتدارس فى المكان والزمان ، القضايا الجغرافيـة ، التى تشغله عن الأرض لحساب الانسان ، أو عن الانسان وحضوره وأنشطته فى ربوع الأرض •

وصحيح أيضا أن علم الجغرافية ، يفلح وهو يدخل نتائج من محصلة العلوم الطبيعية ، أو من نتائج دراسات العلوم الانسانية ، فى نسيج البحث الجغرافى ، فلاحا منقطع النظير ، فى انجاز أو فى صياغة نتائج جغرافية علمية مناسبة • وتبدو هذه النتائج الجغرافية العلمية ، لكى تعبر بجدارة عن حسن توظيف النتائج العلمية التى ابتنيت عليها ، ولكى تعبر مرة أخرى عن حسن تطوير هذه النتائج ، وحسن صياغة أو صناعة النتيجة الجغرافية من النتائج العلمية •

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن علم الجغرافية ، لا يشبعه أو يكفيه أبدا ، أن يأخذ الباحث الجغرافى ويقطف ثمرات يانعة من نتائج العلوم الطبيعية ، أو من نتائج العلوم الإنسانية ، وأن يمتلك هذا الباحث الجغرافى مهارة استيعاب هذه النتائج وحسن الانتفاع بها ، وحسن ادخالها فى نسيج البحث الجغرافى ، بل قل يدعو الباحث ويلزمه ويفرض عليه الخروج فى

بداية واقتراب

- الانسان وتجربة المعاينة الميدانية .
- المدنيات العريقة وملاحقة المعاينة الميدانية .
- الاجتهاد الحضارى الاسلامى والمعاينة الميدانية فى أنحاء جزيرة العالم .
- الرحلة الجغرافية الأوروبية والمعاينة الميدانية على الصعيد العالمى .
- علم الجغرافية والتحول من المعاينة الجغرافية الى الدراسة الميدانية .

بداية والتراب

الانسان وتجربة المعاينة الميدانية :

بداية من ظهور الانسان على صعيد الأرض فى الوطن المناسب ، الذى ترفق به ، كان حتما عليه أن يطل على المكان من حوله ، وهو غارق فى بحور الغربة • ولا شك أبدا ولا تشكيك اطلاقا ، فى أن الانسان قد طالعته المدركات الجغرافية الحسية فى ربوع المكان ، فعاينها معاينة مناسبة ومستمرة ، حتى أسقط بينه وبينها حواجز الغربة والخوف من المجهول • وربما أصاب الانسان شيئا من الانبهار ، وهو يحملق فى الصورة الجغرافية فى المكان ، ولكنه عرف كيف يتعايش مع مكونات هذه الصورة ، ولم يفقد صوابه من خلال هذا الانبهار •

وفى الاعتقاد الجغرافى الصحيح ، أن الانسان قد امتلك حسا جغرافيا فطريا ، رشد بصره ، وهو يحملق أو وهو يعاين المدركات الجغرافية الحسية فى ربوع المكان • ونور هذا الادراك الجغرافى المحسوس ، بصيرة الانسان ، وهو يتعامل مع هذه المدركات الجغرافية ، حتى أسقط حواجز الغربة عنها ، أو وهو يتعامل مع الطبيعة ويذلل أمر العلاقة معها ، حتى انتصر لوجوده وحضوره وتعايشه فى ربوع هذا المكان •

ولقد وظف الانسان حواسه فى خدمة هذا الحس الجغرافى الفطرى • وطاوعت الانسان عينه التى يبصر بها ، وأذنه التى يسمع بها ، عندما أطل على المكان والصورة الجغرافية من حوله فى المكان • بل قل لقد تفتح وانتعش الحس الجغرافى الذى تأهل به الانسان ، تفتحا مثيرا رشد بصره ونور بصيرته فى صعيد الأرض ، حتى أسقط بينه وبين الأرض كل أو أهم حواجز الغربة• ويجسد هذا الحس أول خطوة أقدم بها الانسان ، على طلب المعرفة الجغرافية، أو على تقصى الحقيقة الجغرافية فى ربوع المكان •

ويفتح هذا الحس الجغرافى عين الانسان وهو يبصر ، وعقل الانسان وهو يفهم ، حتى يدرك حركة الزمان وكيف تمضى وفى صحبتها دواعى التغيير وقوة فعل المتغيرات ، التى تغير وتبدل من أبعاد المدركات الجغرافية الحسية فى المكان ، من زمان الى زمان آخر • وقل أن طلب المعرفة الجغرافية ،

وتصور أو تقصى الحقيقة الجغرافية ، قد ربط بين مواصفات المكان وحركة الزمان • بل قل أن طلب المعرفة الجغرافية ، وتقصى الحقيقة الجغرافية ، فى المكان وفى الزمان ، كان شغل الانسان الشاغل ، وهو فى طلب التعايش وتأمين حركة الحياة فى موطنها ، أو وهو فى تحرك وانتقال لتأمين التعايش فى أى مكان على صعيد العالم •

وكأن فى وسعنا أن نتصور بصدق ، كيف يجسد توظيف الحس الجغرافى الفطرى ، فى طلب المعرفة الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان ، بداية التطلع الى المدركات الجغرافية الحسية على هذا الصعيد • بل قل انها بداية التوجه الضرورى الى مبدأ الأخذ بأهمية معاينة وحصر أبعاد الرؤية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية • ومثل هذا التطلع الى المدركات الجغرافية الحسية ، فى ربوع المكان ، ومثل هذه المعاينة وحصر أبعاد الرؤية الجغرافية على صعيد المساحة المعنية ، وهى تسقط حواجز الغربة بين الأرض والانسان ، كان مطلبا ضروريا ، لحساب تعامل الانسان مع الأرض • وهذا معناه أن موجبات أو دواعى هذا التعامل ، وضعت أول لبنة أو أول بداية مبكرة فى التوجه السديد الى المعاينة الميدانية أو الحقلية فى المكان والزمان •

وترسخ قيمة هذه البداية المبكرة ، فى التوجه السديد الى هذا الشكل الأولى ، أو الى هذا المستوى العتيق من المعاينة الميدانية ، انتعاش الحس الجغرافى ، وتطلع حركة الحياة الى حسن توظيف النتائج الكاشفة عن أبعاد الرؤية الجغرافية فى :

١ ــ تأمين الحضور الانسانى على مسرح الأحداث ، وضمان الحق فى التعامل والانتفاع بالأرض وهى مصدر العطاء والانتاج •

٢ ــ تأمين خطوات التحرك والانتقال والانتشار على المحاور الصحيحة ، من مكان الى مكان آخر ، فى ربوع الأرض •

وصحيح أن هذا الحضور فى المكان ، أو هذا التحرك من المكان الى المكان الآخر ، كان وكأنه يضرب فى المجهول • ولكن الصحيح أيضا ، أن معاينة المدركات الجغرافية والاقتراب المتحفظ منها ، واستقراء ما تكاد تنطق به الرؤية الجغرافية ، كان وكأنه الوسيلة المثلى لتجاوز ظلمة هذا المجهول •

وهكذا نفهم جيدا ، كيف ظهر الانسان وبدأ قصة حضوره على

الأرض ، وهو جغرافى بطبعه ، أو وهو يملك الوسيلة التى خدمت تطلعه الجغرافى وحققت له الغاية من معاينة أو من مطالعة المدركات الجغرافية فى المكان . كما نفهم جيدا ، كيف راقب الانسان الأرض وهى مسرح الأحداث ، وتابع مع حركة الزمان التغيير وفعل المتغيرات المباشر على المنظور الجغرافى فى المكان .

وسواء جاوبت الأرض حاجة الانسان وأعطت له بسخاء ، أو خذلت الأرض طلب الانسان وأعطت له باقلال ، فلقد رشدت المعاينة الميدانية بعيون الحس الجغرافى ، تعاملات الانسان مع مدركات الواقع الجغرافى فى المكان . وشمل هذا الترشيد وضع حد المصالحة بين الانسان والطبيعة ، لحساب التعايش فى المكان أحيانا ، واقدام الانسان على مصارعة الطبيعة وتغيير حد المصالحة لحساب التعايش على حساب الطبيعة فى نفس المكان أحيانا أخرى . بل قل ربما كان من شأن هذه المعاينة الميدانية أن تكون فى عون الانسان ، وهى التى كانت تنذر وتحذر من غدر الطبيعة واستعدادها المباغت لتدمير حد المصالحة والحاق الضرر الجزئى أو الكلى بحضور الانسان .

وعلى امتداد المرحلة الطويلة قبل نشأة المدنيات العتيقة ، كان تعامل الانسان مع مدركات الواقع الجغرافى فى المكان والزمان ، وهو حقيقة مؤكدة لا ينبغى التشكيك فيها ، تعاملا مباشرا استوجب الشكل الأولى من المعاينة الميدانية . وعلى امتداد نفس هذه المرحلة الطويلة ، اعتمد وضع حد المصالحة أو تعديله لحساب الانسان ، أو تغييره لغير مصلحة الانسان ، فى المكان والزمان ، وهو حقيقة ثابتة لا يجوز الطعن فيها ، اعتمادا مباشرا على نتائج هذا الشكل الأولى من المعاينة الميدانية .

وصحيح أن هذا الشكل الأولى من المعاينة الميدانية ، كان بكل المقاييس لا يتجاوز حد معاينة الرؤية العامة ، التى جمعت أوصال مجموعة المدركات الجغرافية فى المكان والزمان . وصحيح أيضا أن هذا الشكل الأولى من المعاينة الميدانية ، الذى اعتمد أصلا على حسن توظيف الحس الجغرافى الفطرى ، كان فى كثير من الأحيان يتعرض لدواعى الانبهار ، حتى يضل ويضلل ويتمادى فى المبالغة التى شوهت رؤية أو رصد المدركات الجغرافية فى المكان والزمان . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو أن نستشعر جيدا قيمة هذا الشكل الأولى من المعاينة الميدانية ، لحساب حركة الحياة ، وكيف فتح الادراك الجغرافى العام للمنظور على صعيد المساحة المعنية ، أبواب التأمل

والتمعن والتفكير في مكونات هذا المنظور(١) .

هذا ، ولقد كان التأمل والتمعن والتفكير في مكونات المنظور الجغرافي، الذى ابتنى على حسن الادراك الجغرافى ، مهما وضروريا ، لأنه هو الذى بصر ورشد التعايش فى المكان والزمان . بل قل أن هذا التأمل والتمعن والتفكير ، وهو الذى جاوب على كل الاستفسارات المتنوعة التى فجرها الادراك الجغرافى ، قد وضع بداية الالتزام المناسب ، بحسن توجه الاجتهاد الانسانى البصير الى المعاينة الميدانية ، والاقدام على حصر الرؤية الجغرافية وكشف أبعادها واسقاط النقاب عنها ، من خلال هذه المعاينة أو المشاهدة الميدانية فى المكان والزمان .

ورصد انتصار التجربة الحياتية للانسان فى المكان ، قبل أن تبزغ البدايات المبكرة لفجر المدنيات العريقة ، هو الذى يكشف تماما عن معنى ومغزى هذا الالتزام بحسن التوجه الى المعاينة الميدانية(٢) . بل قل أن هذا الالتزام بالمعاينة الميدانية ، قد أفضى الى قطف ثمرات الاجتهاد الكاشف ، عن خواص ومواصفات الأرض فى المكان ، معناه أن التجربة الحياتية الانسانية ، كانت تملك رصيدا من المعرفة الجغرافية ، زودها بالوضوح وحسن التعامل مع الطبيعة فى الأرض ، ورشد وجودها وانتصر لها فى المكان والزمان ، قبل أن تقدم هذه التجربة الحياتية وهى تتفتح وتتنور ، على صناعة أو على صياغة جذور وأصول وأسس المدنيات القديمة ، على صعيد المساحات الأنسب .

هكذا ، كانت المعاينة الميدانية نقطة البداية الحقيقية فى حصر المدركات الجغرافية ومتابعتها على صعيد الأرض ، وفى الاستجابة المناسبة لطلب المعرفة الجغرافية فى المكان والزمان . كما كانت هذه المعاينة الميدانية من وراء كل المكتسبات التى أمنت حق الحضور الانسانى ، ودافعت عنه أحيانا

---

(١) الشامى . صلاح الدين : الفكر الجغرافى ، سيرة ومسيرة - الاسكندرية سنة ١٩٨٠ .

(٢) أدى التغير المناخى الذى تسبب فى الجفاف على صعيد الشمال الافريقى فى ربوع الصحراء الكبرى ، الى تشتيت وتشريد الحضور السكانى ومغادرة المكان فى حوالى فجر العصر الحجرى الحديث . وما من شك فى ان المعاينة الميدانية التى كشفت النقاب عن جريان النيل ، قد أنهت ضراوة الوضع الذى اقترن بهذا التشرد عندما تجمع الحضور الانسانى على حافتى وادى النيل . ومع ذلك ظل هذا التجمع الانسانى فى هذا الوضع ، وأعانته المعاينة الميدانية التى كانت ترقب جريان النهر وتغير المناسيب فيه ، حتى اقترب من سهول النهر الفيضية ، وهبط من مواضع السكنى على حافتى الوادى وهو شديد الحذر والتحفظ . وبعد وضوح الرؤية التى كشفت عنها المعاينة الميدانية ، استقر هذا الحضور الانسانى على ضفاف النيل .

فى المكان والزمان · كما كانت هذه المعاينة الميدانية وهى تتكرر أو وهى تستمر ، من وراء استشعار :

١ - قوة فعل العوامل الجغرافية ، وهى ضوابط تؤثر على حركة الحياة·

٢ - قوة فعل الوسيلة الحضارية ، وهى تبطل مفعول أو تروض قوة فعل العوامل الجغرافية ·

وفى الاعتقاد الجغرافى ، أن التجربة الحياتية الانسانية ، قد استشعرت قيمة أو جدوى هذه المعاينة الميدانية للمنظور الجغرافى ، وهى ترسخ وتشد أزر التعايش فى المكان والزمان ، أو وهى تبصر حركة الحياة بالضبط والانضباط المتبادل ، فى اطار العلاقة الحميمة ، بين الأرض وقوة فعل خواصها الطبيعية من ناحية ، والانسان وقوة فعل وسائله الحضارية من ناحية أخرى · وقل أن التجربة الحياتية فى أى مكان وفى أى زمان ، قد تشبثت بهذه القيمة وجدواها المباشرة وغير المباشرة ، ولم تصرف انتباه الحس الجغرافى أبدا ، عن ملاحقة المعاينة الميدانية ، فى المكان والزمان · بل قل أن هذا التشبث وهذه الملاحقة ، وهذا الاستمرار ، فى المعاينة الميدانية ، هى التى وضعت أساس ، وفجرت اهتمامات الاجتهاد الانسانى الحضارى فى صلب مكونات المدنيات العريقة ، بالواقع الجغرافى ، سواء وهو عامل بجد فى حقول توسيع دائرة المعرفة الجغرافية ، أو وهو حريص بصدق على تسجيل وحصر تراكمات الرصيد الجغرافى ·

* * *

المدنيات العريقة وملاحقة المعاينة الميدانية :

صحيح أن حركة الحياة فى أحضان المدنيات العتيقة ، التى قامت فى مواقع جغرافية محددة ، وتفتحت فى ظل ظروف وخواص جغرافية مناسبة، قد ورثت فى صلب تراثها الحضارى ، وفى مكونات تشكيلها الاجتماعى ، وفى أساليب انجازها الاقتصادى ، وفى صميم وجودها السياسى ، الاهتمام والعناية بالمعاينة الميدانية ، على صعيد المساحة التى كانت تشهد تجربتها الحياتية المدنية ·

وصحيح أن تجارب حركة الحياة المتمدينة ، التى انتعشت وتألق وجودها فى المكان والزمان ، قد أحسنت استثمار المعاينة الميدانية ومباشرتها، وأتقنت أساليب الانتفاع بمحصلتها الجغرافية ، فى ترسيخ وانعاش

حضورها المتفتح ، وفي تطوير وجودها الحضارى والاجتماعى والاقتصـــادى والسياسى المتألق ، بكل المقاييس ٠

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو اقدام تجارب حركة الحياة المتمدينة ، اقداما واثقا وصريحا ، عـــلى تنمية وتطوير وانعاش وتنشيط اهتمـــامات الاجتهاد الجغرافى بالمعاينة الميدانية ، وعلى تسجيل وتدوين واضافة محصلتها ونتائجها الى الرصيد الجغرافى ٠

وتمثلت تنمية اهتمامات الاجتهاد الجغرافى بالمعـــاينة الميدانية ، فى توثيق الصلة بينها وهى التى كانت تتلمس وتعاين المدركات الجغرافية من ناحية ، وبين الرحلات فى البر والبحر ، وهى التى كانت تخرج وتنطلق فى خدمة أهداف اقتصادية أو أهداف عسكرية من ناحيـــة أخرى ٠ بمعنى أن الصلة قد توثقت بين المعاينة الميدانيـــة والكشف الجغرافى ، الذى تلمس توسيع دائرة المعرفة الجغرافية على صعيد الأرض ٠ وقل أن توثيق هـــذه الصلة التى وضعت الرحلة فى خدمة المعاينة الجغرافية والكشف الجغرافى قد وضعت فى المقابل المعاينة الجغرافية والكشف الجغرافى فى خدمة الرحلة بل قل انها صلة حققت المصلحة المتبادلة بين هدف الرحلة المعان عنه وهو هدف اقتصادى أو هدف عسكرى ، وهدف الرحلة الذى لا يعلن عنه ، وهو هدف جغرافى ٠

هذا ، ولكى نتبين قيمة أو جدوى هذه الصلة بين هدف حقيقى معلن عنه صراحة ، وهدف غير معلن عنه ، ينبغى أن نفطن الى نجاح الرحلة فى خدمة الهدف الحقيقى المعلن عنه لا يمكن أن يتحقق وهى تضرب فى المجهول فى البر أو فى البحر ٠ وقل بقى هذا النجاح دائما أو كان معلقا على النجاح فى المعاينة الميدانية والكشف الجغرافى ، الذى ســدد على الطريق خطوات الرحلة وهى تتقدم وتقدم على تحقيق الهدف أو المهمة التى كانت تكلف بها اقتصاديا أو عسكريا ٠ بل قل أن الرحلة وهى رحلة تجارية أو هى رحلة عسكرية ، لم يكن فى وسعها أن تتعامل أو أن تنجز المهمة ، دون كشف النقــاب عن الأرض وعن النـــاس فى هذه الأرض التى شهدت انجـاز هذه المهمة ٠

وذهاب الرحلة فى البر أو فى البحر وعودتها ، فى صـحبة الاجتهاد الجغرافى ، معناه استشعـار المنفعة أو المصلحة المتبادلة ٠ ومعناه أيضا أن يكون فى وسع هذه الرحلة أن تحقق الهدف المعلن عنه الذى كانت قد خرجت

من أجله فى الأصل • ومعناه أيضا أن تعود هذه الرحلة وفى جعبتها شيئا مفيدا ، تأتى من خلال المعاينة الميدانية وكشف النقاب عن مكونات الرؤية الجغرافية ، على صعيد الأرض التى مرت بها أو التى تعاملت معها تجاريا أو عسكريا • ومع ذلك بقى ما كان فى جعبة كل رحلة خرجت ثم عادت، رهنا باختيار مطلق ، وهى تعلن عنه لحساب المعرفة الجغرافية وتكون الاضافة الجغرافية المفيدة ، أو وهى تسكت وتتكتم ولا تعلن عنه وتحجب كل شىء عن المعرفة الجغرافية ولا تتوفر أى اضافة مفيدة جغرافيا •

والتكتم على المعاينة الميدانية ، وحجب ما تحدث عنه عن المعرفة الجغرافية ، لا يمكن أن يعبر عن استخفاف بالرؤية الجغرافية ، على صعيد الأرض التى ذهبت اليها وعادت منها الرحلة • بل قل أنه علامة على منتهى العناية والاهتمام بهذه الرؤية الجغرافية ، وعلى منتهى التحفظ فى الاعلان عنها • وربما كان التحفظ وعدم الاعلان متعمدا ، من أجل التفرد فى الانتفاع بهذه الرؤية الجغرافية ، وتغطية الاحتكار فى التعامل مع هذه الأرض ، وقطع دابر أى محاولة للمنافسة ، فى المجال التجارى • وربما كان التحفظ وعدم الاعلان متعمدا أحيانا أخرى ، من أجل حرمان العدوان من المعرفة الجغرافية. حتى لا تفلح محاولات ضم الأرض ، وهو يحارب الى صفه •

وهكذا انتعشت واتسعت توجهات المعاينة الميدانية ، بانتعاش توجهات الرحلات فى البر والبحر التى خدمت أهداف المدنيات العتيقة • ومع ذلك ينبغى أن نفطن الى ذلك الاختيار الذى ابتنى عليه التمييز بين :

١ - معاينة ميدانية صار الاعلان عنها ، ولا مبرر للتحفظ أو التكتم أو عدم الافصاح وحرمان المعرفة الجغرافية منها • وحيث لا وجود ولا لزوم لهذا التكتم ، حققت المعاينة الميدانية كشفا جغرافيا مهما ، وأسهمت فعلا فى توسيع دائرة المعرفة الجغرافية •

٢ - معاينة ميدانية حجب الاعلان عنها ، وأكثر من مبرر وظف السكوت والصمت والتكتم ، وحرم المعرفة الجغرافية منها • وامعانا فى حجب الاعلان عنها ، وظفت الأسطورة للتفزيع أو للتخويف حتى تصد أو تمنع كل من يحاول أن يخترق حجاب التكتم • وحيث كان المبرر الذى استوجب التكتم حققت المعاينة الميدانية كشفا جغرافيا مهما ، وأحجمت فعلا عن أى اسهام فى توسيع دائرة المعرفة الجغرافية •

وقد يدعو استغراق المعاينة الميدانية التي صار حجب الاعلان عنهـــا في الخصوصية • كما يدعو هذا الاستغراق أيضا ، الى تصور قطع الصلة المتعمد بين المعاينة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، والكشف الجغرافى الصريح عن هذه المســاحة • وقل أن خصـوصية الغرض الذى تمثـل في احتــكار الانتفاع بهذه المعاينة الميدانية فى المســاحة المعنية ، هو الذى تعمد هذا الفصـــل • بل قل ان هذا الفصـــل المتعمد ، قد جمد مسيرة الكشف الجغرافى ، حتى باتت وكأنها وصلت الى نهاية الطريق المسدود(٣) •

هــذا ، ولقد مضت أو استمرت المعاينة الميدانية ، التى صـار الاعلان عنها ، فى الاتجاه الصـحيح لكى تخدم أول ما تخدم الكشف الجغرافى عن المســاحة المعنية • وقل نجحت هذه المعاينة الميدانية فى توسيع دائرة المعرفة الجغرافية ، نجاحا شحذ همة الاجتهاد الجغرافى ، ونور بصيرة التوجــه الى الكشف الجغرافى • بل قل أفلح الارتباط بين الدراسة الميدانية والكشف الجغرافى ، فى صــياغة وترسيخ مفهوم وحدة الأرض ، ومفهوم وحدة الناس، ومفهوم وحدة المصلحة المشتركة للناس فى ربوع الأرض ، ترسيخا أدى الى تبنى المدنية الرومانية ، فكرة التوجه السياسى والعسكرى الى العالمية •

وفى الوقت الذى أتاحت فيه الرحلــة ، وهى رحلــة تجـارية هدفهــا اقتصادى ، أو هى رحلة حرب دفاعا أو هجوما هدفها عسكرى ، أو هى رحلة ســفارة هدفها ادارى أو سياسى ، فرصا تكررت لحســاب المعاينة الميدانية وتجميع الأوصـــال التى تألفت منها الرؤية الجغرافية ، على صعيد المساحات التى تذهب اليها وتعود منها كل رحلة من هذه الرحلات المتكررة ، لم يكن الهدف الجغرافى هدفا واضــحا أو محددا • بل قل انه لم يكن هدفا صريحا

---

(٣) استثمر العرب ، موقع جزيرة العرب ، فى آداء دور الوسيط التجارى ، بين مدنيات عالم المحيط الهندى ، ومدنيات عالم البحر المتوسط • وكفلت عناصر طبيعية تضاريسية ومناخية حجب المعاينة الميدانية عن أعين الغرباء عنها ، وابقت عليها أو ادخلت وضوح تعبيرها الجغرافى فى اطار خصوصية الغرض • كما تكتم أو تستر العرب على محصلة المعاينة الميدانية على صعيد المحيط الهندى ، من أجل خصوصية الغرض • وأضاف ترديد الأساطير التى احتوت كل عناصر التخويف والتفزيع ، حجابا كثيفا بين المعاينة الميدانيـــة التى يسرت لهم ، وهم يطوفون فى المحيط الهندى فى جانب ، والكشف الجغرافى لحساب المعرفة الجغرافية بهــذا المحيط وعمومية الابحار فيه فى جانب آخر •

الشامى ، صلاح الدين : الرحلة العربية فى المحيط الهندى ، ودورها فى خدمة المعرفة الجغرافية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثالث عشر ، العدد الرابع •

خرجت من أجله الرحلة ، ولا هدفا ثانويا حتى يمكن أن توفر له الرحلة جانبا من عنايتها واهتمامها • ومع ذلك كان المتوقع بعد عودة الرحلة ، وبعد رصد ما تكشف عنه المعاينة الميدانية ، اضافة مناسبة الى رصيد المعرفة الجغرافية • وآذان كثيرة ، كانت تصغى باهتمام كبير الى الرواية أو الى الحكاية أو الى القصة التى تحدثت وعبرت وصورت ووصفت وصفا جغرافيا كاشفا عن محصلة المعاينة الميدانية •

ومن ثم ينبغى أن نفطن الى أن الاجتهاد الجغرافى ، قد ضم الذى اطلع وشاهد وهو صاحب المعاينة الميدانية ، وضم أيضا الذى أصغى واستمع حكاية أو وصفا، حتىجسد المعاينة الميدانية• واشترك مع من شاهد وعاين بعينى رأسه، ومع من استمع بأذنيه ، فى استيعاب ما تنبىء به أو ما تعبر عنه المعاينة الميدانية • وقد يعنى ذلك الاشتراك اتساع قاعدة الاهتمام بالمعرفة الجغرافية • وقد يعنى ذلك الاشتراك أيضا انتعاش وتنشيط الحس الجغرافى الذى اعتمد عليه من استمع الى الوصف الجغرافى ، واتخذ من أذنيه وسيلة للادراك الجغرافى • وفى اعتقادى أن هذا الانتعاش ، وهذا التنشيط ، الذى خدم الادراك الجغرافى ، هو الذى فجر التأمل والتمعن فى تفاصيل مكونات الصورة الجغرافية ، حتى كانت الصفوة التى انهمكت فى التفكير الجغرافى، وتفتحت شهيتها لاستيعاب الرؤية الجغرافية استيعابا فلسفيا •



وعن المعاينة الميدانية التى أنعشت الحس الجغرافى ، ونشطت الاجتهاد الجغرافى ، وفجرت التفكير الجغرافى ، ينبغى أن نذكر كيف وجهت ولعبت دورا حاسما فى توجيه العناية والاهتمام الى المدركات الجغرافية • وقل انها وجهت العناية الجغرافية الى ثلاثة اتجاهات متباينة • وتمثلت هذه التوجهات فى :

١ ـ توجه توجهت بموجبه المعاينة الميدانية الى قبة السماء ، وهى التى كانت ترقب الاجرام فيها وتستعرض تحركات هذه الاجرام ، وتكاد

---

(٤) وجهت الدولة الرومانية رحلة سفاره ، وتمثل التكليف فى جمع المعلومات والمعاينة الميدانية عن بعض المساحات من الارض فى اطار حوض النيل جنوب مصر •

(٥) وظفت روما المعاينة الجغرافية التى اقترنت بالكشف الجغرافى توظيفا مناسبا ، لكى توالى أمر الضم أو التوسع الامبراطورى على الصعيد العالمى ، واستغرقت فى فكرة الدولة العالمية، حتى أطلقت على الامبراطور لقب امبراطور العالم •

تسأل عن وتتلمس اجابة تفصح عن العلاقة بين الأرض والاجرام السماوية في الكون الفسيح ٠

٢ - توجه توجهت بموجبه المعاينة الميدانية الى المكان أو الى الموطن ، وهى التى كانت ترقب خواص الأرض فى هذا الموطن ، وتستعرض حضور حركة الحياة فيه ، وتكاد تسأل عن أو تلتمس اجابة مناسبة تكشف عن التفاعل الحياتى بين الناس والأرض ٠

٣ - توجه توجهت بموجبه المعاينة الميدانية الى الأماكن الأخرى فى ربوع الأرض ، وهى التى كانت ترقب الكشف عن هذه الأرض ، وتستعرض حضور حركة الحياة فيها ، وتكاد تسأل عن أو تتلمس اجابات مناسبة تكشف عن أنماط التفاعلات الحياتية بين الأرض والناس ، على صعيد المساحات المتباينة من الأرض ٠

وصحيح أن هذه المعاينة الميدانية التى توجهت فى هذه الاتجاهات الثلاثة ، وهى تحملق فى السماء ، أو وهى التى أطلت على الموطن فى المكان والزمان ، أو التى طلبت الرؤية الجغرافية على صعيد الأماكن الأخرى ، قد عاينت المدركات الجغرافية ، وجمعت منها وبها أوصال الرؤية الجغرافية ، وأضافت شيئا مهما للرصيد الجغرافى ٠ وصحيح أيضا ، أن هذه المعاينة ، زودت العقل الانسانى بزاد مناسب لكى يكون التفكير الجغرافى نتيجة منطقية للادراك الجغرافى ، ونشطت قوة الدفع التى سارت بها مسيرة التفكير الجغرافى فى الاتجاه المناسب لطلب المعرفة الجغرافية وحسن الانتفاع بها ٠ ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن محصلة هذه المعاينة الميدانية ، وهى توصيف وصف وعبر ، أو وهى حكاية روت وقصت ، على المسامع ، وقعت فى خطايا التهويل والمبالغة أحيانا ، أو فى سوءات الكذب والتضليل أحيانا أخرى ٠

ولقد جاء التوصيف الذى جسد المعاينة الميدانية ، وأمعن فى المبالغة أو افتقد القدرة على التمييز بين الصدق والكذب ، أو استهوته العجائب والغرائب ، بقصد متعمد أحيانا ، أو من غير قصد متعمد أحيانا أخرى ، وقد فقد صدق ووضوح التعبير ٠ وربما أفضى هذا التوصيف الجغرافى وهو الذى الذى لم يكن فى وسعه أن يتحرى الصدق والوضوح ، وأن يسجل الحقيقة ، الى شىء من التضليل أحيانا ، أو الى أى شىء من التشكيك أحيانا أخرى ٠ ومع ذلك فينبغى أن نميز بين تشكيك فى وسعه أن يطعن فى جدوى التوصيف الذى ابتنى على ممارسة المعاينة الميدانية ، وتشكيك لم يكن فى

وسعه أن يطعن في جدوى المعاينة الميدانية ذاتها أو في قيمة دورها الوظيفى ، لحساب المعرفة الجغرافية ·

واضافة الى توظيف التوصيف الجغرافى والكتابة ، لكى يتأتى التعبير عن المعاينة الميدانية ، أقدم الاجتهام الجغرافى على استخدام رسم الخريطة ، لكى تشارك فى هذا التعبير · وهذا معناه اشتراك التوصيف بالكلمات والتصوير بالرسوم جنبا الى جنب فى ، التعبير عن المعاينة الميدانية · ويبدو وكأن الاجتهاد الجغرافى قد اهتم بوضوح الرؤية الجغرافية ، وحسن بيانها · كما أمعن هذا الاجتهاد الجغرافى ، فى تنشيط التفكير الفلسفى ، الذى كان لا يكف عن التمعن فى المدركات الجغرافية ، حتى أصبحت شغله الشاغل · ثم كانت المحاولة التى جسدت الاهتمام بقياس محيط الأرض خطوة جريئة ورائدة ، فى انجاز تجربة عملية ميدانية ، لحساب المعرفة الجغرافية ·

وعلى المدى الطويل ، الذى أبدت فيه الاجتهادات الجغرافية فى المدنيات القديمة ، وحتى ظهور الاسلام وقيام الدولة الاسلامية ، اهتماما باجراء المعاينة الميدانية وحصر وتسجيل المدركات الجغرافية ، برهنت هذه المعاينة على نجاح دورها الوظيفى فى توسيع دائرة المعارف عن الأرض · وسجل التراث الجغرافى فى هذه المرحلة شيئا جغرافيا مهما ، لحساب المعرفة الجغرافية · واذا كانت الكنيسة قد اعترضت وأعرضت عن رصيد هذا التراث الذى وجهت اليه تهمة الكفر ، فان الاجتهاد الجغرافى الاسلامى اتخذ موقفا آخرا ، وأبدى اهتمامه بهذا التراث اهتماما كبيرا ، لكى تتيسر له فرصة الاضافة الجديدة اليه ·

* * *

الاجتهاد الحضارى الاسلامى والمعاينة الميدانية

لا يبدأ الاقدام العربى الاسلامى على الاجتهاد الجغرافى من فراغ أبدا · واضافة الى ما جاء فى القرآن الكريم ، وهو يكفل حرية التفكير ويحترم العقل ، من دعوة صريحة للتمعن فى المدركات الجغرافية (٦) ، التى تكشف عن قدرة الخالق من ورائها ، ينبغى أن ندرك ما كان من أمر الاهتمام

---

(٦) الشامى ، صلاح الدين : الاسلام والفكر الجغرافى العربى ، الاسكندرية سنة ١٩٧٩ ·

العربى قبل الاسلام بالمعرفة الجغرافية والكشف الجغرافى ، رغم تعمد التكتم عليها(٧) • بل قل أن التوجه الى الابحار فى عرض المحيط الهندى ، والحضور العربى المغترب ، فى بعض المواقع المنتخبة على ساحل شرق افريقية على المدى الطويل السابق لظهور الاسلام(٨) ، كان قد ابتنى على معرفة جغرافية ، ومعاينة ميدانية •

وتأتى هذا الاقدام العربى الاسلامى ، من الوقت المناسب الذى بدأ فيه اهتمام الاسلام والمسلمين ، ببناء صرح الكيان الحضارى الاسلامى • وقل جاء هذا الاقدام العربى الاسلامى ، فى نفس الوقت الذى التفت فيه العقل الاسلامى المتفتح ، الى جدوى طلب العلم والمعرفة ، من أجل صياغة القاعدة الصلبة للكيان الحضارى العربى الاسلامى • بل قل شهد القرن الثالث الهجرى ، صحوة العقل العربى الاسلامى ، وهو يعتنى بأمر المعرفة الجغرافية ، والتفكير الجغرافى ، حتى أمسك هذا العقل بزمام مسيرة التفكير الجغرافى الصحيح ، وأصبح العمل الجغرافى أمانة فى أعناق علماء المسلمين •

وايمانا بجدوى المعرفة الجغرافية ، وهم آحفاد أولئك الذى استثمروها وتكتموا عليها لكى ينفردوا وحدهم فى جنى ثمرات هذا الاستثمار ، فطن الاجتهاد الجغرافى الاسلامى الى أن اهتمام بهذه المعرفة ، لا ينبغى أن يبدأ من نقطة الصفر • ومن ثم كان التوجه الى المعين الجغرافى اليونانى(٩) ، ليس بقصد الاسترشاد بهذا التراث الثمين فقط ، بل من أجل حسن الاضافة الى هذا التراث ، أو من أجل آن يبدأ الاجتهاد الاسلامى من حيث انتهى الاجتهاد اليونانى القديم • ولقد شملت هذه العناية ، بعث التراث الجغرافى

---

(٧) الشامى ، صلاح الدين : الرحلة عين الجغرافية المبصرة ، فى الدراسة الميدانية ، الاسكندرية ١٩٨٢ •

(٨) أقدم الابحار العربى المغامر فى حوالى الألف الثانية قبل الميلاد على اقتحام المحيط الهندى واستمر هذا الابحار متفردا ، الى سنة ٥٠ ميلادية ، وهو التاريخ الذى سجل نجاح هيبالوس الرومانى فى الابحار الذى تجاوز باب المندب ، وأنهى التفرد الملاحى العربى • وكان التكتم على المعرفة الجغرافية التى وفرتها المعاينة الميدانية ، وسيلة مناسبة ، لحجب المعلومات وحماية التفرد العربى فى مجال الابحار ، وفى مجال العمل فى خدمة الوساطة والعبور التجارى بين مدنيات عالم المحيط الهندى ، ومدنيات عالم البحر المتوسط •

(٩) سجلت كتابات بطلموس الجغرافى ، نهاية ما أفضى اليه الاجتهاد الجغرافى اليونانى • وقد جسد هذا التسجيل خلاصة أو محصلة مسيرة جغرافية انهمكت فى طلب المعرفة الجغرافية ، اعتبارا من نشأة المدنيات القديمة ، ولم تتوقف أبدا •

من رقدة العدم التى بدأت اعتبارا من حوالى القرن الثانى الميلادى(١٠) ، وترجمته ترجمة مناسبة ، من أجل حسن الاطلاع عليه والانتفاع به ٠

وصحيح أن الاجتهاد الجغرافى الإسلامى ، قد أفلح فى تبنى مسيرة التفكير الجغرافى الصحيح ، وكان أفضل خلف ، لأنشط سلف ، وهو مسئول عن الاضافة والتجديد ، وعن المضى على درب الكشف وتوسيع دائرة المعرفة بالأرض ٠ وصحيح أيضا ان هذا الاجتهاد الجغرافى الاسلامى ، قد باشر المعاينة الميدانية فى ربوع الأرض ، التى كانت تشهد رحلات المسلمين ، وهم فرادى أو وهم جماعات ٠ ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو حسن اقدام هذا الاجتهاد الجغرافى الاسلامى ، على تحسين أو تطوير العلاقة الحميمة بين اجراء المعاينة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، ومباشرة الكتابة الجغرافية عن هذه المساحة ٠

وعن الرحلة التى كانت توفر الفرص للمعاينة الميدانية ، على الطريق، أو على صعيد المساحة المعنية ، نذكر انها كانت لا تخرج خصيصا لحساب الهدف الجغرافى ٠ بمعنى انها كانت تتوجه فى خدمة أهداف متعددة ومتنوعة ، وليس من بينها الهدف الجغرافى ٠ ومع ذلك ، ينبغى أن نفطن بالضرورة ، الى رحلات من نوع جديد ، قد استجدت ، وأضيفت الى الرحلات التى كانت قد خرجت من قبل ، لحساب الهدف التجارى أو لحساب الهدف العسكرى أو لحساب الهدف الادارى والسياسى ٠ ومثل هذه الاضافة تعنى اتساع قاعدة الخروج والعودة ، فى البر والبحر ، وزيادة فرص المعاينة الميدانية ، فى ربوع الأرض ٠

وتمثلت الرحلات التى استجدت ، فى رحلة الحج والعمرة(١١) ،

---

(١٠) ينبغى أن نشير الى موقف الكنيسة — ولا أقول المسيحية — الذى أعلن استنكار رجالها للتراث الجغرافى ٠ بل قل انهم اعترضوا وأعرضوا عن هذا التراث ، لانه جزء من رصيد عصور الكفر ٠ وأمعن رجال الكنيسة فى مطاردة تراث الفكر الجغرافى الصحيح ، وحرموا التعامل معه أو الاستماع اليه ٠ وفر هذا الفكر الجغرافى هاربا الى فارس ، حيث لا كنيسة ولا رجال الكنيسة فى وسعهم أن ينالوا منه ٠ وفى الوقت الذى أصبح فيه الفكر الجغرافى الصحيح مهجورا وهو يعيش فى المنفى ، ابتدع رجال الكنيسة ومعهم من سار على هواهم ، فكرا جغرافيا ساذجا ، استخف بالعقول التى كانت لا تملك حق معارضة هذه البدعة الضالة ٠

وفى رحلة طلب العلم(١٢) ، وفى رحلة الطواف وحب الاستطلاع · وما شك فى ان هذه الرحلات المستجدة على الساحة الاسلامية ، قد استحدثت شكلا جديدا للمعاينة الميدانية · وأتاحت رحلة الحج ورحلة طلب العلم ، فرص التقاء بين الصفوة من المسلمين والعامة من المسلمين · وحقق هذا اللقاء المتكرر فى اطار التعارف ، استماع كل طرف عن بلد الطرف الآخر ، استماعا أضاف شيئا من المعلومات الجغرافية عن البلدان فى اطار العالم الاسلامى أو فيما وراء العالم الاسلامى · اما رحلة الطواف التى جاوبت حب الاستطلاع ، فقد حققت أوسع الأبواب لمنطق الانفتاح(١٣) ، حيث تتعامل الرحلة مع الناس ، وكانت تعايشهم على صعيد الأرض ·

وصحيح أن تنوع الرحلات وهى رحلة **تجارة** أو وهى رحلة **جهاد** أو وهى رحلة **سفارة** ، أو هى رحلة **حج** ، أو وهى رحلة **طلب علم** ، أو وهى رحله **طواف** وحب استطلاع ، خدم المعاينة الميدانية ووسع الاطار الفسيح الذى تحققت فيه ، وجاوب منطق الانفتاح الجغرافى · وصحيح أيضا أن الاجتهاد الجغرافى العربى الاسلامى ، انتفع كثيرا بتوجهات هذا الانفتاح الجغرافى ، واستثمر المعاينة الميدانية التى تأتت على أوسع مدى ، فى ربوع العالم الاسلامى ، وفيما وراء حدود العالم الاسلامى · ولكن الصحيح

---

(١١) ربما كانت هناك رحلات خرجت قبل الاسلام من أجل الهدف الدينى ، ولكن لم يكن شأنها شأن رحلة الحج التى مثلت وما زالت تمثل الاستجابة لفريضة تعبدية ، والتزام أكد للقادر فى الاسلام · ثم انها رحلة كانت وما زالت تتكرر من عام الى عام آخر · واجتماع الحجاج على صعيد الأرض المقدسة ، وهم وفود من انحاء متفرقة ، وتعاملهم هيأ فرصا مناسبة ، لتبادل الأسئلة والاستفسارات ، والاستماع الى الردود والاجابات ، عن البلدان التى وفدوا منها · ويبدو الحاج وكأنه ينقل للحجاج صورة عن بلده · ويحل الاستماع محل المعاينة الميدانية ·

(١٢) توجه طلاب العلم فى هذه الرحلة الى طلب العلم وهو فريضة على كل مسلم ومسلمة · وهذا معناه انتعاش ونشاط هذه الرحلات ، على صعيد العالم الاسلامى · وتكون فرصة المعاينة الميدانية متاحة على الطريق ، كما كانت اقامة طالب العلم فى المدينة ، وعلى صعيد القطر الذى يضم هذه المدينة ، فرصة أتاحت التأنى فى المعاينة الميدانية التى تلمست خواص الأرض فى المكان ، أو التى تلمست سلوك حركة الحياة فى هذا المكان والزمان ·

(١٣) جاء فى صلب العقيدة الاسلامية ان الاسلام دين هداية للناس كافة ، وان نشر الاسلام فى ربوع العالم مسئولية كل مسلم فى وسعه ابلاغ الرسالة الى الناس أجمعين · ومن ثم كان التحلى بروح ومنطق الانفتاح ، على العالم · وأصبح هذا التحلى بروح ومنطق الانفتاح حافزا مهما من الحوافز التى حفزت خروج الرحلات من أجل أداء دورها الوظيفى الأصلى ، وأداء دورها الوظيفى الثانوى أو الجانبى ، سواء تمثل فى المعاينة الميدانية والكشف الجغرافى ، أو تمثل فى نشر الاسلام وابلاغ الدعوة الى الناس ·

بعد ذلك كله ، هو ما يمكن أن يبتنى على تقويم رحلة الطواف وحب الاستطلاع ، التى كانت وكأنها تبشر بقرب مولد الرحلة التى تخرج خصيصا لحساب الهدف الجغرافى ٠

وكانت **رحلة الطواف** وهى التى خرجت استجابة لحب الاستطلاع ، لا تبتغى شيئا ، أهم من المعاينة الميدانية ، على صعيد أى مساحة تسنى الوصول اليها ٠ وهذا معناه أن هذه الرحلة لم يكن يشغلها أى هدف معين أصلى ، يمكن أن يؤثر على التوجه الى ومباشرة المعاينة الميدانية ، ورصد المدركات الجغرافية فى المكان والزمان ٠ ومعناه أيضا أن المعاينة الميدانية ورصد المدركات الجغرافية الطبيعية والبشرية فى المكان والزمان ، أصبحت هدفا جاوب حب الاستطلاع وطلب المعرفة الجغرافية ٠

وفريق من أولئك الذين خرجوا فى رحلة الطواف ، وساروا على الدروب الصعبة والمسالك الوعرة ، كان من العلماء الذين تلمسوا المعرفة الجغرافية ، وأضافوا الى الرصيد الجغرافى(١٤) ٠ ويلفت النظر ان هذا الفريق تعمد الخروج فى هذه الرحلة حتى يتسنى له الانفتاح الجغرافى والانتفاع بالمعاينة الميدانية ٠ ويبدو أن الواحد من هذا الفريق ، قد استشعر قيمة المعاينة الميدانية ، وكيف يمكن أن تسعف الصدق والوضوح وحسن التعبير فى الكتابة الجغرافية الوصفية ٠ وقل أن هذا التوجه الجغرافى كان حميدا ، عندما رسخ العلاقة الحميمة بين المعاينة الميدانية التى كفلت الوضوح الجغرافى من ناحية ، والصدق فى الكتابة الجغرافية من ناحية أخرى ٠ بل قل أن هذا التوجه الجغرافى الحميد ، وضع المعاينة الميدانية أمانة فى عنق الاجتهاد الجغرافى ، الذى استشعر قيمتها فى بلوغ الغاية وتحقيق الاضافة الجغرافية(١٥) ٠

---

(١٤) من خلال مراجعة التراث الجغرافى العربى الاسلامى ، ينبغى أن نتبين جدوى الخروج فى رحلات الطواف ، وكيف تحققت الزيارات والمعاينة الميدانية ٠ وكتب جغرافية كثيرة سلكت مسالك التعميم فى الجغرافية الوصفية العامة ، اعتمد اصحابها على هذه الرحلات والانتفاع بالمعاينة الميدانية على صعيد العالم الاسلامى ٠ وكتب جغرافية أخرى ، سلكت مسالك التخصيص فى الجغرافية الوصفية الخاصة ، اعتمد أصحابها أيضا على مباشرة الرحلات وشد الرحال والانتفاع بالمعاينة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية التى تضم قطرا معينا ٠

(١٥) فى رحلة زيارة أو رحلة طواف ، ذهب البيرونى الى الهند ٠ ولقد تنسم البيرونى قطعا بالمعاينة الميدانية وتمعن فى مكونات الواقع الجغرافى وهو يضم المدركات الجغرافية الطبيعية والبشرية ٠ وبناء على التمعن فى هذه المكونات ، أخرج كتابه الجيد عن الهند ٠ ...

وفريق آخر من أولئك الذين خرجوا في رحلة الطواف ، وساروا على الدروب والمسالك الوعرة ، كان من الهواة الذين استهوتهم الرغبة الشديدة في زيارة الأقطار والأمصار • ويلفت النظر أن هذا الفريق قد تعمد الخروج في هذه الرحلة ، وعاش تجربة الانفتاح الجغرافي ، وباشر المعاينة الميدانية ، اشباعا لرغبة ذاتية وحب استطلاع شخصي بحت ، وليس لحساب الاجتهاد الجغرافي(١٦) • وقد مضت هذه الرحلات على الدروب والمسالك وهي متأنية ، فأتاحت معاينة ميدانية هادئة وكاشفة عن التفاصيل • وقل أن التوقف أحيانا على الطريق ، لكي يلتقط الأنفاس ، أو لكي يعمل ويتكسب من أجل تمويل مرحلة أخرى من مراحل الرحلة ، حقق أو أتاح الفرص لتجارب الاستغراق في المعايشة والمعاينة الميدانية • بل قل أصاب وأحسن الواحد من هذا الفريق ، عندما سجل انطباعاته ، أو عندما جلس وكتب سردا يحكي ويقص ويجسد مشاهداته وتعليقاته وتعقيباته ، تأسيسا على المعاينة الميدانية(١٧) •

ومهما يكن من أمر ، فلقد سجل الاجتهاد الجغرافي العربي الاسلامي ، الاهتمام الشديد بالمعاينة الميدانية ، وهي التي جاوبت الالحاح في طلب المعرفة الجغرافية ، على صعيد الأرض • كما سجل هذا الاجتهاد الجغرافي أيضا عناية بالرصد والمعاينة الميدانية التي توجهت الى قبة السماء ، واهتمت بالاجرام السماوية وتحركاتها • وأقدم الأثرياء من هواة هذه المعاينة الميدانية ، على دعم وتمويل وتجهيز المراصل وأدوات الرصد ، لحساب هذا التوجه الباحث عن الحقائق الفلكية في قبة السماء •

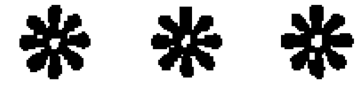
هذا ، ولم يترك هذا الالحاح في المعاينة الميدانية ، سواء وهي التي حملقت في السماء ، أو هي التي أطلت على المساحات المعنية في ربوع الأرض، مكانا للتخمين في مجال الكتابة الجغرافية • وقل أن الكتابة الجغرافية العربية الاسلامية ، كانت تتعمد قدرا كبيرا من الأمانة في وصف الصور الجغرافية

---

(١٦) تمثل كتابات الرحالة التي تعرض وصفا ، يجسد المعاينة الميدانية ، نوعا متفردا من الكتابة الجغرافية • ويعلن هذا التفرد اعلانا صريحا عن عدم انتماء الكاتب الى النخبة من العلماء الذين عرف عنهم الاجتهاد في مجال العمل الجغرافي •

(١٧) تجسد كتابات ابن بطوطة عن رحلته المشهورة ، معنى التأني على درب الانتقال من قطر الى قطر آخر • ولقد اهتم بالمعاينة الميدانية وهو على الطريق في الحل والترحال ، ولم يتوجه الى الكتابة الا بعد العودة من هذه الرحلة التي استغرقت سنوات طويلة •

نقلا عن المعاينة الميدانية(١٨) • بل قل أن المعاينة الميدانية وهى ادراك جغرافى بالحس ، زودت الكتابة الجغرافية الوصفية بالصدق النسبى والموضوعية الجادة ، وهى تعبير جغرافى بالفعل •



الرحلة الجغرافية والمعاينة الميدانية

مع مضى حركة الحياة على الصعيد العالمى ، تغيرت موازين التألق الحضارى بصفة عامة ، وكان انتقال النقل الحضارى نتيجة منطقية ، تأتت فى صحبة هذا التغيير ، واستجابة لفعل المتغيرات • واعتبارا من القرن الرابع عشر ، كانت المتغيرات على صعيد العالم الاسلامى قوة فعل مباشر وغير مباشر ، مسئولة عن الانحدار الحضارى • وكانت المتغيرات على صعيد أوروبا قوة فعل مباشر وغير مباشر ، مسئولة عن النهوض الحضارى(١٩) • ومن خلال العلاقة بين الانحدار الحضارى والتوجه الاسلامى الى التخلف ، والنهوض الحضارى والتوجه الأوروبى الى التقدم ، انتقلت قيادة المسيرة الحضارية ، ودون أى علامة من علامات الاغتصاب ، من القبضة الاسلامية التى وهنت ، الى القبضة الأوروبية القوية التى تنورت وتفتحت •

---

(١٨) لا يطعن فى هذه الأمانة شىء ، غير ادعاء الرحالة انه قد عاين وشاهد بنفسه ، وهو فى الواقع قد استمع الى من فص عن هـذه المعاينة ، وأوقعه فى الخطأ أو فى الابتعاد عن الصواب •

(١٩) جاءت المتغيرات التى أنعشت الاجتهاد الحضارى الاوروبى ، فى صحبة أو تأسيسا على .

أ ـ تامين الوجود الاوروبى على الصعيد الأوروبى ، وحمايته من قوة فعل الاكتساح الذى كانت تتعرض له قادما من وسط آسيا ، وهو الذى أسفر عن التدمير والتخريب • ووقف مفعول هذا الاكتساح وابطال قدرته على التخريب ، حول المسيرة الحضارية الأوروبية من مسيرة حضارية متقطعة ولا تكاد تواصل النمو ، الى مسيرة حضارية مستمرة أصبحت تنمو بمعدلات مناسبة •

ب ـ توجه التعامل الأوروبى توجها مناسبا فى حالة الحرب أو فى حالة السلام الى العالم الاسلامى الذى كان منهلا ثريا للتقدم الحضارى ، ومركزا منفردا للتألق الحضارى • ومثل هذا التوجه الأوروبى الى العالم الاسلامى والمعين الحضارى فيه ، معناه الأخذ بمنطق الانفتاح وقوة فعله وهو الذى كان يبث اشعاعات التنور ، لكى تتقدم مسيرة الحضارة المستمرة ، فى الاتجاه الصحيح ، على دروب التفوق والتألق •

جـ ـ تصاعد الموقف الأوروبى الذى كشف عن عصيانه وتمرده على تسلط الكنيسة وهيمنتها على عمل وتوجهات العقل الأوروبى • ومثل هذا التمرد أو الاحتجاج الذى عبرت عنه ثورة الاصلاح الدينى ، وافضى الى انسلاخ ونشأة الكنيسة البروتستنتية ، معناه الأخذ بمنطق الانفتاح العقل وتحرير العقل الأوروبى ، ورفع الوصاية الكنسية عنه •

وهكذا نفهم جيدا لماذا وكيف ومتى كان الوهن والضعف الذى انتكس بموجبه الدور الاسلامى فى العمل الجغرافى وفى قيادة مسيرة التفكير الجغرافى الصحيح ، ولماذا وكيف ومتى كان الوعى والنهوض الذى انتعش بموجبه الدور الأوروبى فى العمل الجغرافى ، وفى قيادة مسيرة التفكير الجغرافى(٢٠) • كما نفهم جيدا ، لماذا وكيف ومتى بادر الاجتهاد الجغرافى الأوروبى ، المبادرة الحميدة التى خصصت الرحلة المتخصصة فى العمل الجغرافى ، لحساب الهدف الجغرافى •

هذا ، وكان الكشف الجغرافى عن المجهول من الأرض على الصعيد العالمى(٢١) ، هو الهدف الجغرافى الذى خرجت من أجله هذه الرحلة التى أصبحت متخصصة • وكان الكشف الجغرافى عن المجهول من الأرض على الصعيد العالمى ، لا يباشر شيئا أهم من المعاينة الميدانية على صعيد كل مساحة من الأرض تسنى للرحلة الجغرافية الوصول اليها • وفتحت المعاينة الميدانية أهم أبواب المعرفة الجغرافية بهذه الأرض ، وأباحت للاجتهاد الأوروبى فرص الانتشار والانتصار تجاريا واقتصاديا واستيطانيا وسياسيا وحضاريا ، على أوسع مدى فى أنحاء العالم •

واستشعرت أوروبا قيمة الرحلة الجغرافية المتخصصة فى الهدف ،

---

(٢٠) أسفرت قوة فعل هذه المتغيرات ، عن مناخ مناسب ، وضع أوروبا على مشارف عصر النهضة على الصعيد الأوروبى المحلى • ثم كانت الرحلة الجغرافية التى خرجت لحساب الهدف الجغرافى والكشف على الصعيد العالمى ، نقطة البداية ، فى تحول أوروبا من قارة كانت تستقبل موجات الاستيطان فى ربوعها أو موجات العدوان على الاستقرار فيها ، الى قارة ارسال وانتشار تجارى واستيطانى وحضارى تلتمس الهيمنة على العالم •

(٢١) كان خروج الرحلة الأوروبية ، الذى تكرر أثناء القرن الخامس عشر بصفة خاصة ، خروجا متعمدا ، تلمس البحث عن الطريق البديل الذى كان مطلوبا لتحرير المصالح الاقتصادية الأوروبية فى التعامل التجارى مع الشرق وجنوب شرق آسيا على وجه الخصوص من القبضة الاسلامية التى كانت تهيمن فى الموقع الجغرافى الحاكم للعبور التجارى بين الشرق والغرب • وخروج الرحلة التى توجه بها داجاما ، أو التى توجه بها كولومبس ، لم يستهدف غير البحث عن الطريق البديل ، واسقاط النقاب عن المجهول وهذا هو معنى التخصص فى الهدف الجغرافى الذى لم يتجاوز حد الكشف الجغرافى • وهذه أيضا هى أول محاولة تأتى بموجبها الخروج على المألوف ، حيث كان خروج الرحلة أصلا لحساب هدف تجارى ، أو لحساب هدف عسكرى ، أو لحساب هدف سياسى ، أو لحساب هدف دينى ، أو لحساب هدف علمى ، أو لحساب هدف شخصى ، وكان ما تحققه لحساب الهدف الجغرافى يمثل شيئا ثانويا لا تكلف به ولا تسأل عنه •

وهي غير متخصصة في القيادة(٢٢) • وجنت أوروبا ثمرات المعاينة الميدانية التي باشرتها هذه الرحلة الجغرافية • وكانت وكأنها هي التي تقود الانتشار الأوروبي على الصعيد العالمي ، أو هي التي تبصر وترشد الانتصار الأوروبي الظافر على دروب الهيمنة في العالم • ومن ثم نالت الرحلة الجغرافية ما كانت تستحقه من دعم مادي ومعنوي • وقل انها وجدت الأيدي السخية التي مولت الرحلة الجغرافية ، ومولت رسم الخرائط التي سددت تحركات الرحلة، ومولت الاجتهاد الجغرافي الذي نور بصيرة الانتعاش الحضاري الأوروبي •

ومن خلال عناية أوروبية كانت لا تكف عن دعم وتنشيط وتمويل الرحلة التي تخصصت في الخروج لحساب الكشف ، والمعاينة الميدانية أنجزت هذه الرحلة المهام التي أوكلت اليها • وأسعف هذا الكشف الالتفاف البحري حول جسم القارة الافريقية ، الذي أخلى الساحة من الحضور العربي المغترب في المحيط الهندي(٢٣) ، وحجم المنافسة الاسلامية فيمواجهة الابحار الأوروبي التجاري من والى جنوب وجنوب شرق وشرق آسيا • كما أدى الاقتحام المغامر الذي وصل وكشف عن الأرض الأمريكية ، الى تنشيط التوجه الاستيطاني الى هذه الأرض التي تكشفت من خلال المعاينة الميدانية ، وفتحت ذراعيها لاستقبال الاستيطان الأوروبي المهاجر من أوروبا • وجاء الوقت الذي أفلح فيه البحث عن الأرض الاسترالية ، وكشفت المعاينة الميدانية الحجاب عنها ، ووجهت النزوح الاستيطاني الى الأرض الأنسب فيها•

وأمن ابحار الرحلات الجغرافية التي كانت تجوب وتبحر في أعالي البحار(٢٤) ، الابحار التجاري الأوروبي من والى أوروبا • وجنت الرأسمالية

---

(٢٢) على امتداد المرحلة الطويلة اعتبارا من القرن الخامس عشر الى القرن التاسع عشر ، قاد هذه الرحلات التي تخصصت في خدمة الهدف الجغرافي ، وتولت أمر الكشف الجغرافي والمعاينة الميدانية ، عناصر تحلت بروح المغامرة وحب ارتياد المجهول ، وهي لا تنتسب أبدا الى التخصص الجغرافي • وقل أن هذه العناصر التي تحلت بروح المغامرة ، استمرت في أداء هذه المهمة ، حتى كانت نشأة علم الجغرافية الذي استوجب انتقال هذه القيادة من قبضة العناصر غير الجغرافية الى قبضة العناصر الجغرافية المتخصصة •

(٢٣) خاضت مصر الحرب البحرية ضد البرتغال ، التي تولت اخلاء المساحة من الحضور العربي المغترب في المحيط الهندي ، وخسرتها في موقعة ديو البحرية المشهورة •

(٢٤) لعب الرجل المغامر دورا بارزا في الكشف الجغرافي والمعاينة الميدانية • ومع ذلك ينبغي أن نفطن انه لم يلعب هذا الدور ، ولم يقدم على هذه المغامرة ، من أجل الاجتهاد الجغرافي المتجرد • بل قل أنه غامر وتألق نجاحه ، من أجل المصالح الأوروبية التي تشبثت بارادة الهيمنة على العالم ، اقتصاديا وسياسيا وحضاريا •

الأوروبية ثمرات هذا الابحار ، وأثرت طبقة التجار ثراء كثيرا • وخصص التجار الأثرياء بعضا من فوائض الأرباح لتمويل الرحلة الجغرافية ، على أمل أن تتعقبها سفنهم التجارية ، وتزداد قبضتهم التى هيمنت على التجارة الدولية قوة • ومع تفجر الثورة الصناعية ، ازدادت الحاجة الى توظيف الرحلة الجغرافية ، فى الكشف والمعاينة الميدانية ، من أجل توفير المواد الخام ، أو من أجل فتح الأسواق • وتحالف الاهتمام الاقتصادى الذى أعلنت عنه الرأسمالية الصناعية الأوروبية(٢٥) ، مع الاهتمام السياسى الذى أبدته الحكومات الأوروبية ، فى دعم وتنشيط الرحلة الجغرافية ، حتى أصبحت وكأنها رأس الحربة أو الرمح الذى حقق الاختراق الاستعمارى الأوروبى ، على الصعيد الافريقى ، وعلى الصعيد الآسيوى •

وبداية من نجاح داجاما وكولومبس في أواخر القرن الخامس عشر ، الى الاعلان الصريح عن مولد علم الجغرافية فى القرن التاسع عشر ، وهى المرحلة التى تولى فيها المغامر أمر الرحلة الجغرافية(٢٦) ، ظل الكشف الجغرافى مقترنا بالمعاينة الميدانية • ولقد توجهت هذه المعاينة الميدانية الى كشف النقاب عن الأرض وتحريك الحد الفاصل بين المعلوم من مساحات الأرض ، والمجهول من مساحات الأرض • ومع ذلك ينبغى أن نفطن الى أن هذه المعاينة الميدانية ، قد تأتت على مستويات متفاوتة ، وكأنها كانت تتحرى الهدف الجغرافى ، الذى يمكن أن تتحقق به المصالح الأوروبية ، فقط أكثر من أى شىء آخر •

وعلى مستوى من هذه المستويات ، كانت المعاينة الميدانية معاينة كلية

---

(٢٥) اشترك الهواة ومعظمهم من أرباب الرأسمالية الأوروبية فى تشكيل الجمعيات الجغرافية جنبا الى جنب مع الجغرافيين المحترفين المتخصصين • ووجهت هذه الجمعيات الجغرافية الأوروبية الوطنية ، معظم اهتماماتها الى دعم رحلات الكشف الجغرافى ، والى نشر محصلات المعاينات الميدانية ، التى بصرت الانتشار والانتصار الأوروبى ، اقتصاديا ، وسياسيا ، وحضاريا •

الشامى ، صلاح الدين : الفكر الجغرافى ، سيرة ومسيرة ، الاسكندرية سنة ١٩٨٠ •

(٢٦) كان المغامر واحد من ثلاثة رجال ، عملوا كل فى مجال من مجالات الاجتهاد لحساب العمل الجغرافى • وفى الوقت الذى قاد فيه المغامر مسيرة الرحلة الجغرافية ، وأسهم بالمعاينة الميدانية فى توسيع دائرة المعرفة الجغرافية ، على الامتداد الأفقى حتى غطى كل ربوع الأرض ، عكف الرسام على انجاز الخريطة التى سجلت بالفعل دائرة المعرفة الجغرافية وهى التى كانت تتسع من وقت الى وقت آخر ، وانكب المفكر على استيعاب المعرفة الجغرافية ، والتفكير فى كنه وماهية المدركات الجغرافية ، وصياغة الاطار العلمى للعمل الجغرافى ، وتحديد الشكل الأنسب للهدف الجغرافى •

لا تبحث أو لا تتلمس التفاصيل أو لا تتعقب المدركات الجغرافية فى المكان والزمان • ونذكر على سبيل المثال ما كان من أمر الكشف الجغرافى والمعاينة الكلية لسواحل افريقيا ، فى مرحلة الاهتمام باختيار المواقع الأنسب لاقامة مراكز تجارية منتخبة تولت أمر حراسة الطريق الملاحى ، وتهيئة المكان الذى كانت الملاحة البحرية التجارية تلتقط فيه أنفاسها وتتزود بالزاد المرحلى على الطريق • ولكن عندما كانت المرحلة التى أقدم فيها التعامل الأوروبى مع افريقية على التوغل فى الأرض الافريقية ومباشرة الاستعمار ، تولت الرحلات الجغرافية المهمة ، وتحول الانجاز من المعاينة الميدانية الكلية الشاملة الى المعاينة الميدانية الجزئية أحيانا على صعيد المساحة المعنية ، والى المعاينة الميدانية التفصيلية المدققة فى جمع المعلومات الجغرافية أحيانا أخرى •

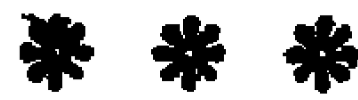
وسواء كانت المعاينة الميدانية ، معاينة ميدانية كلية كشفت النقاب عن وجود القارة الجغرافى على صعيد الأرض ، أو كانت معاينة ميدانية جزئية ، كشفت النقاب عن واقع الوجود الجزئى الجغرافى فى اطار القارة ، أو كانت معاينة ميدانية تفصيلية ، تلمست بعض الخصائص الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ، فانها قد تأتت فى غيبة المتخصص الجغرافى ، ودون الالتزام بمنهج من مناهج البحث الجغرافية • وقد تعنى غيبة المتخصص الجغرافى ان المغامر هو الذى كان يتولى مهمة المعاينة الميدانية ، وكأنه المسئول عن وصول هذا الاجتهاد الى الهدف الجغرافى • ومع ذلك فانها تعنى بالفعل غياب الهدف الجغرافى فى غيبة الاطار العلمى للعمل الجغرافى ، وغياب المتخصص الجغرافى عن رحلة الخروج الى المساحة المعنية ، ومباشرة المعاينة الميدانية فيها •

واقدام المغامر على قيادة الرحلة الجغرافية ، وهى تضرب فى المجهول، أمر استحق الثناء والاطراء • ولكن إقدام المغامر على قيادة الرحلة الجغرافية ، وهى تكشف من خلال المعاينة الميدانية عن المجهول ، أمر استحق الاشفاق • وقد يكون هذا الاشفاق ، اشفاقا على المغامر وهو الذى كان قد عرض نفسه لتحمل المسئولية • وقد يكون هذا الاشفاق ، اشفاقا على المسئولية ذاتها ، والتخوف من عواقب المعاينة الميدانية السطحية • ومع ذلك ، أفلح الحس الجغرافى الفطرى الكامن فى المغامر ، فى ترشيد دوره الوظيفى ، وهو يعاين المدركات الجغرافية ، أو وهو يجرى المعاينة الميدانية • كما أسعفته أحيانا أخرى مهارات ومكتسبات عامة أو خاصة ، فى بعض أبواب المعرفة الطبيعية أو أبواب المعرفة الانسانية •

والمعـاينة الميدانية التى أفلـح الحس الجغرافى الفطرى فى اجرائها ، لحساب المعرفة الجغرافية ، فى المكان والزمان ، فتحت شـهية بعض الرحالة المغامرين ، وحببت اليهم الانضمام الى صف العاملين أو المشتغلين فى الاجتهاد الجغرافى • وقل ان بعض أولئك الذين انضموا الى صف المشتغلين بالعمل الجغرافى العلمى ، هجروا تخصصاتهم العلمية الأصلية ، وأصبحوا من علماء الصفوة الجغرافية • بل قل ان مهاراتهم ومكتسباتهم من تخصصاتهم العلمية الأصلية ، قد أعانتهم وسددت خطاهم ، وشدت أزر تخصصهم الجغرافى ، حتى أصبحوا من الاعلام المرموقين على الساحة الجغرافية(٢٧) •

ومهمـا يكن من أمر ، فلقد قدمت المعـاينة الميدانية ، وهى التى شهدت التطور البطىء من عصر الى عصر آخر ، شيئا مفيدا للعمل الجغرافى وللمعرفة الجغرافية • ولأن التفكير الجغرافى كان تفكيرا متحررا من أى ضوابط تضبط توجهاته ، ومن أى اطار عامى يحتوى اهتماماته ، فلقد تحرر الاجتهاد الجغرافى بصـفة عامة ، على المـدى الطويل من أى قواعد ، أو من أى ضـوابط أو من أى التزامات خاصـة وعامة ، لدى اجراء المعـاينة الميدانية • بل قل انه لم يكن هناك أى اتفاق على أسلوب عمل محـدد لاجراء أو لتنفيـذ المعـاينة الميدانية ، على صعيد المسـاحة المعنية • بل قل ان كل من كان فى وسـعه اجراء هذه المعـاينة الميدانية وحصر المدركات الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ، قد ترك له الحبـل على الغارب ، ولم يلتزم بأى ضـوابط أو قيود أو قواعد معمول بها فى هذا الاجراء •

هـذا ، واذا كانت هذه المعـاينة الميدانية وهى تتطور ببطء شديد على المدى الطويل ، مناسبة لحساب الاجتهاد الجغرافى ، فان نشـأة علم الجغرافية وصياغة الاطار العلمى لهذا العلم وتحديد الهدف الجغرافى ، قد استوجب التحول من المعاينة الجغرافية الى الدراسة الميدانيـة • بل قل استوجب أن تصبح المعاينة الميدانية بداية واستهلال وتمهيد مناسب ، لاجراء الدراسـة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية •



(٢٧) يمثل همبولت الذى كان علما من اعلام الجغرافية المرموقين . ونسبت اليه الأبوة الشرعية للجغرافية الطبيعية ، الفلكى المتخصص الذى استهوته الرحلة الجغرافية حتى زينت له التحول من تخصصه الطبيعى العلمى الى التخصص الجغرافى العلمى •

علم الجغرافية والدراسة الميدانية

أفضى الاجتهـاد الجغرافى المشترك اعتبارا من القرن السادس عشر ، الذى جمع ونسق بين عمل الرحالة المغامر وهو الذى باشر المعـاينة الميدانية الكلية أو المعـاينة الميدانية الجزئية ، أو المعـاينة الميدانية التفصيلية ، على صعيد كل مسـاحة معنية ، وانجاز الرسـام المبدع وهو الذى تولى صياغة المسقط المنـاسب ، ورسم الخريطة الجغرافية ، وتثبيت بيـانات المدركات الجغرافية عليها ، وتمعن المفكر الملهم وهو الذى عكف على حسن استيعاب وتحليل وتعليل رؤيته للمدركات الجغرافية الطبيعية والبشرية فى نهـاية المطاف الى نشـأة عام الجغرافية • ومعنى هذه النشـأة لا يعبر عن شيء أهم من حسن صـياغة الاطار العلمي الذى احتوى الاهتمامات الجغرافية ، ومن حسن وضع قواعد العناية العلمية بهذه الاهتمامات الجغرافية ، ومن حسن الاتفاق على الغاية أو الهدف الجغرافى • ومعنى هذه النشـأة أيضا ، انتهاء المرحلة التى شهدت العناية المستفيضة بالتوصيف الجغرافى وهو مخلوط بالشوائب التى كانت تلوثه وتعتم على الرؤية الجغرافية ، أو وهو سطحى غير عميق الى الحد الذى كان يعكر صفو الوضـــوح الجغرافى ، وبداية المرحلة الجديدة التى سجلت التوجه الجغرافى العلمي السديد ، الذى تعمد تجاوز حد هذا التوصيف الجغرافى •

وتجاوز حـــد التوصيف الجغرافى ، اســتجابة للتوجــه الجغرافى العلمى السديد ، أضـاف الى الوصف الذى كان يعبر عن توزيع جغرافى على صـعيد المسـاحة المعنية ، التعليـل والتحليـل الدقيق الباحث عن دواعى ومبررات هذا التوزيع والعوامل أو الضوابط الحاكمة له ، والتماس العلاقة ودواعى الارتباط بين عناصر التوزيع الجغرافى فى المساحة المعنية • ومضى الاجتهاد الجغرافى على دروب التطور والتحسين فى الآداء العلمى الجغرافى ، حتى أفلـح فى الخروج من دائرة الالتزام بالتوزيع والتعليل والربط ، لحساب الهدف الجغرافى ، الى دائرة الالتزام الأكثر شمولا واتساعا فيكون الانتقال من بعد التوزيع والتعليل والربط الى التقويم الجغرافى للظـاهرة الجغرافية أو للموضوع الجغرافى أو للرؤية الجغرافية ، على أى من الوجهين ، الطبيعى أو البشرى للعمل الجغرافى ، لحساب الهدف الجغرافى الجديد •

واذا كانت الرحلة هى عين الجغرافية المبصرة ، وكانت المعـاينة الميدانية هى دعامة التوصيف الجغرافى ، قبل أن ينشـأ علم الجغرافية ويتحدد الهدف الجغرافى في القرن التاسع عشر ، فان هذه المعـاينة الميدانية لم تعد كافية ولا يمكن أن تسعف الاجتهـاد الجغرافى وهو يبحث عن العلة أو وهو يفسر ،

أو وهو يلتمس العـلاقة ومظاهر الربط بين عناصر المدركات الجغرافيـة ، على صعيد المسـاحة المعنية . وقل ان التزام الاجتهاد الجغرافى فى العمل الجغرافى فى المكان والزمان ، بالتوزيع والتعليل والربط فى مرحلة ،وبالتوزيع والتعليل والربط والتقويم فى مرحلة أخيرة ، قد استوجب عناية بسـعة الاطلاع العلمى ، وعناية بالدراسة الميدانية ، فى وقت واحد .

وسـعة الاطلاع العلمى ، تعنى الالتزام الجغرافى باسـتيعاب نتائـج العلوم الطبيعية ، ونتائج العلوم الانسانية ، استيعابا مناسـبا ، يسعف الباحث الجغرافى وهو يحلـل ويتلمس التفسير العلمى للظـاهرة الجغرافية المعنية . كما يكون اسـتيعابا يرشـد التوجه الجغرافى الى الربـط وتقصى حقيقة العلاقة التى توثق الصـلة بين السبب والنتيجة فى اطار البحث الجغرافى أحيانا ، والى التقويم الجغرافى وحسن بيان أو وضوح الرأى الجغرافى وتوجهاته التطبيقية أحيانا أخرى . وصحيح أن سـعة الاطلاع العامى تزج بالباحث الجغرافى فى حلبة من أوسـع حلبات التنور الثقافى ، وتفرض عليه أن يتقن ويحسن اكتسـاب مهارة الأخذ الذكى من نتائج العلوم الطبيعية والبشرية ، وتدعوه الى أن يمتلك حسن مهارة التركيب وادخال هذه النتائج فى توليفة التركيب الهيـكلى للبحث الجغرافى . ولكن الصـحيح أيضـا أن ضرورات الالتزام الجغرافى بسعة الاطلاع العلمى ، قد ألزمت علم الجغرافية بالوجود فى المـكان المناسب فى الصف العلمى حيث يقف ، بين العلوم الطبيعيـة والعلوم الانسانية .

والدراسـة الميدانية ، تعنى التزام جغرافى حقيقى بتوجهات العمـل الجغرافى التى لا يفلـح فى انجازها أو فى تغطيتها ، دون الخروج الى الميدان على صـعيد المسـاحة المعنية . ويسعف هـذا الخروج فى رحلة الدراسـة الميدانية ، الباحث الجغرافى ، وهو يواجه ويتحرى الصدق والموضوعية ، فى رصـد ومتابعة وتقصى الحقائق التى تجسـد الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان . وصـحيح أن الدراسة الميدانية على صعيد المسـاحة المعنية تزج بالباحث فى حلبة العمل الجغرافى العملى ، وتفرض عليه أن يتقن ويحسن اكتسـاب مهارة التعامل العملى مع المدركات الجغرافية الطبيعية والبشرية ، وتدعوه الى أن يمتلك حسن مهارة استخلاص نتائج هذا التعامل ، وادخالها فى توليفـة التركيب الهيـكلى للبحث الجغرافى . ولكن الصـحيح أيضـا ، أن ضرورات الالتزام الجغرافى بالدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، قد استوجبت حسن الاعداد والتجهيز فى رحلة أو فى رحلات الخروج الى الميدان واجراء الدراسة الميدانية .

ويجرى البـاحث الجغرافى فى الوقت الحاضر الدراسة الميدانية ، أو قل ينبغى أن يتعلم هذا الباحث كيف يخوض تجربة اجراء الدراسة الميدانية ، لحساب ثلاثة أنواع من العمل الجغرافى العلمى •

● وفى النوع الأول ، يتوجه الباحث الجغرافى الى الميـدان ، ويجرى الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، لحساب البحث الجغرافى المجرد• ويلبى هـذا البحث الجغرافى حاجة البـاحث الجغرافى لانجـاز البحث الذى يتضمن الاضافة الجغرافية ، على سبيل التجديد أو التجويد الجغرافى العلمى •

● وفى النوع الثانى ، يتوجه الباحث الجغرافى الى الميدان ، ويجرى الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية ، لحساب غير الجغرافى الذى تهمه نتيجة البحث الجغرافى وينتفع بها • ويلبى هذا البحث الجغرافى حاجة غير الجغرافى الى وضوح الرؤية الجغرافية ، وهو فى حاجة الى حسن توظيفها فى خدمة الغرض التطبيقى فى هذه المساحة المعنية •

● وفى النوع الثالث ، يتوجه الباحث الجغرافى الى الميدان ، ويجرى الدراسة الميدانية ، على صعيد المسـاحة المعنية ، لحساب العمل التطبيقى فى العمل التنموى • ويلبى هذا البحث حاجة المجتمع الشـاملة ، الى وضوح الرؤية الجغرافية وحسـن بيـان الرأى الجغرافى تعقيبـا على هذه الرؤية • كما توجه الجغرافى ، أو قل تفرض عليه واجب الاسهام ، فى العمل على كل مستوياته ، فى العملية التنموية بكل جوانبها النظرية والتطبيقية •

الفصـــل الأول

الدراسة الميدانية وانجاز البحث الجغـــرافى

- تمهيد عن تبنى الرحلة الجغرافية .
- علم الجغرافية وتوظيف الرحلة الجغرافية .
- الرحلة الجغرافية والتوجه الى الميدان .
- تجهيز واعداد الرحلة الجغرافية الميدانية .
- الرحلة الأولية وانجازات الزيارة الميدانية التفقدية .
- خروج الرحلة الجغرافية ، والعمل الجغرافى الميدانى .
- الانجاز العملى الميدانى .
- رحلة جغرافية اخيرة الى الميدان .

الفصل الأول

الدراسة الميدانية وانجاز البحث الجغرافي

تمهيـــــد :

اذا كان علم الجغرافية الحديثة ، قد تبنى الرحلة الجغرافية الخاصـــة والمتخصصة ، وأقدم على حسن تطويعها ، لحساب الهدف الجغرافي الصريح ، اعتبارا من أواخر القرن التاسع عشر الميـــلادى ، واذا كان تطويع الرحلة الجغرافية المتخصصة ، قد وضع العمل الجغرافي الميداني أمانة غالية في عنق الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية اعتبـــارا من بدايات القرن العشرين ، فان هذه الرحلة الجغرافية المتخصصة ، التى تحملت أعباء هـذه الأمانة ، قد فتحت الأعين الجغرافيـــة ، وشحذت العقول المتفتحة ، وقدمت بعض أهم الانجازات ، التى أثرت وطورت علم الجغرافية بل قل انهـــا قد أسهمت اسهاما مباشرا في تطوير الهدف الجغرافي ، مثلمـــا طورت حسن وسائل الوصول الجيد الى هذا الهدف • ولا تثريب على من طوع ، ولا غبار على من طور ، طالمـا كان هـــدف الرحلة الجغرافية الحقيقى ، هـو التوجه الصحيح الى ما هو أفضل ، لحساب الهدف الجغرافي •

وتعليق العمـــل الجغرافي أمانة في عنق الرحلة الجغرافية الخاصـــة والمتخصصة في العمل الميداني ، وقبوله بمنطق وفلسفات الفكر الجغرافي ، فيما وراء علم الجغرافية الحديثة ، هو الذى طوع تخصص هذه الرحلة ، وهو أيضا الذى قاد وأحسن توجيه مسيرة التطور • وفي اعتقاد أى باحث جغرافي منصف ، أن هذا التطويع ، وان هـــذا التطوير ، قد تقـــدم في الاتجـاه الصحيح ، وخاصة عنـــدما أدرك الباحث الجغرافي المتنور ، المعنى الحقيقى والأسلوب الأنسب والهدف الصحيح ، من حسن توظيف الرحلة الجغرافية ، في اجراء وتنفيذ الدراسة الميدانية ، كما ينبغى أن تكون ، على صـــعيد أى مساحة معنية •

وصحيح أن توجه الرحلة الجغرافية المتخصصة الخاصة الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، قد جعل العمل الجغرافي شيئا مهما لا يمكن التفريط فيه ، ووضع علم الجغرافية الحديثة في صف واحد مع كل العلوم العملية •

وصحيح أيضا ، ان هذا التوجه العملى ، قد أفضى الى اهتمام جغرافى حقيقى بالتجربة الجغرافية الميدانية ، والى عناية فعلية بما تنبىء به هـذه التجربة الدراسية الميدانية . ولكن الصحيح بعد ذلك كله أن هذا التوجه الجغرافى الحميد الى العمل الجغرافى الميـدانى ، قد استوجب من البـاحث الجغرافى اهتماما ومهارة وخبرة ، وهو يتوقع من الظاهرة الجغرافية المعنية فى المنظور الجغرافى ، أن تتحدث عن نفسها ، وأن تعطى البيان الجلى عنها ، وأن تكشف عن سر الضوابط الحاكمة لها وقوة الضبط التى تتحلى بها ، عندما يخوض التجربة ويجرى الدراسة وينجز العمل الجغرافى فى الميدان .

واذا كان العلم العمـلى التجريبى - أى علم - قـد امتلك المعمل أو المختبر ، وكان فى وسعه نقل ما يبتغى دراسته الى داخل هذا المختبر ، لكى يجرى عليه التجارب ، ويستخلص النتائج المناسبة ، فان علم الجغرافية وقد توجه هذا التوجه العملى ، امتلك هو أيضا المعمل والمختبر . وقل انه هـو العلم العملى ، الذى امتلك أكبر معمل وأرحب مختبر . بل قل ان المختبر الجغرافى الأصلى والأصيل ، هو الميدان الذى تخرج اليه رحلة العمل الجغرافى الميدانى ، على صعيد أى مساحة معنية . وهل الدراسة وتحرى الحقيقـة واجراء البحث الذى ينجزه الجغرافى العامل فى أنحاء الميدان ، تختلف فى شيء جوهرى عن اجراء أى تجربة عامية أخرى فى المختبر أو فى المعمل ؟ .

هذا ، ويكون خروج الباحث الجغرافى فى الرحلة الجغرافية المتخصصة الخاصة الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، انتقالا بالعمل الجغرافى من صومعة الدراسة المكتبية النظرية ، الى ميدان العمل العملى فى هذا الشكل المتميز من المختبرات . ويكون العمل الجغرافى فى هـذا الميدان الفسيح ، عملا عمليا وتجريبيا ، فى اطار الواقـع الجغرافى الطبيعى والبشرى ، فى المساحة المعنية . وما من شك فى أن نتائج هـذا العمل الجغرافى العملى التجريبى ، التى يستخلص منها النتائج ، ويبنى عليها اضافاته الجديدة ، هى وحدها التى تصطنع أصالة البحث الجغرافى ، وتكفل التجديد والتجويد . وما هو مكتوب أو مدون فى الكتب الجغرافية ونطلع عليه فى اطار الدراسة المكتبية ، ليس علما جديدا ، وانما الجديد بالفعل هو ما تكشف عنه الدراسة الميدانية ، ويكتب عنه لأول مرة . بل قل انها الاضافة الجديدة القيمة التى تضيف شيئا مهما جغرافيا ، الى ما كان قد وصل اليه الجغرافيون من قبل .

وسواء كانت الرحلة الجغرافية الى الميـدان مطلوبة بكل الالحاح ، من أجل التعلم وتدريب الطـلاب ، فى مرحلة الدراسة الجامعيـة المتخصصة

الخاصة ، Feild Training أو كانت مطلوبة بكل الضرورة ، من أجل انجاز البحث الجغرافى العلمى ، فانها تلبى الطلب العملى ، الذى تتوجه من أجله الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية • ويمكن أن ندرك جيدا ، كيف أحس علم الجغرافية بجدوى هذا التوجه العملى التجريبى البحت ، وهو الذى يجاوب ارادة انجاز الدراسة الميدانية العميقة ، واجراء البحث العملى المتفتح، وتحقيق الاضافات الجغرافية الجيدة •

ويخطىء من يتصور أو من يردد ويقول ان اهتمام الجغرافية بالدراسة الميدانية ، كان من قبيل التأثر بعلم الجيولوجيا وتوجهاته الى العمل الميدانى• بمعنى أن هذا الخطأ خطيئة لأنه محض افتراء ، وانكار أو استنكار للعلاقة الأصولية بين المعاينة الجغرافية وهى مهمة الرحلة الجغرافية قبل نشأة علم الجغرافية ، والدراسة الميدانية الجغرافية وهى مهمة الرحلة الجغرافية لحساب علم الجغرافية • وما من شك فى أن توجه علم الجغرافية الى هذا العمل العملى التجريبى ، كان وما زال هو التوجه الصحيح ، الذى نبع وينبع من ذات الجغرافية العلمية ، واستشعار الجغرافى المتخصص بجدوى معاينة الرؤية الجغرافية ، وبجدوى تمحيصها ودراستها فى المكان والزمان على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان • بل قل ان الاهتمام الجغرافى بالرحلة كان أصلا فى الماضى وهو كذلك فى الوقت الحاضر اهتماما شديدا ، لأنها كانت دائما وكأنها العين التى يبصر بها الاجتهاد الجغرافى ، ويرى الواقع الجغرافى فى المكان والزمان •

ولكى ندرك بالفعل ، كيف كان ، وكيف تطور هذا التوجه الجغرافى المتنور الى العمل الجغرافى العملى التجريبى فى الميدان ، يكفى أن نشير الى دعوة كارل ريتر الصريحة الىالرحلة الجغرافية• وهل ننسى انه قال وهو على الحق « ينبغى أن نسأل الأرض ••• ؟ » وقل كيف يسأل الجغرافى وكيف تجاوب عليه الأرض ، من غير أن تكون المواجهة ، أو من غير أن يخرج الباحث الجغرافى فى الرحلة الجغرافية الخاصة والمتخصصة ، الى الميدان ، لكى يكون الحوار ، الذى يتألف من السؤال والجواب عليه • ويمكن أن نضيف الى ذلك أيضا ، قول راتزل الجغرافى المشهور فى شأن الرحلة الجغرافية المتخصصة الى الميدان I travelled, Ishecked, I described • وهل يعنى ذلك كله غير أن الرحلة الجغرافية هى التى هيأت فى الماضى ، وتحقق فى الحاضر فرص الانتقال والسفر والمعاينة والدراسة والتمعن وانجاز العمل الجغرافى من أجل حسن التعبير عن الرؤية الجغرافية أو المفهوم الجغرافى أو الحقيقة الجغرافية ؟ •

واذا كان اسكندر همبولت وهو واحد من عمالقة الجغرافية في القرن التاسع عشر الميلادى ، ويحلو لابعض أن ينسب اليه أبوة الرحلة الجغرافية المتخصصة ، فهل يمكن أن ينكر هذا البعض انه لم يكن فى الأصل جغرافيا ؟ وهل ننسى أن همبولت خرج فى رحلته التى غطت مســاحات فسيحة من شرق أوروبا وسيبيريا ، ومساحات فسيحة من أمريكا اللاتينية ، وعاد منها لكى ينضم الى صف التخصص الجغرافى حتى أصبح جغرافيا وعلما مرموقا من أعلامها ؟ وهل يمكن أن نفهم ماذا كان هدف كون وهو الذى ردد عـلى مسامع طلابه الجغرافيين فى كلية جولد سميث الجامعية

Direct Observation is the only gate way to reality

وهل كان مقصد كون قد توجه الى شىء أهم من التنبيه الى جـدوى الرحلة الجغرافية الى الميدان ؟ .

ولن نتمادى أبدا فى دحض هـذا الافتراء الكاذب ، الذى لوى ذراع الحقيقة وانتهك الصلة بين الرحلة الجغرافية لحساب الكشف الجغرافى والرحلة الجغرافية لحساب الدراسة الميدانية الجغرافية . بل قل لن نحمل كثيرا على من تجنى وروج لفكرة اقتداء وتأثر الجغرافية بالجيولوجيـا فى شأن اجراء الدراسة الميدانية ، والاهتمام بالرحلة الجغرافية من أجلها . ويكفى أن نترك قول فريديك راتزل لكى يرد على هذا التجنى ويسكته ، قائلا :

Field work is the means of obtaining first-hand experience, of any enviroment by practical work stimulated by curiosity and discovery.

- ومن خلال هذه المؤشرات البينة التى لا تضلل أبدا ، ينبغى عندئذ أن ندرك حقيقة اهتمام علم الجغرافية اعتبارا من النصف الأخـير من القرن التاسع عشر الميلادى بالرحلة الجغرافية ، لحساب التحول من المعاينة الميدانية السطحية ، الى الدراسة الميدانية المتعمقة . وقل ان أواصر الصلة التى دعت علم الجغرافية الى تبنى الرحلة الجغرافية وتطويعها تطويعا مناسـبا ، لـكى تصــل الى درجة التخصص الدقيق فى التوجه الى الهـدف الجغرافى ، والتخصص فى القيادة وفى التنفيذ العملى ، لم تزداد قوة الا بعد أن برهن العمل الجغرافى العملى التجريبى دائما ، على جـدوى حسن توظيف الرحلة الجغرافية المتخصصة . وهـل يحمل لواء الاضافة والتجديد والتطـوير الجغرافى الا هذا العمل الجغرافى العمـلى الناجح فى الميدان ، عـلى صعيد المساحة المعنية ؟(١) .

---

(١) الشامى ، صلاح الدين : الرحلة عين الجغرافية المبصرة فى الدراسـة الميدانية ، الاسكندرية سنة ١٩٨٢ ص ٢٢٢ ، ٢٢٦ .

- وفي شأن توظيف الرحلة الجغرافية والخروج الى الميدان على صعيد المساحة المعنية ، ينبغى أن نذكر كيف اعتمد عليها فريق من أساتذة الجغرافية منذ نهاية القرن التاسع عشر ، فى العملية التعليمية ، وفى تربية الكوادر الجغرافية الجامعية المتخصصة • ونشير - على سبيل المثال لا الحصر - الى توجه هربرت سون مع طلابه الجامعيين فى كلية هربون وات الجامعية فى أدنبرة ، فى الرحلة الجغرافية لحساب الدراسة الجغرافية الميدانية المفيدة • وكم خرجت هذه الرحلات الى الميدان الفسيح ، فى الأعوام الجامعية من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٨٩٩ ، وأفلحت فى تدويب الطلاب أحيانا على معاينة الرؤية الجغرافية ومكوناتها الطبيعية والبشرية ، وفى تدريب الطلاب أحيانا أخرى على معايشة الواقع الجغرافى والقاء الأسئلة على مسامع الظاهرات الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، وحسن الاصغاء الى الردود التى يجيب بها هذا الواقع الجغرافى وهو يتحدث عن نفسه •

- هذا وما زلنا ونحن نعمل فى حقل التعليم الجامعى العلمى ، أشد الناس حرصا على الرحلة الجغرافية وعلى حسن توظيفها فى اجراء العمل الجغرافى الميدانى العملى • وقل تكون هذه الدراسة الميدانية مقررا من مقررات الدراسة فى السنوات النهائية من الدراسة الجامعية التخصصية ، فى كل الجامعات العربية • ويتلقى الطلاب فى أقسام الجغرافية ، التدريب فى هذه الدراسة الميدانية ، من خلال خروج الرحلة الجغرافية ، واجراء التطبيق العملى فى الميدان • وتخرج هذه الرحلة الجغرافية خروجا منتظما ومبرمجا بعناية ، فى يوم من أيام الأسبوع لأداء هذه المهمة التدريبية • ويكلف الطلاب باعداد البحث الجغرافى ، الذى ينبغى أن يبرهن فيه على حسن الانتفاع بالدراسة الميدانية فى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية •

- أما توظيف الرحلة الجغرافية فى الدراسة الميدانية ، لحساب البحث الجغرافى العلمى ، فهو التوظيف الحيوى ، الذى يخدم الابداع ويلتمس الاضافة والتجديد فى الانجاز الجغرافى • بمعنى ان العمل الجغرافى العملى التجريبى ، فى الميدان ، هو وسيلة الباحث الجغرافى وحيلته المثلى ، لجمع واستحضار البيانات والمادة الجغرافية العلمية الخام ، التى تدخل فى صلب البحث الجغرافى ، فتكسبه الجدية والتجديد ، أو الجدوى والتجويد • ومن غير نتائج هذا العمل الجغرافى العملى الميدانى ، التى يحصل عليها الباحث من

---

(٢) Archer, J & Dalton, T.H. : Feildwork in Geography, London, 1970

الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، يصبح البحث الجغرافى تحصيل حاصل ولا يعتد به أبدا • بل قل من غير نتائج الدراسة الميدانية ، نفتقد فى البحث الجغرافى الأصـــالة تماما ، لأنه يكرر ما سبقه اليــه غــيره ، ولا يضيف شيئا جغرافيا جديدا •

علم الجغرافية والرحلة الجغرافية :

أنهى علم الجغرافية مهمة الرحالة المغامر ، غير المتخصص ، الذى تولى باختياره أحيانا ، أو الذى أوكلت اليه مسئولية قيادة الرحلة الجغرافيـــة أحيانا أخرى • وقل ان الانهاء قد تأتى ، فى الوقت المناسب ، بعد أن برهن الرحالة المغامر على حسن الأداء ، وعاد من كل رحلة جغرافية متخصصة فى الهدف ، وفى جعبته الشىء الكثير والمفيد ، من خلال المعاينة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية ، التى شهدت تجواله • بل قل أن هذا الانهاء كان ضروريا ، حتى يتسنى احلال الجغرافى المتخصص ، محل الرحالة المغامر غير المتخصص ، فى قيادة الرحلة الجغرافية المتخصصة •

ولأن علم الجغرافية كان قد استقام وضعه واشتد عوده وعرف طريقه وحدد معالم هذا الطريق الى الهدف الذى ينبغى الوصول اليه ، أدرك جيدا قيمة الرحلة الجغرافية وهى العين المبصرة التى تطل على المدركات الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان • وقل فضل علم الجغرافية أن يتولى الجغرافى المتخصص قيادة الرحلة الجغرافية أو الخروج فى هذه الرحلة الجغرافية ، لكى يصبح فى وسعه أن يطل على المساحة المعنية أو أن يشـــهد المدركات الجغرافية فيها ، بعين الخبرة والمهارة والتخصص الجغرافى • بل فضل علم الجغرافية أن يتحمل الجغرافى المتخصص المسئولية ، وهو يوظف الرحلة الجغرافية التوظيف المناسب فى متابعة الرؤية الجغرافية والتركيب الهيكلى الذى يحتوى المدركات الجغرافية ، على صعيد المساحـة المعنية ، فى المكان والزمان •

وصحيح أن الرحالة المغامر غير المتخصص ، كان فى وسعه أن يعاين المدركات الجغرافية ، على صــعيد أى مساحة معنية ، وأن يسـعفه حســه الجغرافى فى استيعاب هذه المدركات الجغرافية التى تشغل باله • وصحيح أن الرحالة المغامر غير المتخصص ، كان فى وســـعه أن ينقل صورة هـذه المدركات الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية نقلا مناسبا ، فجر الاهتمام بها والتفكير فى كنهها أو فى ماهيتها ، لدى بعض أو كل من أصغى اليـــه

واستمع الى عرض الصورة الجغرافية والتعبير عنها • وصحيح ان مثل هذا الاستماع الى عرض الصورة الجغرافية والتعبير عنها ، قد ألهب التفكير فيها وطرح تساؤلات كثيرة واستفسارات متنوعة ، لم يكن فى وسع الرحالة المغامر غير المتخصص الاجابة عليها • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو استشعار قيمة أن يحل الرحالة الجغرافى المتخصص محل الرحالة المغامر غير المتخصص الذى يصبح فى وسعه أن يعاين المدركات الجغرافية ، وأن يسأل عنها ، وأن يلتمس الاجابة منها ، عن هذه الأسئلة •

واستبعاد الرحالة المغامر من قيادة الرحلة الجغرافية الى المساحة المعنية ، واحلال الرحالة الجغرافى فى هذه القيادة ، معناه ، التحول الحقيقى من مرحلة كانت فيها المعاينة التى حققت الادراك الجغرافى وأثارت دواعى التفكير الجغرافى ، الى مرحلة جديدة أصبح الجغرافى المتخصص مسئولا عن البحث أو العثور على الاجابات الصحيحة الكاشفة عن كنه المدركات الجغرافية ، وما تثيره من استفسارات وأسئلة • ومعنى هذا التحول أيضا ، يتمثل فى تحمل الجغرافى المتخصص مسئولية أن يطل بعين تخصصه الجغرافى على المساحة المعنية ، وأن يتجاوز حد الادراك الجغرافى فى صحبة الشىء المناسب من التفكير والتأمل ، فى مكونات الرؤية الجغرافية ، حتى يعثر على الاجابات التى ترد أو تجاوب على استفسارات هذا التفكير أو هذا التأمل الجغرافى •

ومن ثم ينبغى أن نعرف كيف بدأ فى صحبة علم الجغرافية التمييز بين رحلة المعاينة الجغرافية التى يكون فى وسع غير المتخصص القيام بها ، ورحلة الدراسة الجغرافية التى لا يكون فى وسع غير المتخصص القيام بها• وفى كل رحلة من هاتين الرحلتين ، يكون الخروج والذهاب الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، ويكون الاهتمام بالمنظور الجغرافى أو بالرؤية الجغرافية ومكوناتها والتركيب الهيكلى لهذه مكونات الطبيعية أو البشرية أو الطبيعية والبشرية المتداخلة • ولكن يبقى الفرق كبيرا ، بين معاينة ميدانية وادراك وتفكير أثناء الرحلة أو بعد العودة منها ، ودراسة ميدانية تبتنى على المعاينة والادراك والتفكير ، والتماس البحث وتقصى الاجابة عن الاستفسارات التى يؤدى اليها التفكير •

كما ينبغى أن ندرك أيضا أن استبعاد الرحالة المغامر من قيادة الرحلة الجغرافية المتخصصة ، لا يعنى الاعتراض الجغرافى على قيمة المعاينة الميدانية• بل قل ينصب الاعتراض كله على أن يتولى غير المتخصص أمر هذه المعاينة

الميدانية ، فيطل عليها بعين غير المتخصص ، وقد لا ينجح تماما في انجاز المهمة • وهذا معناه أن علم الجغرافية تهمه المعاينة الميدانية ، ويهمه أكثر أن يتولى هذه المعاينة الميدانية المتخصص الجغرافي • ومعناه أيضا أن المعاينة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، تمثل البداية التي تأتي من بعدها انطلاقة الدراسة الميدانية • أو ان شئت قل أن لا دراسة ميدانية ، على صعيد أي مساحة معنية ، من غير أن تسبقها معاينة ميدانية •

ومهما يكن من أمر ، فلقد تأكد اهتمام علم الجغرافية ، بالخروج الجغرافي في رحلة جغرافية هادفة • ويكون هذا الخروج الجغرافي الهادف الى المساحة المعنية رشيدا وهو يعرف كيف ينسق جيدا بين مرحلة أولية لحساب المعاينة الميدانية ، ومرحلة أساسية لحساب الدراسة الميدانية • بل قل يعرف الاجتهاد الجغرافي قيمة العلاقة الحميمة بين المعاينة الميدانية والدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، أو قل انه يعرف لماذا تكون المعاينة الميدانية ، وكيف تمهد للدراسة الميدانية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية •

واقدام علم الجغرافية على الاهتمام بالرحلة الجغرافية وحسن توظيفها في المعاينة الميدانية ، وفي الدراسة الميدانية ، لحساب البحث الجغرافي ، يعلن عن جدوى التوجه العملي الجغرافي • وأصبح الميدان أو الحقل على صعيد المساحة المعنية ، وكأنه المعمل الذي يشهد اجراء الدراسة الجغرافية العملية ، بحثا عن الاجابة التي ترد على الاستفسارات الجغرافية ، وهي تسأل عن المدركات الجغرافية الطبيعية ، أو عن المدركات الجغرافية البشرية ، أو وهي تسأل وتستفسر عن الحقيقة الجغرافية في اطار العلاقة الحميمة بين الانسان والأرض ، في المكان والزمان • كما يبدو الميدان وهو حقل الدراسة ، على صعيد المساحة المعنية ، أحيانا أخرى ، وكأنه الكتاب المفتوح الذي يطالعه الاجتهاد الجغرافي ، فيرد على استفساراته الجغرافية وأسئلته المطروحة على مسامع الأرض أو على مسامع الانسان ، لحساب البحث الجغرافي •

وهكذا ، يتعود الاجتهاد الجغرافي العلمي ، الذي يقدم على انجاز البحث الجغرافي الطبيعي أو البحث الجغرافي البشري ، على صعيد المساحة المعنية ، وفي الاطار المنهجي الجغرافي السليم ، على اشراك الدراسة الجغرافية البحثية المكتبية جنبا الى جنب ، مع الدراسة الجغرافية البحثية الميدانية ، اشراكا متوازيا ومتوازنا ، في جمع وتوفير المادة العلمية للبحث الجغرافي • ويتفق الجغرافيون الذين يعملون في حقول البحث الجغرافي ، ويتخصصون تخصصا

جغرافيا دقيقا طبيعيا أو بشريا ، على قيمة الدراسة البحثية الجغرافية المكتبية وكيف تكون من خلال الكتب والمراجع والمصادر(٣) ، وعلى قيمة الدراسة البحثية الجغرافية الميدانية ، وكيف تجرى فى ميدان البحث على صعيد المساحة المعنية ٠

وفى الاعتقاد الجغرافى العلمى المتخصص ، أن الدراسة البحثية المكتبية ، تمثل جانب الاطلاع على الكتب والمراجع الجغرافية وغير الجغرافية التى تهم موضوع الدراسة وانجاز البحث ٠ وتوفر هذه الدراسة على صعيد المكتبات العامة والخاصة ، فرص الاطلاع ، على كل ما يمكن أن يبصر مسيرة البحث وتوجهاته ، وعلى محصلة الاجتهادات الجغرافية وغير الجغرافية التى سبق لها المضى على درب هذا البحث الجغرافى ٠ وقل وثق فى أن هذه الدراسة البحثية الجغرافية المكتبية ، تكون مفيدة ومناسبة ولا يجوز اهمالها أو التفريط فيها أبدا ٠ وتضع هذه الدراسة الباحث وهو يطالع الكتب والمراجع والمصادر ، فى الوضع الصحيح ، الذى يعرف بموجبه أقصى ما قد وصل اليه أو أنجزه من سبقوه ، فى مجالات هذا البحث ، حتى يتسنى له الانتفاع بتجارب الماضى ، وهى مفيدة قطعا ، ولا يجوز التفريط فيها ، ثم يتسنى له أن يضيف شيئا جغرافيا جديدا ، الى ما انتهت اليه البحوث الجغرافية السابقة ٠ بل قل ان هذه الدراسة الجغرافية العلمية المكتبية ، تعنى ألا يبدأ البحث الجغرافى من فراغ أبدا ، لأنها تهيىء العلاقة بين البحوث الجغرافية المنشورة والبحث الجغرافى الجديد ٠ وفضلا عن ذلك كله ، تنور الدراسة الجغرافية البحثية المكتبية طريق الباحث الجغرافى وبصيرته ، وترشد مسيرة الخروج فى رحلة العمل الجغرافى ، وتكاد تحدد توجهات اجراء الدراسة الجغرافية العملية الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية ٠

وفى الاعتقاد الجغرافى العلمى المتخصص أيضا ، ان الدراسة البحثية الميدانية ، تمثل جانبا للاطلاع والتعامل العملى مع الأرض أو مع الانسان ، أو مع شكل وتوجهات العلاقة الواقعية بين الانسان والأرض ، على صعيد

---

(٣) نختلف فى اعتقادى المصادر عن الكتب والمراجع ٠ وتمثل المصادر المعين الذى يسجل البيانات والمعلومات التى تعامل على انها من المادة العلمية الخام التى ان استخدمها الباحث فى بحثه كان شانها شأن المادة العلمية الخام التى تفضى اليها الدراسة الجغرافية الميدانية ٠ هذا ، وتضم الكتب والمراجع مادة علمية مستخدمة ، ولا مانع من اعادة استخدامها فى البحث فى مكانها الصحيح مرة أخرى ٠

المساحة المعنية . وتفضى الدراسة العملية الميدانية الى حسن توجيه السؤال ، وحسن تلقي الاجابات عن هذه الاستفسارات الجوهرية ، التى تسعف وتفيد فى انجاز البحث الجغرافى . وينتفع الباحث الجغرافى بمهارات مكتسبة فى طرح السؤال ، وبمهارات مكتسبة أيضا فى حسن الاستماع الى الاجابة ، حتى يتحرى الصدق والوضوح الكاشف عن الحقيقة الجغرافية الماثلة ، على صعيد المساحة المعنية . والأهم من ذلك كله ، هو ما قد تفضى اليه أو ما قد تبوح به الدراسة العملية الميدانية ، فى بيان واضح وصريح ، وصدق فى الموضوعية وحسن التعبير . ويوفر هذا الصدق أو هذا البيان الفرصة المناسبة ، لكى يجنى الباحث ثمرات العمل فى الميدان ، وهو يتعامل مع الأرض أو وهو يتعامل مع الانسان ، أو وهو يتعامل مع العلاقة بين الانسان والأرض . وتكفل هذه الثمرات العملية الجغرافية ، الاضافة الجغرافية المناسبة . بل قل انها هى الثمرات التى يضيف بموجبها الجغرافى شيئا مهما ، لا يعنى غير التجديد مع الاضافة ، وغير التجويد مع حسن العرض ، فى البحث الجغرافى .

وهكذا نفهم كيف تعين الدراسة الجغرافية البحثية المكتبية الباحث فى انجاز البحث ، وكيف توفر الدراسة الجغرافية البحثية الميدانية فرص التجديد والاضافة عند انجاز البحث فى شكله النهائى . وهذا معناه ان الدراسة الجغرافية البحثية المكتبية ، تكون لكى لا يبدأ انجاز البحث من فراغ أبدا ، وان الدراسة الجغرافية العملية الميدانية ، تكون لكى لا ينتهى انجاز البحث من غير اضافة جديدة . وتحتاج الدراسة الجغرافية البحثية المكتبية الى مهارة وحسن استعداد مكتسب ، حتى يكون فى وسع الباحث أن يحسن استخراج واستخلاص المعلومة المناسبة ، وتنقيتها من الشوائب التى قد تشوهها ولا لزوم لها فى البحث الجغرافى . كما تحتاج الدراسة الجغرافية العملية الميدانية ، الى مهارة وحسن استعداد مكتسب ، حتى يكون فى وسع الباحث الخروج فى رحلة العمل الجغرافى ، واتقان المعاينة أولا ، واتقان حسن جمع ثمرات الدراسة الميدانية ، واستبعاد الزوائد التى قد تشوهها ولا لزوم لها ، فى بنية البحث الجغرافى .

ومن أجل هذه القيمة التى تهم الاجتهاد الجغرافى ، وهو يطلب ثمرات باكتساب المهارات وحسن الاستعداد والتدريبات العملية ، حتى تسعفه العمل والدراسة العملية ، على صعيد المساحة المعنية ، كان الاهتمام الجغرافى بالرحلة الجغرافية الى الميدان . بل قل كان الاهتمام الجغرافى

وتشد أزر التوجـه الضرورى ، لاجراء الدراسة الميدانية لحساب العمل الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ٠



الرحلة الجغرافية والتوجه الى الميدان

تمثل رحلة الخروج والتوجه الى الميدان ، رحلة غاية فى الأهمية ٠ ولا يستخف هذه الرحلة حتى يكون هذا الخروج المتوجه الى الميدان شىء غير البحث الجغرافى ، وجمع أوصال المادة العلمية لانجاز البحث الجغرافى ٠ ولأن الباحث الجغرافى يعرف جيدا ماذا يطلب من هذا الخروج الى الميدان ، فينبغى أن يعرف أيضا حسن التجهيز والاعداد لهذا الخروج ، وحسن اختيار الوقت المناسب لجنى ثمرات هذا الخروج ، وحسن الأداء والتعامل واجراء الدراسة الميدانية العملية التى تجاوب طاب الخروج فى الرحلة الجغرافية الى الميدان ٠

وهذا معناه ان الرحلة الجغرافية التى يهيمن عليها وينظمها الاجتهاد الجغرافى ، تمثل رحلة خاصة ومتخصصة ٠ وهى رحلة خاصة لانها لا تكون الا من أجل الهدف الجغرافى ، الذى يحقق المعاينة من انجاز البحث الجغرافى ٠ وهى رحلة متخصصة لانها لا تكون الا فى ظل قيادة جغرافية ، تعمل فى انجاز البحث الجغرافى الذى يجاوب الهدف الجغرافى ٠ وفى اطار هذه الخصوصية والتخصص ، يجيد الاجتهاد الجغرافى تطويع الرحلة الجغرافية وتوظيفها فى خدمة العمل الجغرافى ، على صعيد الميدان ، فى أنحاء المساحة المعنية ٠ ومن ثم تصبح الرحلة الجغرافية الخاصة والمتخصصة ، طوع أمر الاجتهاد الجغرافى ، ولا تعمل عملا فى غيبته أبدا ، ولا تخيب له أملا فى كل سبيل من سبل الوضوح الجغرافى وتوجهاته الى دراسات لحساب التخصص الجغرافى الطبيعى ، أو دراسات لحساب التخصص الجغرافى البشرى ٠

وهذا معناه أيضا ، ان خروج الرحلة الجغرافية وتوجهها الذى يهيمن عليه وينظمه الاجتهاد الجغرافى لا يتأتى من غير تجهيز واعداد ، ولا ينبغى أن يكون فى وقت غير الوقت المناسب ٠ ولا يحين هذا الوقت المناسب لخروج رحلة العمل الجغرافى بالفعل ، الا بعد الانتهاء الأولى من مرحلة الدراسة الجغرافية البحثية المكتبية ، لكى يعرف الباحث الذى يخرج فى هذه الرحلة ماذا ينبغى أن يتحقق أو ما ينبغى أن يطلبه من العمل فى الميدان ٠ وربما تزوده الدراسة الجغرافية البحثية المكتبية ، ببعض الأسئلة أو الاستفسارات.

التي يلتزم بالبحث عن اجابات عليها من الميدان ، وهو يسأل الطبيعة ؛ أو وهو يسأل حركة الحياة ويستمع الى ردودها الفعلية الصادقة ٠

تجهيز واعداد الرحلة الجغرافية

يراعى فى اعداد وتجهيز الرحلة الجغرافية للخروج الى الميدان عموميات تكون مطلوبة فى كل رحلة دون استثناء على وجه العموم ، وخصوصيات تكون مطلوبة وتتفرد بها كل رحلة على وجه الخصوص ٠ بمعنى أن هناك مطالب عامة ينبغى أن يوفرها التجهيز فى كل رحلة جغرافية ، وأن هناك مطالب خاصة ينبغى أن يوفرها التجهيز تجهيزا يجاوب منطق الخصوصية التى تمليها حاجة البحث الجغرافى المتخصص ، على صعيد الميدان ، فى المساحة المعنية ٠ ونذكر على سبيل المثال ان تجهيز الرحلة الجغرافية لانجاز الدراسة الميدانية ، لحساب الجغرافية الطبيعية ، يختلف تماما عن تجهيز الرحلة الجغرافية لانجاز البحث والدراسة الميدانية ، لحساب الجغرافية البشرية ، ويتمادى هذا الاختلاف ، تبعا لاختلافات التوجه التخصصى الدقيق بين البحوث الجغرافية الطبيعية أو بين البحوث الجغرافية البشرية ٠ ويمكن لأى جغرافى متخصص أن يتولى اعداد وتجهيز العموميات التى تستوجبها أى رحلة عمل جغرافى ، وهى تتوجه الى الميدان ٠ ولكن الجغرافى المتخصص وحده صاحب المصلحة فى خروج هذه الرحلة الجغرافية، هو الذى يكون فى وسعه ، بل وينبغى عليه أن يتولى اعداد وتجهيز الخصوصيات التى تستوجبها رحلة العمل الجغرافى الخاصة ، قبل التوجه الى الميدان ٠

ومعرفة العموميات التى ينبغى أن تكون أو التى يجب أن تتوفر ، فى شأن اعداد وتجهيز الرحلة الجغرافية ، من أجل الخروج فى رحلة العمل الميدانى ، لا تقل أهمية عن معرفة الخصوصيات التى تناسب خصوصية العمل الميدانى المتخصص فى كل رحلة جغرافية خاصة الى الميدان ٠ وقل تفرض طبيعة توظيف الرحلة الجغرافية العموميات المشتركة فى تجهيز هذه الرحلة حتى لا تكاد تستغنى رحلة جغرافية أبدا عن هذه التجهيزات وهى تتأهل للخروج الى الميدان ٠ وقل أيضا يفرض البحث الجغرافى وحاجة هذا البحث الى اجراء الدراسة الميدانية التى تخدم أهداف هذا البحث الجغرافى ، خصوصيات التجهيز والاعداد ، حتى تتأهل وتنجح فى الأداء العملى المناسب على صعيد المساحة المعنية ٠

وفى اطار العموميات المطلوبة لتجهيز واعداد الرحلة الجغرافية ـ وهى تتوجه الى رحلة العمل الميدانى ، نذكر أهمية الجانب المعنوى من التجهيزات • ويتمثل هذا الجانب المعنوى فى توفير وحفز الرغبة التى تحفز الباحث الجغرافى وتقنعه الاقتناع الكامل بجدوى الخروج فى رحلة العمل الجغرافى الميدانى • ولا محل أو قيمة لخروج الجغرافى فى رحلة العمل الميدانى دون اقتناع واستشعار حقيقى ، بجدوى هذا الخروج ، وهو يجنى ثمرات الدراسة من خلال الدخول فى تجارب التعامل مع المدركات الجغرافية الطبيعية أو مع المدركات الجغرافية البشرية • وقد يدعو الاهتمام بهذا التأهيل المعنوى الى حسن اختيار الوقت المناسب للخروج فى رحلة العمل الميدانى ، ويصبح وكأنه نداء ينبعث من داخل الباحث ، فيحثه ويحفزه ويطلب منه التعجل أو عدم التعجل فى هذا الخروج اللازم للعمل الجغرافى الميدانى ، فى ربوع المساحة المعنية •

وفى اطار نفس هذه العموميات المطلوبة لتجهيز واعداد الرحلة الجغرافية ، قبل الخروج الى رحلة العمل الميدانى ، نذكر أهمية الجانب المادى من الاستعدادات والتجهيزات • ويستحق هذا الجانب المادى ، شيئا من التأنى حتى يكون الخروج الخاطف فى رحلة زيارة ميدانية ، ليس للتعرف الأولى على المساحة المعنية ومعاينتها معاينة كاشفة عن المنظور الجغرافى العام فقط ، بل للتعرف على بعض لوازم هذا التجهيز الضرورية التى تيسر أمر الاقامة بعض الوقت المناسب ، لاجراء الدراسة الميدانية •

الرحلة الأولية وانجازات الزيارة الميدانية التفقدية :

فى هذه المرحلة الأولية ، وفى اطار التجهيز لرحلة الخروج الى الميدان والدراسة الجغرافية الميدانية ، لا ينبغى أن يتأخر الباحث عن القيام بهذه الرحلة الأولية • وقل انها رحلة زيارة ، ولا يجب أن تراود الباحث غير لهفة وحب استطلاع جغرافى ، يدعوه الى التوجه الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية • بل قل انها الرحلة الجغرافية الاستطلاعية ، التى تلتمس المعاينة الميدانية ، التى تتوجه الى الميدان ، فى الوقت المناسب •

ويستشعر الباحث الجغرافى قيمة هذه الرحلة الجغرافية ، وهى رحلة زيارة وتعارف وانفتاح مباشر على الميدان • وتفتح هذه الزيارة أمام الباحث الجغرافى الآفاق وتمهد له الاقدام على العمل الجغرافى الميدانى ، وتسقط بين الباحث والميدان على صعيد المساحة المعنية كل حواجز الغربة • بل قل انها رحلة الاعداد الذى يعد الباحث الجغرافى اعدادا نفسيا وعقليا ، لكى

يجهز التجهيز الأنسب ، ولكى يخطط التخطيط الأوجب ، للعمل الجغرافى العملى الميدانى ، فى هذه المساحة المعنية • ويمكن أن تقول فى ثقة انها زيارة تفقدية ، تطل على الميدان فى المساحة المعنية ، بعين المهارة والخبرة الجغرافية ، من أجل حسن الاعداد والتجهيز للعمل الجغرافى العملى الميدانى •

ومن الجائز فعلا ، أن تفضى هذه الزيارة التفقدية الى يقظة وشحذ الحس الجغرافى ، أو الى استنفار تفكير الباحث الجغرافى واهتماماته العامية بالواقع الجغرافى فى المكان • ومن الجائز أيضا ، أن تلهم هذه الزيارة التفقدية الباحث الجغرافى ، وترشد وتبصر برمجة وتوجهات خطة العمل الجغرافى العملى فى الميدان • ولكن المؤكد ان هذه الرحلة الجغرافية فى هذه الزيارة الميدانية التفقدية ، تكون مفيدة ومثمرة الى أبعد الحدود • بل قل لا ينبغى التفريط فيها أبدا ، لانها هى التى تقع الباحث الجغرافى ، ومن يأتى فى صحبته من الفريق ، فى وضع الاستعداد الفعلى ، لانجاز العمل الجغرافى العملى الميدانى ، أو فى وضع التيقن والاقتناع الحقيقى ، بجدوى هذا الانجاز العملى الميدانى ، لحساب البحث الجغرافى •

ويتأتى هذا الاستعداد الفعلى وفى صحبته هذا الاقتناع الذى يتحمس حماسا حقيقيا ، من خلال الجولة أو الطواف ، الذى يغطى معظم أو كل الميدان ، على صعيد المساحة المعنية • ومن الطبيعى أن يتسم هذا الطواف الجغرافى ، بلهفة الاطلاع على الواقع الجغرافى ، وهو يباشر المعاينة الميدانية • ولكن المهم هو أن يسفر هذا الطواف فى أنحاء الميدان الفسيح أو ذلك التحرك الجغرافى فى الاتجاهات المنتخبة ، على صعيد المساحة المعنية ، عن قدر مناسب ومعلوم ، من الاحاطة والالمام والتأمل ، فى مكونات الرؤية الجغرافية الكلية ، فى الميدان •

وهكذا تكون هذه المرحلة وهى جزء لا يتجزأ من مرحلة الاستعداد للدراسة الميدانية ، محل اهتمام وعناية رحلة الزيارة الميدانية • وتكون هذه الزيارة الجغرافية وهى خاطفة سريعة ، وكأنها - كما قلنا - زيارة تعارف وألفة وانفتاح جغرافى ، يلتمسه الباحث الجغرافى • وما من شك فى انه يقدر جيدا ، جدوى هذه الزيارة ، وما تفضى اليه من انفتاح حميد ، على المساحة المعنية ، قبل أن يتولى العمل الجغرافى العملى الميدانى مسئولياته، حيث يوجه الباحث الجغرافى الأسئلة الى المدركات الجغرافية ، ويطلب منها أن تجاوبه الاجابة الصحيحة ، أو أن ترد عليه ردا مقنعا ومفيدا للبحث

الجغرافى • وهل لا يكفى أن تسقط رحلة الزيارة الجغرافية ، الوحشة وحاجز الغربة بين الباحث الجغرافى وضالته المنشودة ، والواقع الجغرافى الذى ينطوى على هذه الضالة المنشودة ، فى المساحة المعنية ؟ وهل يبغى اسقاط حاجز الغربة وانهاء الوحشة ، شيئا أهم من الانفتاح وحسن المعاينة ، التى تفضى الى الوضوح ، وتنعش التفتح الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ؟

وفى أثناء زيارة التعارف والانفتاح ، على المساحة المعنية ، ومتابعة المنظور الجغرافى ، ينبغى أن يشحذ الباحث الجغرافى وعيه وحسه الجغرافى ، من غير حدود ، وهو يواجه الواقع الجغرافى ، ويعاينه ويحملق فيه ، ويستشعر فحواه استشعارا علميا جغرافيا ، عن كثب • بل قل ينبغى أن تجاوب شمولية هذه الاحاطة الجغرافية ، التى تفضى اليها رحلة الزيارة الجغرافية ، ارادة الاستيعاب التركيبى الشمولى ، للرؤية الجغرافية فى الميدان • بمعنى أن يلتزم الباحث الجغرافى بادراك جغرفى لبيب ، يلتمس أبعاد الرؤية الجغرافية الكلية ، وهى مجسدة فى صلب الواقع الجغرافى الذى يشملها ويضم أوصولها ومكوناتها ، فى اطار المساحة المعنية •

وصحيح ان اطلالة هذه الجولة التفقدية ، أو نظرة الطواف الجغرافى، أو تلك الزيارة الجغرافية فى المكان والزمان ، تكون معاينة كلية بحته ، وشاملة • وقل انها لا تتسال ولا ينبغى أن تتسلل الى عمق مرتقب ، فى تفاصيل الرؤية الجغرافية الشاملة • بل قل انها أيضا لا تتقصى حقيقة تداخل التوليفة ، التى تجمع بين وتؤلف من التفاصيل شمولا جغرافيا ، فى الرؤية الجغرافية • وصحيح أيضا ، ان هذا الطواف الجغرافى ، وتفقد المنظور الجغرافى ، لا يسعف ولا ينبغى أن يسعف أو أن يشبع ، فى شأن انجاز تجربة عمل جغرافية ميدانية ، أو فى شأن اجراء دراسة عملية مكثفة فى الميدان • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو حاجة هذا الطواف الى قدر مناسب من التأنى وعدم التعجل • ويكون هذا التأنى مطلوبا ، لحساب بعض التأمل فى الرؤية الجغرافية ، وليس كل التأمل • ويكفل هذا التأمل وهو وليد التأنى ، التعارف الفعلى أو الحقيقى الذى ينبغى أن يسبق طلب المعرفة وتقصى أبعادها الجغرافية الدقيقة • وهل تتحقق معرفة وعلم بالفعل ، من غير تعارف معقول يسقط حواجز الغربة ؟

وحاجة الطواف الجغرافى أو الزيارة التفقدية ، أو الجولة الميدانية ، الى التأنى والتأمل فى الرؤية الجغرافية فى الميدان ، تمثل حاجة حقيقية

ومنطقية ، لمن يبتغى التجهيز للدراسة الميدانية • والتأنى والتأمل ، هو طلب كل من يعد ويجهز لمواجهة صريحة وكأنها المعركة على صعيد الميدان • وكأن هذا التأنى والتأمل فى هذه الجولة الميدانية التفقدية ، يكون مطلوبا بكل الالحاح ، حتى لا يشوه هذا التعجل الانطباع العام ، الذى ينبغى أن تسفر عنه هذه الزيارة ، أو لكى يتجنب الباحث الوقوع فى خطايا ومزالق الابهام والغموض ، الذى يتسبب فيه التعجل فى المعاينة الجغرافية ، على صعيد الميدان • وهذا معناه ، ان التأنى والتأمل فى جولة الزيارة التفقدية ، هما وحدهما اللذان يجنبان الانطباع العام عن هذه الزيارة ، وعن المعاينة الميدانية ، عواقب الخلط وعدم الوضوح الجغرافى • وهل ينفع التعارف الجغرافى ، الذى يتردى بقصد التعجل ، فى الخلط وتخبط الانفتاح ، فى التمهيد الجيد للدراسة الميدانية ؟

والتعجل والاسراع فى هذه الزيارة الميدانية ، أو فى انجاز هذه الجولة التفقدية ، سواء ضلل الانطباع الجغرافى العام أو شوه المعاينة الجغرافية الكلية ، يضع ارادة الاستيعاب التركيبى للرؤية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى مأزق لا يحسد عليه الباحث الجغرافى • وقد يتسبب أيضا فى وضع الباحث الجغرافى ، فى مواجهات علمية وعملية صعبة فى كثير من الأحيان • بل قل ربما تتسبب هذه المواجهات الصعبة ، فى اخفاق هذا الاستيعاب اخفاقا شديدا يخذل الباحث الجغرافى ، أو فى احباط همة واجتهاد الباحث الجغرافى وفتوره • ومن ثم يتضرر التمهيد والتجهيز والاعداد السليم للعمل الميدانى ، بموجب هذا الاخفاق أو بناء على ذلك الاحباط • كما يتضرر وضع وصياغة وانجاز وجدولة ، خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى •

وهذا معناه أن تحريك رحلة الزيارة الميدانية التفقدية ، تحريكا متأنيا وهادفا ، هو السبيل الأنسب الأمثل لضمان حسن انجاز الغرض الجغرافى منها • ومن غير هذا التحريك الهادىء الهادف ، على صعيد المساحة المعنية ، وهى تشمل الميدان ، لا تتحقق الرؤية الجغرافية الكلية ، ولا يتحقق الغرض الجغرافى من التأمل فيها ، واستيعاب مكوناتها وتوليفتها المتكاملة • وفشل الباحث الجغرافى فى هذا الاستيعاب ، يخذله فى انجاز الدراسة الميدانية العملية أولا ، وفى انجاز البحث الجغرافى متضمنا الاضافة ثانيا • وهل يستنفر الحس الجغرافى ويشحذه ، وهل يثير التساؤلات الحيوية التى تبحث عن اجابات جغرافية صحيحة ، شىء أهم من هذا الاستيعاب الواعى ؟ •

هذا ، ولا يجب أن تفلت من الباحث الجغرافى وحــده ، أو من من يصحبه من المعاونين ، فى هذه الرحلة الجغرافية التفقدية ، مســألة حسن استيعاب الشكل ، وحسن استيعاب الوضع ، وحسن استيعاب الصيغة ، التى تجسد التوليفة الجغرافية الكلية فى المكان والزمان . كمـــا لا ينبغى التفريط أبدا ، فى حسن التماس الكيفية التى تتجمع بموجبها أوصال الرؤية الجغرافية ، فى أنحاء المساحة المعنية . ومحصلة هــذا الاستيعاب الحيوى ، فى اطار تقديم طابع التعارف الجغرافى ، على طلب المعرفة الجغرافية العلمية ، لا تقل أهمية وقيمة عن جدوى ادراك والتماس مبلغ الوضوح الجغرافى ، فى شأن احتواء الكل للأجزاء فى المنظور الجغرافى ، وعن جدوى ادراك والتماس مدى تجانس هذه الأجزاء ، فى المحتوى الكلى الشامل للواقع الجغرافى ، فى الميدان على صعيد المساحة المعنية .

ويحق للباحث الجغرافى الذى يخرج الخروج الواثق ، فى رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية ، لكى يتصدى ويجهز للعمل الجغرافى العملى الميدانى ، أن يمتلك القدرة والمهارة والخبرة المكتسبة ، فى سبيل حسن استثمار هذا الاستيعاب الجغرافى ، ومن أجل حسن الانتفاع به وتوظيفه توظيفا مناسبا ، فى خدمة العمل وحسن انجاز العمل الجغرافى العملى الميدانى بالفعل . ومن غير هذه القدرة على هذا الاستيعاب الشمولى ، للواقع الجغرافى فى المساحة المعنية ، يفقد الباحث الجغرافى ، فى هذه الرحلة الجغرافية التفقدية شــيئا مهما . بل قل لا يكون فى وسعه أبدا :

١ — حسن استشعار العلاقة أو عوامل الربط ، التى تضم وتجمــع وتنسق وتؤلف تأليفا جغرافيا مناسبا ، بين أوصـــال التفاصـيل والأجزاء الجغرافية ، فى الاطار الـكلى الجامع أو فى التركيب الهيكلى لمنظـور الرؤية الجغرافية ، فى المساحة المعنية .

٢ — الانتقال المرحلى المنطقى السليم ، من معـاينة الرؤية الجغرافيــة الكلية ، والتعرف عليها تعرفا شاملا كما يعبر عنها المنظور الجغرافى ، الى حسن بيان ومعرفة وتقصى التفاصيل والأجزاء ، التى تتألف منها ، أو الى مهارة تحليلها تحليلا واقعيا ، فى اطار العمل الجغرافى العملى فى الميدان .

وهذا معناه — على كل حال — أن الرحلة الجغرافية التفقدية الى المساحة المعنية ، وهى رحلة زيارة وتعارف وانفتاح ، تضـــع الباحث الجغرافى فى مواجهة صحيحة وكاشفة وصريحة مع الرؤية الجغرافية ، فى الواقع الجغرافى

المنظور الشامل • ومعناه أيضا ، أن التأنى والتأمل فى أثنـــاء هذه الجولة التفقدية ، يضع الرحلة الجغرافية الميدانية فى المرحلة التالية ، فى وضـــع الاستعداد الفعلى ، والقدرة الحقيقية على جمع أطراف كل خيوط العمـــل الجغرافى العملى الميدانى ، وانجازه المناسب بالأسلوب الذى يطلبه ويستوجبه اعداد البحث الجغرافى ، فى الاطار التركيبى التحليلى للمفهوم الجغرافى •

— وتتضح بعد العودة من هذه الرحلة الجغرافية التفقـــدية الخاطفة ، وهى مرحلة من مراحل الخروج الجغرافى الى الميدان ، بجلاء شديد ، ماينبغى أن يكون من لوازم وتجهيزات وأدوات مناسبة ، فى صحبة الباحث أثنـــاء القيام فى الرحلة الجغرافية الأساسية ، لحساب العمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان • وتشمل هذه التجهيزات أدوات الاقامة المؤقتة(٤) ، وأدوات ووســائل الحركة والانتقال فى الميـــدان ، وهى التى تخدم الاستمرار أو الحضور على مدى الفترة الزمنية المناســبة ، لانجاز الدراسة الميدانية • كما تشمل هذه الاستعدادات أيضا ، حسن اختيـــار الأفراد(٥) ، الذين يخرجون فى صحبة الرحلة الجغرافية ، ويوفرون الخدمات المناسبة للاقامة وتأمين الحضور المتعاون فى انجاز العمل الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان •

وتتضح بعد العودة من هـــذه الرحلة الخـاطفة التى أطلت وعاينت الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، بجلاء شديد أيضا ، ما ينبغى أن يبتنى عليه وضع خطة متابعة العمل ، أثناء القيام فى الرحلة الجغرافيـــة • واذا كانت رحلة الزيارة هى التى تسقط حاجز الغربة بين البـــاحث الجغرافى والميدان على صعيد المساحة المعنية ، فان وضع الخطة بعـــد اسقاط حاجز الغربة ، هو الذى ينظم وينسق حركة العمل الميدانى • ومع ذلك ينبغى أن نميز بين حاجة العمل الجغرافى فى الميدان الى وضـــع خطة لضبط وتنظيم خطوات العمل والآداء ، وهو مطلب عام لا يجوز التفريط فيـــه ، وحاجة

---

(٤) من هذه التجهيزات الضرورية فى صحبة الرحلة الجغرافية ، يمكن أن نذكر الخيام والأسرة والكراسى والمكاتب والسيارات المناسبة للركوب او المناسبة لنقل الأدوات والأغراض والتجهيزات ، وبعض أدوات الترفيه وأدوات الانارة ، لتلبية حاجة الاقامة فى بعض مواقع العمل الجغرافى البعيدة عن العمران أو التى يتعذر فيها توفير محل الاقامة لأعضاء الرحلة •

(٥) من الأفراد ، الذين ينبغى حسن اختيارهم والتدقيق فى اختيار مهاراتهم ، السائق والحارس والطباخ ، وغيرهم من الذين يعملون فى خدمة أعضاء الرحلة الجغرافية الميدانية فى الاقامة وفى الترحال ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان •

الباحث الجغرافى المتخصص الى وضع تفاصيل الخطة التى تناسب موضوع بحثه الجغرافى الخاص ، وهو مطلب خاص ينبغى الاهتمام به • بمعنى أن يحرص كل باحث جغرافى على وضع خطة لانجاز العمل الميدانى ، وأن يحرص فى نفس الوقت على وضع تفاصيل الخطة الخاصة لحساب بحثه الجغرافى المتخصص • بل قل ان خطة ضبط وتنظيم العمل الجغرافى الميدانى ، تتشابه من حيث الشكل العام ، وتتفرد من حيث الشكل الخاص والتفاصيل ، لكى تخدم وتحقق الغرض من العمل الجغرافى الميدانى ، لحساب البحث الجغرافى المتخصص •

ومن خلال الوصول الى وضع وصياغة التفاصيل التى تنضبط بموجبها مراحل التنفيذ لانجاز ما ينبغى انجازه من العمل الجغرافى الميدانى ، فى المساحة المعنية ، يعرف الباحث الجغرافى مبلغ الحاجة الى خروج الفريق المعاون فى صحبته الى الميدان • وقل يصبح فى وسعه أن يحدد مهارات الأفراد الفنيين وتخصصاتهم ، ومبلغ الحاجة الى حسن الانتفاع بهم فى انجاز العمل الميدانى • بل قل يصبح الباحث الجغرافى مسئولا عن حسن اختيار العناصر المعاونة ، فى صحبته ، وعن حسن استجابة هذه العناصر الفنية الماهرة لانجاز التكليفات التى توكل اليهم ، ويلتزمون بانجازها ، فى اطار تفاصيل خطة العمل الميدانى • بل قل أيضا ، ان مواصفات تشكيل هذا الفريق المعاون ، لا ينبغى أن يضم غير العناصر التى تملك مهارة فنية مناسبة ، حسب حاجة البحث الجغرافى ، وتوجهاته الطبيعية أحيانا ، وتوجهاته البشرية أحيانا أخرى •

ومن خلال الوصول الى وضع وصياغة التفاصيل التى تنضبط بموجبها مراحل التنفيذ العملى الميدانى ، وحسن اختيار العناصر وتشكيل الفريق المعاون ، يعرف الباحث الجغرافى جيدا ، ما ينبغى أن يملكه من أدوات ووسائل تسعف تنفيذ وانجاز العمل الميدانى • وقل يكون فى وسع الباحث الجغرافى حتى لو أشرك معه العناصر الفنية فى الرأى ، أن يحدد ويختار هذه الأدوات والوسائل المناسبة لاجراء العمل الجغرافى فى الميدان • بل قل يجب أن يضيف الباحث الجغرافى الى هذه الأدوات ، مجموعة الخرائط المناسبة التى لا ينبغى أن تغيب عنه أثناء انجاز العمل الجغرافى فى الميدان• وقد يأخذ فى صحبته أيضا بعض الخرائط الصماء ، وهى معدة لتسجيل بعض انجازات العمل الجغرافى الميدانى عليها • وفى جميع الأحوال ، ينبغى أن تلبى الأدوات والمعدات والوسائل فى صحبة الرحلة الجغرافية ، حاجة البحث الجغرافى فى الميدان وتوجهات العمل الجغرافى ، لحساب الجغرافية

الطبيعية ، أو لحساب الجغرافية البشرية · والأهم من كل شيء ، أن يتقن الفريق المعاون تشغيل وحسن استخدام الأدوات والوسائل ، في الميدان ، كل حسب اختصاصه وما يتفرد به من مهارات فنية مكتسبة ومدربة ·

وهكذا نفهم جيدا ، كيف يكون التجهيز للرحلة الجغرافية لحساب العمل الجغرافي في الميدان ، في الوقت المناسب ، بعد مرحلة الدراسة المكتبية التي تعني سعة الاطلاع ، وقبل الاقدام على الخروج الى المساحة المعنية مباشرة · ونذكر أن هذا التجهيز - في ايجاز شديد - يشمل حسب الترتيب التالي :

أولا - رحلة زيارة خاطفة ، يقوم بها الباحث متفقدا المساحة المعنية ، للتعرف المباشر على الميدان ، واسقاط حاجز الغربة بينه وبين هذا الميدان ·

ثانيا - توفير واعداد لوازم الرحلة الجغرافية الى الميدان من العموميات التي تحتاج اليها كل رحلة جغرافية ، ومن الخصوصيات التي تناسب أداء العمل الميداني المتميز في رحلة عمل جغرافي خاصة ·

ثالثا - وضع خطة العمل وترتيبات المضي في الاتجاه الصحيح لانجاز العمل الجغرافي الميداني ، وتحديد كل التكليفات التي لا ينبغي أن ترجع الرحلة قبل الانتهاء من القيام بها ·

رابعا - اختيار عناصر الفريق المعاون من الفنيين وأصحاب الخبرات والمهارات في استخدام الأدوات ، لانجاز تكليفات العمل الجغرافي الميداني ·

والانتهاء من كل مراحل هذا التجهيز والاعداد ، يعني استعدادا حقيقيا لخروج الرحلة الجغرافية الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية · وقد يكون هذا الخروج في الوقت المناسب تماما لاجراء العمل لحساب الدراسة الميدانية · وقد يكون الباحث الجغرافي متلهفا الى هذا الخروج في الرحلة الجغرافية من أجل انجاز العمل الجغرافي الميداني · ولكن يستحسن الا يكون الخروج الا بعد جلسة هادئة ، تجمع شمل كل الذين تضمهم هذه الرحلة ، لمراجعة الخطة ، وتنظيمات خط سير العمل الجغرافي الميداني ، ولاستيعاب التكليفات الواجبة ومسئولية كل مكلف من المكلفين بانجازها ، وللتيقن من توفير الأدوات والمعدات التي تسعف العمل الجغرافي الميداني · كما ينبغي

أن يشحن الفريق بشحنات معنوية ، تقوى فى كل عنصر من عناصره الايمان بالعمل فى ظل التعاون الذى تمليه روح الفريق ، فى الميدان على صعيد المساحة المعنية • وبعد هذه الجلسة الهادئة ، يبدأ الخروج الذى يتوجه توجها جغرافيا ، صحيحا وهادفا الى الميدان ، يقتضى الحقائق الجغرافية •

* * *

خروج الرحلة والعمل الجغرافى الميدانى :

خروج هذه الرحلة الجغرافية ، فى الوقت المناسب ، بعد الانتهاء من مرحلة الاعداد والتجهيز ، يعنى التوجه الجغرافى الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية • وقل انها رحلة العمل الجغرافى ، وجمع المادة العلمية الجغرافية الخام من الميدان • وقل أيضا ، انها تمثل جولة التعامل العلمى والعملى المباشر ، مع الواقع الجغرافى ، ومواجهته مواجهة ينبغى أن تتزود أو أن تتسلح بكل الحس الذكى ، والادراك السليم ، والتفكير الجغرافى المتفتح • بل قل بعد ذلك كله ، انها الرحلة الجغرافية الأساسية ، التى تتولى مهمة العمل الجغرافى الميدانى ، لحساب البحث الجغرافى الطبيعى أو البشرى ، فى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية •

ومن شأن هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، أن تعرف جيدا ، لماذا تبدأ ، ومتى تذهب ، وكيف تعمل ، فى الميدان • وهى لا تبدأ بالضرورة أبدا ، الا بعد التجهيز والاعداد المناسب ، وعندما يدرك الباحث الجغرافى ، أن الوقت المناسب قد حان ، لكى تتوجه الرحلة وأعضاء الفريق ، الى الميدان • ومن شأن هذه الرحلة الجغرافية الميدانية أيضا ، أن تعرف جيدا لماذا تعمل ، ومتى تنتهى من العمل وكيف تعود ، من الميدان • والباحث الجغرافى صاحب المصلحة فى خروج هذه الرحلة ، هو وحده صاحب القرار فى الذهاب والعودة • بل قل له حق الاختيار ، فى الذهاب والاستمرار فى الميدان الفترة الزمنية المناسبة التى يتسنى التفرغ فيها ، لاجراء الدراسة الميدانية دفعة واحدة ، أو فى الذهاب والعودة مرات متعددة ، وتتكرر حسب حاجة الباحث لاجراء الدراسة الميدانية على مراحل أو على دفعات • وخطة العمل الموضوعة بعناية ، هى التى تعلن عن توجهات هذا الاختيار •

والعمل الميدانى الجغرافى ، فى هذه المرحلة الأساسية من مراحل الوجود فى الميدان أو التردد عليه من حين الى حين آخر ، الذى يجسد معنى

التعامل العملي مع الواقع الجغرافي في الميدان ، وينبغي التفرغ له حسب اختيار الباحث الجغرافي وجدولة مراحل العمل الميداني في الخطة ، يستحق:

١ - في بعض الحالات أن تكون اقامة فريق العمل ومعهم الباحث الجغرافي ، في معسكر خاص • وينبغي أن يقام هذا المعسكر في موقع منتخب مناسب ، أو في عدة مواقع منتخبة ، يقع الاختيار عليها أثناء رحلة الزيارة الميدانية السابقة ، على صعيد الميدان • ومن هذا المعسكر ، يباشر الباحث مع أعضاء الفريق المعاون ، العمل الجغرافي العملي ، في أنحاء الميدان • وتكون هذه الاقامة في المعسكر دائمة ، حيث يفتقد الفريق في المساحة المعنية ، فرص الاقامة أو الحضور ، في مستوطنة من المستوطنات المناسبة لاجراء الدراسة الميدانية •

٢ - في بعض الحالات الأخرى ، أن تكون اقامة الباحث الجغرافي ومعه فريق العمل المعاون ، في مستوطنة مناسبة من المستوطنات البشرية ، على صعيد المساحة المعنية • ويقع الاختيار على محل هذه الاقامة أثناء قيام الباحث الجغرافي برحلة الزيارة الأولية الى الميدان • ومن هذه المستوطنة أو من محل الاقامة ، يباشر الباحث الجغرافي ومعاونوه العمل الجغرافي في الميدان • ومن محل هذه الاقامة ، تخرج رحلات العمل الجغرافي اليومية ، وتتحرك الى مواقع العمل في أنحاء أو في ربوع الميدان ، لانجاز التكليفات العملية حسب خطة العمل المعمول بها •

ومن غير تمييز ، بين شكل الحضور المستمر لفترة زمنية محددة ، وشكل الحضور المتقطع على فترات زمنية متعددة ، يكون التفرغ لأداء أو لانجاز العمل الجغرافي ، طوع أمر الخطة التي تنظم وتضبط وتنسق المضي ، والتنفيذ والاجتهاد اليومي في الميدان من يوم الى يوم آخر • وينبغي أن تطاوع الرحلة الجغرافية الميدانية اليومية ، وهي تباشر العمل الجغرافي العملي اليومي ، ارادة الانتقال المنضبط والتحرك السليم والبحث الواعي • بل قل يجب أن تسعف هذه الرحلة الجغرافية اليومية أعضاء الفريق ، وهم يتفرقون حسب نوعية التكليفات الواجبة عليهم ، في أنحاء من الميدان ، ويعكفون على انجاز العمل الجغرافي اليومي ، ويتفرغون لاجراء التجربة الميدانية الجغرافية العملية ، أو لاجراء الاستبيان الجغرافي في أنحاء الميدان • وكيف لا تسعف الرحلة الجغرافية الميدانية اليومية ، عمل الباحث الجغرافي العملي وتطاوعه ؟ وهو يسأل الأرض وترد عليه ، ويسأل الناس وتجاوبه ، أو وهو يستفسر من الواقع الجغرافي الذي ينبض بالعلاقة الحيوية بينهما في الميدان • عن

السنن والقواعد والقوانين والضوابط والضوابط المضادة التى تحكم توجهات هذه العلاقة ، أو وهو يفند الرؤية الجغرافية فى المنظور العام ، ويتحسس ويتلمس ويسأل عن الظاهرة الجغرافية الطبيعية أو البشرية المعنية ، ويستفسر عن مكانها ومكانتها وأوضاعها ، فى توليفة الواقع الجغرافى ، على صعيد الميدان ·

ووفق خطة العمل الجغرافى المتفق عليها ، وحاجة الباحث من التعامل مع الواقع الجغرافى ، فى الميدان ، يفترق أعضاء الفريق ويجتمع ، لحساب الانجاز العملى ، فى أنحاء الميدان المتفرقة ، من يوم الى يوم آخر · وسواء تجمع أعضاء الفريق المعاون ومعهم الباحث الجغرافى ، أو تفرق هذا الجمع ومع بعضهم الباحث الجغرافى ، فى أنحاء الميدان ، لانجاز العمل الميدانى الجغرافى ، فان هذا الانجاز ، أو هذا الأداء ، ينبغى أن يجاوب حاجة الباحث الجغرافى دائما · وقد يستوجب هذا الأداء أو هذا الانجاز الجغرافى العملى جولات عمل ميدانى فى أنحاء الميدان ، منسقة وهى تمضى فى الاتجاه الصحيح · ولا يكاد ينسق أو يضبط توجهات هذه الجولات العملية ، غير المتابعة الواعية اليقظة التى يتولى أمرها الباحث الجغرافى ، وهو قائد الفريق المشترك فى العمل الجغرافى العملى ، اشتراكا فعالا وحقيقيا ·

وقد تدعو حاجة العمل الجغرافى العملى فى الميدان ، الى شىء من التأنى الشديد فى اجراء التجربة الميدانية وتوقع النتيجة ، أو الى شىء من التكرار فى مواضع معينة والتيقن من النتيجة · وقد تدعو هذه الحاجة أحيانا أخرى، الى وقفات انتظار وترقب حقيقى ، من أجل التمعن وحسن التأمل والتدبر والتفكير العمقلانى ، فى أمر من أمور العمل الجغرافى العملى الميدانى · ولا ينبغى أن ينفض الباحث الجغرافى أو واحد من معاونيه يديه أبدا من أى عمل جغرافى ميدانى عملى ، قبل أن يلتمس الجدوى من هذا العمل ، ويطمئن على صدق تعبير وبيان نتيجة هذا العمل الجغرافى العملى فى الميدان ·

ويهم الباحث الجغرافى فعلا ، أن يخضع التحرك فى أنحاء الميدان ، والتوقف فى مواضع منتخبة فى الميدان ، لخط سير معين ، متفق عليه فى اطار الخطة المعمول بها ، من أجل الانجاز العملى الهادف · ومع ذلك يظل زمام الأمر كله ، فى قبضة الباحث الجغرافى قائد الفريق وصاحب المصلحة الحقيقية فى ترسيخ وتأكيد صدق نتائج العمل الجغرافى العملى ، وهو المسئول عن خطوات الانجاز والتنفيذ · ولا تثريب على الباحث الجغرافى أبدا ، لو أقدم على تعديل فى خطة العمل الجغرافى ، أو لو غير وبدل وجهة

العمل الجغرافى العمل الميدانى ، أو لو أحل وسيلة جديدة محل وسيلة أخرى فى التنفيذ ، كلما استوجب ذلك ، الوصول الى الانجـــاز العملى الميدانى الأنسب أو الأفضل ٠

ومن شأن اجتماع أعضاء الفريق المعاون مع البـاحث الجغرافى ، فى أعقاب كل جولة عمل جغرافى عملى ، أن ينسق بين نتـــائج هذا العمــل الجماعى ، وأن يبقى على روح الفريق وهى تهيمن عليهم أجمعين ٠ ولــكن عندما يتفرق هذا الجمع المشارك فى الفريق ، فى أنحاء المسـاحة المعنية ، يتعين التزام كل واحد فى موضعه وفى اختصاصه ، التزاما حقيقيا ، بأداء حصته من التكليفات المعينة ، من العمل الجغرافى فى الميدان ٠ وحسن سير العمل الجغرافى العملى الميدانى ، وتنسيق النتـــائج والانجازات المرحلية ، يستوجب عندئذ أمرين هما :

١ ــ ألا ينفرد عضو واحد بأداء العمل الجغرافى العملى فى الميدان ٠ وعضوان يعملان معا ــ على الأقل ــ يمثلان الحد الأدنى للاسهام المشترك ، فى أداء أى عمل جغرافى عملى ميدانى مثمر ، ويستحق الثقة ٠ ولا يمكن أن نتصور عملا ميدانيا عمليا ، يقوم به أو ينجزه عضوا واحدا متفردا ، من غير أن يلتمس أو من غير أن يطلب معاونة المرافق له من الفنيين والمساعدين العلميين ٠ وهذا المحظور لا يبتنى أصلا على انعدام الثقة أو على التشكيك فى أداء الفرد وحده ٠ بل قل انه المحظور الذى يتجنب احتمالات عدم قدرة الفرد وحده على حسن الآداء والانجاز فى الميدان ٠

٢ ــ ألا يطول مدى افتراق أعضاء الفريق ومعهم الباحث الجغرافى عن بعضهم بعضا ، فى أنحاء الميدان ٠ واجتماع أعضاء الفريق الذين يتفرقون صباحا فى أنحاء الميدان ، بعد أن يفرغ كل واحد منهم من آداء تكليفات عمله الميدانى اليومى ، يكون اجتماعا مفيـــدا ، لعملهم المشترك فى اطار الفريق ، وفق الخطة المعمول بها لتوزيع تكليفات هذا العمل الجغرافى العملى الميدانى المشترك ٠ ويكفل هذا الاجتماع المراجعة والاطمئنان على معدلات سير العمل ومتابعة مبلغ التنسيق فى تنفيذ خطوات هــذا العمل ٠ وقد يتسع هذا الاجتماع ويتكرر من حين الى حين آخر ، لتقويم معدلات الانجاز ، أو لتقويم محصلة العمل الميدانى ، أو لتوزيع أعباء العمل الجغرافى العمل الاضافى الذى يستجد مع تقدم العمل ، فى أيام تالية ٠

وغاية ما ينبغى أن يطلبه الباحث الجغرافى ، ويتطلع اليــه الفريق المعاون فى صحبته ، هو أن تسعفه هــذه الجولات المتأنية والمتعددة ، وأن

تبصره الوقفات الهادئة المتكررة ، عندما يجرى العمل الجغرافى الميدانى ؛ فى أى موقع من المواقع ، على قدم وساق • والتأنى وحسن الآداء والتعامل مع المدركات الجغرافية ، والتأمل وحسن التنفيذ فى أثناء جولات العمل الجغرافى العملى ، والتقويم وحسن حساب الجدوى ، أثناء الوقفات المتكررة من حين الى حين آخر ، هو التوجه الحميد على صعيد الميدان • بل قل انه التوجه المناسب الذى لا يخذل الباحث الجغرافى أبدا ولا يضلله ، فى شأن تجويد العمل الجغرافى العملى الميدانى ، أو فى شأن جمع الرصيد المطلوب من المادة العلمية الجغرافية الخام ، لحساب البحث الجغرافى المرتقب •

ومن خلال هذا العمل الجغرافى العملى الميدانى المنظم ، يتلمس الباحث الجغرافى بنفسه ، التفاصيل المتنوعة ، وهو يعاين الرؤية الجغرافية الكلية أحيانا ، أو وهو يعايشها ويتعامل بأساليب العمل الميدانى معها • كما يحدد الباحث الجغرافى أيضا ، مكانها ومكانتها كتفاصيل ، فى اطار التوليفة المركبة ، التى تحتوى كل الرؤية الجغرافية الكلية فى المساحة المعنية ، وهو يحللها تحليلا كاشفا لأوضاعها الجغرافية ، على صعيد الميدان •

هذا ، وتحديد مكان الرؤية الجغرافية الجزئية ، وما تنطوى عليه من تفاصيل جغرافية دقيقة ، فى الاطار الجامع لكل الرؤية الجغرافية الكلية ، أو لكل المنظور الجغرافى العام ، فى المساحة المعنية ، يمثل شيئا مهما ومفيدا توفرها الدراسة الميدانية لحساب الباحث الجغرافى • وقل انها تبصر اجتهاد هذا الباحث الجغرافى ، وهو مقبل على انجاز البحث الجغرافى • بل قل ان هذا معناه ، توغل البحث أو العمل الجغرافى العملى الميدانى ، من خلال التجربة العملية أو من خلال الاستبيان ، توغلا مفيدا ، حتى يكشف عن :

١ ـ كنه وماهية وطبيعة التوليفة المركبة ، على صعيد المساحة المعنية ، ومبلغ التجانس أو عدم التجانس بين مكوناتها الطبيعية أو البشرية ، أو الطبيعية والبشرية معا •

٢ ـ كيف وفاعلية وجدوى العوامل الجغرافية الطبيعية أو البشرية أو الطبيعية والبشرية معا ، فى لم شمل وتجميع التفاصيل الجزئية أو التفاصيل الدقيقة ، فى صلب توليفة الرؤية الجغرافية الكلية •

٣ ـ كنه وطبيعة وماهية التفاصيل أو الجزيئات الجغرافية ، التى تتداخل فى صلب التوليفة الجغرافية المركبة ، للرؤية الجغرافية الكلية ، على

صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان ، ومبلغ تنوع أو عـدم تنوع مكوناتها الطبيعية أو البشرية ، أو الطبيعية والبشرية معا ٠

٤ ـ كيف وفاعلية وجدوى العوامل الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، أو الطبيعية والبشرية معا ، فى تحايل أو تفكيك أوصال التوليفة الجغرافية العامة المركبة ، من صاب شمول الرؤية الجغرافية الكلية ٠

ـ ولأن هذا التوغل المفيـد الذى ينبغى أن يكشف جيدا عن المادة الجغرافية الخام التى ينقب عنهـا الباحث فى الميدان ، وهـو يتعامل مـع المدركات الجغرافية ، يعنى القـاء السؤال الواضح ، وحسن الاستماع الى الاجابة أو الرد الصريح ، فينبغى أن يتقن الباحث هذه المهمة ٠ وقل ينبغى تجهيز واعداد هذه الأسئلة والاستفسارات اعدادا مناسبا ، وهـو يتحرى الاستماع الى الاجابة ٠ وقل أيضا ، ينبغى اكتساب مهارة تلقى هذه الاجابة والاستماع اليها بكل الفطنة الجغرافية الواعية ، وهو يستمع فى الميـدان الى هذه الاجابة ٠

وتختلف طبيعة هذا الاعداد للأسئلة ، وهى تعد مسبقا قبل الحضور الميدانى أحيانا ، أو هى تعد حال مواجهة الباحث للظاهرة الجغرافية المعنية فى الميدان أحيانا أخرى ٠ كما تختلف أيضا ، وسيلة القـاء الأسئلة ، عندما يطرح الاستفسار فى الميدان ، ويـكون العمل الجغرافى العمـلى فى انتظار تلقى وحسن الاستماع الى الاجابة ٠ بل قل تختلف طبيعة اعداد الأسئلة ، وتتنوع وسائل توجيهها المباشر أو غـير المباشر ، حسب توجه موضـوع البحث الجغرافى ٠ والفرق كبـير بين استفسار يسأل الظاهرة الجغرافيـة الطبيعية ، وكيف تتداخل فى توليفة الواقع الجغرافى الطبيعى ، فى الميدان، واستفسار آخر يسأل الظاهرة الجغرافيـة البشرية ، وكيف تتداخـل فى توليفة الواقع الجغرافى البشرية ، فى نفس الميدان ٠

الانجاز العملى فى الميدان :

من أجل انجاز العمل الجغرافى العملى ، فى الميدان ، يطرح البـاحث الجغرافى الأسئلة ، وهى مرتبة ومنسقة ، على الواقع الطبيعى ٠ وقد يوجه السؤال الى الظاهرة الطبيعية ، على انفراد ، فى بعض الأحيان ، وقد يوجه السؤال الى الظاهرة الجغرافية الطبيعية وهى متداخلة مـع كـل الظاهرات الجغرافية الطبيعية الأخرى فى توليفة المنظور الجغرافى الطبيعى الشامل ، فى الميدان ٠ ويلتمس الباحث الاجابة ، ويترقب الرد ، فى تعبير واضح وبيان

مقنع ، من خلال استخدام الخرائط والأجهزة والأدوات المناسبة ، واجراء التجربة العملية الميدانية ، فى أكثر من موضع أو مكان منتخب ، على صعيد المساحة المعنية . وعندئذ ، يكفل حسن الأداء العملى الميدانى ، التوصل المباشر أو غير المباشر ، الى الرد الذى يحسن الاستماع اليه . بل قل انه يستحضر الاجابات الصحيحة التى لا تضل أبدا ولا تضلل البحث عن الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، أو عن مجموعة الظاهرات الجغرافية الطبيعية المتداخلة فى توليفة الواقع أو المنظور الجغرافى فى المكان والزمان .

وهناك أسلوب عمل ميدانى خاص جدا ومتخصص ، يلتمس دراسة كل ظاهرة جغرافية طبيعية ، على انفراد . ويعرف الباحث الجغرافى المتخصص كيف تكون صياغة الأسئلة ، وكيف يكون العمل الميدانى الذى يلتمس الرد ، ويتعقبه فى صبر ومهارة . كما ينبغى أن يحسن الباحث الجغرافى ، تقصى حقيقة العلاقة بين الظاهرة الجغرافية التى تعنيه ، والظاهرات الجغرافية الطبيعية الأخرى ، واستخلاص التأثير المتبادل بينها جميعا ، وهى تتداخل تداخلا بديعا فى توليفة المنظور الجغرافى العام . فى الميدان . ومهارة انجاز أسلوب العمل الجغرافى الميدانى ، تلتمس بالضرورة تقصى حقيقة التوزيع الجغرافى ، والتعليل الذى يفصح عن دواعى وموجبات هذا التوزيع فى الميدان ، قبل أن تتعقب العلاقات بين الظاهرة الجغرافية المعنية والظاهرات الجغرافية الطبيعية المعنية الأخرى ، فى المنظور الجغرافى العام .

وممارسة أسلوب العمل الجغرافى العملى الميدانى . لحساب البحث الجغرافى الطبيعى ، وتقصى حقيقة عنصر من عناصر التوليفة الجغرافية الطبيعية فى الميدان ، ونذكر منها عنصر التكوين التضاريسى أو عنصر التشكيل التضاريسى ، أو عنصر المناخ أو عنصر الوجود الحيوى ، هى التى تكسب الباحث الجغرافى المهارات الجغرافية التخصصية المتعمقة فى كل عنصر من هذه العناصر . وهى التى تكفل حسن الجمع بين هذا التخصص الجغرافى الطبيعى الدقيق ، فى فرع من فروع الجغرافية الطبيعية ، ومهارة الانفتاح والتماس الصلة الحميمة التى تجمع شمل هذه الفروع ، فى اطار التخصص الجغرافى الطبيعى العام . وقل ان الباحث الجغرافى ، فى الميدان ، يلتزم فعلا ، بوضع الاطار الحاكم ، الذى يحتوى الظاهرة الجغرافية المعنية ، حتى يجرى من أجلها العمل الجغرافى العملى الميدانى المناسب ، ولكن هذا الاطار الحاكم ، لا يمثل قيدا أو مانعا يحول دون استيعاب وضع الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، فى توليفة المنظور الجغرافى العام ، ولا يحض

على الانغلاق وعزل فعلى للظاهرة المعنية ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان ، عن انتمائها المتوازن فى صلب التركيب الهيكلى فى توليفة المنظور الجغرافى الطبيعى العام ٠

ومن أجل انجاز العمل الجغرافى العملى فى الميدان ، يطرح الباحث الجغرافى الأسئلة أيضا ، وهى مرتبة ومنسقة ، على الواقع الجغرافى البشرى٠ وقد يوجه السؤال الى الظاهرة البشرية على انفراد ، فى بعض الأحيان ، وقد يوجه السؤال أحيانا أخرى الى الظاهرة الجغرافية البشرية ، وهى متداخلة مع كل الظاهرات الجغرافية البشرية الأخرى ، فى صلب توليفة المنظور الجغرافى العام ، فى الميدان ٠ ويلتمس الباحث الاجابة ، ويترقب الرد ، فى تعبير واضح وبيان مقنع ، من خلال حسن توظيف واستخدام الخرائط والأجهزة والأدوات المناسبة وملء استمارات الاستبيان ، واجراء التجربة العملية الميدانية ، فى أكثر من موضع أو مكان منتخب بعناية ، على صعيد المساحة المعنية ٠ وعندئذ يكفل حسن الآداء العملى الميدانى ، وحسن اجراء الاستبيان المناسب وجمع البيانات من مصادرها الموثوق بها ، التوصل المباشر أو غير المباشر ، الى الاجابة أو الى الرد الجيد على الأسئلة المطروحة ، الذى ينبغى أن يحسن الباحث الجغرافى الاستماع اليه أو تسجيله ٠ بل قل انه يستحضر الاجابات الصحيحة ، التى لا تضل أبدا ، ولا تضلل البحث الجغرافى ، عن الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، أو عن مجموعة الظاهرات الجغرافية البشرية المتداخلة تداخلا منسجما فى صلب توليفة الواقع الجغرافى البشرى أو المنظور الجغرافى الذى يحدث عنه ، فى أنحاء الميدان ٠

وهناك أسلوب عمل جغرافى عملى ميدانى خاص جدا ومتخصص ، فضلا عن الاستبيان الذى يعده الباحث ، وهو يلتمس دراسة وتقصى حقيقة ، كل ظاهرة جغرافية بشرية ، على انفراد أحيانا ٠ ويعرف الباحث الجغرافى المتخصص أو طالب هذا التخصص ، كيف تكون صياغة الأسئلة فى صحائف الاستبيان ، وهو يتحرى ترتيب الأسئلة ترتيبا منسقا وكاشفا عن تفاصيل واجابات تبصر البحث وترشد اعداده ٠ كما يعرف الباحث الجغرافى أيضا ، كيف يجرى العمل الجغرافى الميدانى العملى ، حتى يجد الرد أو الاجابة عن استفساراته ، ويتعقب الوضوح وحسن البيان فى صبر ومهارة ٠

كما ينبغى أن يتقن الباحث الجغرافى فى هذا المجال البشرى ، ولا يغيبه

عنه ، أن يلتمس وضع الظاهرة الجغرافيـــة البشرية المعنية ، على صـــعيد الأرض فى الميدان ، وأن يتحرى الدقة وحسن التماس الضبط والانضباط المتبادل ، بين خواص الأرض والسنن الحاكمة لها ، وحضور الانسان ومهاراته وكفاءة وسائله الحضارية • ومن ثم يصبح فى وســـع الباحث الجغرافى أن يتبين جيدا ، ويتحرى الجدية فى دراسة الظاهرة الجغرافية المعنية البشرية ، فى اطار حد المصالحة بين الطبيعة والانسان ، وكيف تجاوب أيضا المتغيرات الطبيعية أو المتغيرات البشرية التى تتسبب فى تغير حد المصالحة فى بعض الأحيان ، بناء على الضبط والانضـــباط المتبادل ، لحساب الانســـان وعلى حساب الطبيعة أحيانا كثيرة ، وعلى حساب الانسان ولحساب الطبيعة أحيانا أخرى ، فى نفس المكان ، من عصر الى عصر آخر •

كما ينبغى أن يجيد الباحث الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان ، العمل حتى يتقصى حقيقة العلاقة العضوية الحميمة ، بين الظاهرة الجغرافية البشرية التى تعنيه وتهمه فى البحث ، وكل الظاهرات الجغرافية البشرية الأخرى ، وتحرى أو استخلاص التأثير الجغرافى المتبادل بينها جميعا ، وهى تتداخل تداخلا بديعا ومنسقا ، فى صلب توليفة المنظور الجغرافى العام البشرى فى الميدان • ومهارة كتابة واعداد أسئلة الاستبيان وجمع الاجابات عليها ، من حشد العينة البشرية المنتخبة ، ومهارة انجاز أسلوب العمـــل الجغرافى العملى الميدانى ، تكون فى غاية الأهمية • وتلتمس هذه الأهميـــة بالضرورة ، حسن تعقب وتقصى حقيقة التوزيع الجغرافى فى المساحة المعنية ، وحسن التعليل والتفسير الذى يفصح عن دواعى وموجبات هـــذا التوزيع الجغرافى ، فى الميدان ، قبل أن تتعقب الدراسة الميدانية ، العـــلاقات بين الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، من ناحية ، والظاهرات الجغرافية البشرية المعنية الأخرى من ناحية أخرى ، فى اطار كل المنظور الجغرافى ، البشرى العام فى المساحة المعنية على صعيد الميدان •

وممارســة أساوب العمل الجغرافى الميـــدانى ، واعداد الاســتبيان ، لحســـاب البحث الجغرافى البشرى ، وتقصى حقيقة عنصر معين من عنـــاصر التوليفة الجغرافية البشرية فى الميـــدان ، ونذكر منها الحضـــور الســكانى أو الوجود الاجتماعى ، أو العمل الاقتصادى أو التجهيز للخدمة ، على سبيل المثـــال ، هى التى تكسب البـــاحث الجغرافى المهـــارات الجغرافية المتخصصة تخصصـــا متعمقا فى كل عنصر من هذه العناصر التى يقع عليه الاختيار ، وهى التى تكفل أيضا حسن الجمع العلمى الجغرافى الحميد ، بين هذا التخصص الجغرافى البشرى الدقيق ، فى فرع من فروع الجغرافية البشرية من ناحية ،

ومهارات الانفتاح التخصصى العام وحسن التماس العلاقة الحميمة التى تجمع شمل هذه الفروع ، فى اطار التخصص الجغرافى البشرى العام ٠

وقل ان الباحث الجغرافى فى الميدان ، يلتزم فعلا ، بوضع أو بصياغة الاطار العلمى الحاكم ، الذى يحتوى الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، حتى يجرى من أجلها العمل الجغرافى العملى الميدانى المناسب ، ولكن هذا الاطار العلمى الحاكم لا يمثل قيدا يقيد انفتاح الباحث وتوجهاته المرنة ، ولا مانعا يحول دون التحرر من الانغلاق ، وحسن التوجه الحميد الى استيعاب وضع ومكان الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، فى صلب توليفة المنظور الجغرافى العام ٠ كما لا ينبغى أن يحض هذا الاطار الحاكم الذى يحجم الظاهرة الجغرافية البشرية ، على الانغلاق وضيق الأفق وعزل فعلى للظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، يعزلها عن واقعية الانتماء الجغرافى المتوازن ، فى صلب التركيب الهيكلى ، فى توليفة المنظور الجغرافى البشرى العام ٠

وفى كل حالة من هاتين الحالتين ، التى توفر الدراسة الجغرافية الميدانية ، لحساب البحث فى الجغرافية الطبيعية أو لحساب البحث فى الجغرافية البشرية ، أو لحساب البحث الجغرافى الجامع بين الجانب الطبيعى والجانب البشرى ، على صعيد المساحة المعنية ، هناك أسئلة كثيرة ينبغى حسن تحضيرها وحسن القائها على مسامع كل ما ومن يجب عليه أن يرد عليها ردا مناسبا وغير متحفظ ٠ وترد على هذه الأسئلة أو تجاوب عليها دائما ، التجربة الميدانية واستخدام الأجهزة والأدوات المناسبة ، أو الاستبيانات الجيدة ردا حصيفا ، بشكل مباشر أحيانا وبشكل غير مباشر أحيانا أخرى ٠ وتتوالى النتائج الكاشفة التى تنضم الى رصيد الجغرافية الطبيعية ، أو التى تنضم الى رصيد الجغرافية البشرية ٠ كما ترد على هذه الأسئلة أيضا ، أساليب المعايشة الحياتية والتعامل والتعايش وتوجيه السؤال بذكاء وفطنة الى الناس ، أو الى العينة المنتخبة من الناس ضمن التجمعات السكانية ، والتشكيلات الاجتماعية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان ٠ وتتوالى نتائج كاشفة مفيدة ردا على هذه الأسئلة والاستفسارات ، وتنضم الى رصيد الجغرافية الطبيعية ، أو تنضم الى رصيد الجغرافية البشرية ٠ وهل يبحث العمل الجغرافى العملى فى الميدان ، عن شىء يتزود به الباحث الجغرافى ، أهم من هذا الرصيد الجغرافى ، وهو المادة الجغرافية العلمية الخام ؟

وهـكذا ، تكون الرحلة الجغرافية الميدانية ، في هذه المرحلة ، وهي رحلة البـاحث الجغرافي وفي صحبته الفريق المعاون ، وكأنها توجه مباشر الى العمل الجغرافي الذي يتقصى الحقائق الجغرافية ، ويتلمس المدركات الجغرافية الطبيعية أو المدركات الجغرافية البشرية أحيانا ، أو المنظور الجغرافي بوجهيه الطبيعي والبشرى أحيانا أخرى • ومن ثم يكون التمحيص والتأمل من خلال المعـاينة المباشرة ، حتى يتسنى للعمل الجغرافي الميداني ، تجميع أوصـال نتائج وبيانات جغرافية مناسبة ، يطلبها البـاحث الجغرافي ، لحساب انجاز البحث الجغرافي الجيـد ، الذي لا يصلح ولا يبدو جيدا الا بها • وعلى صعيد المسـاحة المعنية ، في الميدان ، تكون جولات العمـل الجغرافي العملي ، ويكون الطواف الجغرافي العقلي والعملي ، في طلب الحصاد المناسب • بل قل يكون التحرك في أنحاء الميدان ، تحركا محسوبا بعناية شـديدة ، فلا يكاد يترك شـاردة أو واردة الا وهو يلتمس حصرها على أمـل الانتفاع بها في اعداد البحث الجغرافي • وكل خطوة ، وكل جولة ، في أنحـاء الميدان ، وهي تخضع لمـا ورد في خطة العمـل الميداني ، لا تكون ولا يقدم عليها البـاحث الجغرافي أبـدا ، الا من أجـل تحرى حقيقة جغرافية ، من أجـل تدوين اجـابات في الاستبيان ، أو اجراء دراسـة عملية ، أو من أجل اجراء الحوار • وهذا هو عين ما يعني البحث بكل الواقعية الجغرافية في الميدان ، في شـأن التوزيع والتعليل والربـط ، الذي يغطي كل أبعاد موضوعية البحث الجغرافي ، ويعمق أساليب الاجتهاد الجغرافي الباحث عن الاضافة الجغرافية الجيدة •

وكل التمعن والتدبر والتـأمل ، الذي توفره الدراسة والعمل الجغرافي الميـداني ، يقتفي أثر الصدق والجـدية والجدوى في النتـائج ، لكي يتسنى الوصول الى الاضـافة الجغرافية • ولا يهـدأ الباحث الجغرافي ومعه الفريق المعاون أبـدا ، ولا يكاد يتوقف العمل الميداني ، الا بعد التيقن من كل نتيجة جغرافية ، يتعاون البـاحث الجغرافي مع أعضاء الفريق في جمع أوصالها من الميدان • ولا يعود البـاحث ولا يعود الفريق المعاون ، ولا تنتهي الرحلة في أنحـاء الميدان أبـدا ، الا بعد أن يمسك البـاحث بكل أطراف الخيوط التي تتداخل في نسـيج الواقع الجغرافي ، ويتغلغل البحث الجغرافي فيه • وهل يكون في وسـع البـاحث الجغرافي ومن معه ، أن يمسك بهذه الخيوط في نسـيج الواقع الجغرافي ، من غير أن يجني ثمرات العمـل الجغرافي العملي الميداني ؟ بل وهل يكون في وسـع البـاحث الجغرافي أن يضيف شيئا مهما وجديدا الى صلب البحث الجغرافي الذي يعـده ، من غير أن يحسن توظيف العمل الجغرافي الميداني ، أو من غير أن يحسن استيعاب نتائجه واستثمارها؟

والتدبر وحسن التمعن في كل خطوة عمـل جغرافي عملي ، أو في كل جولة انجاز مباشر ، أو غير مباشر لحساب العمل الجغرافي العملي الميداني ، هو الذي توضح من أجله خطة العمل وبرنامجها الزمني • وينبغي أن يلتزم البـاحث بهذه الخطة ومعه الفريق في الميدان • واذا أقدم البـاحث على تعديل بالحذف أو الاضـافة الى برامج هذه الخطة ، فلا ينبغي أن يكون الا من أجل تحسين مسـتوى التدبر والتمعن في انجـاز العمـل الجغرافي الميـداني • وانضباط هذا التدبر والتمعن في انجاز العمـل الجغرافي العملي الميداني ، يبدو غاية في الأهمية • ويعتمد البـاحث الجغرافي ومعه أعضاء الفريق المعاون على هذا التدبر والتمعن في :

١ ـ حسـن التماس أساس وأصول ومصادر القراءة الذكية الحصـيفة والواعية ، لنتائج العمـل الجغرافي العملي وما يمكن أن تعبر عنه أو أن تتحدث به عن ما يبتغيه الباحث الجغرافي من التعامل الجغرافي مع الواقع الجغرافي في الميـدان •

٢ ـ حسـن التوظيف الجيـد للحس الجغرافي المتيقـظ ومهـاراته ، في المتابعة الجغرافية ، أو في أثنـاء كل خطوة عمـل ميداني أو في جمـع الاجابات عن أسـئلة الاستبيان المناسب في الميدان •

٣ ـ حسـن التفهم الجغرافي المتفتح للحوار المـاهر الذي يدور بين تسـاؤلات مطروحة وردود واجابات واقعية حتى تتكشف حقـائق وتتأتى اضـافات جيدة ، الى رصـيد الجغرافية الطبيعية أو الى رصـيد الجغرافية البشرية ، أو اليهما معا ، تأسيسا على وضوح الرؤية الجغرافية والتعامل معها في الميدان •

٤ ـحسـن مواصلة الالحاح الجغرافي المثابر النشـيط الذي لا يسكت ولا يمل ولا يفقد اهتمامه وعنايته بالعمـل الجغرافي العملي الميداني ، حتى لا يبقى البـاحث الجغرافي من بعده أي زيادة لمستزيد في الميدان •

ومن شـأن هذا التدبر والتمعن ، وهو باب مناسب يفضي الى حسـن أعمال العقل وحفز ملـكات ومهارات ترشد التفكير ، أن يوجه العمل الجغرافي العملي الميداني توجيها حصـيفا وواعيا ، في طلب الهدف • وقل أيضا انه يرشد الانجاز ، ويمضي به قدما في الاتجاهات الصحيحة • بل قل انه هو خير أو أفضـل ما يجنب العمـل الجغرافي العمـلي الميداني وتقصي الحقائق وتجميع المـادة الجغرافية الخام ، التردي في الخطـأ • كما ينتشـله من مزالق

التعجل والاخفاق ، ويسدد خطوات التنفيذ فى الميدان فى حسن استيعاب العناصر الجغرافية التى تتعامل معها الدراسة الميدانية ، وفى حسن التماس كيفية تداخل هذ العناصر مع غيرها ، تداخلا مؤثرا ومتأثرا ، فى صياغةتوليفة أو نسيج الواقع الجغرافى ، الذى يجسده المنظور الجغرافى العام فى الميدان ٠

ولا يجب أن تفلت من الباحث الجغرافى ومعه الفريق المعاون ، فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، وفى هذه المرحلة الحاسمة ، التى تجعل الاقامة فى الميدان ، أو التردد عليه من حين الى حين آخر ، جولات عمل ميدانى ، وطواف تحرى واستبيان ، وجلسات تمعن وتفكير جغرافى عميق ، مسألة ادراك وتقصى العناصر التى تتداخل فى بنية وتركيب الرؤية الجغرافية ، فى كل موقع عمل ، وفى كل حصر استبيان ، وفى كل موقفتمعن وتفكير ، وهو على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان ٠ ومحصلة هذا الادراك من خلال العمل الجغرافى العملى الميدانى مهم بكل المقاييس ٠ بل قل انه لا يقل أهمية أبدا أو جدوى عن حسن ادراك مبلغ تداخل عناصر الرؤية الجغرافية الجزئية أو التفصيلية ، ومبلغ تجانسها أو عدم تجانسها ، فى بنية وتركيب الرؤية الجغرافية الكلية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان ٠

ومن شأن الباحث الجغرافى المتخصص فى الميدان ، أن يكون واعيا حتى يعرف كيف يحسن استخدام حسه الجغرافى ، قبل أن يستخدم مهاراته وخبراته فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى ٠ وقل ان من شأن أعضاء الفريق المعاون له أن يتحلى بالدقة التى تجاوب الحس الجغرافى اليقظ ، ولا تخذل ارادة وتوجه الباحث الجغرافى فى الميدان ٠ وما من شك فى ان هذه الدقة ، تمثل عنصرا من عناصر النجاح فى العمل المنضبط ، فى اجراء الدراسة الميدانية ، أو فى انجاز وجمع الاجابات على أسئلة الاستبيان ، أو فى التمعن والتفكير فى كنه وماهية الحقيقة الجغرافية ٠ بل وما من شك أيضا ، فى ان انجاز هذه المهام المتنوعة على صعيد المساحة المعنية فى الميدان ، لا يمكن أن يستغنى أبدا عن التدقيق فى توظيف الخبرات والمهارات ، لكى يجسد هذا العمل الجغرافى العملى ، محصلة هذا الادراك الجغرافى والتعامل معه ٠

ومن غير الحس الجغرافى اليقظ ، ومن غير التحلى بالدقة فى العمل الميدانى ، ومن غير حسن الادراك الجغرافى المتفتح ، يفتقد الباحث الجغرافى ومعه الفريق المعاون ، فى رحلة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، القدرة على انجاح الدراسة الميدانية ، لحساب البحث الجغرافى ٠ بل قل لا يكون فى وسع الباحث الجغرافى ، أبدا ، النجاح الحقيقى فى :

١ ــ حسن استشعار وتقصي عوامل الربط بين العناصر ، وكيفية التداخل المتجانس فيما بينها ، لكي تكون الصياغة أو التوليفة المتحيزة في الاطار الجامع للرؤية الجغرافية الجزئية ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان ٠

٢ ــ حسن الانتقال المنطقي أو التحول الصحيح ، من معاينة ومشاهدة ومتابعة الرؤية الجغرافية الجزئية ، وما تنطق به أو ما تنبىء به وتعبر عنه جغرافيا ، الى حسن تقصي وفحص وتدبر التفاصيل الجغرافية التى تتألف منها ، وتحليلها تحليلا عمليا مفيدا وكاشفا عنها ، من خلال العمل الجغرافى العملي والدراسة في الميدان ٠

٣ ــ حسن ومهارة التمادى فى متابعة أسباب وكنه ومغزى الربط الجغرافى الموضوعى بين الأوصال الجغرافية أو العلاقة الجغرافية التى تشد وتجمع وتاملم أوصال الرؤية الجغرافية ، لكى تتكامل صورتها فى اطار الرؤية المتميزة والمتحيزة فى المنظور الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان ٠

وهذا معناه ان اقامة الفريق المتعاون ، فى الرحلة الجغرافية العمليه الميدانية فى الميدان ، تضع الباحث الجغرافى ومعاونوه فى مواجهة صريحة وصحيحة مع الواقع الجغرافى ٠ بل قل ان هذه الاقامة المستمرة أحيانا والمتقطعة المتكررة من حين الى حين آخر أحيانا أخرى ، تعنى الانفتاح وتلتمس التفتح ، وهي تضع كل حسه الجغرافي اليقظ وكل تجربته وخبراته ومهاراته فى قراءة الواقع الجغرافى ، فى وضع الاستنفار ، حتى تنكشف للباحث الجغرافى بيانات المادة الجغرافية الخام التى يطلبها ، وحتى يصدق العمل الميدانى فى كشف حقيقة العلاقة الجغرافية بين الجزء والكل فى المنظور الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان ٠ ولا يخرج الباحث الجغرافى ومعه أعضاء الفريق المعاون له ، من هذه المواجهة الحميدة ، وقد تحققت أهدافه الجغرافية العلمية ، لحساب البحث المتخصص ، الا من خلال حسن انجاز العمل الميدانى ، الذى يجاوب اجابات صدق ووضوح ، على كل الأسئلة فى الميدان ، ولا يكاد يخفى عنها شيئا ٠

ومعناه أيضا ، ان حسن آداء العمل الجغرافى الميدانى أو حسن تنفيذ مراحل الدراسات الميدانية ، هو وحده السبيل الأفضل ، الذى يضع الباحث الجغرافى فى الميدان ، فى وضع يحسن الانفتاح على الواقع الجغرافى ،

حتى لا يكاد يخفي هذا الواقع عليه شيئا ، أو يخذل توجهاته الى طلب المادة العلمية الجغرافية الخام • ولا يسفر هذا الانفتاح على حقائق هذا الواقع الجغرافى ، وعلى كنهه فى أنحاء المساحة المعنية ، عن شيء مفيد أقل من التفتح الجغرافى الحقيقى ، فى العمل أو فى الاستيعاب أو فى التفكير • ومن ثم يفضى العمل الجغرافى العملى ، أو يتوجه التوجه الصحيح وجهة البحث وتحرى الاضافة المجددة فى البحث الجغرافى ، أو الفكرة اليانعة المجودة فى انجاز وحسن عرض البحث الجغرافى • وما من شك أولا وأخيرا ، فى ان نتائج هذه الدراسة الميدانية المتفتحة ، هى وحدها التى تصطنع بمهارة ، كل لبنة اضافة وسوية ، من مجموعة اللبنات المرصوصة ، فى صلب بنية وتكوين الاضافة الجغرافية ، فى البحث الجغرافى •

وعندما يفرغ الباحث الجغرافى من بلوغ الغاية من الدراسة الميدانية التى تشبعه ، يعود ومعه أعضاء الفريق المعاون ، من الميدان • وتبدو عودة الرحلة الجغرافية ضرورية ، وهى عودة موفقة وظافرة • وصحيح ان الباحث الجغرافى مع الفريق العائد ، يكون قد أنجز طلب المعرفة وجمع المادة الخام ، وسجل الاجابات على الأسئلة التى تلتمس حصر واستيعاب الردود عليها ، من المدركات الجغرافية المعنية ، فى أنحاء الميدان • وصحيح أيضا ان الباحث الجغرافى يكون قد تعرف بالفعل على الواقع الجغرافى ، وأوغل عمقا وتحليلا فى جمع المادة الخام ، أو فى الكشف عن نسيج هذا الواقع الجغرافى على وجهه الطبيعى أو على وجهه البشرى أو على الوجهين الطبيعى والبشرى معا • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو ان هذه العودة المظفرة التى انتهت من العمل الجغرافى العملى ، وأنهت الدراسة الميدانية ، لا تعنى أبدا نهاية المطاف فى التماس ثمرات الخروج فى رحلة العمل الجغرافى • بل قل انها لا تعنى نهاية مطلقة ، يمكن أن تتوقف بعدها الرحلة الجغرافية الميدانية • كما انها عودة لا تعنى أبدا ان الرحلة الجغرافية الميدانية ، لحساب البحث الجغرافى ، قد استنفدت أغراضها تماما •

وكما انتهت رحلة الزيارة الميدانية ، وطلب التعارف الجغرافى الأولى على الميدان ، والانفتاح الجغرافى على المنظور الجغرافى ، ولم تستنفد الرحلة الجغرافية أغراضها ، تنتهى أيضا رحلة تقصى الحقائق الميدانية ، وطلب المعرفة والتفتح وانجاز الدراسة الميدانية التى تتعامل عمليا مع عنصر أو عناصر الواقع الجغرافى ، وتعود مظفرة من غير أن تستنفد الرحلة الجغرافية الى الميدان ، لحساب البحث الجغرافى ، كل أغراضها المعلنة • ويبقى الباب مفتوحا للذهاب الى الميدان مرة أخرى ، طالما لم تستنفد الرحلة الجغرافية لحساب

البحث الجغرافى أغراضها • بل قل تبقى الحاجة الى رحلة جغرافية تعود الى الميدان ، حتى يستنفد الغرض تماما ويستشعر الباحث الجغرافى انه قد أنهى كل العمل الميدانى فى المساحة المعنية •

وهكذا نتبين ان حاجة الباحث الجغرافى من الدراسة الميدانية ، لم تكتمل تماما ، وان دور الرحلة الجغرافية الميدانية فى طلب هذه الحاجة له بقية • وكيف لا تكون هذه البقية ، والبحث الجغرافى لم يدون بعد ، والباحث الجغرافى لم يفرغ تماما من بعض حاجة لا تتحقق الا باستكمال الدراسة الميدانية والعودة الهادفة الى الميدان ؟ بل قل كيف تنتهى مهمة الرحلة الجغرافية الميدانية التى لم تستنفد بعد أغراضها لحساب البحث الجغرافى ؟ وكيف تعفى الرحلة الجغرافية نفسها أو كيف يعفيها الباحث الجغرافى ، من العودة الى الميدان مرة ومرات ، وهو لم يفرغ من تكديس وجمع كل ما ينبغى أن يحصل عليه من ثمرات العمل الجغرافى العملى فى الميدان ؟

وعودة الرحلة الجغرافية الميدانية هذه المرة ، من بعد تقصى الحقائق وجمع المادة الخام واجراء الجزء العملى من العمل الجغرافى ، تكون عودة موفقة فى الوقت المناسب • ولا تعنى هذه العودة أكثر من انتهاء أهم شوط من الأشواط ، أو أهم مرحلة من مراحل انجاز العمل الميدانى ، لحساب البحث الجغرافى • وتعطى هذه العودة أو هذا الرجوع من الميدان ، الباحث الجغرافى حقه فى أن يهدأ ويلتقط أنفاسه • وتكون عندئذ أمامه الفرصة الكاملة ، لكى يراجع محصلة العمل الجغرافى الميدانى كله مراجعة دقيقة ومستفيضة • ويصبح فى وسعه أن يصنف الرصيد الجغرافى أو حصاد عمله العملى فى الميدان ، وأن يقوم ويحسب جدوى المادة الخام والبيانات المتنوعة ، التى تبتنى عليها الاضافة المجددة فى البحث الجغرافى • بمعنى انه يتعين على الباحث الجغرافى ، أن يتبين ويلتمس جدوى العمل الجغرافى العملى كله ، ومبلغ اسهامه الجيد فى صياغة ، أو فى انجاز البحث الجغرافى •

وهنا مغناه ان عودة الرحلة الجغرافية من الميدان ، لا تقطع صلة الباحث الجغرافى الحقيقية به • وقل انها عودة مؤقتة ، مع استمرار حق الرجوع الى الميدان مرة أخرى • ولا يستبعد الباحث الجغرافى ومعه أعضاء الفريق المعاون ، احتمال الرجوع ، فى رحلة جغرافية ميدانية أخرى الى نفس المساحة المعنية فى الميدان • ولكن المؤكد ان الحكم بصدق هذا الاحتمال وجديته وجدواه ، لكى ترجع الرحلة الجغرافية من جديد الى الميدان يبقى فى حاجة الى قرار يصدره الباحث الجغرافى فى الوقت المناسب • ومن شأن

هذا القرار الجديد ، ألا يصدر بالفعل ، الا بعد أن يعرف الباحث الجغرافى بالضبط ، لماذا ترجع الرحلة الجغرافية الميدانية مرة آخرى الى الميدان ، ومتى وكيف يكون هذا الرجوع ٠

وفى الفترة التالية لعودة الرحلة الجغرافية الميدانية ، من رحلة تقصى الحقائق ، يلتقط الباحث الجغرافى أنفاسه ، ويعود الى دراسته المكتبية الهادئة ٠ وفى اطار هذا التوجه الى الدراسة المكتبية ، يحصى ويقوم الباحث الجغرافى معطيات العمل الجغرافى الميدانى الذى قام به ، ويصنفه ويلتمس جدواه ٠ ومن هذا الحصر والتصنيف والتقويم ، يدرك الباحث جيدا ، مبلغ التقدم فى الانجاز من ناحية ، ومبلغ النقص فى ثمرات ومعطيات العمل الميدانى من ناحية أخرى ٠ وقل يدرك الباحث عندئذ ، معنى الحاجة الى قرار ، يكون به الرجوع مرة أخرى الى الميدان ٠ بل قل من الطبيعى أن تتكشف للباحث الجغرافى بعض أوجه النقص والتقصير أو بعض الثغرات ، وأن يعرف الباحث الجغرافى مبلغ الالحاح لمعاودة الخروج من جديد ، فى رحلة جغرافية ميدانية أخرى وأخيرة ، الى المساحة المعنية ، فى الميدان ٠

رحلة جغرافية ثالثة وأخيرة الى الميدان

هذه رحلة ذهاب من جديد ، الى نفس الميدان الذى شهد رحلة الزيارة مرة ، ورحلة العمل الجغرافى العملى مرة آخرى ٠ وحاجة ملحة الى هذه العودة ، هى التى تدعو الباحث الجغرافى ، فى الوقت المناسب ، الى اتخاذ قرار الخروج من جديد وللمرة الثالثة ، الى المساحة المعنية ، فى الميدان ٠ ومن شأن هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى تبتغى العودة من جديد ، إلى الميدان مرة ثالثة ، أن تلتمس معالجة أوجه النقص أو أوجه التقصير ، الذى تكون قد وقعت فيه - من غير قصد - رحلة الدراسة الجغرافية الميدانية ، فى المرحلة السابقة ٠ ولا يكون النقص أو التقصير فى تقصى الحقائق وجمع المادة الجغرافية الخام ، من الميدان ، وليد التعجل ، أو الوقوع فى الخطأ ، فى معظم الأحيان ، ولكنه يكون فى الغالب ، وليد حاجة الباحث نفسه الى مزيد من العمق فى البحث ، أو تطلعاته الطموحة لانجاز البحث الجغرافى الأكثر عمقا ٠ ولا يملك الباحث الا أن يجاوب حاجة نفسه ، أو أن يطاوعها ويمتثل لتطلعاته الطموحة ، فيخرج الى الميدان من جديد ٠

بمعنى ان عودة الباحث الجغرافى ومعه أعضاء الفريق المعاون ، من الرحلة الجغرافية الميدانية ، وقد جمع المادة العلمية الجغرافية الخام التى

تيسرت له من الميدان ، تعيد الباحث الجغرافي فوّرا الى الدراسة الجغرافية المكتبية • وهذه العودة أو استئناف الدراسة الجغرافية المكتبية ، لاعداد البحث الجغرافي ، تدعو الباحث الجغرافي الى مراجعة رصيد العمل الجغرافي الميداني حتى يتسنى له ادخال هذا الرصيد في صلب البحث الجغرافي ، عند اعداده الاعداد النهائي • ومن الطبيعي أن يعرف الباحث الجغرافي بالضبط ، أو أن يجيد ويدرك كيف يجسد هذا التداخل في صلب التركيب الهيكلي لبحثه ، تأسيسا على مهارة التنسيق والتوليف ، بين الرصيد الجغرافي والمادة العلمية التي تسفر عنها الدراسة المكتبية في جانب ، والرصيد الجغرافي والمادة العلمية الخام التي تجمع أوصالها الدراسة العملية الميدانية ، في جانب آخر •

ومن خلال هذا التوجه الحميد ، والعمل وتحري الدقة ، في أمر هذا التنسيق وحسن التوليف ، تتكشف للباحث الجغرافي الثغرات أحيانا ، أو النقص الحقيقي في المادة الجغرافية العملية أحيانا أخرى • بل قل تتكشف له الحاجة الى استكمال هذا النقص في العمل الميداني ، أو تتفتح له أوجه التقصير في محصلة العمل الميداني ، أو تتجلى له مواضع الثغرات التي لم يفطن اليها العمل الميداني • بل قل أيضا ، ان الباحث الجغرافي ، قد يستشعر ، وهو مستغرق في الدراسة المكتبية لاعداد وتجهيز وتبويب المادة الجغرافية العلمية والعملية ، الحاجة الى استفسار أو تساؤل يعلن عنه البحث الجغرافي • ومن ثم تبدو الحاجة من جديد ، الى استئناف الرحلة الجغرافية ، والذهاب الهادف الى الميدان •

ومن شأن هذه الرحلة الجغرافية الميدانية في هذه المرة الثالثة ، أن تعود الى الميدان ، عودة من يريد ، أو من يطلب ادراك بعض ما فات الفريق ، من نتائج العمل الجغرافي في الميدان ، من غير قصد • ولكن لا ينبغي أن تكون عودة هذه الرحلة الجغرافية الى الميدان ، في هذه المرة ، من غير أن يتشاور الباحث الجغرافي ، وهو صاحب المصلحة وصاحب القرار ، مع أعضاء الفريق المعاون له ، في أمر :

١ ـ من الذي ينبغي أن يخرج في صحبة هذه الرحلة الجغرافية هذه المرة ، حتى يعاود العمل الجغرافي العملي ، واجراء العمل الميداني من جديد في الميدان ؟

٢ ـ ما هو بالضبط العمل الجغرافي الميداني ، الذي يمكن أن يتدارك

النقص أو أن يسد الثغرة ، وينبغى أن يلتزم به فرد أو أفراد منتخبين فى رحلة العودة الجغرافية الأخيرة ، الى الميدان ؟

٣ ـ ما هو الأسلوب الأنسب الذى يتقرر الأخذ به واتباعه فى العمل الجغرافى العملى الميدانى ، حتى يجاوب الهدف والقصد أو يلبى ارادة التوجه من جديد فى طلب المعلومة المعينة من الميدان ؟

٤ ـ كيف ينبغى أن يجرى العمل الجغرافى العملى ، الذى يضمن حسن توجه الدراسة الميدانية ، فى الاتجاه الصحيح ، حتى يتسنى تدارك النقص أو معالجة التقصير ، أو استكمال حاجة البحث الجغرافى من الميدان ؟

وهذا معناه ان الخروج فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية التكميلية ، لا ينبغى أبدا أن يلتزم به من أعضاء الفريق المعاون ، الا من تستوجب حاجة العمل الميدانى فى هذه المرة ، التحاقه بها فعلا • وقد يكون فى وسع الباحث أن يذهب بمفرده الى الميدان ، ولكن المؤكد ان شرط الصحبة شرط هام ، وينبغى حتما الالتزام به ، فلا يسمح بخروج الباحث الجغرافى منفردا • وحتى لو يكون الذهاب الى الميدان ، لقضاء سويعات قليلة محدودة ، تكون بعدها العودة السريعة ، فلا تفرد أبدا • ويتمثل الحد الأدنى للصحبة ، فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية التكميلية ، فى زمالة تجمع بين الباحث الجغرافى وهو الأصل ورفيق آخر يعاونه • ذلك ان الخروج المتفرد غير ممكن ، واجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى الانفرادى غير وارد أبدا • بل قل يكون العمل الجغرافى الميدانى المتفرد مرفوضا على الاطلاق ، فى رحلة الزيارة الأولى ، وفى رحلة تقصى الحقائق الثانية ، وفى رحلة تدارك النقص الثالثة ، أو يكون غير مجد •

ويستوجب خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ذات الطابع التكميلى ، الى جانب اختيار الزميل أو بعض الزملاء من أعضاء الفريق المعاون ، وضع خطة وبرنامج يغطى ضبط وتنظيم العمل الجغرافى الميدانى فى هذه المرة • ويتعين على الباحث الجغرافى وعلى زميله أو مجموعة الزملاء ، الذين يشتركون فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية التكميلية ، أن يعرف بالضبط حدود مهمته المنوطة به ، وطبيعة عمله الميدانى • كما يجب أن يدرك كل شريك بالضرورة ، مواقع أو مواضع انجاز العمل الجغرافى العملى التكميلى فى الميدان • بل قل ، ويتحدد قبل خروج هذه الرحلة الى الميدان ، المدى

الزمنى الأنسب ، للذهاب والعودة ، وحسن انجـاز المهمة المنوطة بها فى الميـدان ٠

ومن أجـل هذه المهمة الطارئة ، التى تشـهد انجاز العمل الجغرافى الميدانى التكميلى ، قد يتكرر الذهاب الى الميدان أكثر من مرة ، والى أكثر من موضع معين ٠ وفى كل مرة ، تنجز هذه الرحلة عملا ميدانيا معينا ، لحساب البحث الجغرافى ٠ ولا يتزامن هذا الذهاب وهذا التكرار أبدا ، لأن البـاحث الجغرافى ، لا يكون وهو يخرج فى كل مرة ، فى وسعه أن يذهب الى مكان معين والى مكان آخر فى نفس الوقت ٠ بمعنى ضرورة عدم التزامن ، بين الرحلات الجغرافية المتـكررة ، الى مواقع متفرقة ، فى أنحـاء متبـاعدة من الميدان ٠ ولكن المؤكد ، هو أن تتوجه كل رحلة جغرافية ميدانية فى الوجهة المعنية ، لكى تضع البـاحث فى مواجهة المكان ، الذى ينبغى أن تبلغ فيه الدراسة الميدانية الغاية أو الهدف الذى تكتمل بموجبه المـادة العلمية المطلوبة للبحث الجغرافى ٠

وهنـاك فى كل موقع من مواقع العمـل الجغرافى العملى ، ينبغى أن يتعاون الاجتهاد العملى ، مع الاجتهاد العلمى ، اجتهادا مستنيرا وحصـيفا ، فى انجاز المهمة التى توجهت أو خرجت من أجلها هذه الرحلة الى الميدان ٠ ولا يجب أن يكون العمـل متعجلا أو أن يهبط مستوى الأداء والتدقيق وجمع المـادة العلمية وحصر كل الاجابات على الأسـئلة المطروحة ، عن مسـتوى الأداء فى الرحلة الجغرافية الميـدانية السـابقة ٠ وهـذا الالتزام الحميـد بالمستوى الأفضل مطلوب من البـاحث الجغرافى ، الذى يعمل ويعكف فى صبر على اجراء أو تنفيذ تجاربه العملية فى الميدان ، وهو يلقى السـؤال أو مجموعة الأسـئلة ، التى تستكمل له حق الحصول على الردود والاجابات ، التى يبوح بها الواقع الجغرافى الطبيعى ومكوناته وعناصره المعنية ٠ وهذا الالتزام مطلوب أيضا من البـاحث الجغرافى ، الذى يعمل ويطرح الأسئلة ، ويتلقى بفطنة وذكاء الاجابات والردود ومحصـلة الحوار مع الناس ، الذى يستكمل به الاسـتبيان حاجة البـاحث وبحثه الجغرافى من الواقع البشرى وتوليفة عناصره المعنية ٠

ومن الجـائز أن تخرج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية لكى تعتصر كل ما ينبغى الحصول عليه من المـادة الجغرافية الخام ، من الموقع أو من المواقع المتعددة ، فى أنحاء المسـاحة المعنية ، على دفعات متعاقبة ٠ وتطلب الرحلة فى كل موقع معين ، استكمال كل ما قد تكشف للبـاحث نقصانه أو التقصير

فى الحصول عليه • ولا تعود أى رحلة من هذه الرحلات ، من أى موقع معين ، الا بعد أن يفرغ الباحث من انجاز المهمة ، الذى يسعى الى استثمارها لحساب البحث الجغرافى ، فى الميدان • ولا ينبغى أن يتبرم الباحث ومن معه أبدا ، من هذا الخروج المتكرر الى الميدان • بل ولا ينبغى أن تفتر همة الباحث ويضيق صدره به ، حتى لا يضار البحث • بل قل ولماذا وكيف يتبرم أو يضيق صدر الباحث الجغرافى ، وليس فى التكرار شرودا فى صحبة الملل ؟ بل قل أيضا ، كيف يكف الباحث الجغرافى عن الخروج الى الميدان ، والبحث عن الاجابة المتوقعة التى تدعم بحثه ، وتكفل تماسك أوصال بنيته العلمية الجغرافية لم ينتهى ؟

وهذا معناه ، أن يتحلى الباحث الجغرافى الى جانب المهارة والخبرة بالمثابرة وقوة الاحتمال والجلد • بل لا ينبغى أن يفرط الباحث ، أو أن يقصر أو أن يهمل فى شأن استيفاء الدراسة الميدانية ، وجمع كل النتائج المطلوبة والمادة العلمية الجغرافية الخام • وكيف يفرط أو يقصر أو يهمل الباحث الجغرافى فى أمر الخروج الى الميدان مرة أو مرات ، لاستكمال بنية بحثه ؟ وهو يعلم علم اليقين ان الدراسة الميدانية وحدها ، هى التى تملك امداده بأفضل البيان والوضوح الكاشف عن كل ما يمكن أن يسفر عنه تقدم خطوات الانجاز من تساؤلات مثيرة ، أو استفسارات مفاجئة •

وهناك فى الميدان ، وفى اطار وحدة الشمول الجامع الذى يجمع بين مراحل الرحلة الجغرافية الميدانية بداية من رحلة الزيارة الى رحلة تقصى الحقائق الى رحلة الاستيفاء ، فى الميدان ، ومن خلال العمل الميدانى فى كل موقع عمل مناسب ، يجد الباحث الجغرافى ضالته المنشودة • بل قل يجد الباحث الجغرافى من بعد حسن أداء العمل الميدانى وجنى ثمرات هذا العمل ، الاضافة التى تزين البحث الجغرافى حتى يحظى بالقبول والجدية •

الفصل الثاني

الجغرافية وتوجيه الدراسة الميدانية الى المسح الجغرافي

- التوجه الجغرافي الى خدمة حركة الحياة .
- الدراسة الميدانية والعمل الجغرافي لحساب حركة الحياة .
- الرحلة الجغرافية والمسح الجغرافي الميداني .
- اعادة النظر في تشكيل الفريق المتعاون في المسح الجغرافي .
- اعادة النظر في خطة وأسلوب العمل الجغرافي الميداني .
- خروج الرحلة الجغرافية والعمل الجغرافي الميداني .
- الانجاز العملي والمسح الجغرافي في الميدان .
- رحلة جغرافية أخيرة الى الميدان .

الفصل الثـانى

الجغرافية وتوجيه الدراسة الميدانية الى المسح الجغرافى

التوجه الجغرافى الى خدمة حركة الحياة :

البحث الجغرافى الذى يوجه الرحلة الجغرافيـة الميدانيـة ، ويحسن توظيفها فى انجاز العمل الميدانى ، ويعتمد فى تسجيل الاضافة الجغرافيـة على محصلة العمل الجغرافى العمـلى فى الميدان ، يبرهن فعـلا على أن علم الجغرافية من حيث الجوهر والمضمون ، يمثل علمـا عمليا • والميدان على صعيد المساحة المعنية ، هو المختبر الذى يشهد هذا الأداء الجغرافى العملى • وما من شك ، فى أن الاهتمام العلمى الأكاديمى ، قد نمى ورشـد واعتنى بهذا التوجه الى الميدان ، فى طلب الانجاز العملى الجغرافى ، لأنه قد استشعر قيمته ، وتيقن تماما من جدواه •

بل قل تبرهن العناية العلمية الأكاديمية فى الجامعة بالرحلة الجغرافية الميدانية • وترى هذه العناية ان الرحلة الجغرافية الميدانية ، هى التى تشد أزر البحث الجغرافى الأفضل ، وترشد الاهتمام الذى يعتمد عليـه الباحث الجغرافى فى اضافة الاضافة المجددة أو فى حسن بيـان الفكرة الجغرافيـة المتفتحة • وما من شك فى أن منطق وفلسفات وغايات علم الجغرافية ، قد ألزمت البـاحث الجغرافى دائما بموجبات هـذا التوجه الجغرافى العمـلى التجريبى ، وبالرحلة الجغرافية الميدانية ، لاجراء العمل الجغرافى فى الميدان • بل قل لقد فرض علم الجغرافية على الباحث الجغرافى ، حسن توظيف الرحلة الجغرافية ، فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، وجنى ثمرات هذا العمل ، من أجل حسن انجاز البحث الجغرافى ، وحسن صياغة وتجسيد الاضافات الجغرافية الجديدة ، فى بنيته العلمية •

وفى المقابل ، يجب أن نتبين كيف يلتزم الباحث الجغرافى الأكاديمى ، الالتزام الواعى ، بالعمل والتجربة والاستبيان ، على صعيد المساحة المعنية فى الميـدان • وينبغى أن نطرى الخبرة الجغرافية ، وأن نشـيد بالمهـارة الجغرافية ، التى تحسن استخدام الوسيلة العملية والأدوات والتجهيزات ، فى انجاز العمـل الجغرافى ، فى الميدان ، على أوسـع مدى ، وفى منتهى الدقة ، لحساب البحث الجغرافى • ويوفر هذا الالتزام الحميد ، وهذه الخبرة

الجغرافية الملتزمة ، للبحث الجغرافي ، عينا واعية وحصيفة ، وهي تجمع أهم أوصال الرصيد الجغرافي الجيد ، من المادة العلمية الخام ، وأهم النتائج العلمية الموضوعية المناسبة ، أو المفيدة . وعليهما معا ، وليس بدونهما ، يبني الباحث الجغرافي جوهر وصلب البحث الجغرافي الجيد ، الذي لا ولم ولن يفرط أبدا ، في أهم أسباب التجديد في الانجاز ، والتجويد في العرض .

ومن غير هذا الرصيد الجيد من المادة العلمية والعملية التي تجتمع أوصالها ، من خلال حسن اجراء الدراسة الميدانية ، يفتقد البحث الجغرافي أهم وأجدى روافد التجديد والاضافة والأصالة . بل قل يصبح البحث الجغرافي ، من غير هذا الرصيد العملي الميداني ، محدود القيمة والأهمية . لأنه يبدأ وينتهي ولا يضيف شيئا جغرافيا جديدا أو مهما ، يجاوب الهدف الجغرافي العلمي . وهل نشك أو نتشكك في أن أي بحث جغرافي علمي ، يجمع الباحث أوصاله ومادته العلمية ، من المراجع والمصادر أثناء الدراسة المكتبية بين الجدران ، وحدها ، يكون أبعد ما يكون عن تسجيل الاضافة المنيرة ، وعلى التحلي بالجديد والتجديد المرتقب ؟

وهذا معناه أنه عندما يرجع الباحث الجغرافي ، من خلال الدراسة المكتبية الى المصادر والمراجع ، فانما هو يريد حقا ، أن يعرف بالضبط الى أين وصلت مسيرة البحث الجغرافي في موضوع ما ، قبل أن يجتهد ويهم بالاضافة الجغرافية الجديدة اليه . ولكن عندما يرجع الباحث الجغرافي ، من خلال الدراسة الميدانية ، الى العمل الجغرافي العملي والتجربة الاختبارية والاستبيان في الميدان ، فانما هو يعمل ويتحرى الاجتهاد العملي في جمع المادة العلمية الجغرافية الخام . ومن هذا الرصيد الجديد الخام فقط . يصطنع الباحث الجغرافي الاضافة المفيدة ، التي تحسب في حساب رصيده العلمي ، وقدرته على التجديد . وبهذه الاضافة أيضا ، تخطو مسيرة البحث الجغرافي ، وهي متصلة من باحث الى باحث آخر ، على درب الصواب والتقدم والوصول المستمر الى ما هو أفضل وأعمق وأفيد علميا .

هذا ، ولأن الدراسة الميدانية ، قد رشدت البحوث الجغرافية العلمية الجيدة ، وأصبحت هي التي تشد أزر الباحث الجغرافي عندما يجدد أو يجود بحثه ، فلقد تصاعد اهتمام علم الجغرافية بالرحلة الجغرافية الميدانية تصاعدا مثيرا ، اعتبارا من النصف الأول من القرن العشرين . ورسخ هذا الاهتمام الدراسة الميدانية ، ترسيخا كبيرا ، لأنها أصبحت تتوج جبين العمل الجغرافي كله . وتوالت الاجتهادات العلمية الجغرافية الأكاديمية ،

مسئولية تدريب طلاب علم الجغرافية ، فى اطار التخصص الجغرافى الطبيعى أو التخصص الجغرافى البشرى • بل قل تعين تعليم الطلاب أساليب الدراسة الميدانية وتوجيهاتها المجدية • كما خرج ويخرج الطلاب فى صحبة أعضاء هيئة التدريس ، فى رحلات جغرافية ميدانية ، من أجل الممارسة العملية واكتساب الخبرة والمهارة فى اجراء الدراسة الميدانية ، وفى الكيفية التى ينتفعون بها ، فى انجاز البحث الجغرافى المناسب ، بعد العودة من الرحلة الجغرافية الميدانية التعليمية •

وفى اطار هذا التلاحم بين الرحلة الجغرافية الميدانية من ناحية ، وانجاز البحوث الجغرافية من ناحية أخرى ، يتوالى الانجاز الجغرافى العلمى الجيد • وتتفتح آفاق الكتابة الجغرافية المجددة ، وآفاق اعداد الخرائط والرسوم البيانية ، التى تجاوب منطق وفلسفات وغايات الفكر الجغرافى الحديث • وما أكثر عدد البحوث الجغرافية الجيدة التى أصبحت منشورة فى الكتب والمجلات المتخصصة • وما أروع أنواع البحوث الجغرافية المتفتحة والمتجددة والمجددة التى تعلن فى كل يوم ، عن جدوى الرحلة الجغرافية الميدانية ، وتبشر بجدوى الدراسة الميدانية ، فى انجاز البحث الجغرافى الجيد •

ويجب أن نؤكد على أن الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى تسعف الدراسة الميدانية ، وتلتمس الاضافة الجغرافية من التعامل المباشر مع المدركات الجغرافية الطبيعية أو البشرية فى الميدان ، كانت تخدم مسيرة التفتح الجغرافى حقا • ولقد أسهمت الرحلة الجغرافية الميدانية ، والممارسة الدراسية الميدانية ، فى تجهيز أهم الأوضاع المهمة ، التى أهلت وحفزت التحول العظيم فى علم الجغرافية • بل قل ان انطلاقة التجديد والتجويد التى تسفر عن هذا التحول ، هى نتيجة أفضت اليها الرحلة الجغرافية الميدانية • ويمكن القول أن انجازات الدراسة الميدانية ، هى التى وفرت عنصرا ، بل أهم عنصر من عناصر التحول المثمر ، من منطق وفلسفات وغايات الفكر الجغرافى الحديث ، وهو يظاهر علم الجغرافية الحديثة ، الى منطق وفلسفات وغايات الفكر الجغرافى المعاصر ، وهو يظاهر علم الجغرافية المعاصرة •

وينبغى أن نذكر فى هذا المجال مثلا ، اقدام ستامب على الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى كانت تتجول فى ربوع بريطانيا العظمى ، وتباشر الدراسة الميدانية ، لكى تلتمس العلاقة بين الانسان البريطانى والأرض التى يعايشها،

ويستخدم الموارد المتاحة بها • وما من شك فى أن هذه الدراسة الميدانية التى استغرقت سنوات طويلة ، وهى تنتقل من مساحة الى مساحة أخرى ، كانت تلتمس الاجابة على سؤال هام وحيوى ، يسأل بالحاح ، عن محصلة استخدام الموارد على الصعيد البريطانى ، وعن مستوى التعامل مع كل معين يوفر العطاء والانتاج ، أو يلبى حاجة حركة الحياة البريطانية ، وعن أوجه القصور أو التقصير الذى تسبب فى شىء خطير من الخلل وعـدم التوازن الاقتصادى ، كشفت عنه الأوضاع الاستثنائية ابان الحرب العالمية • وأسدى العمل الجغرافى الميدانى الذى أتقنه أداء الفريق الجغرافى بقيـادة ستامب الجغرافى البريطانى ، فضلا عظيما ، ووضع العين الاقتصادية البريطانية فى مواجهة صريحة مع موطن الخلل ودواعى عـدم التوازن فى صلب البنـاء الاقتصادى البريطانى • وكانت خريطة استخدام الأرض فى بريطانيا ، وهى من صنع هذا الاجتهاد الجغرافى الذى أحسن توظيف الدراسـة الميدانية ، غاية فى الأهمية ، وهى ترشد استخدامات الأرض على الصعيد البريطانى ، من أجل الانتاج الأفضل ، أو من أجل الخدمات والمرافق الأفضل ، أو من أجل السكن الأفضل •

وفى الاعتقاد الجغرافى أن دور الدراسة الميدانية فى انجاز هذه المهمة التى يفخر بها الاجتهاد الجغرافى البريطانى ، أعلن اعلانا صريحا عن جدوى العمل الجغرافى ، وهو يكد ويكدح لحساب حركة الحياة • وقل انه يعمل عملا مناسبا ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، لكى يبصر حركة الحياة فى المكان ، حتى يصبح فى وسعها أن تتعامل مع الأرض بشكل أفضل ، وأن تلتمس الوسيلة الحضارية الأنسب لرفع مستوى هذا التعامل الحيوى • بل قل ان هذا الاقدام الجاد على حسن توظيف الدراسة الميدانية ، لحساب حركة الحياة وترشيد رؤيتها للواقع الجغرافى الذى تتعامل معه وتعايشه فى اطار الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والطبيعة فى الأرض ، أضاف الى العمـل الجغرافى مهمة **التقويم الجغرافى** •

وبعد أن كان العمل الجغرافى يشغله **التوزيع والتعليل والربط فقط** ، أضيف اليه الاهتمام **بالتقويم الجغرافى** • وقـل انه بعـد أن كان الاهتمـام الجغرافى بالتوزيع والتعليل والربط ، هو خير ما ييسر له أمر تجسيد الرؤية الجغرافية ، أصبح هذا الاهتمام فى وسعه أن يباشر التقويم الجغرافى الذى يفضى الى حسـن ابداء الرأى الجغرافى تعقيبـا أو تعليقـا على هـذه الرؤية الجغرافية • واعلان الرأى الجغرافى يمثل فى حد ذاته اضافة مفيدة ، يوفرها الاجتهاد الجغرافى ، لحساب الانسـان ، حضوره وتعايشه وتعامله مـع

الطبيعة ، على صعيد الأرض • وصحيح أن علم الجغرافية قد وظف الرحلة الجغرافية الميدانية ، توظيفا يبرهن على انه علم عملى ، يوفر الفرصة الكاملة ، لاستيعاب الرؤية الجغرافية فى الميدان • ولكن الصحيح بعد ذلك أن التحول الجغرافى المعاصر ، يستخدم الرحلة الجغرافية ، استخداما أفضل ، يبرهن على انه عام عملى تطبيقى • وأصبحت غاية توجهاته التطبيقية ، هى أن ينفع الناس ، وأن يكون فى عونهم عندما يجرى الدراسة الميدانية ، ويقدم لهم الرأى الجغرافى التطبيقى بناء على ذلك •

ومن أجل ترسيخ هذا التحول الجغرافى العظيم ، يتطور الهدف الجغرافى تطورا كبيرا ، يطاوع التوجه التطبيقى • وتصبح عناية الاجتهاد الجغرافى المعاصر بالرحلة الجغرافية الميدانية ، وهى فى خدمة هذا الهدف أعظم • وهذا معناه التمادى الجغرافى الأكثر مهارة وخبرة ، فى حسن انجاز العمل الجغرافى العملى الميداني ، لحساب البحث الجغرافى وتطلعاته المتجددة ، وهو يمثل ما يصبو اليه الباحث الجغرافى ، أو وهو يمثل شيئا من الاسهام الجغرافى التطبيقى ، فى خدمة حركة الحياة ، وترشيد انتصارات الوسائل الحضارية التي تصارع الطبيعة في المكان ، من أجل حضور حياتي أفضل •

وقل ان هذا هو التحول العظيم الذى يخرج الجغرافية العلمية الأكاديمية ، من جمود النظرية البحتة ، الى مرونة التطبيق الفاعل • وقل أيضا انه هو التفتح الشديد ، الذى يضع علم الجغرافية فى صف واحد مع كل العلوم الأخرى التى تخدم الأهداف التطبيقية لحساب الإنسان • بل قل انه هو التفتح الواعى ، الذى يستوجب تطور علم الجغرافية تطورا يناسب وضعه كعلم بينى ، يبتنى نتائجه على نتائج العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية التى لا تكف عن التطور • ويمضى هذا التطور فى الاتجاه الصحيح المناسب لكى يشمل كل شيء ، سواء وهو يتمثل فى الهدف أو فى المنهج أو فى الوسيلة التى تفضى الى المضى المنهجي الى هذا الهدف •

ومن ثم كان من الضرورى أن تجاوب الرحلة الجغرافية هذا التطور فى الهدف وفى المنهج وفى الوسيلة • كما يلتزم العمل الجغرافى العملى الذى تقوم به الرحلة الجغرافية الميدانية ، أيضا بالاستجابة لارادة أو لتوجهات هذا التطور • وتتجلى هذه الاستجابة الجغرافية فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، لحساب من يلتمس المعرفة الجغرافية ، فى عموميتها الكلية أو فى خصوصيتها التفصيلية ، التى تشمل أيضا الرأى الجغرافى عن هذه الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان •

الدراسة الميدانية والعمل الجغرافى العملى لحساب حركة الحياة :

فى مثل هذا النوع من الدراسة الميدانية ، لا يكون العمل الجغرافى العملى فى الميدان ، عملا مجردا لحساب البحث الجغرافى العلمى · وقل ان حاجة البحث الجغرافى العلمى ، ليست هى الدافع الى خروج الرحلة الجغرافية الميدانية لاجزاء الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان · بل قل ان حاجة حركة الحياة هى التى تفطن الى جدوى العمل الجغرافى العملى فى الميدان ، وتستشعر ضرورة تكليف الاجتهاد الجغرافى بهذا الخروج فى رحلة جغرافية ميدانية ، تجاوبها وترسخ مقومات انتصار الانسان فى المكان والزمان ·

وتكليف الباحث الجغرافى من قبل الآخرين ، معناه أن يتحمل المسئولية وهى أمانة فى العنق ، لحساب الغير · ومعناه أيضا أن يجرى البحث الجغرافى لحساب الحياة ، سواء استوجب دراسة مكتبية واطلاع على المراجع والمصادر ، أو استوجب خروجا الى دراسة ميدانية ، فى المساحة المحدودة ، على صعيد الميدان · بل قل ان الباحث الجغرافى لا يكاد يهتم بهدف ذاتى ، يسمى الى الوصول اليه ، ولكنه يتبنى هدف غير الجغرافى ، ويوليه كل العناية والاهتمام الجغرافى المناسب · وتبنى هدف غير الجغرافى والاهتمام به وانجاز البحث الجغرافى من أجله ، يستوجب حماس الباحث الجغرافى ، لأن هذا الانجاز يمثل نقطة الانطلاق فى الانفتاح الجغرافى الذى يقدم شيئا مطلوبا ومهما تنتفع به حركة الحياة ، حتى لا يكون فى وسعها بعد ذلك التفريط فى خبرة ومهارة وحسن انجاز ما يحدث عنه البحث الجغرافى ·

وينبغى أن نذكر أن تكليف الباحث الجغرافى من قبل الآخرين ، وتبنى الهدف الذى يدور بخلدهم ، وتحمل التبعات والمسئوليات ، يضع الخبرة الجغرافية وهى تعمل لحساب الغير ، فى وضع جديد تماما · وفى هذا الوضع الذى يستجد ، يوفر الباحث الجغرافى كل ما فى وسعه لكى يجاوب الهدف ، ويجرى البحث الجغرافى المناسب وصولا الى هذا الهدف · ومن ثم ينبغى أن يلتزم الباحث الجغرافى بما يلى :

١ ـ الاستماع الجيد الى ما ينطوى عايه التكليف من غير الجغرافى ، ويطاوعه · بمعنى أن يترك لصاحب هذا التكليف الصادر من غير الجغرافى ، وهو يعهد بالانجاز للمتخصص الجغرافى ، الحق الكامل فى أن يحدد أبعاد هذا التكليف ، من حيث المكان والزمان · ومن الجائز أن ترشد الخبرة الجغرافية تحديد هذه الأبعاد ، ترشيدا مناسبا ، ولكن دون حرمان صاحب

التكليف من آن يقتنع بالترشيد حتى يصدر قرار التكليف لحساب الهدف المنشود ، من البحث الجغرافى .

٢ - الآداء الجيد المناسب الذى يلبى حاجة هذا التكليف ، ويقدم الانجاز الجغرافى الكاشف عن ما يحقق الهدف الجغرافى الذى يترقبه صاحب التكليف أو جهة التكليف . بل قل ينبغى أن يكون هذا الانجاز الجغرافى الذى يبتنى على خبرة جغرافية تحسن الاطلاع بالدراسة المكتبية ، وتحسن تنفيذ واجراء الدراسة الميدانية ، على مستوى المسئولية ، عن هذا العمل التطبيقى فى خدمة حركة الحياة .

ونجاح الباحث الجغرافى ، فى هذا المجال ، وتقديم الخبرة الجغرافيه لحساب هذا التكليف من غير الجغرافى ، هو خير ما يفسح للاجتهاد الجغرافى وللعمل الجغرافى مكانا مناسبا ، فى العمل التطبيقى الذى تنتفع به حركه الحياة . وهو أيضا ، الباب المفتوح الذى تدخل منه انجازات العمل الجغرافى التطبيقى ، حتى تجد الخبرة الجغرافية لنفسها مكانا مناسبا ، فى الصف الذى يجمع بين العلوم التطبيقية . بل قل انه ينبغى أن يفضى النجاح فى هذا التكليف ، الى اقتناع حقيقى بلزوم الخبرة الجغرافية ، وهى تباشر المهمة وتصطنع القاعدة التى يرتكز اليها تنفيذ وانجاز أفضل ، لحساب حركة الحياة . كما ينبغى أن يرسخ هذا النجاح قضية التحول الجغرافى العظيم ، الى علم بينى عملى تطبيقى بالفعل .

ومعنى هذا النجاح فى الانجاز ، لحساب العمل التطبيقى ، يمثل خطوة هامة على درب التوجه الجغرافى العلمى ، الذى تحرص عليه الجغرافية المعاصرة . ولا يكون هذا النجاح فى الانجاز الجغرافى التطبيقى ، من غير عناية جغرافية تعكف على :

١ - حسن اجراء المسح الجغرافى على صعيد المساحة المعنية فى الميدان ، استجابة لما يطلبه التكليف وصاحب التكليف الذى يهمه الأمر أولا وأخيرا .

٢ - حسن تجسيد الرؤية الجغرافية على صعيد المساحة المعنية فى الميدان ، حتى يفضى المسح الجغرافى الى أوضح صورة أو أحسن بيان يستشعره ويفهمه صاحب التكليف .

٣ - حسن تقويم هذه الرؤية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ،

فى الميدان ، حتى يتسنى ابداء الرأى الجغرافى ، وكانه النصيحة أو التوصية الى من يهمه الأمر ٠

ومن ثم نفهم جيدا ، كيف يكون المسح الجغرافى تكليفا ومسئولية ، يكلف بها الاجتهاد الجغرافى ، من قبل الغير ٠ كما نفهم أيضا كيف يلتمس هذا المسح الجغرافى ، تطويع النتائج الذى يسفر عنها العمـــل الجغرافى أو الأداء الجغرافى ، تطويعا مناسبا لحساب الهدف التطبيقى ٠ ويبقى صـــاحب التكاليف ومعه كل أدوات العمل التطبيقى ، وكل الخبرات العلمية التطبيقية ، فى انتظار وترقب نتائج المسح الجغرافى وما ينتهى اليه هـــذا المسح ، من حيث وضوح الرؤية الجغرافية ، ومن حيث سداد الرأى الجغرافى ، وهما معا اللذان يرشدان صاحب التكليف الذى يتأهل بهما معا ، للعمل لحســاب حركة الحياة فى المكان والزمان ٠

الرحلة الجغرافية والمسح الجغرافى الميدانى :

تكليف البـــاحث الجغرافى ، بالمســـح الجغرافى الذى يتعقب ظاهرة جغرافية معينة ، فى المكان والزمان ، هـــو التكليف الذى لا يبدأ أبدا من فراغ ٠ وما من شك فى أن من يهمه أمر هذا التكليف ، يكون على بينة من كفاءة وجدوى الاجتهاد الجغرافى ، حتى يتأتى اسناد هذا التكليف اليه ٠ بل قل انه يكون واثقا فى تفرد الاجتهاد الجغرافى بالخبرة والمهارة التى يباشر بها أو التى يجاوب بها ، انجاز العمل الجغرافى ، لحساب هذا التكليف ٠

وقبول الباحث الجغرافى ، هـــذا التكليف بالمسح الجغرافى ، الذى يتعقب ويدرس ظاهرة جغرافية ، معينة ، فى المكان والزمان ، هو القبول الذى لا يبدأ من فراغ أبدا ٠ وما من شك فى أنه يبادر الى هذا القبول ، وهو على وعى كامل بأعباء ومسئوليات المهمة التى تسند اليه ٠ وقل انه يكون واثقا من قدراته ومن خبراته ، التى يتأهل بها ، حتى يباشر هـــذا التكليف ٠ بل قل ان التحول العظيم الذى أخذت به الجغرافية المعاصرة ، هو عين ما يبرر مبادرة الاجتهاد الجغرافى الى قبول هذا التكليف والاستجابة له٠

ولأن الاجتهاد الجغرافى التطبيقى الرشيد ، الذى ترسخه وتدعمـــه وتتبناه الجغرافية المعاصرة ، هو جزء حيوى وفعال ، من صلب هذا التحول العظيم ، الذى تسعفه وتسفر عنه وتسدد خطاه الدراسة الميدانية ، فلقـــد تصاعدت العناية والاهتمام الجغرافى المعاصر ، فكرا وروحا ومنطقـا وغاية وفلسفة ، بالرحلة الجغرافيـــة الميدانية ، وهى تعمـــل فى خـــدمة المسح

الجغرافى • بل قل تولى هذا الاهتمام الجغرافى مهمة تطويع وتطوير العمل العملى الميدانى ، على صعيد المســاحة المعنية ، لكى يجاوب اســتعدادات الجغرافية المعاصرة ، لتحمل أعباء ومسئوليات المسح الجغرافى • كما أقدم هذا الاجتهاد الجغرافى اقدام الواثق عـلى حسن مباشرة هــذا التكليف ، لحساب الغير ، وعلى انتهاز الفرص التى تيسر له جنى بعض ثمرات هــذا المسح الجغرافى ، لحساب البحث الجغرافى الخاص الذى يمعن فى أعماق أو فى أغوار التخصص الجغرافى •

وتكليف الباحث الجغرافى ـ على سبيل المثال ـ بالمسح الجغرافى ، فى المساحة المعنية ، من أجل حسن اختيار الموقع المناسب لتوطين الصناعة ، هو تكليف يهم العناية بالتركيب الهيكلى للبناء الاقتصــادى ، أو هو فى الأصل وقبل أى شىء آخر ، لحساب الاقتصاد القومى ، ولحساب الاستثمار الذى يسهم فى دعم الاقتصاد القومى • ولا يخذل الاجتهاد الجغرافى هــذا التكليف أبدا ، ولا يتهاون فى اجراء المسح الجغرافى من خلال العمل الميدانى والعمل المكتبى ، حتى يرشد الاختيار ، ويبصر حسن التوطين الصناعى ، على صعيد المساحة المعنية ، وفى اطار شىء كبير من التوازن ودون اخلال تتأذى به البنية الاقتصادية • بل قل لا يفوت الباحث الجغرافى ، حصر المتغيرات الطبيعية والبشرية وقوة فعلها المتجدد والمستمر ، ومبلغ تأثيرها الايجابى والسلبى ، على حسن اختيار موقع توطين الصناعة • واضافة الى ثمرات هذا الاجتهاد الجغرافى التى تقدم بصدق وموضوعية ، لحساب الغير ، يكتسب هذا الاجتهاد مهارات كثيرة ، وتتفتح أمامه أبواب الاضــافة الجيدة ، الى انجازات البحوث الجغرافية ، لحساب الهدف الجغرافى التخصصى الخاص ، فى جغرافية الصناعة •

ومن ثم أخذ علم الجغرافية المعاصرة ، بصرف النظر عن جمــود بعض الجغرافيين ، أو عن تردد وحيرة تشل استجابتهم ـ يواجه مسئولياته ، قبل هذه التكليفات وقبولها ، لحســاب الغير • ولقــد أمسك علم الجغرافيــة المعاصرة ، وهو أشد ايمانا وحرصا على دوره الوظيفى ، بأنه علم وعملى ينبغى أن يخدم حركة الحياة على الأرض ، فى كل مجالات الانجازات التطبيقية ، بزمام الرحلة الجغرافية الميدانية ، وحسن توظيفها فى العمــل لحســاب هذا التكليف • ويبدع الاجتهاد الجغرافى المعاصر ابداعا كبــيرا ومرموقا ، فى الكيفية التى يتسنى بموجبها توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية فى خـدمة أغراض المســح الجغرافى • بل قل أفلح الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، فى تطويع الدراسة الميدانية تطويعا مناســبا ، يشد أزر الباحث الجغرافى ، ويقوى

ويحسن مستوى أدائه العملى ، فى الميدان ، فى هذا التوجه العلمى العملى الجغرافى التطبيقى المفيد .

ولأن التحول العظيم الذى يعلن عنه علم الجغرافية المعاصرة ، ويزج بها فى ميدان العمل الجغرافى العملى التطبيقى ، كان تحولا رشيدا ومتحمسا ومتعقلا ، فلقد كرس ويكرس الاجتهاد الجغرافى اهتماما كبيرا ، بتطويع الرحلة الجغرافية الميدانية ، وبتطوير مباشرة العمل الجغرافى الميدانى . وتنطلق هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، انطلاقا مناسبا فى الاتجاه الصحيح وهى تجاوب أهداف المسح الجغرافى . بل قل انها تطاوع الاجتهاد الجغرافى واسهامه الجيد فى المسح الجغرافى ، سواء وهو يتأتى جانب منه فى أحضان الدراسة المكتبية العلمية البحتة ، أو وهو يتأتى جانب منه أكثر أهمية وأجدى ، فى أحضان الدراسة الميدانية العلمية العملية .

وينبغى أن ندرك كيف يتسبب هذا التطويع ، فى تغيير حقيقى ، فى مهمة الرحلة الجغرافية الميدانية . ولا يفجر هذا التغيير ثورة عارمة ، تقلب أمر الدراسة الميدانية ، وتوجهاتها العملية المثمرة ، رأسا على عقب ، بل قل ان هذا التغيير قد أضاف شيئا جديدا الى التزامات هذه الدراسة فى الميدان . بمعنى أنها تمثل ثورة اضافة ، حيث تبقى الدراسة الميدانية ، لحساب البحث الجغرافى الخاص على ما كانت عليه ، وتتطور الدراسة الميدانية ، لحساب التكليف الجغرافى واقدامه على انجاز المسح الجغرافى . وبمعنى أن هذا التطويع والتطوير قد اصطنع هذا التغيير والتجديد ، الذى يتسبب فى زيادة وتنوع الأعباء ، التى ينبغى أن تتفرغ لها وتقوم بها الرحلة الجغرافية الميدانية .

وتتأتى زيادة هذه الأعباء ، فى شىء كبير من الهدوء . وقل انها تنال فضلا عن ذلك شيئا كثيرا من الترحيب الجغرافى . ولم يتنكر هذا التطويع أو هذا التطوير ، وهو يجدد ويضيف التوجهات الميدانية الجديدة ، أبدا لكل الدروس المستفادة والخبرات المكتسبة ، من توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية ، وأدائها السابق ، لحساب البحث الجغرافى . وما من شك فى ان هذه الخبرات والمكتسبات ، كانت وكأنها القاعدة التى تبتنى عليها الاضافات التى تؤهل المتوجه الجغرافى فى الميدان ، الى انجاز المسح الجغرافى وتكليفاته الكثيرة المتنوعة .

ويمكن القول صراحة ان الجغرافية المعاصرة ، قد ترفقت بالرحلة

الجغرافية الميدانية ، فى شأن ما يستحدثه التغيير فى آداء الدور الوظيفى • ومع ذلك فانها لم تترفق بها أبدا ، فى شأن من شئون التكليف والاستجابة له فى الميدان ، وقت اجراء المسح الجغرافى • بمعنى أن الجغرافية المعاصرة قد تركت أمر الرحلة الجغرافية الميدانية ، من غير أن تستحدث تعديلا مهما من حيث الشكل ، ولكنها استحدثت التغيير الحقيقى ، فيها من حيث المضمون والغاية والهدف • بل قل انها باركت وباشرت التمادى فى تكثيف الدراسة والموضوعية ، عن أبعاد هذا التغيير الذى يستحدث الاضـافة ، ويجسدان مبلغ التطور فى أعباء الدراسة الميدانية الجغرافية المعاصرة •

هذا ، ولقد توجه هذا التغيير الجوهرى فى شأن تطوير وتطويع الرحلة الجغرافية الميدانية ، وفى شأن توظيفهـا التوضيف المناسب فى الدراسـة الميدانية ، لحساب المسح الجغرافى ، فى وجهتين أو فى اتجاهين • والعلاقة بين هاتين الوجهتين علاقة حميمة ، وهما معا يؤهلان الدراسـة الميدانيـة للعمل الجغرافى التطبيقى • بل قل انهما معـا يكشفان بكل الوضـوح والموضوعية عن أبعاد هذا التغيير الذى يستحدث الاضـافة ، ويجسدان مبلغ التطور فى أعباء الدراسة الميدانية المعاصرة •

اعادة النظر فى تشكيل الفريق :

تشجب الجغرافية المعاصرة ، الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى يقـوم بها الباحث الجغرافى منفردا بنفسه فى بعض الأحيان الى الميدان • واذا جاز هـذا المنفرد ، فانه لا يجـوز فى غير الخروج بهـذه الرحلة ، فى الزيارة التفقدية ، بنية التعرف على المسـاحة المعنية فى الميدان • ومن ثم يـكون الاعتراض الذى يسجل تشكك الجغرافية المعاصرة ، فى جدوى نتائج العمل الجغرافى العملى المنفرد ، وتفضل اسناد هذا العمل الى الفريق • ويبتنى رأى الجغرافية المعاصرة فى هذا الاعتراض المبدئى ، على أساس أن الجغرافى الفرد ، مهما أوتى من مهـارات وقدرات وخبرات ، فى اجراء الدراسـة الميدانية ، لا يكون فى وسعه أبدا التصـدى المنفرد ، لانجاز هـذا العمـل الجغرافى العملى فى الميدان • بل تقول انه لا يستطيع أبدا أن ينجز هـذا العمل الميدانى وحده على الوجه الأنسب ، لأنه لا يملك كل أسباب التفتح الجغرافى العام والخاص ، التى يستوجبها انجاز هذا العمل الجغرافى العملى •

وفحوى هذا الاعتراض وجديته ، لم تكن — فى الحقيقة — مفاجئة أو جديدة تماما ، على الساحة الجغرافية العلمية ، بين الجغرافيين المتخصصين • وما من شك فى أن الجغرافية الحديثة ، كانت قد أثارت هذا الاعتراض من

مقبل ، فى شكل تحذير وتخوف • بل قل انها كانت تفضل دائما رحلة الفريق الجغرافى ، على رحلة الفرد الجغرافى ، الى الميدان • كما كانت تحذر من عجز الفرد وهو مستغرق فى التخصص الدقيق ، من حيث القدرة الشاملة على الأداء المناسب ، فى انجاز العمل الجغرافى العملى الميدانى ، وهو شامل لكثير من التخصصات الجغرافية الدقيقة •

أما الاعتراض الجوهرى بالفعل الذى تثيره الجغرافية المعاصرة ، فهو الاعتراض على تشكيل الفريق المعاون وجدوى اشتراك العناصر التى يقع عليها الاختيار فى هذا الفريق ، فى الرحلة الجغرافية الجماعية الميدانية ، الى المساحة المعنية ، فى الميدان • وتطعن الجغرافية المعاصرة فى قدرة وفى كفاءة هذا التشكيل ، الذى يضم الفنيين وحدهم فى صحبة الباحث الجغرافى ، وتشكك فى حسن اقدامه على أداء الدراسة الميدانية ، كما ينبغى أن يكون عليه هذا الآداء • بمعنى أن الفريق الجغرافى فى هذا التشكيل ، يستطيع أن يتعاون فى انجاز العمل الميدانى ، ولكنه لا ينجح الا الى حد محدود فقط• ذلك انه تشكيل ناقص ، يفتقد خبرات بعض المتخصصين من الجغرافيين أحيانا ، وبعض المتخصصين فى تخصصات كثيرة ، تعود الجغرافيين على الاعتماد على نتائج بحوثهم العلمية والعملية ، فى صياغة البحوث الجغرافية•

وفحوى هذا الاعتراض الجاد وجديته ، كانت – فى الواقع – مفاجئة جديدة تماما • وما من شك فى أن هذا الاعتراض ، يطعن فى جدية وحسن آداء أو اجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى • وتحبذ الجغرافية المعاصرة اعادة النظر فى تشكيل الفريق ، لكى يضم عناصر جديدة ، يكون فى وسعها أن تسهم فى انجاز عمل جغرافى عملى ميدانى أفضل • ولم تجد الجغرافية المعاصرة فى ذلك التشكيل حرجا • بل قل انها تقدر خبرة هذه العناصر التى تسدد اجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، دون أن يطعن ذلك فى جدوى عمل الجغرافيين المتخصصين فى هذا التشكيل • ولا يفقد هذا الانضمام الى الفريق الجغرافى ، الباحث الجغرافى المتخصص حق قيادة وتوجيه وتنسيق ، عمل الفريق فى الميدان •

وتحبذ الجغرافية المعاصرة انضمام بعض المتخصصين الجغرافيين ، وبعض المتخصصين فى علوم أخرى الى الفريق المتعاون • ويقع الاختيار فى كل رحلة دراسة ميدانية ، على هذه العناصر من المتخصصين ، تأسيسا على حاجة العمل الجغرافى الميدانى وتوجهاته المتخصصة • ويكون التطلع فى الاختيار ، موجها فى طلب خبرات ومهارات ونتائج رؤية واجتهاد وعمل

المتخصص ، وفى التماس الكيفية التى تدخل بها اسهاماتهم العملية فى بنية أو فى توليفة البحث الجغرافى • بمعنى أن اهتمام الجغرافية المعاصرة بالدراسة الميدانية ، فى مجالات المسح الجغرافى ، يتمادى الى طبيعة تشكيل الفريق واختيار العناصر المتخصصة التى تشترك فيه ضمن كل رحلة عمل جغرافى فى الميدان ، والى طبيعة التعاون العلمى والعملى ، فى آداء هذا العمل الجماعى بكل التنسيق ، حتى تخيم عليه روح الفريق المتعاون ـ وليس المعاون ـ لحساب الدراسة الميدانية الأجدى •

وهكذا تهتم الجغرافية المعاصرة اهتماما من غير حدود ، بأمر توسيع قاعدة الفريق ، فى الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهى تخرج وتعمل لحساب المسح الجغرافى على صعيد المساحة المعنية • وهذا التوسيع يعنى التحول من فكرة الفريق المعاون الذى يضم الفنيين ، الى فكرة الفريق المتعاون ، الذى يضم زمرة أو نخبة من المتخصصين • كما يعنى هذا التوسيع أيضا ، أن يتحلى الباحث الجغرافى ، بقدرة على حسن اختيار عناصر الصحبة من الصفوة المتخصصة ، وبقدرة على قيادة الفريق وحسن توزيع العمل الميدانى عـلى عناصر هذه الصحبة المتخصصة • ومع ذلك ينبغى أن يبقى فى صحبة هذا الفريق جمع من العمال والفنيين لا تستغنى عنهم رحلة الفريق وأداء العمل الجغرافى الميدانى •

وتفضل الجغرافية المعـاصرة ، أن ينضم الى تشـكيل الفريق بعض أصحاب الخبرة العلمية المتخصصة من الجغرافيين ، وبعض أصـحاب الخبرة العلمية المتخصصة من غير الجغرافيين(١) • وصحيح ان اختيار هذه العناصر يقع على عاتق الباحث الجغرافى الذى يقود الفريق ويتولى تنسيق مهام العمل لحساب المسح الجغرافى ، فى الميدان • ولكن الصحيح أيضا ، أن دواعى هذا الاختيار ، تتفاوت من رحلة جغرافية للمسح الجغرافى فى الميدان الى رحلة مسح جغرافى أخرى • وقل ان توجه هـذا المسح الجغرافى وهـو يتناول الاهتمام بظاهرة طبيعية أحيانا أو بظاهرة بشرية أحيانا أخرى ، هو وحده الذى يوجه ويصطنع دواعى هذا الاختيار • بمعنى أن الفريق يضم أحيانا زمرة من المتخصصين فى العلوم الطبيعية لحساب المسح الجغرافى الطبيعى ،

---

(١) يخضع اختيار المتخصص لدواعى يفرضها اتساع دائرة المسح الجغرافى • وهناك ظاهرات جغرافية كثيرة متنوعة طبيعية أو بشرية ، تكون محل اهتمام وعناية هذا المسح الجغرافى، وهى تجاوب حاجة من يطلب هذا المسح الجغرافى للظاهرة الجغرافية المعنية ويترقب نتائجه لحساب حركة الحياة •

ويضم أحيانا أخرى زمرة من المتخصصين فى العلوم الانسانية ، لحساب المسح الجغرافى البشرى • وفى تقدير أو فى رأى الجغرافية المعاصرة ، ان هذه المرونة فى تشكيل الفريق التى تكفل التنوع فى لم شمل عناصره المتخصصة فى صحبة الرحلة الجغرافية الميدانية ، هى الأنسب للدراسة الجغرافية الميدانية ، التى تتولى مهمة المسح الجغرافى الطبيعى أو المسح الجغرافى البشرى ، فى الميدان •

وتعلق الجغرافية المعاصرة أملا كبيرا ، على ما يمكن أن يسفر عنه هذا الانفتاح الحقيقى ، حيث تكون المصلحة فى حسن الأخذ والعطاء بين الصفوة المنتخبة من المتخصصين الجغرافيين وغير الجغرافيين ، وحيث تهيمن أو تسود وتسيطر روح الفريق وتوفر المناخ المناسب لانجاز العمل الجغرافى العملى ، لحساب المسح الجغرافى فى الميدان • وفوق ذلك كله ، تدرك الجغرافية المعاصرة قيمة التفتح الجغرافى ، وتثق فى أن نجاح عمل هذا الفريق غير المتجانس ، يظل معلقا ، على شرط حيوى فى مجالات الرصد السليم للرؤية الجغرافية لموضوع المسح الجغرافى للظاهرة المعنية فى الميدان • ويستوجب هذا الشرط الحيوى تفتح قنوات الاتصال وحسن الأخذ والعطاء والعمل المتعاون ، الى الحد الذى يسدد التعاون العملى ، فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى الأنسب والأجدى ، لحساب المسح الجغرافى •

ونود أن نلفت الانتباه الى أن توجه الجغرافية المعاصرة الى توسيع قاعدة تشكيل الفريق ، قد ابتنى على اضافة نخبة من الباحثين المتخصصين من الجغرافيين ومن غير الجغرافيين ، حسب حاجة المسح الجغرافى فى صحبة الرحلة الجغرافية الميدانية ، ولم يعترض فى نفس الوقت على من تصطحبهم الرحلة الجغرافية من الفنيين والمساعدين العلميين والعمال وغيرهم ممن تعودت الرحلة على طلب خدماتهم فى الميدان • بمعنى أن اعادة التشكيل لم يستبعد أعضاء الفريق المعاون ، بل أبقى عليهم فى التشكيل ، لأن الجغرافية المعاصرة لا تنكر مبلغ الحاجة الى خدماتهم فى تنفيذ العمل الميدانى •

وفى اطار هذا الاهتمام الرشيد بالرحلة الجغرافية الميدانية ، والاهتمام بتشكيل الفريق العلمى المتعاون ، تهتم الجغرافية المعاصرة أيضا ، بوضع أو بصياغة أو باعداد خطة العمل الميدانى المناسبة اهتماما كبيرا • كما تعتنى فى هذا الاعداد بشىء مناسب من التفتح الجغرافى ، لكى تحتوى الخطة الموضوعة ، وتنسق جيدا ، بين برامج التنفيذ العملى فى الميدان • كما تلتمس الجغرافية المعاصرة من هذه الخطة الموضوعة لحساب المسح الجغرافى •

فى كل مرة على انفراد ، حسن وكفاءة التنسيق بين اجتهادات أعضاء الفريق المتعاون أثناء العمل الميدانى ، أكثر من أى شىء • كما تطلب من الخطة الموضوعة أيضا تغطية الدراسة الميدانية ، فى ربوع المساحة المعنيه تغطية شاملة ومتوازنة ، وهى تجاوب حاجة المسح الجغرافى •

والاعتقاد الصحيح الراسخ فى الجغرافية المعاصرة ، ان حسن آداء المهمة كما ينبغى أن يتولى أمرها الفريق المتعاون ، وان حسن انجاز الدراسة الميدانية الأنسب ، كما يتطلع اليهـا الاجتهاد الجغرافى ، لحساب المسح الجغرافى ، يبتنى على أمرين هامين • ويتمثل هذان الأمران الجوهريان فى :

١ ـ حسن الاعداد والتجهيز الجيد ، للرحلة الجغرافية الميدانية التى نخرج لحساب المسح الجغرافى فى الميدان ، سواء تمثل هذا الاعداد ، فى شأن تشكيل الفريق المتعاون تشكيلا مناسبا ، أو تمثل فى شأن اختيار الأدوات والأجهزة والمعدات فى صحبة الفريق ، اختيارا سليما ، أو تمثل فى شأن وضع خطة عمل وانجازات العمل الجغرافى وضعا متوازنا •

٢ ـ الالتزام الجماعى المتفتح الذى يتحلى بروح الفريق فى الميدان ، ومتابعة العمل الجغرافى الميدانى وحسن تنفيذه ، وفقا لمقررات وسياق البرامج التفصيلية ، التزاما يشد أزر التحرك ويسدد الخطوات ويحسن توجهات الانجاز العملى لحساب المسح الجغرافى ، فى الميدان •

ولأن العمل الجغرافى الجماعى ، لحساب المسح الجغرافى فى الميدان ، هو مطلب عزيز من مطالب الجغرافية المعاصرة ، بكل ما يصبو اليه تجويد البحث ، فان تكليف الرحلة الجغرافية الميدانية ، ينبغى أن يجاوب هذا الطلب العزيز • ومن ثم يكون اسناد العمل الميدانى ، الى خبرة المتخصصين ، فى اطار التعاون الوثيق بينهم وبين الجغرافيين ، حتى يتسنى انجاز العمل الميدانى الأفضل • وتوجه الجغرافية المعاصرة على هذا النحو ، لا يعنى أكثر من تحرى العمل الميدانى الأفضل والأنسب والأكثر عمقا وتعبيرا ، لحساب المسح الجغرافى ، كما لا يعنى أيضا أهم من تجويد العمل الميدانى ، الذى تتفرغ له الخبرات والمهارات المتخصصة ، ضمن تشكيل الفريق •

ولأن العمل الجغرافى الجماعى ، لحساب المسح الجغرافى فى الميدان ، هو انجاز مطلوب لحساب علم الجغرافية المعاصرة ، بكل ما تصبو اليه من تجويد العمل والانجاز ، فان تنفيذ هذا العمل الجغرافى الميدانى لحساب

المسح الجغرافى ، يستوجب قيادة مسئولة عن الرحلة الجغرافية الميدانية ٠ وتوكل الى هذه القيادة مسئوليات متابعة الأداء وترشيد التنفيذ ، والالتزام بالبرامج الواردة فى خطة العمل الميدانى ٠ وتضع الجغرافية المعاصرة الباحث الجغرافى المتخصص ، فى موقع القيادة ، وتعهد اليه بأعباء قيـــادة فريق العمل الجغرافى الجماعى فى الميدان ، لحساب المسح الجغرافى ٠ وتعليق هذه القيادة أمانة فى عنق الباحث الجغرافى ، لا يمثـــل تشريفـا يستحقه أو لا يستحقه ، ولكنه يعنى مسئولية وتكليف عزيز ، لأنه هـــو الذى يعرف جيدا المطلوب من العمل الميدانى وكيفية صياغته فى نسيج العمل النهائى الذى يجسد موضوعية ووضوح وحسن بيان المسح الجغرافى ٠

وترى الجغرافية المعاصرة أن اسناد القيـــادة الى الباحث الجغرافى ، مسئولية لا تنشأ من فراغ أبدا ٠ وقل ان هذا التسليم الذى يكلف أكثر مما يشرف ، هو مسئولية صحبة وأمانة غالية ٠ ولا يتأتى هذا الاسناد الا تأسيسا على ما يمتلكه الباحث الجغرافى من خبرات ومهارات فى :

١ ـ حسن تنسيق العمل الجغرافى الجمـــاعى الميدانى ، على صـعيد المساحة المعنية ، وحسن متابعة سياق ومراحل تنفيذ خطة العمل وضبط الانتشار فى أنحاء متفرقة من الميدان ٠

٢ ـ حسن تقويم جدوى هذا العمل الجغرافى الجمـــاعى الميدانى ، ومتابعة انجازات التقدم العملى التنفيذى وجمع المعلومات الخام من مواقـــع العمل المنتخبة بعناية على صعيد المساحة المعنية ٠

٣ ـ حسن الاستعداد والتحلى بالقدرات المناسبة فى مجالات التحليل والتركيب ، التى يعتمد عليها فى صياغة التوليفة الجغرافية من نتائج العمل الميدانى ونتائج العمل المكتبى ، لبيان ووضوح الرؤية الجغرافية لحســاب المسح الجغرافى ٠

وترى الجغرافية المعاصرة ، ضرورة استمرار الخبرة العامية الجغرافيـة التى يتمتع بها الباحث الجغرافى ، فى تحمل أمانة القيادة ومسئوليات العمل الاشرافى المباشر ، بعد عودة الرحلة الجغرافية الميدانية من الميدان ٠ وهـذا معناه أن الباحث الجغرافى لا يتخفف أو لا ينفض يديه من هـذه القيـــادة الجغرافية الاشرافية حتى يفرغ تماما من حسن اعـــداد المسح الجغرافى ٠ ومعناه أيضا أن القيادة الجغرافية على رأس الفريق المتعاون ، ليست قيـادة مؤقتة فى رحلة عمل جغرافى ، مسئولة عن متابعة وتنفيذ العمل الجغرافى

الميدانى فى المساحة المعنية ، لحساب المسح الجغرافى فقط ، بل قل انهـا قيادة اشراف وانجاز وحسن توظيف المهارات الجغرافية فى مجالات الجمع الحصيف بين التركيب والتحليل ، فى وقت واحد ، فى خدمة الانجاز العلمى الجغرافى ، الذى يستوجبه المسح الجغرافى .

وبناء على هذا الاستمرار ، يكون التفرغ الجغرافى ، حتى يتولى الباحث الجغرافى ، أمر الاخـــراج العلمى المنسق ، الذى يعرف كيف ينجز البحث الجغرافى ، لحساب المسح الجغرافى المطلوب ، فى التوليفة الجغرافية الجيدة ، وهى تجسد العمل الجغرافى العمـــلى ، وتخلطه خلطا متسقا مع العمـل الجغرافى المكتبى ، ثم تستخلص منه الاضافة الحسنة . وما من شك فى أن المهارة فى صياغة الحبكة الجغرافية فى المكان ، وفى حسن الانسياب الرتيب فى السياق ، وفى تجـويد العرض الجغرافى الموضـوعى لحسـاب المسح الجغرافى ، كلها أمور لا تخدمها ولا تفلح فى حسن صنعها أبدا ، غير الخبرة الجغرافية فى التركيب . وقد تستحق هذه المهارة أن تنال الثناء ، وهـو الذى لا ينبغى أن يحرم الشركاء الذين يتعاونون مع الباحث الجغرافى فى حقل الدراسة الميدانية ، من حقهم الثابت من هذا الثناء ، عند الانتهاء من هذا المسح الجغرافى .

اعادة النظر فى خطة وأسلوب العمل الجغرافى الميدانى :

هذا هو التوجه الآخر ، الذى يتحرى به علم الجغرافية المعـاصرة ، التغيير المناسب ، حتى يتسنى اجراء العمـــل الميدانى فى خدمة الهـــدف التطبيقى . ويبدو هذا التغيير ، تغييرا جذريا هادفا . وصحيح ان هـــذا التغيير يكون ضروريا ، حتى يطـــوع الرحلة الجغرافية الميدانية تطويعـا مناسبا ، يطاوع ارادة وجوهر هذا التغيير وتوجهاته التطبيقية الهـادفة . ولكن الصحيح أيضا ، أن دواعى هذا التغيير لم تحمل الرحلة الجغرافيـة أعباء وتبعات ، غير ما يتعلق باعادة النظر فى خطة وأسلوب العمل الجغرافى الميدانى ، فى ظل التوجهات الجغرافية التطبيقية .

وهذا معناه ، أولا وقبـــل كل شىء ، أن نصيب أو حصـــة الرحلة الجغرافية الميدانية الفعلى من هذا التغيير ، منصب كله على خطة تنظيم وتنفيذ العمل الجغرافى الميدانى ، واجراء التجارب الميدانية الواجبة ، وجمع شـمل البيانات والمـادة الجغرافية ، وحسن اعداد وصياغة الاستبيانات ، أكثر من أى شىء آخر . وما من شك ، فى أن الأخذ بهذا التغيير والاستجابة لدواعى التغيير فى الميدان ، لا يعنى أصلا سوى انصياع الرحلة الجغرافية الميدانية

واستجابة توظيفها الميدانى ، لفلسفة ومنطق ومغزى ومرمى الجغرافية المعاصرة . ومثل هذا الانصياع ، لا يعنى أقل ولا أكثر ، من الاستجابة لدواعى التغيير الذى يبتغى التجديد والتحول الحقيقى الى الهدف الجغرافى التطبيقى .

ومعروف أن بحوث المسح الجغرافى ، كان فى وسعها أن تحقق الأهداف ، وأن تبتنى الانجازات ، وأن تسجل الاضافات ، فى الماضى كما أراد لها علم الجغرافية الحديثة ، على ثلاثة ركائز أساسية . ولقد تمثلت هذه الركائز فى التوزيع والتحليل والربط . وكان أقصى ما يلتمسه الباحث الجغرافى ، هو استخلاص النتائج وتسجيل الاضافة ، بناء على حسن الأداء والاجادة ، فى توزيع الظاهرة المعنية ، ثم فى تعليل هذا التوزيع ، وأخيرا فى تقصى الربط الذى يلتمس تداخلها الموضوعى ، فى صلب توليفة الواقع الجغرافى الطبيعى أو البشرى . وكانت الدراسة الميدانية آنذاك ، لا تخذل الباحث الجغرافى ، فى شأن هذا التوجه الهادف . بل قل انها كانت تسعف وضوح رؤية الباحث الجغرافى للظاهرة الجغرافية المعنية فى المكان ، حتى يتوقف عند المعطيات التى كانت تجاوب هذا الهدف ولا تزيد عليه شيئا آخر .

ومعروف أيضا ان فلسفة ومنطق وتوجهات الجغرافية المعاصرة ، قد تطورت تطورا استوجب تجاوز هذه الوقفة عند حد هذا الهدف . وقل انها عرفت كيف ترفض هذا التوقف ، عندما أصبح فى وسعها أن تشجب هذا التوقف وتعترض عليه لانه لا يعنى أقل من افتقاد الجدوى فى نتائج هذا الانجاز الجغرافى . وافتقاد الجدوى الجغرافية فى نتائج البحث الجغرافى ، لحساب المسح الجغرافى على وجه الخصوص ، معناه افتقاد الغاية من حسن الانتفاع بها انتفاعا حقيقيا ، لحساب حركة الحياة التى تحيا وتتعايش ، وهى تضبط وتنضبط ، فى أحضان الواقع الجغرافى .

ولكى يتجاوز الاجتهاد الجغرافى العلمى حد التوقف عند هذا الهدف ، ولا يكون البحث الجغرافى لحساب المسح الجغرافى قاصرا وهو يفتقد جدواه ، تضيف الجغرافية المعاصرة ، ركيزة جديدة رابعة الى ركائز البحث الجغرافى المعمول بها ، وهى **التوزيع والتعليل والربط** . وتمثلت هذه الاضافة فى **التقويم الجغرافى** . وبموجب التقويم الجغرافى يتمادى البحث الجغرافى فى حساب جدوى الظاهرة الجغرافية المعنية ، لحساب المسح الجغرافى الأفضل . ولا يتأتى هذا التقويم الجغرافى الا تأسيسا على معايير وحسابات كثيرة ،

يحصرها العمل الجغرافى من خلال الدراسة الميدانية ، وهى تقدر مصلحة الانسان بصفة خاصة ، فى اطار هذا المسح الجغرافى ٠

وهذا التوجه الجغرافى المعاصر المجدد لفاعلية وجدوى الاجتهاد الجغرافى ، فى المسح الجغرافى ، الذى أقدمت عليه البحوث الجغرافية ، واستجابت فيه وبه لحاجة حركة الحياة ، يحمل العمل الجغرافى العملى الميدانى، تبعات جديدة ، وأعباء كبيرة ٠ وتتمثل هذه التبعات والأعباء ، والباحث الجغرافى ، أهل لها ، فى اجراء أو فى تنفيذ برامج العمل الجغرافى الميدانى تنفيذا جيدا ٠ ويسعف هذا التنفيذ الذى يشارك فيه كل أعضاء الفريق من المتخصصين ، اهتمام الباحث الجغرافى ، فى نهاية المطاف ، بحسن تقويم الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى اطار تداخلها فى النسيج الجغرافى الطبيعى أحيانا أو فى النسيج الجغرافى البشرى أحيانا أخرى ، أو فيهما معا ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان ٠

ويستوجب هذا التوجه الجغرافى المعاصر ، الذى يعمل فى مجال المسح الجغرافى ، لحساب حركة الحياة ، وضع الخطة العماية ، لضبط وحسن تنظيم وتنفيذ العمل الجغرافى العملى الميدانى ٠ ويبقى الاجتهاد الجغرافى دائما فى حاجة الى رحلة زيارة جغرافية ، تعاين المساحة المعنية على صعيد الميدان ٠ وقد يحتاج الأمر اشراك واحد من أولئك الذين يهمهم أمر هذا المسح الجغرافى ، فيذهب فى صحبة الباحث الجغرافى لاتمام هذه الزيارة ٠ وتكفل هذه الزيارة شيئا مهما من حسن الاحاطة والتعرف على الواقع الجغرافى فى الميدان ٠ وتبصر هذه الاحاطة وهذا التعرف الجغرافى المباشر على الواقع الجغرافى فى المساحة المعنية ، الاقدام الجغرافى على وضع الخطة العملية ، وصياغة حبكتها ، لحساب المسح الجغرافى ، فى المكان والزمان ٠

وينفرد الباحث الجغرافى — فى العادة — بوضع هذه الخطة العملية ، وصياغة حبكتها ٠ ومع ذلك فلا يمتنع الباحث الجغرافى أبدا عن استشارة بعض أعضاء الفريق من غير الجغرافيين ، فى شأن من شئون وضع هذه الخطة ، التى تحدد اطار العمل العملى أو تبرمج تفاصيل هذا العمل ، أو تنظم وترتب سياق تنفيذ هذا العمل ، فى الميدان ٠ ويراعى فى جميع الأحوال أن توضع الخطة المناسبة ، التى توجه العمل الجغرافى الميدانى ، فى الوجهة التى تخدم الغرض النهائى من المسح الجغرافى ٠ بمعنى أن يستشعر الباحث الجغرافى تجهيز برامج العمل الجغرافى ، وتنفيذها تنفيذا مناسبا يلتمس النتائج ذات القيمة التطبيقية ، حتى تجاوب الغرض النهائى، وهو مطلوب بعناية لحساب حركة الحياة ٠

ويدرك الاجتهـاد الجغرافى جيدا قيمة هذه الخطة ، فى انجاز المسـح الجغرافى • كما يدرك هذا الاجتهاد الجغرافى أن وضع تفاصيل برامج العمل، ووضع الاطار العـام الذى يحتوى هذه التفاصيل ويكفل الحبـكة فى المكان والزمان ، يختلف باختلاف المكان والزمان من ناحية ، وباختلاف الظاهرة الجغرافية المعنيـة ومسـحها الجغرافى من ناحية أخرى • وهـذا معنـاه انه لا اتفاق على خطة عمـل نموذجية ، يجرى العمل الجغرافى بموجبها ، فى كل مرة ، أو فى كل مسـاحة معنية ، لحساب المسـح الجغرافى • ومن ثم يكون المسـح الجغرافى لكل ظاهرة جغرافية معنية ، فى كل مكان ، وفى كل زمان ، خطة عمل خاصة ومتخصصة •

وخطة العمل الجغرافى الميدانى ، لحساب المسح الجغرافى عن استخدام الأرض فى الانتاج ، تكون غير خطة العمل الجغرافى الميدانى للمسح الجغرافى عن استخدام الأرض فى السكن أو فى توفير الخدمات والمرافق • وينبغى أن ينال البـاحث الجغرافى ما يكسـبه المهارة والخبرة فى حسن صـياغة واعداد هذه الخطة لحساب المسـح الجغرافى • وقل ينبغى أن يدخل فى صميم التجربة العملية ، لكى يجنى ثمرات الدروس المستفادة من التدريب العملى • بل قل ينبغى أن تتكرر هذه التجارب فى الميدان ، حتى يكتسب الباحث الجغرافى مهارات تناسب الاختلاف والتفاوت ، بين خطط العمل الجغرافى الخاصـة والمتخصصة عن المسح الجغرافى •

وصـحيح ان خطة العمل الجغرافى الميدانى لحساب المسـح الجغرافى ، تتعقب ظاهرة جغرافية معنية ، وتضبط وتنظم الدراسـة الميدانية عنها ، على صعيد المسـاحة المعنية فى الميدان • ولكن الصـحيح بعد ذلك ، هو وضع الخطة التى لا تقطع الصلة بين هذه الظاهرة الجغرافية المعنية حتى تفصلها فصـلا متعنتا عن انتمائها الى التركيب الهيـكلى للواقع الجغرافى فى المكان والزمان • وهذا عين ما يعنى تجنب تجريد الظـاهرة الجغرافية المعنية من علاقتها بالظاهرات الجغرافية الأخرى ، أو من التأثير المتبادل بينها وبين كل الظاهرات الجغرافية المتنوعة ، التى تشترك معها فى صلب توليفة التركيب الهيكلى للواقع الجغرافى • وقل ينبغى أن تكون خطة العمل الجغرافى الميدانى، لحساب المسـح الجغرافى ، فى الحبـكة التى لا تقطع الصلة ، أو التى لا تجرد الظاهرة المعنية من انتمائها الى توليفة الواقع الجغرافى • بل قل ينبغى أن تحسب هذه الخطة جيـدا ، حسـاب قوة فعل المتغيرات ، وحسـاب مبلـغ الاستجابة لهذه المتغيرات ، حتى لا يتسم المسـح الجغرافى بشىء من الجمود •

وفى اطــار خطة العمل الجغرافى الميدانى ، وما تنطوى عليه من برامج عملية لحســاب المســح الجغرافى ، تكون العناية ، بصــياغة الاستفســارات والأســئلة التى يجاوب تنفيــذ هذه البرامج العملية فى الميــدان عليها ٠ ويمتلك البــاحث الجغرافى الخبرة والمهــارة ، التى تؤهله بالفعــل لاعــداد الاستبيان وتبويب الأســئلة تبويبا منســقا وكاشفا عن الاجابة ، وحتى لا يمتنع أو لا يتهرب المسئول من السائل ٠ كما يمتلك البــاحث الجغــرافى وشركــائه من المتخصصين ، حسن توجيه الأســئلة ، لكى يجــاوب عليها الانسان ، أو لكى تجاوب عليها عناصر ومدركات جغرافية طبيعية ، وحسن الاســتماع الى هذه الاجابات واستشــعار الصدق أو عدم الصدق فى هذه الاجابات المباشرة أحيانا أو غير المباشرة أحيانا أخرى ٠

هــذا ، وفى الوقت الذى تبصر فيه الزيارة ، وخروج الرحلة الجغرافية الى الميدان ، وضع واعداد خطــة العمل الجغرافى العملى الميدانى لحساب المسح الجغرافى ، تبصر الدراســة المكتبية أيضــا هذا الاعداد ٠ وينفرد البــاحث الجغرافى بهذه المهمة ، ولا يشرك معه أحــدا ٠ وتمثل الدراسة المكتبية شيئا جوهريا فى الاحاطة الجغرافية بالمســاحة المعنية على صعيد الميدان ٠ وقل انها لا تبصر البــاحث الجغرافى بأوضــاع الظــاهرة الجغرافية موضــوع المســح الجغرافى المرتقب فقط ، بل انها تسعف الاعداد والتخطيط لاجراء الدراسة الميدانية المناسبة لهذا المســح الجغرافى ٠ بل قل ان سعة الاطلاع التى تكفلها هذه الدراســة المكتبية ، توفر بعض المــادة الجغرافية العلمية ، التى تصــبح رصــيدا من البيانات والمعلومات ، يتعين اضــافته الى رصــيد الدراســة الميدانية عن المســح الجغرافى للظاهرة الجغرافية المعنية ٠

ويصــل الاعداد لخروج الرحلة الجغرافية الميدانية فى نهاية المطاف ، الى مرحلة تجهيز وتوفير الأدوات والأجهزة والمعدات ، التى ينبغى أن تكون فى صــحبة هذه الرحلة الى الميدان ٠ ولا ينفرد البــاحث الجغرافى وحده بهذا التجهيز بل ينبغى أن يشرك معه مجموعة المتخصصين الذين يشاركونه فى هذا الخروج الى الميــدان ٠ ويقترن اختيــار الأجهزة والأدوات والمعدات التى تستخدم استخداما عمليا فى اجراء الدراسة الميدانية ، باختيار الأعضاء من أصحاب المهارات الفنية فى استخدام وتشغيل هذه الأجهزة ٠ واضافة الى هذا الاختيار كله ، يتعين اعداد وتجهيز لوازم ومعدات متنوعة ، تخدم وصول الرحلة الجغرافية وتحركاتها حسب الخطة الموضوعة فى أنحاء المســاحة المعنية وتوفر حاجة الاقامة على المــدى الزمنى المناسب لاجراء الدراسة العملية فى

الميدان • كما يتعين اضـافة بعض عمال الخدمة ، لكى يسـهروا على تلبية احتياجات الفريق ، أثناء العمل والوجود فى الميدان •

ويكون تشـكيل الفريق على هذا النحو تشكيلا مناسبا ، وهو يعتمد على حسن اختيار المهارات والخبرات الأنسب • وفضلا عن البـاحث الجغرافى ومعاونيه من المتخصصين الجغرافيين ، يضم هذا الفريق :

١ ـ نخبة من المتخصصين العلميين فى العلوم الطبيعية • وفى العلوم الانسانية •

٢ ـ جمـاعة منتخبة من الفنيين والمساعدين العاميين •

٣ ـ مجموعة من العمال المسئولين عن تأمين الخدمات للفريق •

بعد الانتهـاء من هذه الاستعدادات ، تتأهل الرحلة الجغرافية التأهيل الأنسب ، للخروج الى المسـاحة المعنية ، حيث تجرى فى الميدان الدراسـة الميدانية ، لحساب المسـح الجغرافى • ومع ذلك فينبغى أن ندرك جيـدا ، كيف نميز بين خروج الرحلة الجغرافية لحساب المسـح الجغرافى ، فى المساحة المعنية التى تزخر بحركة الحياة ، وهى مأهولة بالناس ، وتشهد ما يجرى على ظهر الأرض من علاقة حميمة بين الطبيعة وخواص الأرض ، والانسـان ووسـائله وقدراته وخبراته ومسـتويات انتفاعه بهذه العـلاقة فى المكان والزمان ، أحيانا ، وخروج الرحلة الجغرافية لحساب المسـح الجغرافى ، فى المساحة المعنية الفارغة التى لا تنبض الا بأقل القليل من الحياة ، وهى غير مأهولة ، وتفتقد فيها وجود الانسان وجودا مستمرا ، وعنصرا فعالا تغيب بغيابه العلاقة الحميمة مع الأرض وخواصها الطبيعية أحيانا أخرى • ومن ثم نفهم مبلغ الاختلاف الحقيقى ، بين رحلة مسح جغرافى على صعيد المساحة المعنية المأهولة ، ورحلة مسح جغرافى على صعيد المساحة المعنية غير المأهولة •

وبنـاء على الفرق الكبير ، بين هاتين المساحتين ، المأهولة وهى تزخر بحضور حركة الحياة ، وغير المأهولة وهى تجسد معنى غياب حركة الحيـاة ، تختلف توجهات الرحلة الجغرافية لحساب المسـح الجغرافى فى كل منهما • وتتمثل الاختلافات فى هذه التوجهات فى :

١ ـ فرص المسـح الجغرافى ومطالب هذا المسـح على صعيد المساحة المعنية المأهولة ، تكون أكبر بكثير من فرص هذا المسـح الجغرافى ، على صعيد المسـاحة المعنية غير المأهولة • ذلك ان غياب الانسان ، يخفف عن الرحلة

الجغرافية أعباء المسح الجغرافى للظاهرات الجغرافية البشرية . وقل انها تتحمل فى حالة غياب الانسان ، أعباء المسح الجغرافى للظاهرات الجغرافية الطبيعية فقط . ومع ذلك لا يقلل ذلك من المسئولية أبدا ، لأن هذا المسح الجغرافى الطبيعى ، لا يكون من غير غاية أبدا . وقل ان هذا المسح الجغرافى الطبيعى على صعيد المساحة المعنية غير المأهولة ، انما يكون من أجل التجهيز لقدوم الانسان اليها ، حتى تنشأ العلاقة بينه وبين الأرض على أسس سليمة ، يوفرها المسح الجغرافى الطبيعى . بل قل فى النهاية ، ان المسح الجغرافى للظاهرة الجغرافية على صعيد المساحة المعنية المأهولة ، يخدم حركة الحياة الموجودة بالفعل ، ويسعف تحسين أوضاعها وتزويد قدرة الانسان بوضوح جغرافى من أجل تعامل أفضل مع الأرض ، وان المسح الجغرافى للظاهرة الجغرافية ، على صعيد المساحة غير المأهولة ، يوفر الوضوح الجغرافى الذى يسبق بالضرورة ، التجهيز المناسب لقدوم الانسان اليها وغرس جذور حركة الحياة فيها .

٢ - مسئولية المسح الجغرافى على صعيد المساحة المعنية غير المأهولة ، تستوجب فى الغالب ، ضمان الاستمرار فى الميدان . بمعنى ان اجراء الدراسة الميدانية ، ينبغى أن يتم على المدى الزمنى المناسب ، فى الميدان ، دفعة واحدة، وليس على دفعات. بل ربما يكون المطلوب من الفريق العناية والاهتمام باجراء الدراسة الميدانية وعدم التفريط فى شىء ، حتى تتجنب هذه الدراسة الحاجة الى عودة فى وقت لاحق من أجل استيفاء بعض أوجه النقص ، من الميدان . والاستمرار فى الميدان ، يعنى توفير فرص الاقامة والحضور المستمر ، على صعيد المساحة غير المأهولة ، فى معسكر عمل جغرافى دائم . اما مسئولية المسح الجغرافى على صعيد المساحة المعنية المأهولة ، فلا تستوجب الاستمرار فى الميدان وقد يتوفر لها محل الاقامة ، فى الميدان ، والرحلة الجغرافية تذهب اليه وتعود منه يوميا أو على فترات زمنية متقطعة .

خروج الرحلة الجغرافية والعمل الجغرافى الميدانى :

خروج هذه الرحلة الجغرافية ، فى الوقت المناسب ، بعد تمام الاستعداد الميدانية ، يعنى التوجه الجغرافى الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، والتجهيز ووضع تفاصيل العمل الجغرافى فى الاطار الحاكم لخطة للدراسة وقل انها رحلة العمل الجغرافى العملى ، لحساب المسح الجغرافى ، وجمع المادة العلمية الخام ، عن الظاهرة المعنية ، من أنحاء الميدان . وقل أيضا انها تمثل جولات التعامل العلمى والعملى المباشر ، مع الظاهرة الجغرافية

المعنية ، وهى جزء من كل شامل يجمع أوصال الواقع الجغرافى • وفى مواجهة هذه الظاهرة الجغرافية المعنية ، سواء كانت طبيعية أو كانت بشرية ، ينبغي أن يتزود فريق العمل الجغرافى فى الميدان ، بأكبر قدر مناسب من الحس الجغرافى الذكى ، والادراك الجغرافى السليم ، والتفكير الجغرافى المتفتح • بل قل بعد ذلك كله ، انها الرحلة الجغرافية الأساسية الخاصة والمتخصصة ، وهى مسئولة مسئولية كاملة عن العمل الجغرافى الميدانى، لحساب المسح الجغرافى الطبيعى أحيانا أو المسح الجغرافى البشرى أحيانا أخرى ، فى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية •

ومن شأن رحلة المسح الجغرافى ، الذى يغطى المساحة المعنية ، وهى مسئولية الباحث الجغرافى وفى صحبته الفريق المتعاون ، أن تعرف جيدا ، لماذا تبدأ ، ومتى تذهب الى المساحة المعنية ، وكيف تعمل وتتعقب الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى الميدان • وهى لا تذهب الى الميدان بالفعل ، الا فى الوقت المناسب • ومن شأن هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، أن تبقى فى المساحة المعنية حتى يتسنى لها انجاز العمل الجغرافى الميدانى حسب الخطة الموضوعة • ويستوى فى ذلك أن تأخذ بمبدأ الذهاب والعودة أحيانا ، أو أن تأخذ بمبدأ الاقامة المستمرة فى الميدان ، الى حين الانتهاء من العمل •

والباحث الجغرافى المسئول عن رحلة المسح الجغرافى ، يكون هو وحده صاحب القرار ، فى الذهاب الى الميدان ، وفى العودة منه ، بل قل يكون له حق الاختيار ، فى الذهاب والاستمرار على مدى الفترة الزمنية المناسبة لاجراء الدراسة الميدانية مع شركائه دفعة واحدة ، أو فى الذهاب اليومى والعودة ، على مرات متكررة لاجراء الدراسة الميدانية على دفعات • وخطة العمل الجغرافى العملى ، المعمول بها ، هى التى تعلن عن دواعى وموجبات توجه هذا الاختيار •

والعمل الجغرافى العملى الميدانى ، فى هذه المرحلة الأساسية من مراحل انجاز المسح الجغرافى ، هو الذى يجسد معنى التعامل الحقيقى مع الواقع الجغرافى فى الميدان ، والظاهرة الجغرافية المعنية • وينبغى التفرغ له حسب اختيار الباحث الجغرافى ، وجدولة مراحل العمل فى الخطة المعمول بها ، ويستحق :

١ ـ فى بعض الحالات تكون اقامة فريق العمل ، فى معسكر خاص ، يقام فى الميدان • وينبغى أن يقام هذا المعسكر ، فى موقع منتخب مناسب ،

أو في عدة مواقع منتخبة ، يقع عليها الاختيار أثناء رحلة الزيارة التفقدية للميدان . ومن هذا المعسكر ، يباشر الباحث الجغرافي وشركائه في فريق العمل الجغرافي العملي في أنحاء الميدان . وتكون هذه الاقامة في المعسكر ، ومباشرة العمل ، دائمة ، حيث يفتقد الفريق في المساحة المعنية ، فرص الاقامة الأخرى ، أو فرص الحضور المؤقت في مستوطنة من المستوطنات المناسبة في أنحاء المساحة المعنية ، لاجراء الدراسة الميدانية .

٢ – وفي بعض الحالات الأخرى ، تكون اقامة الباحث الجغرافي ، ومعه فريق العمل المتعاون ، في مستوطنة مناسبة ، وتنتفي الحاجة الى اقامة المعسكر . ويقع الاختيار على محل هذه الاقامة ، بالاتفاق مع السلطات المحلية أثناء قيام الباحث الجغرافي ، برحلة الزيارة التفقدية الى الميدان . ومن هذه المستوطنة أو من محل هذه الاقامة ، يباشر الباحث الجغرافي ومعاونوه العمل الجغرافي في الميدان . ومن هذا المحل المختار بعناية ، تخرج رحلات العمل الجغرافي اليومي . وتتحرك هذه الرحلات الى مواقع العمل ، في أنحاء أو في ربوع الميدان ، تحركا متفقا عليه ، لانجاز تكليفات كل عضو من أعضاء الفريق ، حسب خطة العمل اليومية المعمول بها .

ومن غير تمييز حقيقي ، بين شكل حضور الفريق المتعاون المستمر لفترة زمنية محددة ، وشكل حضور نفس هذا الفريق المتقطع على فترات زمنية متعددة ، في الميدان ، يكون التفرغ لأداء أو لانجاز العمل الجغرافي العملي الميداني ، طوع أمر الخطة التي تنظم وتضبط وتنسق المضي التنفيذي والاجتهاد اليومي ، من يوم الى يوم آخر . وينبغي أن تطاوع الرحلة الجغرافية الميدانية اليومية ، وهي تباشر العمل اليومي ، ارادة الانتقال المنضبط ، والتحرك السليم ، والبحث الواعي . بل قل يجب أن تسعف هذه الرحلة الجغرافية الميدانية اليومية ، أعضاء الفريق ، وهم يتفرقون ويفترقون ، حسب نوعية التكليفات الواجبة عليهم ، في أنحاء الميدان .

وهكذا ، يعكف أعضاء الفريق كل فيما يخصه ، على انجاز الواجب اليومي من العمل الجغرافي العملي في الميدان . وتحملهم الرحلة الخاصة الى حيث يتفرغ الواحد منهم ، لاجراء التجربة الجغرافية الميدانية ، أو لاجراء العمل البحثي الذي تستنير به الرؤية الجغرافية ، أو لاجراء الاستبيان الجغرافي ، في أنحاء الميدان . وكيف لا تسعف الرحلة الجغرافية الميدانية اليومية الخاصة ، عمل كل متخصص من أعضاء الفريق ، وتطاوعه ؟ وهو يسأل الأرض أحيانا وترد عليه ، أو وهو يسأل الناس وتجاوبه ، أو وهو

يستفسر من المدركات الجغرافية عن الحقيقة التى تتحقق بموجبها أهداف المسح الجغرافى فى الميدان ٠

وقد تدعو حاجة العمل الجغرافى العملى ، لحساب المسح الجغرافى ، وهو يتناول الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى الميدان ، الى شىء كثير من التأنى الشديد فى اجراء التجربة الميدانية وتوقع النتيجة والاجابة السديدة ، أو الى شىء من التكرار فى مواضع معينة ، والتيقن من النتيجة ٠ وقد تدعو هذه الحاجة أيضا ، وفى بعض الأحيان الأخرى الى وقفات انتظار وترقب وتريث حقيقى ، حتى يتحقق التمعن العميق ، وحسن التأمل والتدبر والتفكير العقلانى ، فى أمر معين ، من أمور العمل الجغرافى العملى الميدانى ٠ ويصدق ذلك على ممارسة الباحث الجغرافى فى اجراء الشق العملى المباشر ، لحساب المسح الجغرافى ، وعلى ممارسة الباحث المتخصص غير الجغرافى ، فى اجراء الشق العملى الآخر غير المباشر ، لحساب نفس المسح الجغرافى ٠ وفى جميع الأحوال والاحتمالات ، لا ينبغى أن ينفض الباحث الجغرافى أو غير الجغرافى ، يديه أبدا من أى عمل ميدانى عملى ، قبل أن يتلمس الجدوى الفعلية من هذا العمل ، ويطمئن على صدق تعبير وحسن بيان نتيجة هذا العمل العملى فى الميدان ٠

ويمضى العمل الميدانى من يوم الى يوم آخر ، وهو على وجهين ، لا تنفصم الصلة بينهما أبدا ٠ وعلى **الوجه الأول** ، يكون العمل الميدانى وهو من اختصاص الباحث الجغرافى ، ويستوجب خبرته ومهارته فى الآداء ٠ وقل ان هذا هو ما يمثل العمل الجغرافى العملى المباشر ، فى الميدان ٠ وعلى **الوجه الآخر** ، يكون العمل الميدانى وهو من اختصاص الباحث العلمى المتعاون ، ويستوجب خبرته ومهارته فى الانجاز ٠ وقل ان هذا هو ما يمثل العمل غير المباشر الذى يشد أزر ويخدم الهدف الجغرافى من التعامل مع المدركات الجغرافية فى الميدان ٠ وتكفل الخطة التنسيق بين العمل المباشر والعمل غير المباشر تنسيقا بديعا ، حتى تتوالى النتائج فى يسر وتكامل حقيقى ، لحساب المسح الجغرافى ٠

ويهم الفريق المتعاون فى العمل المشترك ، لحساب المسح الجغرافى ، أن يخضع التحرك فى أنحاء الميدان ، والتوقف فى مواضع منتخبة هنا أو هناك ، وتوزيع العمل المباشر وغير المباشر ، لخط سير معين متفق عليه ، فى اطار الخطة المعمول بها ، من أجل الانجاز العملى ، لحساب المسح الجغرافى ٠ ومع ذلك يبقى زمام الأمر كله فى قبضة الباحث الجغرافى المتخصص ،

وهو قائد الفريق ، وصاحب المصلحة الحقيقية فى ترسيخ وتأكيد صدق وموضوعية نتائج هذا العمل الميدانى المشترك • بل قل يظل هو المسئول عن خطوات التنفيذ والانجاز ، لحساب المسح الجغرافى • ولا تثريب على هذا الباحث القائد أبدا ، لو أقدم بعد التشاور مع الشركاء فى الفريق ، على تعديل جوهرى أو غير جوهرى فى خطة انجاز العمل الميدانى ، أو لو غير وبدل وجهة العمل الميدانى ، أو لو أحل وسيلة جديدة محل وسيلة أخرى ، فى التنفيذ ، كلما استوجب ذلك كله ، الوصول الى الانجاز العملى الميدانى الجغرافى الأنسب أو الأفضل •

وفى أعقاب كل جولة عمل فى الميدان ، والانتهاء من التكليفات العملية ، ينبغى عقد اجتماع يضم أعضاء الفريق المتعاون ، لمراجعة نتائج هذه الأعمال وانجاز هذه التكليفات • وعندئذ يجب أن يتأتى حسن التنسيق بين محصلة العمل الجماعى ، وأن يحرص الجميع على روح الفريق ، التى ينبغى أن تهيمن عليهم جميعا • ولكن عندما يفترق هذا الجمع المشارك كل باختصاصه ، فى الفريق ، فى أنحاء المساحة المعنية ، يتعين التزام كل متخصص فى موضعه ، وفى صلب اختصاصه العلمى ، التزاما صارما بأداء حصته المعينة من التكليفات من العمل الميدانى ، وهى تتمم بعضها بعضا • وحسن سير العمل الميدانى فى شقه الجغرافى البحت أو فى شقه غير الجغرافى المساعد • وتنسيق النتائج والانجازات المرحلية ، من حين الى حين آخر ، يستوجب عندئذ أمرين هامين ، هما :

١ ـ ألا ينفرد عضو متخصص واحد بأداء العمل العملى الموكل اليه فى الميدان • وينبغى أن يصطحب المتخصص معه الفنى أو المساعد العلمى ، لانجاز العمل • ولا يمكن أن نتصور عملا ميدانيا عمليا ، يقوم به أو ينجزه عضوا واحدا منفردا ، ومن غير أن يلتمس أو أن يطلب أو أن يعمل فى غيبة المعاون له من الفنيين أو من المساعدين العلميين • وهذا محظور لا يبتنى أصلا على انعدام الثقة فى الكفاءة ، أو على التشكيك فى الأداء الفردى وحده • بل قل انه المحظور الذى يتجنب احتمالات عدم قدرة الفرد وحده ، على حسن العمل والانجاز العملى فى الميدان ، والسيطرة على توظيف الأجهزة العاملة المناسبة •

٢ ـ ألا يطول كثيرا مدى افتراق أعضاء الفريق ومنهم الباحث الجغرافى قائد الفريق ، عن بعضهم بعضا ، فى أنحاء الميدان • واجتماع أعضاء الفريق المتعاون ، الذين يفترقون صباحا فى أنحاء الميدان ، فى المساء ،

بعد أن يفرغ كل واحد منهم من آداء تكليفات عمله الخاصة المتخصصة ، يكون اجتماعا مفيدا ومثمرا • وينسق هذا الاجتماع العمل المشترك في اطار الفريق كله ، وفق الخطة المعمول بها من ناحية ، ولتوزيع بعض تكليفات العمل الجغرافي وغير الجغرافي على صعيد المساحة المعنية ، في اليوم التالي • ويكفل هذا الاجتماع أيضا ، المراجعة والاطمئنان ، على معدلات سير العمل وتوجهاته ، وعلى متابعة مبلغ الالتزام الدقيق في تنفيذ خطوات هذا العمل الميداني • وقد يتسع هذا الاجتماع أحيانا ، وقد يتكرر من يوم الى يوم آخر ، من غير ملل ، لتقويم معدلات الانجاز ، أو لتقويم محصلة العمل الميداني ، أو لاعادة توزيع أعباء أعمال مستجدة ، ينبغي القيام بها ، لحساب المسح الجغرافي •

وغاية ما يطلبه الباحث الجغرافي قائد الفريق ، ويشاركه فيه أعضاء هذا الفريق المتعاون في صحبته ، هو أن تسعف هذه الجولات المتكررة المتعددة والمتأنية العمل الميداني ، وأن تبصره الوقفات الهادئة المتكررة ، عندما يجرى العمل الجغرافي المباشر ، وغير الجغرافي المعاون ، في أي موقع من المواقع المنتخبة ، على قدم وساق • والتأني وحسن الآداء والتعامل الهادئ مع المدركات الجغرافية المعنية لحساب المسح الجغرافي ، والتأمل وحسن التنفيذ في أثناء جولات العمل العملي الميداني ، والتقويم والمراجعة وحسن حساب الجدوى أثناء الوقفات المتكررة من حين الى حين آخر ، يمثل التوجه الحميد لانجاز المهمة ، على صعيد الميدان • بل قل ان هذا التوجه هو المناسب ، الذي لا يخذل الهدف الجغرافي أبدا ولا يضلله ، بحثا عن المادة الخام والرؤية الواضحة ، لحساب المسح الجغرافي • كما يخدم هذا التوجه الحميد عناية الباحث الجغرافي ، وهو حريص على تجويد العمل الميداني ، ومسئول في نهاية المطاف عن اعداد الدراسة الكاملة عن موضوع المسح الجغرافي •

ومن خلال هذا العمل الميداني المنظم ، يلتمس الباحث الجغرافي بنفسه ، التفاصيل الجغرافية المتنوعة ، وهو يعاين الرؤية الجغرافية الكلية أحيانا ، أو وهو يتعامل معها بأساليب العمل الجغرافي الميدانية أحيانا أخرى • كما يلتمس هذا الباحث الجغرافي أيضا ، من خلال خبرات ومهارات المتخصصين غير الجغرافيين ، شيئا مهما ، يعمق ويكفل الوضوح الجغرافي للظاهرة الجغرافية المعنية ، لحساب المسح الجغرافي • بل قل ان تعاون المتخصصين مع الباحث الجغرافي ، يكون مثمرا ومفيدا ، عندما يحلل الظاهرة الجغرافية المعنية ، تحليلا كاشفا لأوضاعها الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، في التوليفة الجغرافية الكلية ، على صعيد المساحة المعنية في الميدان •

هكذا ، يوغل البحث عمقا ، مع تعميق العمل الجغرافى الميدانى ؛ ثم يزداد هذا البحث صدقا ، لحساب المسح الجغرافى ، من خلال اسهام المتخصصين فى الدراسة الميدانية ، المتعاون مع الاجتهاد الجغرافى • ويكفل توغل البحث من خلال هذه الدراسة الميدانية الكثيفة والموسعة ، الكشف عن :

١ — كنه وطبيعة وماهية الظاهرة الجغرافية المعنية ، وهى جزء من كل التوليفة الجغرافية المركبة ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان •

٢ — كنه وماهية وطبيعة فعل العوامل الجغرافية ، التى تلعب دورا حقيقيا ، فى صياغة تداخل الظاهرة الجغرافية المعنية فى كل التوليفة الجغرافية البشرية ، أو فى كل التوليفة الشاملة للواقع الجغرافى على الوجهين الطبيعى والبشرى ، فى الميدان •

٣ — كنه وماهية وطبيعة التغيير من حين الى حين آخر فى قوة فعل العوامل الجغرافية ، التى تلعب دورا منيرا ، فى صياغة أهم المتغيرات الطبيعية أو المتغيرات البشرية ، ومبلغ تأثيرها المباشر أو غير المباشر على وضع الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى التوليفة الجغرافية المتغيرة طبيعيا أو بشريا ، أو المتغيرة على الوجهين الطبيعى والبشرى فى وقت واحد ، فى الميدان •

ولأن هذا التوغل العميق المفيد ، الذى ينبغى أن تتكشف له كل الحقائق عن الظاهرة الجغرافية المعنية ، لحساب المسح الجغرافى ، يعنى فيما يعنى حسن القاء السؤال الواضح ، وحسن الاستماع الجاد الى الاجابة عليه من الظاهرة ، فينبغى أن يتقن الباحث الجغرافى وهو يتعامل مع المدركات الجغرافية هذ المهمة • كما ينبغى أن يتقن الانتفاع أيضا بما يفضى اليه تعامل الشركاء من المتخصصين غير الجغرافيين ، وهم يعملون عملا ميدانيا • مع الفريق فى الميدان ، لحساب المسح الجغرافى • وقل ينبغى تجهيز الأسئلة التى يلقيها الجغرافى بنفسه أو التى يكلف الشركاء معه بالقائها واستحضار الاجابة عليها • وهذا معناه ان الباحث الجغرافى يلزم الشركاء معه بالخط الجغرافى ، فى وضع السؤال وفى القاء هذا السؤال على مسامع الظاهرة الجغرافية المعنية ، وفى تلقى الاجابة أو الرد ، الذى يخدم العمل الجغرافى الميدانى المشترك ، لحساب المسح الجغرافى •

وتختلف طبيعة وكيفية هذا الاعداد الجيد للأسئلة والاستفسارات ، وهى تعد مسبقا قبل الحضور الى الميدان أحيانا ، أو وهى تعد أحيانا أخرى

فى حالة مواجهة البـاحث للظاهرة الجغرافية المعنية فى الميدان . بمعنى ان الظـاهرة الجغرافية المعنية ، قد تفرض أو تنتزع السـؤال من البـاحث : وتكاد تحدثه وتجاوبه . وقد يعد البـاحث الجغرافى بالاشتراك مع الشريك المتخصص السـؤال ، ويترك له البحث من خـلال تخصصه عن الاجابة . ويكون السـؤال أحيانا بداية فى **حوار صـامت** مع المدركات الطبيعية ، أو بداية **حوار ناطق** مع بعض المدركات البشرية فى الميدان أحيانا أخرى ، ويكون الفرق كبيرا بين اجابة يستحضرها المتخصص وهو واثق من صدق التعبير وحسن البيـان ، وفهم واستيعاب جغرافى سليم يلتمس هذه الاجابة ويحسن الانتفاع بها فى العمل الجغرافى ، لحساب المسـح الجغرافى .

كما تختلف أيضـا ، وسائل القاء الأسـئلة ، عندما يطرح البـاحث الجغرافى الاستفسـار ، أو عنـدما يطرح البـاحث غير الجغرافى المشـارك الاستفسار ، فى الميدان . وفى الحالتين ، يكون العمـل الجغرافى العملى فى الميدان ، فى انتظار تلقى وحسن الاستماع الى الاجابة . والبـاحث الجغرافى ، هو وحده الذى يتقن الاسـتماع الى الاجابة بفهم جغرافى خاص متخصص ، أو بانطباع جغرافى يستخلص الحقيقة الجغرافية ، لحساب المسـح الجغرافى . والفرق الكبير ، بين الرؤية والتعامل مع المدركات الجغرافية بعين جغرافية متخصصة ، والرؤية والتعامل مع المدركات الجغرافية بعين متخصصة غير جغرافية . ومع ذلك تبقى حاجة الجغرافى الى الانتفاع برؤية عينه الجغرافية ، وبرؤية عين شركائه المتخصصين غير الجغرافيين ، فى الميدان .

وهـكذا ، يكون الفرق كبيرا ، بين استفسار يسـأل الظاهرة الجغرافية الطبيعية ، أو يسـأل عن وضع نفس الظاهرة وكيف تتداخل فى تنسيق بديع ، فى توليفة الواقع الجغرافى الطبيعى فى الميدان ، واستفسار آخر يسـأل الظاهرة الجغرافية البشرية ، أو يسـأل عن نفس هذه الظاهرة ، وكيف تتداخـل فى تنسيق بديـع فى توليفة الواقـع الجغرافى البشرى ، فى الميدان . كما يكون الفرق كبيرا أيضا ، بين استفسارات يبديها ويعلن عنها الجغرافى المتخصص ، وهو يدير الحوار الصـامت أو الحوار الناطق ، واستفسارات يبديها ويعلن عنها غير الجغرافى ، وهو يبحث ويحملق ويتحرى الحقيقة العامية التى تخدم التفتح الجغرافى ، فى اجراء حواره . وفى ممارسة الدراسة فى الميدان ، لحساب المسـح الجغرافى .

* * *

الانجاز العملي والمسح الجغرافي في الميدان :

يلتمس الانجاز العملي في الميدان ، الهدف الجغرافي على وجهين مترابطين ومتكاملين ، لحساب المسح الجغرافي • وعلى وجه من هذين الوجهين ، يكون الهدف الجغرافي الذي يتحقق من خلال التوزيع والتعليل والربط ، حتى تتكشف الرؤية الجغرافية الواضحة ، وهي تبين وتعبر عن كل أبعاد الظاهرة الجغرافية المعنية ، ووضعها في التوليفة الجغرافية الطبيعية أو في الوليفة الجغرافية البشرية ، أو فيهما معا ، على صعيد المساحة المعنية ، في الميدان • وعلى الوجه الآخر من هذين الوجهين ، يكون الهدف الجغرافي الذي يلتمس من خلال التقويم الجغرافي السليم ، الرأى الجغرافي تعقيبا على الرؤية الجغرافية المعنية ، وعلى فعل المتغيرات ومبلغ تأثيرها على الظاهرة الجغرافية المعنية ، وهي جزء من محتوى كل هذه الرؤية الجغرافية ، في المكان والزمان •

ويكون المسح الجغرافي ، في أمس الحاجة الى الرؤية الجغرافية ، حتى يتسنى الوضوح الجغرافي في المكان • كما يكون هذا المسح الجغرافي أيضا ، في أمس الحاجة الى الرأى الجغرافي ، حتى تتفتح الأبواب أمام حسن توظيف هذا الرأى في المجال التطبيقي • وقل ان قيمة المسح الجغرافي للظاهرة الجغرافية المعنية ، تكون أولا وأخيرا ، لحساب التطبيق الذي تنتفع به حركة الحياة • بل قل ان الرؤية الجغرافية وهي التي تكفل المعرفة بالأرض وبالواقع الجغرافي على وجهيه الطبيعي والبشرى ، وفي أعقابها الرأى الجغرافي تعقيبا وتعليقا وبناء على هذه الرؤية الجغرافية ، تقوى قبضة تعامل حركة الحياة في المكان والزمان • وهل يهدف المسح الجغرافي للظاهرة الجغرافية المعنية الى شيء أهم ، من وضوح الرؤية ، وسداد الرأى ، الذي يشد أزر حركة الحياة ، حتى تتخذ مكان وقوة فعل الند القوى ، في مواجهة الطبيعة وفعل المتغيرات على صعيد الأرض ؟

ومن أجل انجاز العمل الجغرافي العملي ، لحساب المسح الجغرافي والتطلع التطبيقي الذي يبتني عليه ، يطرح الباحث الجغرافي وغير الجغرافي ، كل فيما يخصه ، الأسئلة في الميدان ، وهي منسقة ومرتبة ، على الواقع الجغرافي الطبيعي ، حيث يلتمس المسح الجغرافي الظاهرة الجغرافية الطبيعية • وقد يوجه السؤال بشكل مباشر أو غير مباشر الى الظاهرة الجغرافية الطبيعية على انفراد في بعض الأحيان ، وقد يوجه السؤال الى الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، وهي متداخلة تداخلا طبيعيا مع كل الظاهرات الجغرافية الطبيعية الأخرى ، في توليفة المنظور الجغرافي الطبيعي الشامل ، في الميدان •

وتخدم مجموعة من الأسئلة ، تطلـــع السائل الى معرفة عن التوزيع الجغرافى ، على صعيد المســاحة المعنية • وتخدم مجموعة أخرى من الأسئلة ، التماس التفسير الذي يعلل هذا التوزيع أو الانتشار ، ويكشف عن الضوابط الحــاكمة له ، فى أنحاء المســاحة المعنيــة • وتلتمس مجمــوعة ثالثة من الاستفســارات والأســئلة ، ارتباط الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، بالتوليفة التى تضم الظاهرات الجغرافية الطبيعية ، وتصطنع منها منظورا جغرافيا طبيعيــا ، فى ربوع المســاحة المعنية • وتغطى هــذه الأســئلة المطروحة ، الأبعاد التى تحدد وتجســد الرؤية الجغرافية الطبيعية ، على صعيد المســاحة المعنية فى الميدان •

واذا كان فى وســع البــاحث الجغرافى أن يعــد هذه الأســئلة ، ويلقى بها على مســامع الظاهرة الجغرافية الطبيعية ، أو على مســامع المنظور الجغرافى الطبيعى ، فى الميدان ، ويتلقى الاجابات ، تبقى حاجة هذا البــاحث الجغرافى الى تعاون الشريك المتخصص غير الجغرافى ، فى تعميق التعليل والتفسير ، أو فى حسن تعقب العلاقة .ودواعى الربــط بين الظــاهرة الجغرافية المعنية والظاهرات الجغرافية الأخرى • وقد يعاون هذا الشريك المتخصص ، الباحث الجغرافى ، فى الكشف عن المتغيرات وقوة فعلها المؤثر على الظاهرة الجغرافية ، وهى تتغير من حين الى حين آخر ، على المــدى الزمنى القصير المحدود أو على المــدى الزمنى الطويل ، أو على المــدى الجيولوجى ، فى المكان •

ويلتمس البــاحث الجغرافى والشريك المتخصص الذى يعاونه ، الاجابة على الأســئلة والاستفسارات ، فى صبر لا ينفــد • وقل انه يترقب الرد الحاســم على الاستفســارات ، فى تعبير بين وواضــح ومقنع ، من خــلال اســتخدام الخرائط والأجهزة والأدوات المناسبة ، واجراء التجــارب العملية الميــدانية ، فى أكثر من موضــع أو مــكان منتخب ، على صعيد المســاحة المعنية ، فى الميدان • ومن ثم يكفل حسن الأداء الذى يشترك فيه الجغرافى والمتخصص العلمى والفنى ، حسن التوصل المباشر أو غير المباشر ، الى الرد الذى تبوح به الظاهرة الجغرافية المعنية • ويحسن الشركاء فى هذا العمــل الميدانى الاستماع الى هذا الرد ، أو الى الاجابة التى يستوعبها البــاحث الجغرافى ويتفهم معناها ومغزاها • ومثل هذه الردود أو الاجابات ، لا تضــل أبــدا ولا تضــلل البــاحث الجغرافى ، وهو يتصــدى للمســـح الجغرافى للظاهرة الجغرافية المعنية • كما ترشــد بحثه فى هذا المســح الجغرافى ، وهو يلتمس بيان وضع الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى اطار توليفة المنظور الجغرافى الطبيعى •

وهناك أسلوب عمل ميدانى خاص جداً ، يلتمس البيانات وجمع أوصال المادة العلمية الخام ، لحساب المسح الجغرافى الطبيعى . ويشمل هذا الأسلوب حسن تقسيم العمل الميدانى ، بين الشركاء ، وهم الجغرافى المتخصص والعلمى المتخصص فى علم من العلوم ، التى يجتنى الجغرافى ثمراتها ، والفنى الماهر فى اجراء العمل الميدانى فى خدمة العمل الجغرافى العملى ، فى الميدان . ويعرف كل واحد من هؤلاء الشركاء ، بل قل يجيد انجاز التكليفات التى توكل اليه ، ويكون مسئولا عنها . ويجيد الباحث الجغرافى توزيع هذه التكليفات ، بقدر اجادته لانجاز ما يخصه من هذه التكليفات . ويجيد الباحث الجغرافى أيضا ، تلقى نتائج العمل الجغرافى الذى يجاوب ويحقق ما تبتغيه هذه التكليفات . بل قل انه يجيد جمع هذا الرصيد الجغرافى الذى يسعف اهتمامه بالمسح الجغرافى ، عن الظاهرة الجغرافية الطبيعية ، فى المساحة المعنية ، فى الميدان .

وممارسة أسلوب العمل الجغرافى العملى الميدانى ، لحساب المسح الجغرافى ، يتقصى فعلا حقيقة عنصر من عناصر التوليفة الجغرافية الطبيعية ، فى المساحة المعنية . وقد يتمثل هذا المسح الجغرافى ، فى تقصى الظاهرة الجغرافية التضاريسية ، الذى يفضى الى المسح التضاريسى . وقد يتمثل هذا المسح الجغرافى فى تقصى حقيقة الظاهرة المناخية ، الذى يفضى الى المسح المناخى . وقد يتمثل هذا المسح الجغرافى فى تقصى الظاهرة الجغرافية الحيوية ، الذى يفضى الى المسح الحيوى . وفى كل حالة من هذه الحالات ، ينبغى تنفيذ أسلوب مناسب للمسح الجغرافى وهو يتناول الظاهرة الجغرافية المعنية . كما يتحدد أيضا فى ضوء هذا التنوع واتساع مجالات المسح الجغرافى الطبيعى اختيار الشريك المتخصص — كما قلنا من قبل — لكى يعاون فى انجاز الدراسة الميدانية . ويقع الاختيار مثلا على الجيولوجى المتخصص للتعاون فى المسح الجغرافى التضاريسى ، وعلى عالم المناخ المتخصص للتعاون فى المسح الجغرافى لمناخى ، وعلى عالم النبات والحيوان ، للتعاون فى المسح الجغرافى الحيوى .

ويبقى بعد ذلك كله ، لاتمام العمل الجغرافى العملى الميدانى ، لحساب المسح الجغرافى الطبيعى ، تقويم الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، واجراء ما يمكن بموجبه القيام بهذه المهمة . ويكون هذا التقويم الجغرافى بالضرورة لحساب الانسان وحضوره وتعايشه معها . بمعنى أن يكون من شأن الجغرافى فى الميدان ، أن يجرى الدراسة الميدانية ، التى يلتمس بموجبها ، قوة فعل الضبط والانضباط المتبادل ، بين الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ،

وحركة حياة الانسان وحضوره ، في المكان والزمان • وقد يجري هذه الدراسة الميدانية ، التي يلتمس بموجبها حساب عوامل التغيير وفعل المتغيرات ومبلغ تأثيرها المباشر أو غير المباشر ، على قوة فعل الضبط والانضباط المتبادل ، بين الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، وحركة الحياة وحضور الانسان ، في المكان الذى تتغير مواصفات وخواص الظاهرة الجغرافية المعنية فيه ، من عصر الى عصر آخر •

* * *

ومن أجل انجاز العمل الجغرافى العملى ، لحساب المسح الجغرافى ، والتطلع التطبيقى ، الذى يبتنى عليه ، يطرح الباحث الجغرافى ومعاونيه من المتخصصين غير الجغرافيين ، كل فيما يخصه ، الأسئلة في الميدان ، وهي معدة ومنسقة ومرتبة ، على مسامع الواقع الجغرافى البشرى ، حيث يلتمس الفريق المسح الجغرافى للظاهرة الجغرافية البشرية • وقد يوجه السؤال بشكل مباشر أو غير مباشر فى الاستبيان ، الى الظاهرة الجغرانية البشرية ، فى بعض الأحيان على انفراد • وقد يوجه السؤال الى الظاهرة الجغرافية البشرية أحيانا أخرى ، وهي جزء من الكل الجغرافى ، أو وهي متداخلة تداخلا سليما ومنطقيا ، مع كل الظاهرات الجغرافية البشرية الأخرى ، فى توليفة المنظور الجغرافى البشرى الشامل ، فى الميدان •

وتخدم مجموعة الأسئلة ، تطلع السائل الجغرافى أو غير الجغرافى فى بعض الأحيان ، الى معرفة التوزيع الجغرافى ، فى اطار حركة الحياة ، على صعيد المساحة المعنية • وتقدم مجموعة أخرى من الأسئلة أو من الاستفسارات ، على التماس التفسير أو التعليل ، الذى يبرر ويعلل هذا التوزيع أو الانتشار ، على المدى الواسع أفقيا أو رأسيا • كما تكشف هذه الاستفسارات عن أهم الضوابط الجغرافية الحاكمة لانتشار الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى الميدان • وتلتمس مجموعة ثالثة من الأسئلة والاستفسارات ، ارتباط الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، بالتوليفة الجامعة ، التى تضم الظاهرات الجغرافية البشرية ، وتصطنع منظورا جغرافيا بشريا ، فى ربوع المساحة المعنية • وتغطى هذه الأسئلة المطروحة بشكل أو بآخر ، الأبعاد التى تحدد أو تجسد الرؤية الجغرافية البشرية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان • وقل انها لا تهمل أبدا العلاقة بين الظاهرات البشرية التى تنبىء عن فاعلية حركة الحياة ، فى هذه المساحة المعنية ، والظاهرات الطبيعية التى تجسد المسرح لحركة الحياة •

واذا كان فى وسع الباحث الجغرافى ، أن يعد هذه الأسئلة والاستفسارات ، وأن يلقى بها على مسامع الظاهرة الجغرافية البشرية ، أو على مسامع المنظور الجغرافى البشرى ، فى الميدان ، ثم يعرف كيف يتلقى الاجابات والردود ، تبقى أو تستمر حاجة هذا الباحث الجغرافى الى تعاون الشريك المتخصص غير الجغرافى • ويسهم هذا التعاون فى تعميق التعليل والتفسير مرة ، وفى حسن تعقب العلاقة ودواعى الربط بين الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية والظاهرات الجغرافية الأخرى مرة أخرى • وقد يعاون هذا الشريك المتخصص الباحث الجغرافى بمهارة ، فى الكشف عن المتغيرات الواردة، وقوة فعلها المؤثر ، على الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، وهى تتغير من حين الى حين آخر ، على المدى الزمنى القصير ، أو على المدى الزمنى الطويل، فى المكان •

ويلتمس الباحث الجغرافى والشريك المتخصص الذى يعاونه ، الاجابات على الأسئلة والاستفسارات ، على صعيد المساحة المعنية ، فى صبر لا ينفد • وقل ان الواحد منهما يترقب الرد الحاسم على الاستفسارات ، فى تعبير واضح ومقنع ، من خلال استخدام الأجهزة والخرائط والأدوات المناسبة والاستبيان ، واجراء التجارب العملية الميدانية ، فى أكثر من موضع أو مكان مناسب ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان • ويتكرر طلب الاجابة على أسئلة الاستبيان كثيرا ، ويشترك فى هذه الاجابة عشرات أو مئات الأفراد • ويخضع الأمر أحيانا لاختيار الأفراد الذين يمثلون عينة منتخبة ، أو تكون العينة عشوائية لا تعتنى باختيار الأفراد ، للاجابة على أسئلة الاستبيان ، عن الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، فى الميدان •

ومن ثم يكفل حسن الأداء الذى يشترك فيه الجغرافى وشريكه المتخصص والفنى ، كل فيما يخصه من العمل الجغرافى العملى ، والتوصل المباشر أو غير المباشر ، الى الردود التى تبوح بها الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية • ويحسن الشركاء فى هذا العمل الميدانى ، الاستماع الى هذه الردود ، أو الى الاجابات ، التى ينبغى أن يستوعبها الباحث الجغرافى ، وأن يتفهم معناها ومغزاها ، وأن يبتنى عليها وضوح رؤيته للظاهرة الجغرافية المعنية • ومثل هذا الاستيعاب والفهم الجيد ، لا يضل أبدا ، ولا يضلل الباحث الجغرافى ، وهو يتصدى للمسح الجغرافى الشامل للظاهرة الجغرافية البشرية المعنية• بل قل انه الاستيعاب الذى يرشد بحث الجغرافى فى هذا المسح الجغرافى ، وهو يلتمس بيان وضع الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، فى اطار توليفة المنظور الجغرافى البشرى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان •

وهناك أسلوب عمل جغرافي ميداني خاص جدا ، يلتمس البيانات وجمع أوصال المادة العلمية الخام ، من المساحة المعنية ، لحساب المسح الجغرافي البشرى • ويشمل هذا الأسلوب العملي ، حسن تقسيم العمل الميدانى بين الشركاء ، وهم الجغرافى المتخصص المسئول أصلا عن المسح الجغرافى ، والعلمي المتخصص في علم من العلوم الانسانية التي يجني الجغرافي ثمراتها ، والفني الخبير الماهر في اجراء العمل الميداني ، في خدمة الوضوح الجغرافي ، في الميدان • ويعرف كل واحد من هؤلاء الشركاء المتعاونين ، بل قل يجيد انجاز التكليفات التي توكل اليه حسب الخطة المعمول بها ، ويكون مسئولا عنها • ويجيد أو يحسن الباحث الجغرافي ، وهو قائد الفريق ، توزيع هذه التكليفات على المتعاونين معه ، بقدر اجادته لانجاز ما يخصه شخصيا ، من هذه التكليفات في الميدان • ويجيد الباحث الجغرافي أو يحسن تلقى نتائج العمل الجغرافى العملي ، الذي يجاوب على ما تبتغيه او ما ترمي اليه هذه التكليفات ، وهي هي التي تخدم وتيسر أمر المسح الجغرافي البشرى ، بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر • بل قل انه يجيد جمع هذا الرصيد العملي الجغرافي ، الذي يسعف اهتماماته بالمسح الجغرافي ، عن الظاهرة الجغرافية البشرية ، على صعيد المساحة المعنية ، في الميدان •

وممارسة أسلوب العمل الجغرافي العملي الميداني ، لحساب المسح الجغرافي البشرى ، يتقصى فعلا ، حقيقة عنصر معين من عناصر التوليفة الجغرافية البشرية ، في المساحة المعنية • وقل ان هذا العنصر وتغطيه الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، يكون شغله الشاغل ، في الميدان • ولا يكون الاقتراب من العناصر الأخرى أو من الظاهرات الجغرافية الطبيعية أو البشرية الأخرى ، الا من أجل التماس العلاقة بين الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية وبينها ، أو من أجل التماس الضوابط الحاكمة لوضع هذه الظاهرة الجغرافية المعنية ، بين عناصر التوليفة التي تلم شمل كل الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية في الميدان •

وقد يتمثل هذا المسح الجغرافي البشرى في تقصى الظاهرة الجغرافية السكانية ، الذي يفضى الى المسح السكاني • وقد يتمثل هذا المسح الجغرافي البشرى في تقصى الظاهرة الجغرافية السكنية ، الذي يفضى الى المسح السكني • وقد يتمثل هذا المسح الجغرافي البشرى في تقصى الظاهرة الجغرافية الحضارية ، الذي يفضى الى المسح الحضارى • وقد يتمثل هذا المسح الجغرافي البشرى ، في تقصى الظاهرة الجغرافية الاقتصادية الذي يفضى الى المسح الاقتصادى • وقد يتمثل هذا المسح الجغرافي البشرى ،

فى تقصى الظاهرة الجغرافية الاجتماعية ، الذى يفضى الى المسح الاجتماعى · وتتسع قاعدة هذا المسح الجغرافى البشرى ، باتساع وتنوع الظاهرات الجغرافية البشرية(١) فى توليفة المنظور الجغرافى فى المكان والزمان ·

وفى كل حالة من حالات هذه الأنواع المتعددة من المسح الجغرافى البشرى ، ينبغى اتباع وتنفيذ أسلوب العمل الجغرافى العملى الميدانى ، لحساب المسح الذى يتناول الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية · كما يتحدد أيضا ، فى ضوء هذا التنوع واتساع قاعدة المسح الجغرافى البشرى ، اختيار الشريك أو الشركاء من العلميين المتخصصين ، ضمن تشكيل الفريق، لكى يعاون فى انجاز الدراسة الميدانية · ويقع الاختيار على الطبيب أو على المهندس أو على عالم الاجتماع أو على عالم الانثروبولوجى أو على عالم الغويات، أو على عالم الآثار أو على عالم الحضارة ، أو على عالم الدين ، وغيرهم كثير ، حسب توجهات المسح الجغرافى البشرى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان ·

ويبقى بعد ذلك كله ، لاتمام العمل الجغرافى العملى الميدانى ، لحساب المسح الجغرافى البشرى ، حسن تقويم الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، واجراء ما يمكن بموجبه القيام بهذ المهمة · ويكون هذا التقويم الجغرافى ، وهو الذى يفضى بالضرورة الى ابداء الرأى الجغرافى تعقيبا على وضوح الرؤية الجغرافية ، لحساب الانسان وحضوره وتعايشه بها ومعها فى الميدان · بمعنى أن يكون من شأن الجغرافى أن يجرى الدراسة الميدانية المناسبة ، التى يلتمس بموجبها ، استشعار قوة فعل الضبط والانضباط المتبادل ، بين حضور الانسان الذى تفصح عنه الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية من ناحية ، والأرض بكل أبعاد الواقع الطبيعى وخواصه من ناحية أخرى · وقد تلتمس الدراسة الميدانية رصد المتغيرات وفعل المتغيرات ومبلغ تأثيرها المباشر أو غير المباشر ، على الضبط والانضباط المتبادل ، بين الظاهرة الجغرافية البشرية التى تجسد حضور الانسان من ناحية ، وخواص ومواصفات الواقع الجغرافى على صعيد المساحة المعنية من ناحية أخرى ·

* * *

وهكذا ، تكون الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى هذه المرحلة من مراحل المسح الجغرافى ، وهى رحلة الباحث الجغرافى المتخصص ، وفى صحبته الفريق المتعاون ، وكأنها توجه مباشر الى العمل الجغرافى العملى الميدانى ·

---

(١) يشمل هذا الاتساع ـ على سبيل المثال ـ المسح الصحى والمسح الصناعى والمسح الدينى والمسح اللغوى والمسح الأثرى ·

ويتقصى هذا العمـل الجغرافى فى الميدان ، الحقائق الجغرافية لحساب المسـح الجغرافى • وقد يتلمس المدركات الجغرافية الطبيعية ، أو المدركات الجغـرافية البشرية ، أو المنظور الجغرافى بوجهيه الطبيعى والبشرى ، لكى يجنى ثمرات العمـل الجغرافى الميدانى ، لحساب المسـح الجغرافى • وتنظم الخطة الموضوعة اجراء هذا العمل الجغرافى ، الذى يتلمس جمع الرصـيد الجغرافى المناسب ، لنوع المسـح الجغرافى وتوجهاته الطبيعية أو البشرية •

ومن بعد المعـاينة المباشرة التى تستوعبها العين الجغرافية ، واجراء العمـل الجغرافى العلمى الميدانى ، وتلقى الاجابات والردود على الاستفسارات فى الاسـتبيان المكتوب أو غير المكتوب ، تتراكم المـادة الخام التى تسعف حاجة المسـح الجغرافى • وقل انه من خلال المعـاينة المباشرة وهى تمحص وتتأمل بعناية ، يتسنى للعمـل الجغرافى الميدانى ، تجميع أوصـال نتائج وبيـانات جغرافية مناسـبة ، يطلبها البـاحث الجغرافى ، لحساب المسـح الجغرافى • ويعاون المتخصص كما يعاون الفنى فى هذا التجميع ، واجراء العمـل الميدانى العملى ، حتى يتسنى تزويد الجغرافى ، بأوفى رصـيد من المـادة الجغرافية الخام ، لانجاز المسـح الجغرافى ، الذى لا يصلح ولا يبدو جيدا ومفيدا الا بها •

وعلى صعيد المسـاحة المعنية ، فى طلب هذا الرصيد من المادة الجغرافية الخام عن الظاهرة الجغرافية المعنية ، تكون جولات العمـل الجغرافى العملى ، ويكون الطواف الجغرافى العملى والعقلى ، الذى لا يكف ولا يسكت عن جمع الحصـاد العملى المناسب • بل قل يكون التحرك فى أنحـاء الميدان تحركا محسوبا بعناية شديدة ، فلا يكاد يترك شـاردة أو واردة ، الا وهو يحصيها أو وهو يلتمس حصرها واضافتها الى الرصيد ، تحسبا للانتفاع بها فى انجاز المسـح الجغرافى • وكل خطوة عمل ، وكل جولة دراسة ، فى أنحاء الميدان ، وهى تخضع لمـا ورد فى خطة العمل الميدانى ، لا تكون ولا يقدم عليها الباحث الجغرافى أو شريكه المتخصص أو الفنى العـامل معه من غير غاية • وتتمثل هذه الغاية ، فى اجراء تجربة أو فى تحرى حقيقة جغرافية ، أو فى تدوين اجابات عن أسـئلة واردة فى الاسـتبيان المكتوب ، أو فى اجراء الحوار وتلقى الاجابات عن الاستفسارات فى الاسـتبيان غير المكتوب • وهذا ، هو عين ما يعنى البحث والتحرى بكل الواقعية الجغرافية فى العمـل الميدانى ، الذى يتعقب التوزيع والتعليل ولربـط ، حتى يعقب عليه بعد ذلك بالتقويم الجغرافى ، وتتكامل كل الأبعـاد المطلوبة ، لانجاز المسـح الجغرافى ، عن الظاهرة الجغرافية المعنية فى المكان والزمان • ويتمثل هذا المسـح الجغرافى

فى اطـار هذه الأبعـاد ، اضافة جغرافية ، تلبى منفعة تنتفـع بها حركة الحيـاة ٠

وكل التمعن والتدبر والتـأمل الذى توفره الدراسـة والعمل الجغرافى العملى فى الميدان ، يقتفى أثر الصدق والجدية والجدوى فى النتائج الجغرافية . عن التوزيع وعن التعليل ، وعن الربـط ، لكى يتسنى من خـلال التقويم الجغرافى الوصول الى الاضافة الجغرافية المناسبة ٠ ولا يكاد يهدأ البـاحث الجغرافى ومعه أعضاء الفريق المتعاون أبدا ، ولا يكاد يتوقف عن العمـل الميدانى الوارد فى خطة العمـل ، الا بعد التيقن ، من كل نتيجة جغرافية ، يشترك الجميع فى جمع أوصالها من المسـاحة المعنية ٠ ولا يعود البـاحث الجغرافى ولا يعود معه الفريق المتعاون ، ولا تنتهى الرحلة الجغرافية فى أنحاء الميدان أبدا ، الا بعد أن يمسك البـاحث الجغرافى بكل أطراف الخيوط التى تتداخل فى نسـيج المسـح الجغرافى ، وحتى يتغلغل البحث الجغرافى فيه ٠ وهل يكون فى وسـع البـاحث الجغرافى ومن معه ، أن يمسك بهذه الخيوط المتداخلة ، فى نسـيج المسـح الجغرافى ، من غير أن يجنى ثمرات العمـل الجغرافى العملى الميدانى ؟ بل وهل يكون فى وسـع البـاحث الجغرافى أن يضيف شـيئا مهما وجديدا الى صلب المسـح الجغرافى الذى يقوم بـه ، من غير أن يحسن توظيف العمـل الجغرافى العملى الميدانى ، وحسن توزيع التكليفات المتنوعة على أعضاء الفريق ، أو من غير حسن جمع واسـتيعاب نتائج العمل الميدانى ، وحسن استثمارها ؟

وعندما يفرغ البـاحث الجغرافى من بلوغ الغاية من الدراسة الميدانية التى تشبعه وتجاوب التوجه الى المسـح الجغرافى ، يعود ومعه أعضاء الفريق المتعاون ، من الميدان ٠ وتبدو عودة هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ضرورية ، وهى عودة موفقة ومظفرة ، لانها تكون قد أحسنت أداء المهـام التى توكل اليها ٠

وصحيح ان البـاحث الجغرافى مع الفريق العائد من الميدان ، يكون قد أنجز طلب المعرفة ، وجمع المـادة الجغرافية الخام ، وسـجل الاجابات على الأسـئلة والاستفسارات التى يتلمس حصر واستيعاب الردود عليها ، من خلال حوار عملى مع المدركات الجغرافية المعنية ، فى الميدان ٠ وصحيح أيضا : ان الباحث الجغرفى ، وهو قائد الفريق ، يكون قد تعرف بالفعل على الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى اطار الواقع الجغرافى ، وأوغل عمقا واتساعا وتحليلا : فى سـبيل جمع المـادة الجغرافية الخام ، أو فى الكشف الجيد عن نسـيج الواقع الجغرافى على وجهه الطبيعى أحيانا ، أو على وجهه البشرى أحيانا أخرى

أو الوجهين الطبيعي والبشرى معا ، لحساب أوضح بيان للمسح الجغرافى • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو ان هذه العودة المظفرة التى انتهت من العمل الجغرافى العملى ، وأنهت الدراسة الميدانية ، لحساب المسح الجغرافى ، لا تعنى أبدا نهاية المطاف ، فى التماس ثمرات الخروج ، فى رحلة العمل الجغرافى الميدانى • بل قل انها لا تعنى نهاية مطلقة • يمكن أن تتوقف بعدها الرحلة الجغرافية الميدانية • كما انها لا تعنى أبدا ، ان الرحلة الجغرافية الميدانية ، لحساب هذا المسح الجغرافى ، قد استنفدت أغراضها تماما ، وان لا عودة مرة أخرى من جديد الى نفس الميدان •

وكما انتهت رحلة الزيارة الميدانية ، وطلب التعارف الجغرافى الأولى على الميدان ، والانفتاح الجغرافى ، على المنظور الجغرافى ، ولا تستنفد الرحلة الجغرافية أغراضها ، تنتهى أيضا رحلة تفصى الحقائق الميدانية ، وطلب المعرفة والتفتح وانجاز الدراسة الميدانية ، التى تتعامل عمليا مع عنصر من عناصر الواقع الجغرافى • وتعود الفريق المتعاون مظفرة ، من غير أن تستنفد هذه الرحلة الثانية الى الميدان ، لحساب المسح الجغرافى ، كل أغراضها المعلنة بعد • ويبقى الباب مفتوحا للذهاب الى الميدان نفسه مرة أخرى ، طالما لم تستنفد الرحلة الجغرافية لحساب المسح الجغرافى أغراضها من العمل الجغرافى العملى • بل قل تبقى الحاجة الى رحلة جغرافية أخيرة ، تعود الى الميدان من جديد ، حتى يستنفد الغرض تماما ، ويستشعر الباحث الجغرافى ، انه قد أنهى كل العمل الميدانى ، لحساب المسح الجغرافى ، فى المساحة المعنية •

وهكذا نتبين ان حاجة الباحث الجغرافى من الدراسة الميدانية ، لم تكتمل تماما ، وان دور الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى طلب هذه الحاجة ، تبقى له بقية • وكيف لا تكون هذه البقية ، والمسح الجغرافى لم يدون بعد ، فى شكل بحث وملحقاته من الرسوم والخرائط ؟ وقل ان الباحث الجغرافى لم يفرغ بعد ، من بعض حاجة الى بيانات ، لا تتحقق الا باستكمال الدراسة الميدانية ، والعودة الهادفة من جديد الى الميدان • بل قل كيف تنتهى مهمة الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى لم تستنفد بعد أغراضها العملية ، لحساب المسح الجغرافى ؟ وكيف تعفى الرحلة الجغرافية نفسها ، أو كيف يعفيها الباحث الجغرافى من العودة الى الميدان مرة أخرى ومرات كثيرة ، وهو لم يفرغ من تكديس وجمع كل ما ينبغى أن يحصل عليه ، من ثمرات العمل الجغرافى العملى ، فى الميدان •

وعودة الرحلة الجغرافية الميدانية هذه المرة ، من بعد تقصى الحقائق ، وجمع أوصال المادة الخام ، واجراء الجزء العملى المناسب من العمل الجغرافى ، تكون عودة موفقة ومنطقية ، فى الوقت المناسب • ولا تعنى هذه العودة أكثر من انتهاء أهم شوط من الأشواط ، أو أهم مرحلة من مراحل العمل الجغرافى الميدانى ، لحساب المسح الجغرافى • وصحيح ان هذه العودة ، أو هذا الرجوع الموفق من الميدان ، تعطى الباحث الجغرافى الحق فى أن يهدأ ويلتقط أنفاسه ، بعد انجاز العمل الجغرافى العملى • ولكن الصحيح أيضا ، ان هذه العودة ، لا تطلق يديه فى كتابة البحث عن موضوع المسح الجغرافى واعداد الخرائط الملحقة به •

وأهم ما يترتب على جدوى هذه العودة من الميدان ، هو تهيئة الفرصة الكاملة ، لكى يراجع الباحث الجغرافى فى هدوء ، محصلة العمل الجغرافى العملى الميدانى كله ، مراجعة دقيقة ومستفيضة • ويصبح فى وسعه بعد أن يغادر الميدان ، أن يراجع الرصيد الجغرافى ، أو أن يحصى جيدا حصاد العمل الجغرافى العملى فى الميدان ، لحساب المسح الجغرافى • بل قل يصبح فى وسعه أن يقوم ويحسب جدوى الرصيد من المادة الجغرافية الخام ، ومن البيانات المتنوعة ، التى تبتنى عليها قواعد المسح الجغرافى ، والاضافات الجديدة فى صلب هذا الموضوع • بمعنى انه يحين الوقت المناسب الذى يتعين فيه على الباحث الجغرافى ، أن يتبين ويلتمس جدوى العمل الجغرافى العملى كله ، ومبلغ اسهامه الجيد فى صياغة ، أو فى اعداد وانجاز المسح الجغرافى •

وهذا معناه — على كل حال — ان عودة الرحلة الجغرافية من الميدان ، لا تقطع صلة الباحث الجغرافى الحقيقية به أبدا • وقل انها عودة مؤقتة بالفعل ، مع استمرار حق الرجوع فى جولة جديدة الى الميدان مرة أخرى • بل قل ان هذا الرجوع ، يكون واجبا لا ينبغى التفريط فيه ، عندما يتبين الباحث الجغرافى حاجة تستوجب هذا الرجوع الى الميدان • ويقع الباحث الجغرافى فى خطأ كبير ، لو قعد ولم يجاوب هذا الهدف من الرجوع من جديد الى الميدان •

ولا يستبعد الباحث الجغرافى ومعه أعضاء الفريق المتعاون ، احتمالات هذا الرجوع ، فى رحلة جغرافية ميدانية ثالثة ، الى نفس المساحة المعنية ، فى الميدان • ولا يستبعد الباحث الجغرافى أيضا العودة الى استكمال العمل الجغرافى العملى فى الميدان ، لحساب المسح الجغرافى • ولكن المؤكد ان الحكم بصدق هذا الاحتمال وجديته وجدواه ، لكى ترجع الرحلة الجغرافية من جديد الى الميدان ، يبقى فى حاجة الى قرار جديد ، يصدره الباحث الجغرافى فى

الوقت المنـاسب • وقل انه لا ينبغى أن يتأخر فى اصـدار هذا القرار ، الذى يحق الحق ويستوجب الواجب ، وهو لا يعنى ان العمـل الجغرافى العملى فى الرحلة السـابقة قد وقع فى الخطـأ ، أو ان الرحلة الجغرافية قد تعجلت العودة قبل اتمـام العمـل فى الميدان • ومن شـأن هذا القرار الجـديد ، ألا يصدر بالفعل ، الا بعد أن يعرف البـاحث الجغرافى بالضبط ، لماذا ترجع الرحلة الجغرافية الميدانية مرة أخرى الى الميدان ، ومتى وكيف تكون واجبة ولا يجوز العدول عنها •

وفى الفترة التـالية مباشرة لعودة الرحلة الجغرافية الميدانية ، من رحلة تقصى الحقائق ، وفى جعبتها الكثير من المـادة العلمية الخام ، يلتقط البـاحث الجغرافى أنفاسـه ، ويعود فى هدوء الى دراسـته المكتبية لحساب المسـح الجغرافى • وفى اطار هذا التوجه الجغرافى الى الدراسـة المكتبية ، يواصل البـاحث سعة الاطلاع فى المراجع والمصادر والبحوث ، التى يمكن الانتفاع بها فى المسـح الجغرافى • كما يحصى ويقوم البـاحث الجغرافى بعنـاية ، معطيـات العمـل الجغرافى العملى الميـدانى ، الذى كان قد قام به ، لنفس أغراض المسـح الجغرافى • ويتعين عليه أن يصنف هذا الرصيد من البيانات والمعلومات ، وأن يلتمس جدواها ومقدار وفائها لانجاز المسـح الجغرافى •

ومن شـأن هذا الحصر والتصنيف والتقويم ، فى اطار الدراسة المكتبية المتأنية ، أن يدرك البـاحث الجغرافى ، أو قل يتبين بوضوح وموضوعية ، أولا مبلغ التقدم الحقيقى فى الانجـاز نحو الهدف من ناحية ، وثانيا مبلغ النقص الفعلى فى ثمرات ومعطيات العمـل الجغرافى الميدانى من ناحية أخرى • بل قل انه يتيقن من نقص فى البيانات والمعلومات ، لا يتجاوزه شىء غير الخروج من جديد الى الميدان • وبهذا التيقن ، يدرك البـاحث الجغرافى ، معنى الحاجة الى قرار جديد آخر ، يكون به الرجوع مرة أخرى ، فى طلب المزيد من اجراء الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية ، لحساب المسح الجغرافى •

* * *

رحلة جغرافية أخيرة الى الميـدان :

هـذه رحلة ذهاب جغرافى من جديد ، الى نفس الميدان الذى شـهد رحلة الزيارة الجغرافية مرة ، والذى عاشت فيه وعملت على صـعيده رحلة العمـل الجغرافى العملى مرة أخرى • وحاجة ملحة الى هذه العودة ، هى التى

تدعو الباحث الجغرافى فى الوقت المناسب ، دون حرج أو تكاسل ، الى اتخاذ القرار الذى يستوجب الخروج من جديد ، وللمرة الثالثة ، الى نفس المساحة المعنية ، فى الميدان . ويتم الخروج فى هذه المرة الأخيرة رحلة الباحث الجغرافى ، وهو يزور الميدان ، ثم وهو يتقصى الحقيقة الجغرافية فى الميدان مرة ثانية ، ثم وهو يطلب استيفاء بعض جوانب هذه الحقيقة الجغرافية مرة ثالثة ، من الميدان .

ومن شأن هذه الرحلة الجغرافية الميدانية وهى تتكرر للمرة الثالثة ، وتبتغى العودة من جديد الى نفس الميدان ، أن تلتمس معالجة أوجه النقص أو أوجه التقصير ، الذى تكون قد وقعت فيه - من غير قصد - رحلة الدراسة الجغرافية الميدانية الأساسية ، فى المرة السابقة . وقل انها رحلة استيفاء جغرافى ، ينبغى أن تتدارك ما فات العمل الجغرافى ، أن يفضى اليه ، أو أن يبحث عنه ، فى الميدان . بل قل انها رحلة جغرافية واجبة ، لكى تتدارك النقص أو التقصير ، فى حصاد العمل الجغرافى العملى ، فى الميدان .

هذا ، ولا يكون النقص أو التقصير فى تقصى الحقائق وجمع المادة الجغرافية الخام ، من الميدان ، وليد التعجل فى اجراء الدراسة الميدانية . بل ولا يكون أبدا نتيجة من نتائج الوقوع فى الخطأ ، فى معظم الأحيان . ولكنه يكون - فى الغالب - وليد حاجة الباحث الجغرافى الى :

١ - مزيد من العمق فى الدراسة والبحث والتحرى ، يجاوب التطلع الى انجاز المسح الجغرافى الأفضل .

٢ - مزيد من التوسع فى الدراسة والبحث والتحرى ، يجاوب الحاجة الى استيفاء ، وسد الثغرات فى بنية المسح الجغرافى .

ولا يملك الباحث الا أن يجاوب حاجة البحث فلا يتخاذل أبدا فى هذا الخروج الأخير . بل قل عليه التزام أن يطاوع التطلع لاستيفاء التقصى واستكمال النقص ، أو لمواصلة التقصى والحصول على الاضافة ، لحساب المسح الجغرافى . بمعنى ان عودة الباحث ومعه أعضاء الفريق المتعاون من الرحلة الجغرافية الميدانية الأساسية ، وقد جمع المادة العلمية الجغرافية التى تتيسر له من العمل فى الميدان ، تعيد الباحث الجغرافى فورا الى الدراسة المكتبية . وهذه العودة لاستئناف الدراسة المكتبية ، لاعداد المسح الجغرافى ، فى صورته المثلى ، تدعو الباحث الجغرافى ، الى مراجعة رصيد العمل الجغرافى العملى ، حتى يتسنى له الانتفاع به ، وادخاله فى صلب

المسح الجغرافى ، عند اعداده الاعداد النهائى • ومن الطبيعى أن يعرف الباحث الجغرافى بالضبط ، أو أن يجيد ويتقن استخدام هذا الرصيد الجغرافى • بل قل انه تأسيسا على المهارة الجغرافية فى التركيب ، وفى حسن التوليف والتنسيق ، يعرف الباحث الجغرافى ، كيفية الجمع والتداخل وحسن الصياغة التى تجمع بين الرصيد الجغرافى والمادة العلمية الجغرافية المنتخبة ، التى تسفر عنها الدراسة المكتبية فى جانب ، والرصيد الجغرافى والمادة العلمية الجغرافية الخام ، التى تجمع الدراسة الميدانية أوصالها فى جانب آخر ، حتى يتسنى اعداد المسح الجغرافى •

ومن خلال هذا التوجه الجغرافى الحميد ، وتحرى الدقة فى العمل والتماس الصدق والوضوح ، فى أمر هذا التنسيق وحسن التوليف الجغرافى تتكشف للباحث الثغرات البينة أحيانا ، أو النقص الحقيقى فى المادة الجغرافية العلمية • وقل تتكشف له الحاجة الى استكمال هذا النقص فى العمل الميدانى ، أو الى استيفاء البيانات التى تلزم لحسن بناء توليفة المسح الجغرافى • بل قل تتفتح أمامه وله أوجه القصور والتقصير المخل فى محصلة العمل الجغرافى الميدانى ، وتتجلى مواضع الثغرات التى لم يفطن اليها العمل الميدانى فى الرحلة الجغرافية الميدانية الأساسية • بل قل مرة أخرى ، ان الباحث الجغرافى قد يستشعر ، وهو مستغرق فى الدراسة الجغرافية المكتبية لاعداد وتجهيز وتبويب المادة الجغرافية العلمية المأخوذة من المراجع ، والمادة الجغرافية الخام المأخوذة من العمل الميدانى ، الحاجة الى اجابة عن استفسار أو سؤال ، يتمم أبعاد المسح الجغرافى • ومن ثم تبدو الحاجة من جديد الى استئناف الرحلة الجغرافية الميدانية ، والذهاب الهادف الأخير الى الميدان •

ومن شأن هذه الرحلة الجغرافية الميدانية فى هذه العودة لثالث مرة الى الميدان ، أن تبدأ فى الوقت المناسب ، لكى تتدارك النقص من غير قصد أو لكى تلتمس المعلومة الجديدة • ومع ذلك لا ينبغى أن تكون عودة هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الى الميدان ، فى هذه المرة ، من غير أن يتشاور الباحث الجغرافى وهو صاحب المصلحة فى هذه العودة ، مع أعضاء الفريق المتعاون معه من المتخصصين والفنيين فى أمر :

١ ـ من الذى ينبغى أن يخرج فى صحبة هذه الرحلة الجغرافية الميدانية هذه المرة ، حتى يعاود العمل الجغرافى العملى ، واجراء العمل الميدانى ، من جديد فى الميدان ؟

٢ - ما هو بالضبط العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى ينبغى القيام به ، حتى يتدارك النقص أو حتى يسد الثغرات ، ويلتزم به فرد أو مجموعة أفراد منتخبين منهم الباحث الجغرافى فى رحلة العودة الجغرافية الأخيرة الى الميدان ؟

٣ - ما هو الأسلوب الأنسب الذى يتعين الأخذ به واتباعه والالتزام به فعلا فى العمل الجغرافى العملى الميدانى حتى يجاوب الهدف أو القصد الجغرافى ، أو حتى يلبى ارادة التوجه من جديد ، فى طلب المعلومة أو فى طلب تصحيحها من الميدان ؟

٤ - كيف ينبغى أن يجرى العمل الجغرافى العملى من جديد فى الميدان ، حتى يضمن حسن توجه الدراسة الميدانية ، فى الاتجاه الصحيح ، ويتسنى تدارك النقص ، أو معالجة التقصير ، أو استيفاء بعض المعلومات الجديدة ، من الميدان ؟

وهكذا ، يخضع خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهى تحمل طابع الاستيفاء وتدارك النقص والتقصير لضوابط محددة • ولا ينبغى أن يلتزم بالخروج فى هذه الرحلة من أعضاء الفريق المتعاون ، الا من تستوجب حاجة العمل الميدانى ، فى هذه المرة ، التحاقه بها ، ولا يجوز الاستغناء عنه أبدا • وقد يكون فى وسع الباحث الجغرافى ، أن يذهب بمفرده الى الميدان، ودون أن يصطحب معه أحدا • ولكن المؤكد ان شرط الصحبة فى هذه الرحلة الجغرافية ، وفى كل رحلة جغرافية ميدانية أخرى ، شرط هام وجوهرى • ومن ثم لا يجب تجاوز هذا الشرط أبدا • بل قل ينبغى الالتزام به ، ولا يسمح بخروج الباحث الجغرافى فى هذه الرحلة خروجا خاصا متفردا • وحتى لو يكون الذهاب الى الميدان ذهابا متعجلا ، لقضاء سويعات قليلة محدودة ، تكون بعدها العودة السريعة ، فلا تفرد أبدا فى انجاز ما يطلبه الباحث الجغرافى من هذه الرحلة الميدانية الأخيرة •

وقل ان الصحبة فى هذه الرحلة ضرورية ، وهى تضم عضو أو بعض الأعضاء الذين يخرجون مع الباحث الجغرافى الى الميدان • ويتمثل الحد الأدنى لهذه الصحبة ، فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية التكميلية ، فى زمالة عمل ، تجمع بين الباحث الجغرافى ، وهو الأصل ، ورفيق آخر يعاونه فى العمل الميدانى • ذلك ان الخروج المتفرد غير ممكن لانه قد يستدعى التقصير فى انجاز العمل ، وان اجراء العمل الجغرافى العملى

الميداني الانفرادى غير وارد أبدا ، لان الانفراد لا يخدم العمل • بل قل يكون العمل الجغرافى الميداني مرفوضا على الاطلاق ، وينبغى تجنبه تماما ، فى رحلة الزيارة الأولى ، وفى رحلة تقصى الحقائق الثانية ، وفى رحلة تدارك النقص الثالثة ، لانه يكون غير مجد •

ويستوجب خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، ذات الطابع التكميلى المحدود ، الى جانب اختيار الزميل أو بعض الزملاء من الفريق المتعاون ، وضع خطة عمل وبرنامج يغطى تنظيم وضبط ، مسيرة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، فى هذه المرة • ويتعين على الباحث الجغرافى ومن يكون معه ، أن يعرف بالضبط حدود المهمة المنوطة بهذا الذهاب الى الميدان • كما يجب أن يدرك كل شريك مع الباحث الجغرافى ، بالضرورة ، مواقع أو مواضع انجاز العمل الجغرافى العملى التكميلى ، فى أنحاء الميدان • بل قل ، وينبغى أن يتحدد قبيل خروج هذه الرحلة الى الميدان ، المدى الزمنى الأنسب ، للذهاب والعودة ، مع تأمين حسن انجاز المهمة المنوطة بها ، فى الميدان •

ومن أجل هذه المهمة الطارئة ، التى تشهد انجاز العمل الجغرافى العملى التكميلى ، قد توضح الخطة التى يتكرر بموجبها الذهاب الى الميدان ذهابا خاطفا ، أكثر من مرة ، والى أكثر من موضع معين فى الميدان • وفى كل مرة ، من هذه المرات ، تنجز الرحلة عملا ميدانيا معينا ، لحساب النقص أو التقصير ، فى مطالب المسح الجغرافى • ولا ينبغى أن يتزامن هذا الذهاب أو هذا التكرار أبدا ، لأن الباحث الجغرافى ، يكون شريكا فى كل مرة ، ولا يكون فى وسعه أبدا الذهاب الى أكثر من مكان واحد ، فى وقت واحد • بمعنى ضرورة عدم التزامن ، بين الرحلات السريعة المتكررة ، الى مواقع متفرقة ، فى أنحاء متباعدة من الميدان • ولكن المؤكد فعلا ، هو أن تتوجه كل رحلة جغرافية ميدانية ، فى الوجهة المعنية ، فى الوقت المناسب ، الذى ينبغى أن تبلغ فيه الدراسة الميدانية ، الغاية أو الهدف الذى تكتمل بموجبه المادة العلمية الخام ، المطلوبة ، لحساب المسح الجغرافى •

وهناك فى كل موقع من مواقع العمل الجغرافى العملى ، ينبغى أن يتعاون الاجتهاد العلمى الجغرافى وغير الجغرافى ، مع الاجتهاد العملى الميدانى، تعاونا مستنيرا وحصيفا ، فى انجاز المهمة التى توجهت من أجلها هذه الرحلة الجغرافية الى الميدان من جديد • ولا يجب أن يكون العمل متعجلا ، أو أن يهبط مستوى الأداء والتدقيق ، وجمع المادة العلمية الخام ، وحصر كل

الاجابات على الأسئلة المطروحة ، عن مستوى الأداء العملى ، فى الرحلة الجغرافية الميدانية الأساسية السابقة .

وهذا الالتزام الحميد بالمستوى الأفضل فى العمل الميدانى ، مطلوب من الباحث الجغرافى ، الذى يعمل معه شريكه المتخصص أو الفنى ، فى صبر وجلد على اجراء أو تنفيذ التجارب العملية ، وهو يلقى السؤال أو مجموعة الأسئلة ، حتى يتسنى له حق الحصول على الردود والاجابات ، التى تبوح بها الظاهرة الجغرافية المعنية أو التى لا يتستر عليها المنظور الجغرافى فى الميدان ، وهذا الالتزام مطلوب أيضا ، من الباحث الجغرافى ، الذى ينبغى أن يستكمل ما ينقصه من البيانات والمعلومات ، ويضطر الى تكرار هذا الذهاب الى الميدان مرة أخرى . وقد يخدم التأنى هذا الالتزام الأكيد ، ولكن لا شىء يخدم هذا الالتزام أهم من الاستعداد المتفتح للتعامل الجيد الحصيف مع الظاهرة الجغرافية المعنية ، أو مع توليفة المنظور الجغرافى الذى ينطوى فى محتواه على هذه الظاهرة الجغرافية المعنية ، وهو يؤثر فيها وتتأثر به وتؤثر فيه .

وتخرج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، لكى تعتصر كل ما ينبغى الحصول عليه ، من المادة الجغرافية الخام ، من الموقع أو من المواقع المتعددة فى أنحاء المساحة المعنية ، على دفعات متكرر ومتعاقبة . وتطلب الرحلة فى كل موقع معين ، استيفاء ما يتكشف للباحث الجغرافى نقصانه أو التقصير فى الحصول عليه ، لحساب المسح الجغرافى . ولا تعود أى رحلة من هذه الرحلات ، من أى موقع معين ، الا بعد أن يفرغ الباحث الجغرافى ومن معه ، من انجاز المهمة الميدانية ، التى يسعى الى استثمارها . ولا ينبغى أن يتبرم الباحث أبدا ، من تكرار هذا الذهاب الى الميدان . بل ولا ينبغى أن تفتر همة الباحث الجغرافى ، أو يضيق صدره به ، حتى لا يضار الانجاز ، ولا تتكامل الأوصال فى بنية المسح الجغرافى . بل قل لماذا وكيف يتبرم أو يضيق صدر الباحث الجغرافى ، وليس فى التكرار شرودا فى صحبة الملل ؟ بل قل أيضا ، كيف يكف الباحث عن الذهاب الى الميدان ، والبحث عن الاجابات المتوقعة ، أو البيانات الناقصة التى تدعم انجازه النهائى ، وتكفل تماسك أوصال بنيته العلمية الجغرافية ، لم يستنفد أغراضها ؟

وهذا معناه ، أن يتحلى الباحث الجغرافى ، الى جانب المهارة والخبرة فى العمل الجغرافى الميدانى ، بشىء مناسب من المثابرة والالحاح وقوة

الاحتمال والجلد ٠ ولا يجب أن يفرط الباحث الجغرافي ومن معه ، أو أن يهمل ، أو أن يتكاسل ، في شأن من شئون استيفاء الدراسة الميدانية ، وجمع كل النتائج المطلوبة من العمل الجغرافي العملي والميداني ، والحصول على المادة الجغرافية الخام ٠ وكيف يتكاسل أو يهمل أو يفرط الباحث الجغرافي في أمر الذهاب المتكرر الى الميدان ، لاستكمال بنية بحثه ، لحساب المسح الجغرافي ؟ وهو الذى يعلم علم اليقين ، بأن الدراسة الميدانية وحدها هى التى تمده بأفضل البيان والوضوح والاجابة ، عن كل ما يبتغيه حتى ينجز المسح الجغرافي في صورته النهائية ٠

وهناك في الميدان ، وفي اطار وحدة الشمول الجامع ، الذى يجمع بين مراحل الرحلة الجغرافية الميدانية ، بداية من رحلة الزيارة الأولية ، الى رحلة تقصى الحقائق والاستغراق في العمل الجغرافي العملي ، الى رحلة الاستيفاء النهائى من الميدان ، ومن خلال العمل الميدانى في كل موقع مناسب الذى يشترك فيه الباحث الجغرافي والمتخصص والفنى ، يجد الفريق ضالته المنشودة ٠ بل قل يجد الباحث الجغرافي من بعد حسن آداء العمل الجغرافي العملي الميدانى ، وجنى ثمرات هذا العمل ، الاضافة المناسبة التى تزين البحث ، لحساب المسح الجغرافي ، حتى يحظى بقبول من ينتفع به أو يعتمد عليه في المجال التطبيقى لحساب حركة الحياة ٠

* * *

الفصل الثالث

العمل الجغرافي والدراسة الميدانية في البيئة الجغرافية

- الجغرافية ومفهوم البيئة الجغرافية
- العمل الجغرافي والدراسة الميدانية للبيئة
- الرحلة الجغرافية الميدانية ودراسة البيئة
- الرحلة الجغرافية الميدانية ومستويات توظيفها فى دراسة البيئة
- الرحلة الجغرافية الميدانية والزيارة التفقدية
- تشكيل الفريق المتعاون لرحلة المرحلة الثانية لدراسة البيئة
- خطة العمل الجغرافى الميدانى عن البيئة
- رحلة تقصى الحقائق الجغرافية عن البيئة
- الانجاز العملى الجغرافى عن البيئة فى الميدان
- رحلة جغرافية ميدانية أخيرة الى الميدان

الفصــل الثالث

العمل الجغرافي والدراســة الميدانية فى البيئة الجغرافية

الجغرافية ومفهوم البيئة الجغرافية :

يولى الاجتهــاد الجغرافى ، على المــدى الطويل الاهتمام بدراسة البيئة ، وهو يستشعر أوضــاع حركة الحيــاة فى ربوع البيئة وخواص الشخصية الجغرافية الســائدة فيها • ومن خلال هذه العناية الجغرافية تفتحت العيون بوعى حقيقى على جدوى الاهتمــام بدراســة البيئة ، لحساب حركة الحياة فى المكان والزمان • بل قل تفتــح الوعى العلمى تفتحا شديدا ، على سلبيات وايجابيات حركة الحيــاة ، وهى تتعامل وتعيش فى أحضان البيئة أحيانا ، أو وهى تؤثر وتتأثر بتوجهات الشخصية الجغرافية على صعيد البيئة أحيانا أخرى •

وصــحيح ان هذا التفتح العلمى على محصلة الاجتهــاد الجغرافى عن البيئة الجغرافية ، قد انعطف بشــدة لكى يتابع ســلبيات حركة الحياة فى البيئة ، وهى تعربد وتفســد وتسىء وتلوث ، أو وهى تغير وتبدل وتدمر وصــولا الى حد الخلل وعدم الانضباط وانعدام التوازن الحيوى فى مكونات التركيب الهيكلى لعناصر البيئة •

وصــحيح أيضا ، ان هذا الانعطاف الشــديد الى هذه السلبيات التى تفضى اليها حركة الحيــاة ووسائلها الحضارية ، قد وجه التفتح العلمى الى الانغماس الحقيقى فى دراســة البيئة ، والى ولادة علــم البيئة والتخصص الدقيق فى الدراسة البيئية •

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، ان موجبات أو دواعى ولادة علم البيئة وهو شكل من أشكال الخروج من تحت الرداء الجغرافى ، لا يعنى انســلاخا وانقطــاع الصــلة بين علم الجغرافية واهتمــاماته فى جانب ، وعلم البيئة واهتماماته فى جانب آخر • كما لا يعنى أبدا ، تجميد الاهتمام الجغرافى بدراســة البيئة ، والكف عن متابعة حضور حركة الحياة ، وتقصى سلبيات وايجابيات ، التعامل الحياتى على كافة المستويات فى البيئة •

وفى الاعتقاد الجغرافى الرزين أنه لا اعتراض ولا اعراض عن نتائج العمل العلمى المتخصص فى دراسة البيئة أبدا · بل ربما يرحب الاجتهاد الجغرافى ترحيبا كثيرا ، بنتائج هذه الدراسات العلمية المتخصصة ، ويرى فيها تعميقا وتوغلا حميدا ، وهو يتعقب الافساد الحضارى الذى تتضرر به البيئة ، ثم تعود بهذا الضرر على وجود حركة الحياة ذاتها · ومع ذلك يكون الاعتراض الجغرافى فقط ، عندما تتأتى هذه الدراسة العلمية المتخصصة فى شئون البيئة ، فى غيبة الاجتهاد الجغرافى ، أو فى غيبة الاسهام الجغرافى المناسب فى دراسة البيئة · بل قل يكون الاعتراض الجغرافى اعتراضا جادا على تعمد انقطاع الصلة بين الاهتمام الجغرافى ودوره الوظيفى فى دراسة البيئة فى جانب ، والاهتمام العلمى ودوره الوظيفى فى دراسة البيئة فى جانب آخر ·

وعلم الجغرافية الذى يحسن العناية والاهتمام بالأرض لحساب الانسان ووجود حركة الحياة على صعيدها ، ويحسن العناية والاهتمام بالانسان ووجود حركة الحياة وأساليب التعامل مع الأرض ، يعتنى عناية حقيقية بدراسة البيئة · وفى ظل هذا التوجه الجغرافى الذى يعتنى بالبيئة ، يطل الاجتهاد الجغرافى على البيئة الجغرافية ، فى المكان والزمان · وتحسم الرؤية الجغرافية التصور الذى يلتمس مكونات هذه البيئة الجغرافية · وقل انها تجيد التمعن الجغرافى فى التوليفة الجغرافية التى تضم عناصر جغرافية طبيعية وعناصر جغرافية بشرية ، حتى تحسن التعبير عن مفهوم البيئة الجغرافية فى المكان والزمان · بل قل فى وسع هذا الاجتهاد الجغرافى أن يلتمس الحد الفاصل بين بيئة جغرافية وبيئة جغرافية أخرى ، أو أن يتبين دواعى وموجبات الاختلاف الجغرافى بينهما ، على صعيد الأرض · كما يكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى أيضا ، أن يتعقب دواعى التغيير وفعل المتغيرات ، التى تقحم التغيير على مواصفات وخواص البيئة من عصر الى عصر آخر ·

والرؤية الجغرافية وهى تطل على البيئة الجغرافية ، تمثل الشمول الذى ينبغى أن يغطى كل عناصر او أن يحتوى كل مكونات التوليفة البيئية ، فى المكان والزمان · ومن الجائز أن يقع الاختيار الجغرافى على صفة معينة طبيعية أو صفة معينة بشرية ، أو على صفة يسفر عنها التعامل البشرى مع الأرض ، لكى يسند اليها وصف وانتماء البيئة الجغرافية · واستنادا الى الصفة المنتخبة الطبيعية ، تكون البيئة الجبلية أو البيئة السهلية ، أو تكون البيئة الرطبة أو البيئة الجافة ، أو تكون البيئة الغابية أو البيئة العشبية أو البيئة الصحراوية ، أو تكون البيئة الحارة أو البيئة المعتدلة

أو البيئة الباردة • واستنادا الى الصفة المنتخبة البشرية ، تكون البيئة الريفية أو البيئة الحضرية ، أو تكون البيئة المنغلقة أو البيئة المنفتحة أو تكون بيئة الجذب السكانى أو بيئة الطرد السكانى • واستنادا الى الصفة المنتخبة ، فى ضوء توجهات العلاقة وحركة التفاعل الحياتى بين الانسان والأرض ، تكون البيئة زراعية أو بيئة رعوية أو بيئة صيد أو بيئة صناعة أو بيئة تعدين وتحجير ، أو تكون بيئة عمل واجتهاد وبذل جهد أو بيئة كسل وخمول وتراخى فى بذل الجهد ، أو تكون بيئة صعوبة وتحديات مستعصية أو بيئة لين واستسلام وحسن استجابة • ومع ذلك فلا يسفر هذا الاتساع العريض فى وصف البيئة الا عن شيء من الخصوصية فى الرؤية الجغرافية وفى المعالجة التى تطاوع ما ترمى اليه هذه الخصوصية • ولا تسقط هذه الخصوصية التى يؤدى اليها هذا الاتساع العريض فى وصف البيئة وفى تميز البيئة عن البيئة الأخرى ، عن دراسة البيئة حتمية الشمول الجغرافى الذى يغطى كل مكونات توليفة البيئة الجغرافية • بل قل تظل البيئة وهى تكتسى بالكساء الذى يناسب التوصيف الجغرافى الطبيعى أو التوصيف الجغرافى البشرى أو التوصيف الجغرافى الاقتصادى ، محتفظة بكل خيوط انتمائها الواقعى الى هذا الشمول الجغرافى •

وهكذا ، نفهم دواعى التشبث الجغرافى بدراسة البيئة دراسة مناسبة ، وهى توغل عمقا فى تحليل أو فى تركيب العناصر الجغرافية الطبيعية ، والعناصر الجغرافية البشرية ، المتداخلة فى صلب البيئة ، فى المكان والزمان • وفى الوقت الذى لا تعفى فيه الدراسة الجغرافية نفسها من الاهتمام بالبيئة ودراستها وتحمل الاجتهاد الجغرافى مسئولية العمل الجغرافى فى هذا الحقل ، يقبل علم الجغرافية عن طيب خاطر وحسن ادراك واتساع أفق على الاشتراك مع علم البيئة فى انجاز الدراسات البيئية • بل قل يستشعر الاجتهاد الجغرافى الذى يتوجه الى دراسة البيئة ، سواء وهو يبحث ويتحرى عن حقائق مواصفات هذه البيئة وحضور حركة الحياة فيها ، أو وهو يبحث ويتحرى عن دواعى العبث الذى يفسد أو الذى يعيث فى البيئة فسادا فتضرر به حركة الحياة ، الحاجة الى حسن الصحبة والتعاون بين اهتمامات الاجتهاد العلمى الجغرافى واهتمامات الاجتهاد العلمى البيئى •

ويتوجه الاجتهاد الجغرافى بكل ما يمتلك من مهارة فى التحليل والتفسير ، وفى الربط والتركيب ، الى تقصى ايقاعات العلاقة بين الانسان وحركة الحياة ، والأرض وفعل الطبيعة ، على صعيد البيئة • كما يتقصى العمل الجغرافى على صعيد الأرض فى اطار أوضاع وخواص البيئة • توجهات

حركة الحياة فى التعايش أو فى التعامل الحياتى ، وهى لا تتجاوز حد الأمان الذى تحافظ بموجبه على البيئة ، أو وهى تخترق حد المصالحة مع الطبيعة دون عناية بالمحافظة على دواعي وموجبات الأمان التى تحافظ على صحة وسلامة البيئة • وقل يعمل الاجتهاد الجغرافى كل ما فى وسعه ، حتى تتكشف له ، قوة فعل المتغيرات الطبيعية وقوة فعل المتغيرات البشرية ، فى اطار أنماط ومستويات العلاقة المستمرة على صعيد البيئة ، بين حركة الحياة ومسرح البيئة الذى يشهد أحداث هذه الحركة • بل قل يظل الاجتهاد الجغرافى حريصا على متابعة التوازن أو عدم التوازن ، الذى تفضى اليه المتغيرات الطبيعية والمتغيرات البشرية ، أثناء الممارسة الحياتية على صعيد البيئة ودون تجاوز حد المصالحة بين الانسان والطبيعة ، أو أثناء حدة المصارعة بين الانسان والطبيعة على صعيد البيئة ، حتى تنتهى الى تعديل حد المصالحة على حساب الطبيعة ،لحساب انتصار الانسان •

ويبدو هذا الاقدام الجغرافى على دراسة البيئة ، وتقصى عناصر توليفة البيئة ، وهى من خواص الطبيعة ، أو من فعل الانسان ، غاية فى الأهمية • وتمهد هذه الدراسة الجغرافية للبيئة ، تمهيدا جيدا لدراسات وأبحاث علم البيئة • وقل يجهز العمل الجغرافى بناء على هذه الدراسة الجغرافية للبيئة ، قاعدة راسخة منها تنطلق ، وعليها تبتنى أبحاث البيئة • بل قل انها هى التى توفر الصدق والوضوح الجغرافى على صعيد البيئة ، فى المكان والزمان ، حتى لا تبدأ أبحاث علم البيئة من فراغ ، وحتى تهتدى فى التوجه الصحيح الى الغاية المنشودة من هذه الأبحاث البيئية •

العمل الجغرافى والدراسة الميدانية للبيئة :

يدعو الاهتمام الجغرافى بالدراسة الجغرافية للبيئة ، عناية خاصة بالعمل الجغرافى الميدانى على صعيد البيئة • وفى ظل هذه العناية ، يكون توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى طلب الغاية المنشودة • وهناك دافع جغرافى مجرد ، يقف من وراء خروج وتنظيم هذه الرحلة الجغرافية الميدانية، التى تسعف الانجاز الجغرافى عن البيئة • وهناك دافع جغرافى آخر ، يجاوب الاجتهاد الجغرافى الذى لا يتهرب من مسئولية التمهيد أو التجهيز الجغرافى المناسب ، لكل الدراسات البيئية وهى تلتمس سلبيات وايجابيات الممارسات الحياتية التى تسىء أو التى تحسن الى خواص البيئة وأوضاع حركة الحياة فيها •

وسواء تأتى هذا الاسهام الجغرافى والتصدى لدراسة البيئة ، وفق ما تمليه أساليب العمل الجغرافى بشكل تطوعى تلقائى ، أو تأتى هذا الاسهام الجغرافى ، استجابة لتكليف رشيد ، يستشعر جدوى العمل الجغرافى فى دراسة البيئة ، يتحمل الاجتهاد الجغرافى المسئولية المباشرة ، وهى أمانة غالية فى العنق • ومن أجل هذه الأمانة ، يجرى الباحث الجغرافى البحث الجغرافى الذى يعكف على دراسة البيئة ، فى المكان والزمان • بل قل انه يتعمد الكشف الجغرافى الذى يدقق فى جمع الحقائق الجغرافية المتداخلة فى صياغة توليفة البيئة الجغرافية •

ويستوجب هذا العمل الجغرافى ، الذى يتصدى لانجازه الباحث الجغرافى ، دراسة جغرافية مكثفة على وجهين متكاملين • وعلى **الوجه الأول** تكون الدراسة الجغرافية المكتبية ، التى تعكف على القراءة وحسن الاطلاع الواسع على المراجع والمصادر ، حتى تتبين ما تنطوى عليه الجعبة الجغرافية من بيان عن البيئة المعنية • وعلى **الوجه الآخر** ، يكون الالتزام الجغرافى الكامل بالدراسة الجغرافية الميدانية ، التى تجرى على صعيد البيئة المعنية ، فى طلب الوضوح الجغرافى ، أو فى طلب الاضافة الجغرافية عن خواص البيئة الطبيعية ، وعن وجود وسلوك حركة الحياة فيها •

ويكفل حسن الجمع والتنسيق بين رصيد الدراسة الجغرافية المكتبية، وحصاد العمل الجغرافى الميدانى ، حد التزود المناسب ، بأهم مقومات البيئة الجغرافية ، فى المكان والزمان • ومن ثم ينجح الاجتهاد الجغرافى ، وهو يمضى فى ثقة تامة ، على درب الصواب ، فى توضيح معالم البيئة الجغرافية • وحسن الاعداد والتجهيز لاجراء الدراسة الميدانية ، وحسن التوجه فى الوقت المناسب لاجراء هذه الدراسة الميدانية ، لحساب الهدف الجغرافى المجرد أو لحساب الهدف الجغرافى الذى يفتح الطريق ويسدد خطوات علم البيئة نحو الهدف البيئى المنشود ، يمثل قضية حيوية تهم الباحث الجغرافى وتشغله وهو لا يتهرب منها أبدا •

ويفضى هذا النجاح الجغرافى فى هذا العمل الجغرافى عن البيئة ومقوماتها ، وعن أوضاع حركة الحياة فيها ، الى اقتناع حقيقى بلزوم الخبرة الجغرافية ، وهى مسئولة وتباشر هذه المهمة ، أو وهى تصطنع قاعدة الاقتراب الصحيح الجيد التى تتعقب السلبيات والايجابيات على صعيد البيئة ، فى المكان والزمان • كما ينبغى أن يرسخ هذا النجاح الجغرافى الانفتاح الجغرافى وقضية التفتح والتحول العلمى الجغرافى ، شطر العمل

أو الأداء الجغرافي ، الذى يخرج علم الجغرافية من جمود النظرية الى مرونة الاسهام فى الآداء التطبيقى ، وحتى يصبح علما بينيا راسخا فى وقفته النافعة ، فى صف العلوم التطبيقية ، وهى تخدم حركة الحياة ٠

ومن ثم نفهم جيدا ، كيف يكون التوجه الجغرافى الى دراسة البيئة ، استجابة مجردة تجاوب الهدف الجغرافي أحيانا ، وكيف يكون هذا التوجه الجغرافى الى دراسة البيئة ، استجابة واعية ، تطاوع دواعى التكليف الذى يتطلع الى وضوح رؤية البيئة الجغرافية أحيانا أخرى ٠ وفى هاتين الحالتين ، لا يتصدى الاجتهاد الجغرافى لهذه المهمة ، وهى لحساب الهدف الجغرافى المباشر أو لحساب الهدف الجغرافى المكلف بالتمهيد والاعداد للهدف البيئى ، الا وهو فى غاية الاهتمام بالدراسة الميدانية للبيئة ، فى المكان والزمان ٠ بل قل يبقى الاجتهاد الجغرافى ، على يقين كامل ، بجدوى العمل الجغرافى العملى ، الذى تباشر به الدراسة الميدانية ، انجاز البحث الجغرافى عن البيئة، فى المكان والزمان ، أو عن المتغيرات البيئية فى المكان ، من عصر الى عصر آخر ٠

وهكذا ، لا يتردد الباحث الجغرافى عند الاقدام على اجراء الدراسة الميدانية للبيئة فى المكان والزمان ٠ بل قل انه لا يبدى شيئا من التحفظات على حسن تنظيم الرحلة الجغرافية الميدانية ، وحسن توظيفها فى خدمة الغرض المنشود من دراسة البيئة ٠ بمعنى أنه يطاوع الهدف الحقيقى الذى يستوجب دراسة البيئة ، وأوضاع حركة الحياة فيها ٠ وقد يضيف تأسيسا على وضوح رؤية ما تبوح به البيئة ، رأيا جغرافيا مناسبا ، يجاوب معالجة سلبيات وايجابيات التأثير المتبادل بين الواقع الجغرافى البيئى ، وحركةالحياة فى البيئة ٠

* * *

الرحلة الجغرافية الميدانية ودراسة البيئة :

اقدام الاجتهاد الجغرافى على دراسة البيئة أحيانا ، أو قبول الاجتهاد الجغرافى التكليف الذى يعهد اليه بدراسة البيئة أحيانا أخرى ، لا يبدأ من فراغ أبدا ، ولا ينتهى من غاية منشودة ، ويركز الاجتهاد الجغرافى على تعقب المنظور الجغرافى للبيئة المعنية ، على الوجهين الطبيعى والبشرى ٠ وقل انه يحدد فى البداية الاطار الذى يحتوى منظور البيئة المعنية ٠ ومن ثم يبادر الى تقصى مواصفات هذا المنظور ، والى التماس تحليل وتعليل هذه

المواصفات على صعيد البيئة ، والى تحرى دواعى الربط والتداخل بين عناصر التوليفة الجغرافية المنسقة فى هذا المنظور الجغرافى للبيئة ٠

ويوظف الاجتهاد الجغرافى الرحلة الجغرافية الميدانية فى اجراء الدراسات الميدانية المناسبة ، التى تجاوب الحاجة الى دراسة المنظور الجغرافى للبيئة ٠ وفى حالة العمل الجغرافى الذى يتولى هذه المهمة ، وهى تكليف يقدم أو يمهد لدراسة مواجع الافساد فى البيئة ، ينبغى أن تتوجه الدراسة الجغرافية فى الميدان توجها حصيفا ومباشرا الى الكشف عن دواعى وموجبات هذا الافساد ٠ بمعنى أن تكون العين الجغرافية ، موجهة بمهارة وخبرة الى المنظور الجغرافى للبيئة ، وأن تتوجه العين الجغرافية الأخرى بمهارة وخبرة عملية ، فى مجال الربط والتركيب والتماس أسباب ودواعى الارتباط والتداعى الى المشكلة التى تثيرها دواعى وموجبات الافساد فى البيئة المعنية ٠

ويبدع الاجتهاد الجغرافى المعاصر ابداعا كبيرا ، ويتفانى فى الكيفية التى يتسنى بموجبها ، توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية ، توظيفا مناسبا ، فى دراسة البيئة الجغرافية ، فى المكان والزمان ٠ وقل يعرف الاجتهاد الجغرافى فى الميدان ، كيف يمتلك مهارات الانتقال الموضوعى ، الذى يتعقب مشاكل البيئة ٠ بل قل يفلح الاجتهاد الجغرافى كثيرا ، فى تطويع الدراسة الميدانية تطويعا مناسبا ، حتى تمسك بأطراف الخيوط التى تتداخل فى صياغة نسيج البيئة ، أو التى تربط بين عوامل الافساد والتخريب من ناحية ، ومشاكل البيئة من ناحية أخرى ٠

هذا ، ولا تقع الدراسة الميدانية عن البيئة ، وعن مشاكلها أبدا ، فى قبضة القوالب الجامدة ، لأن نسيج البيئة الجغرافى يختلف من مكان الى مكان آخر ، ويتغير من عصر الى عصر آخر ٠ ودراسة الاجتهاد الجغرافى عن البيئة ، التى لا تتقيد أبدا بقيود القوالب الجامدة ، فى تنفيذ العمل الجغرافى العملى الميدانى ، وهو يتعقب مواصفات وخواص البيئة ، أو وهو يلتمس توجهات وأساليب الافساد فيها ، يشد أزر الابداع الجغرافى ويسدد خطواته العملية ٠ بل قل ان هذا التحرر فى الآداء على صعيد البيئة، دون الخروج عن أصول المنهج الجغرافى ، فى الدراسة الميدانية ، يشد أزر التوجه الجغرافى الملتزم بدراسة البيئة ومشاكلها ، وبحسن مستوى الآداء العملى فى الميدان ٠ ومن ثم يعزز هذا التحرى فى العمل الميدانى ، عن البيئة ومشاكلها وتوجهات الافساد فيها ، التوجه العلمى الجغرافى التطبيقى المفيد ٠

ولان هذا التحول العظيم ، الذى يعلن عنه مولد علم الجغرافية المعاصرة، ويزج به فى ميدان العمل الجغرافى العملى ، عن البيئة الجغرافية ومشاكلها ، يمثل تحولا متحمسا بالفعل للهدف التطبيقى ، فلقد كرس الاجتهاد الجغرافى الاهتمام الكبير بأمرين هما :

١ - تطويع الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهى الوسيلة التى تطاوع هذا التوجه لدراسة البيئة وتقصى مشاكلها وعوامل الافساد فيها ٠

٢ - تطوير أساليب مباشرة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، وهو الذى يسعف باوغ الغاية المنشودة ، فى ثوبها التطبيقى ٠

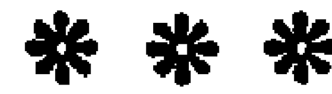
وينبغى أن ندرك بالضرورة ، كيف يتسبب هذا التطويع فى تغيير حقيقى ، فى مهمة الرحلة الجغرافية الميدانية ، وفى أسلوب آدائها العملى ونزعتها التطبيقية ، فى خدمة الدراسة الميدانية عن البيئة ٠ ومع ذلك ، لا يفجر هذا التغيير ثورة عارمة ، تقلب أوضاع الدراسة الميدانية وتوجهاتها العملية المثمرة ، رأسا على عقب ٠ بل قل ان هذا التغيير يكون هادئا ، وهو يضيف اضافات اجادة وجديدة الى العمل الجغرافى ، أو وهو يوسع دائرة التزامات هذه الدراسة الميدانية ، عن البيئة فى المكان ، وعن مشاكلها فى الزمان ٠ بمعنى ان هذا التطويع يصطنع ثورة اضافة وتجديد وتجويد وحسن توجيه الأداء الذى يتعقب خواص البيئة ويتلمس جذور مشكلاتها ، فى المكان والزمان ٠

وهكذا ، تبقى الدراسة الميدانية ، لحساب البحث الجغرافى الخاص والمتخصص على ما هى عليه ، فى الوقت الذى تتطور فيه الدراسة الميدانية ، عن مقومات البيئة ، وعن مشاكلها ٠ بمعنى ان هذا التطويع الجغرافى قد اصطنع التغيير فى الآداء ، وهو ادعى الى زيادة فى الأعباء الدراسية الميدانية ، التى ينبغى أن يتفرغ لها الجغرافى ويقوم بها أثناء الرحلة الجغرافية الميدانية ٠ وتتأتى هذه الزيادة فى الأعباء ، فى شىء كثير من التأنى والهدوء ، عندما يسأل العمل الجغرافى الميدانى عن مشاكل البيئة ، على وجه الخصوص ٠

وسواء تمثلت مشاكل البيئة فى التلوث الذى يفضى اليه سوء الاستخدام ، أو الذى يتسبب فيه الاستسدام الجائر ، أو تمثلت مشاكل البيئة فى الخلل وانعدام التوازن الحيوى ، فانها تضيف بالضرورة شيئا مهما الى جملة الاستفسارات والأسئلة التى يضمها الاستبيان المعد ، لحساب

الدراسة الميدانية عن البيئة . وتنال هذه الاضافات شيئا مناسبا من العناية والترحيب وحسن الاستجابة ، عند اعداد خطة العمل الجغرافي في الميدان ، وعند الاقدام على انجاز العمل الجغرافي بالفعل . وتستفيد هذه الاستجابة من الخبرات المكتسبة في مجال العمل الجغرافي الميداني . بل قل تبدو هذه الخبرات المكتسبة ، وكأنها القاعدة الصلبة ، التي يبتنى عليها هذا التجديد ، أو هذه الاضافة الجيدة ، وهي تؤهل العمل الجغرافي وتحسن توجيهه الى تغطية الدراسة الميدانية ، عن البيئة ومشاكلها ، في المكان والزمان .

ومهما يكن من أمر ، فان الجغرافية المعاصرة ، تولى الرحلة الجغرافية الميدانية ، التي تجرى الدراسة الميدانية عن البيئة ومشاكلها المعنية شيئا كثيرا من العناية والاهتمام . ولا تتهاون هذه العناية أبدا في شأن من شئون العمل الجغرافي العملي ، ولا تقصر مطلقا في الاستجابة لما تمليه توجهات البحث عن العلاقة بين الانسان والأرض ، التي تحسن أو تسيء الى أوضاع البيئة . بل قل انها تبارك وتباشر التمادي في حسن انجاز العمل الجغرافي الميداني ، من حيث المضمون والغاية والهدف . وترى في هذا التمادي شيئا مهما يعبر عن مبلغ الاهتمام الجغرافي ، باقتحام ميدان العمل التطبيقي عن البيئة ، لحساب حركة الحياة .



الرحلة الجغرافية الميدانية ومستويات توظيفها في دراسة البيئة :

تستوجب دراسة البيئة الجغرافية ، في المكان والزمان ، شيئا مهما وكثيرا ، من العمل الجغرافي العملي ، في الميدان . وينبغي أن تنظم الرحلة الجغرافية الميدانية ، التي تذهب الى الميدان ، تنظيما مناسبا وهادفا ، لانجاز هذا العمل الجغرافي الميداني . بل قل لا يكون الاقدام على هذا التنظيم أبدا ، الا في ضوء وضوح وحسن بيان الهدف والمقصد من العمل الجغرافي الميداني . وقد يكون وضوح وحسن بيان الهدف مسئولية الجغرافي أحيانا ، أو مسئولية غير الجغرافي أحيانا أخرى ، عندما يكلف الجغرافي ويطلب منه الاقدام على دراسة البيئة ومشاكلها ، لحساب حركة الحياة .

وفي الاعتقاد الجغرافي أن تنظيم الرحلة الجغرافية الميدانية ، في أي من هذين الوضعين ، يكون مسئولية الجغرافي وحده . وقد يكون الجغرافي في حاجة الى حسن الاستماع لما يجول بخاطر من يكلفه ، ولكن لا يمثل

هذا اسهاما أو اشتراكا بشكل غير مباشر فى تنظيم رحلة العمل الجغرافى الميدانى . وتشمل هذه المسألة الجغرافية ، القيام بتشكيل فريق العمل ، ووضع خطة وبرامج العمل الجغرافى ، التى تناسب دراسة البيئة ومشاكلها ، فى الميدان .

لأن هناك حاجة تدعو الى ذهاب الرحلة الجغرافية الميدانية ، أكثر من مرة ، الى الميدان ، ولأن هناك اطار جامع ، يجمع وينسق وينظم مرات الذهاب التى تتكرر الى الميدان ، فينبغى أن نؤكد على أن هذا الذهاب المتكرر تغطيه رحلة جغرافية ميدانية واحدة ، تتأتى وتتولى انجاز العمل الجغرافى عن البيئة ومشاكلها ، على مراحل متوالية أو متعاقبة . وفى كل مرة أو فى كل مرحلة من هذه المراحل ، تؤدى الرحلة الجغرافية الميدانية ، دورها الوظيفى المناسب ، على مستوى خاص ومتخصص . وتكون وكأنها تمضى على الدرب فى كل مرحلة خطوة ، فى الاتجاه الصحيح ، حتى تنجز الدراسة الميدانية عن البيئة ومشاكلها .

وهكذا تعمل الرحلة الجغرافية الميدانية عملا مناسبا ، وعلى مستويات متباينة ، عندما تذهب فى كل مرة الى الميدان . بمعنى أنها رحلة تخرج فى كل مرحلة من المراحل خروجا ، يناسب الهدف الجوهرى الذى يحدد مستوى الأداء . بل قل انه هو الخروج الذى يجاوب الهدف الجوهرى المرحلى الذى يتعين العمل من أجله ، فى الميدان . وهناك ترتيب جيد مناسب ، ينظم هذا الخروج ولا يجوز اهماله أبدا ، أو التفريط فيه ، حتى يتحقق كل الهدف الجوهرى الشامل ، من خروج الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى المراحل المتعاقبة ، الى الميدان . وترتيب أو تنظيم أو تنسيق هذا الخروج الى الميدان ، فى كل مرحلة من المراحل المتعاقبة ، هو مسئولية الجغرافى ، وهو جزء لا يتجزأ من العناية الجغرافية ، بسياق حسن يمضى به العمل الجغرافى العملى ، فى الاتجاه الصحيح ، وصولا الى تقصى حقيقة البيئة ، والى كشف الغطاء عن جذور المشكلات فيها .

وتتمثل الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى يتكرر خروجها الى الميدان ، على مستويات متباينة ، فى ثلاث رحلات متعاقبة . وهى رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية ، ورحلة تقصى الحقائق الجغرافية واجراء الدراسة الميدانية وتنفيذ برامجها العملية ، ورحلة استيفاء المادة الجغرافية وسد الثغرات فى بنية البحث عن البيئة ومشاكلها . وهناك علاقة تنظيمية ، تنسق بين حصة العمل الجغرافى عى مستوى الدراسة المكتبية ، وحصة

العمل الجغرافى العملى على مستوى الدراسة الميدانية • وتزكى هذه العلاقة التنظيمية ، حق الجغرافى وحده فى تنظيم الرحلة الجغرافية ، لأنه يظل مسئولا عن الأداء الميدانى والأداء المكتبى حتى يفرغ من اعداد البحث النهائى عن البيئة ومشكلات الافساد فيها •

هذا ، وليس هناك زمن معين أو مدى زمنى محدد ، لفترة وجود كل رحلة فى الميدان ، أو مدى زمنى معلوم للفصل بين كل رحلة من هذه الرحلات المتوالية والمتعاقبة • وقل قد يستوجب الدور الوظيفى المنوط بكل رحلة من هذه الرحلات ، تكرار الذهاب والعودة فى المرحلة الواحدة ، حتى تفرغ الرحلة تماما ، من بلوغ الغاية المرحلية التى تتوجه من أجلها الى الميدان • وحسب خطة العمل وحسن التنسيق بين الدراسة المكتبية والدراسة الميدانية، وحسب الترتيب والتنظيم المعمول به لخروج الرحلة فى كل مرحلة من مراحل خروجها المتعاقب ، لا ينبغى أن تخرج الرحلة الجغرافية الميدانية الا فى الوقت المناسب ، الذى يجاوب الهدف • بل قل انه لا مجال أبدا لتداخل ، بين رحلة جغرافية ميدانية فى مرحلة معينة ، ورحلة جغرافية ميدانيه فى مرحلة أخرى ، تسبقها أو تليها فى الترتيب •

الرحلة الجغرافية الميدانية والزيارة التفقدية :

— صحيح ان رحلة الخروج الجغرافى الى الزيارة الميدانية التفقدية ، تكون فى حاجة الى مهارة العين الجغافية التى تمتلك القدرة على التحليل والتركيب ، وهى تطالع المنظور الجغرافى • وتكون فى حاجة أيضا ، الى قدرة كبير من الصدق والموضوعية فى التذوق الجغرافى • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، ان الجغرافى الواحد مهما أوتى من مهارات وهو يتحلى بالعين الجغرافية ، أو وهو يتألق فى التذوق الجغرافى ، لا يمكن أن يغطى بمفرده أهداف وغايات الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية ، عندما يطل على البيئة فى المكان والزمان • ومن ثم تعترض الجغرافية المعاصرة على الخروج المنفرد فى هذه الزيارة التفقدية ، وتوصى بخروج مشترك ، يضم نواة الفريق المتعاون فى الدراسة الميدانية •

ويتألف هذا الفريق الصغير من زميلين على اقل تقدير ، يشارك كل منهما الآخر فى حسن القاء النظرة الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية • وهما معا يتحملان مسئولية هذه الزيارة التفقدية ، التى تعد من بعدها الخطة لانجاز العمل الجغرافى ، ويكون تشكيل الفريق المتعاون الذى تسنداليه

مهمة تنفيذ برامج هذا العمل الجغرافي الميداني • ومع ذلك في بعض الحالات الاستثنائية ، قد يخرج الجغرافي وحده في هذه الرحلة الجغرافية ، لانجاز الهدف أو الغاية من الزيارة التفقدية • ومن ثم تكون مسئوليته كبيرة ، لانه يتحمل وحده أعباء المعاينة الجغرافية ، وهو يتفقد المدركات الجغرافية الطبيعية والبشرية ، في أنحاء المساحة المعنية •

وتخرج رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية ، في الوقت المناسب ، الذي يكون أوانه ، يعد شيء كثير ومناسب من القراءة والاطلاع والدراسة المكتبية ، عن البيئة في المساحة المعنية • وقل تكون هذه الزيارة التفقدية ، وهي تغطي مشوار مرورها على صعيد المساحة المعنية ، بنية التعرف الجغرافي العام الشامل ، مستنيرة بما قرأت ، وواعية بما تشاهده ، وتقع عليه العين الجغرافية • ويتعين أن تستوعب العين الجغرافية الواعية والمدققة ، خصوصية المنظور الجغرافي الكلي ، الذي تبتني عليه خواص البيئة ، في المكان والزمان • بل قل ينبغي أن تمعن هذه العين الجغرافية ، وهي تتذوق خصوصية العناصر التي يتألف منها المنظور الجغرافي ، في استيعاب ما تتحدث عنه ، أو ما تنبيء به الرؤية الجغرافية ، أو ما تعلن وتفصح عنه في المكان والزمان •

وصحيح ان خطوات الطواف المدقق ، والزيارة الجغرافية التفقدية ، تضع الباحث الجغرافي وشريكه ، في مواجهة صريحة ومباشرة ، مع المنظور الجغرافي ، على صعيد المساحة المعنية • وصحيح أيضا ، ان التمعن من أجل وضوح الرؤية الجغرافية ، وحسن بيان المنظور الجغرافي ، يبصر الاجتهاد الجغرافي ، وهو يتشاور فيما يبوح به هذا المنظور الجغرافي ، عن خواص مكونات البيئة ، على صعيد المساحة المعنية • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو أن تكفل هذه الزيارة التفقدية ، بلوغ الغاية أو تحقيق الهدف ، الذي يزود الاجتهاد الجغرافي بالمعرفة الجغرافية ، ويسعفه بعد العودة من هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، في التجهيز أو الاعداد الجيد ، لخروج الرحلة الجغرافية الميدانية ، في المرحلة الثانية ، لتقصي الحقائق وجمع المادة الخام ، واجراء العمل الجغرافي العملي الميداني ، عن البيئة في المساحة المعنية •

ويتمثل هذا الهدف أو تلك الغاية الأولية ، التي يسفر عنها خروج الرحلة الجغرافية التفقدية ، التي تطوف وتعايش وتعاين ، المنظور على صعيد المساحة المعنيـة ، في تهيئة أو في توفـير الأسس السليمة ، التي ترشد الاجتهاد الجغرافي ولا تخذله أبدا في قضيتين جوهريتين • وهاتان القضيتان

اللتان تسهمان فى نجاح الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى المرحلة التالية ، لحساب الدراسة الميدانية هما :

١ - قضية حسن تشكيل الفريق المتعاون ، فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، عن البيئة ومشاكلها ٠

٢ - قضية حسن وضع خطة ضبط وتنظيم وتنسيق العمل الجغرافى الميدانى ، فى المساحة المعنية ٠

واضافة الى ما نفضي اليه الرحلة الجغرافية الميدانية ، فور الانتهاء من الزيارة التفقدية المتأنية ، تكاد توجه الاجتهاد الجغرافى العائد ، الى حسن الاطلاع والقراءة فى المراجع ، أو الى مباشرة الدراسة المكتبية من جديد ٠ بمعنى أن بلوغ الغاية ، من الزيارة التفقدية ، فى أنحاء المساحة المعنية ،وكأنه لقاء مفتوح مع البيئة ، يضع الاجتهاد الجغرافى ، فى وضع الاستعداد ، حتى يتمم مسيرة العمل الجغرافى على الوجهين العملى الميدانى ، والعملى المكتبى ، عن البيئة ومشاكلها ٠

ومن ثم نفهم جيدا ، جدوى الزيارة الجغرافية التفقدية علـى صعيد المساحة المعنية ، والوقوف وجها لوجه أمام البيئة ومشاكلها ٠ كما ندرك كيف ينبغى أن يحرص الاجتهاد الجغرافى على التمعن فيها حتى يتسنى له حسن استشعار فعل العناصر المتنوعة فى البيئة ، أو فى اثارة الافساد وخلق المشاكل فيها ٠ وهذا هو الغرض الجوهرى الذى تحققه هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى هذه المرحلة الاولى ، من زيارة الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ٠ وتبتنى على هذا الغرض الجوهرى ، بداية المرحلة الثانية من الرحلة الجغرافية الميدانية ٠

تشكيل الفريق المتعاون لرحلة الدراسة الميدانية :

تفضل الجغرافية المعاصرة - كما ذكرنا من قبل - اشتراك الفـريق المتعاون ، فى انجاز العمل الجغرافى العملى دائما ، وتزكيه ٠ بل قل انهـا تفضل الانفتاح الحقيقى ، الذى يدعو الى اشراك المتخصصين العلميين ، فى صف واحد مع المتخصصين الجغرافيين ٠ وتجد فى ذلك الجمع المنتخب ، علامة من علامات الاستجابة لوضع الجغرافية وهى علم بينى فى المكان الصحيح ، بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ٠ وهذا التوجه الجغرافى الذى يأخذ

بأسباب هذا الانفتاح ، يعنى توسيع الدائرة عند تشكيل الفريق المتعاون • ويعنى العناية بأن يسيطر على انجاز العمل الجغرافى العملى ، عن البيئة ومشاكلها • وهى التى تبرر حسن اختيار هذه النخبة المشاركة فى تكوين الفريق • ومن المفيد أن تستوعب النخبة المنتخبة من غير الجغرافيين ، معنى ومغزى الهدف الجغرافى ، وأن تتحلى بشىء مما تتميز به العين الجغرافية وقدرتها على التذوق الجغرافى •

ويكون التطلع الحقيقى فى هذا الاختيار الجيد ، الذى يجمع شمل الفريق المتعاون ، فى الدراسة الميدانية ، موجها بعناية شديدة ، الى طلب حسن التنسيق بين مهارا وخبرات ونتائج واجتهاد وعمل ، المتخصص الجغرافى والمتخصص العلمى غير الجغرافى • كما يكون التطلع فى هذا الاختيار أيضا ، موجها فى سبيل حسن التماس الكيفية ، التى تتداخل بها اسهاماتهم العلمية العملية تداخلا منسقا ومفيدا فى توليفة البحث النهائى ، عن البيئة ومشاكلها فى المكان والزمان • ومن ثم يكون هذا الجمع المنتخب بعناية ، وكأنه وحدة عمل تظلله روح الفريق ، وتنسق بينه الغاية المنشودة عن مواصفات البيئة ومشاكلها •

هذا ويتمادى اهتمام الجرافية المعاصرة بالدراسة الميدانية عن البيئة وعن مشاكلها فى المكان والزمان وصولا الى التمعن الجيد والتأنى الشديد فى:

١ - طبيعة تشكيل الفريق المتعاون ، وضم كل العناصر من التخصصات ذا تالعلاقة المباشرة الى الفريق عند خروجه فى رحلة العمل الجغرافى على صعيد المساحة المعنية •

٢ - طبيعة توجهات التعاون العلمى والعملى المشترك ، فى أداء العمل الجغرافى الجماعى المشترك ، بكل دواعى التنسيق الموضوعى ، حتى تخيم على الجماعة روح الفريق ، لحساب الدراسة الميدانية الاجدى والاكثر انفتاحا وتفتحا ، عن البيئة وعن مشاكلها فى المكان والزمان •

وتقع مسئولية اختيار أعضاء الفريق المتعاون على عاتق الجغرافى أولا وأخيرا • كما يتحمل هذا الجغرافى مسئولية قيادة هذا الفريق ، فى انجاز العمل الجغرافى العملى الميدانى • وهذا معناه أن يتحلى الجغرافى بقدرة على حسن اختيار عناصر الصحبة فى الفريق ، حتى لا يصطحب معه الا من يكون فى وسعه أن يسهم بالفعل فى العمل ، وتستوجب اشتراكه فى الفريق حاجة

العمل الجغرافى الميدانى ، ولا تستغنى عنه أبدا • ومعناه أيضا ، ان يتحلى الجغرافى قائد الفريق المتعاون ، بعد ذلك كله ، بمهارات القيادة ، ومهارات حسن توزيع العمل على أعضاء الفريق ، لحساب الهدف الجغرافى عن البيئة ومشاكلها •

وتمتد يد الاختيار الجغرافى من خلال شىء مناسب من التشاور مع أعضاء الفريق ، الى جمع بعض عناصر العمالة الفنية والعمالة غير الفنية ، التى تخرج مع الرحلة الجغرافية فى صحبة الفريق ، وفى خدمة العمل الجغرافى العملى الذى تكلف به أثناء الوجود فى المساحة المعنية • وهناك حاجة الى شىء كثير من التدقيق فى اختيار العمالة الفنية ، وفى اختبار مهاراتهم فى استخدام الاجهزة والمعدات ، وحسن الاستجابة لتكليفات الأعمال المتنوعة التى يعهد بها اليهم فى الميدان • وتخضع العمالة غير الفنية أيضا لشىء مناسب من ضوابط الاختيار ، حتى يتأكد حسن الاستعداد للعمل اليومى غير الفنى ، فى خدمة مطالب الفرد أو الجماعات فى الميدان •

وصحيح ان مسألة اختيار عناصر من المتخصصين فى علم الجغرافية ، أو فى علوم طبيعية بحتة أو فى علوم انسانية تطبيقية ، للاشتراك فى تكوين الفريق المتعاون ، يقع على عاتق الباحث الجغرافى قائد الفريق الذى يتولى توزيع وتنسيق مهمة العمل والتحرى ، عن البيئة ومشاكلها وأمراضها المتنوعة ، فى المساحة المعنية •

وصحيح أيضا ، أن الباحث الجغرافى قائد الفريق المتعاون ، رغم التشاور مع أعضاء الفريق العلميين ، يكون هو المسئول الأول عن حسن اختيار عناصر العمل من الفنيين المدربين ، على حسن تنفيذ العمل الجغرافى العملى النهائى عن البيئة ، فى الميدان •

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو ضرورة التزام الباحث الجغرافى قائد الفريق ، التزاما قاطعا ، بدواعى الاختيار الانسب ، التى تكاد تتنوع وتتفاوت كثيرا ، من رحلة جغرافية ميدانية لدراسة البيئة ومشاكلها ، فى المكان والزمان ، الى رحلة جغرافية ميدانية أخرى لدراسة البيئة ومشاكلها ، فى المكان والزمان الآخر •

ولأن البيئة فى المكان والزمان ، هى محصلة العلاقة الحميمة ، بين الأرض وكل العناصر المتنوعة التى تصطنع خواصها ، وتهيىء لها أن تضبط

وأن تنضبط فى مواجهة حضور الانسان وسلوكه الحياتى وتوظيف وسائله الحضارية من ناحية ، والانسان وخبراته ومهاراته التى تصطنع توجهـــاته وممارساته الحياتية ، وتهيىء له أن يضبط وأن ينضبط فى مواجهة الأرض وطبيعة خواصها من ناحية أخرى ، ينبغى أن يضم تشكيل الفريق المتعاون نخبة من :

١ ـ أصحاب التخصصات الجغرافية الطبيعية العلمية المتنـوعة ، التى تعالج طبيعة الأرض ، وتتعقب فعل العناصر المختلفة التى تشترك فى صياغة خواص البيئة ·

٢ ـ أصحاب التخصصات الجغرافية البشرية العلمية المتنـوعة ، التى تعالج حضور الانسان ، وتتعقب كل العنـــاصر المختلفة التى تشترك فى التماس وتجسيد السلوك الحياتى فى البيئة ·

٣ ـ أصحاب بعض التخصصات العلمية الطبيعية ، التى تعمق نتـائج بحوثها العلمية البحتة ، التماس جذور وخيوط العناصر التى تشترك بشكل مباشرة أو غير مباشرة فى نسيج البيئة وخواصها ·

٤ ـ أصحاب بعض التخصصات العلمية الانسانية ، التى تعمق نتائج بحوثها العلمية التطبيقية ، وتتعقب سلوك وممارسات حركة الحياة ، وهى تتعامل أو وهى تتعايش على صعيد المساحة المعنية فى البيئة ·

ـ هذا ، ويحدد الغرض المعين من اصطحاب بعض عنـــاصر التخصص العلمى الطبيعي والانساني ، وضمهم الى تشكيل الفريق المتعاون ، سبل توجهات الاختيار الأنسب ، تحسبا لحاجة الدراسة الميدانية ، فى كل رحلة عمل جغرافى عن البيئة ومشاكلها · كما يحدد هذا الغرض أيضا ، كيفية الانتفاع بخبرة ومهارة من يقع عليهم الاختيار ، ويتعين ضمهم الى الفريق المتعاون ، فيانجاز الدراسة الميدانية عنالبيئة وعن مشاكلها وأمراضها ،وعن علاقة المتغيرات الطبيعية أو المتغيرات البشرية ، بهذه الأمراض أو المشاكل البيئية ، وعن دواعى العبث والافساد البشرى الحضارى المتعمد أو غير المتعمد الذى يطعن فى نسيج البيئة ·

ومن ثم نفهم جيدا ، كيف يكون التانى فى تشكيل الفريق مطلوبا ، وكيف ترشد الزيارة الميدانية التفقدية هذا الاختيار المتانى عنـــد تشكيل

الفريق المتعاون · كما نفهم أيضا ، كيف لا يتخذ هذا التشكيل شكلا جامدا يتكرر ، أو ثابتا لا يتغير · وقل ان هذا التشكيل ، ينبغي أن يكون مرنا ، ويكاد يتغير تغيرا ملحوظا ، من رحلة عمل جغرافى عن البيئة ، الى رحلة عمل جغرافى عن البيئة الأخرى · ويبقى هذا النحلى بالمرونة مطلوبا لتشكيل فريق العمل المتعاون ، من رحلة عمل جغرافى عن البيئة فى عصر ، الى رحلة عمل جغرافى عن نفس البيئة فى عصر آخر ·

وينبىء هذا التوجه الجغرافى الى تشكيل الفريق ، والمحافظة على الحد الانسب من المرونة فى هذا الاختيار ، أو يعلن عن انفتاح جغرافى حميد ، لحساب التدقيق فى انجاز الدراسة الميدانية عن البيئة · وقل تعلق الجغرافية المعاصرة أملا كبيرا على نتائج هذا الانفتاح الجغرافى الحقيقى · بل قل تكون المصلحة الجغرافية فى هذا التفتح الرشيد ، وحسن الاخذ والعطاء ، والتشاور وتبادل الرأى العلمى والعملى ، بين الصفوة المنتخبة من المتخصصين الجغرافيين ، ومن المتخصصين العلميين غير الجغرافيين · وفى ظل هذا الانفتاح الجغرافى الحميد ، يكون التشكيل الذى تهيمن أو تسيطر عليه روح الفريق · وتوفر روح الفريق المناخ العلمى المناسب ، لانجاز العمل الجغرافى العملى ، الذى يدقق كثيرا عن خبرة ، فى دراسة البيئة وتعقب مشاكلها وأمراضها ·

وفوق ذلك كله ، تدرك الجغرافية المعاصرة قيمة أو جدوى التفتح والانفتاح الجغرافى الرشيد على البيئة ، وتثق كثيرا فى أن نجاح عمل الفريق المتعاون غير المتجانس ، يبقى معلقا على شرطين هامين · وهذان الشرطان هما :

١ ــ حسن تولى الباحث الجغرافى أمر قيادة الفريق المتعاون فى الميدان ، وهو المسئول تماما ، عن العمل وتنفيذ البرامج المتفق عليها ، والاسهام المباشر فى انجازها ، وهو المسئول أيضا عن حسن جمع نتائج العمل الميدانى وتصنيفها التصنيف الانسب ، لدراسة البيئة ومشاكلها وحسن تشخيص أمراضها الطارئة ، أو المزمنة ·

٢ ــ حسن انفتاح قنوات الاتصال ، وحسن تهيئة مناخ الأخذ والعطاء ، وتنفيذ العمل الجغرافى العملى ، تنفيذا يسدد خطوات هذا التعاون العلمى ، حتى يتسنى انجاز العمل الجغرافى الميدانى الأنسب أو الأجدى عن البيئة وأوجاعها الطارئة أو أمراضها المزمنة ·

وترى الجغرافية المعاصرة أن اسناد قيادة فريق العمل المتعـــاون فى الميدان ، الى صاحب الخبرة الجغرافية مسئولية جسيمة • ولا تنشأ هـــذه المهمة الجسيمة أبدا ، من فراغ ، ولا تنتهى من غير غاية • وقل ان هذا الوضع الذى يكلف الخبرة الجغرافية ويثقل عليها ، أكثر مما يشرفها ، هو مسئولية صعبة ، وأمانة غالية ، لا ينبغى التهرب منها أبدا • ولا يتأتى هذا الاسناد أو هذا التكليف ، الا على أساس ما يتمتع به الجغرافى – كما قلنا – مـــن مهارات فى التحليل والتركيب ، وما يكون قد اكتسبه أصلا من خبرات من التعامل العملى مع المدركات الجغرافية فى الميدان • وتبدو هـــذه الخبرات الجغرافية ، وهى مطلوبة بالحاح فى :

١ – حسن تنسيق العمل الجغرافى العملى الجماعى الميدانى عن البيئة ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان •

٢ – حسن تقويم جدوى العمل الجغرافى المباشر وغير المباشر ، ومتابعة معدلات التقدم العملى المرحلى ، حسب خطة العمل المعمول بها فى الميدان ، وحصر الرصيد المتراكم من البيانات والمعلومات والمادة الخام ، وهى تتوالى أو تتراكم ، من مواقع العمل المنتخبة بعناية شديدة ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان •

٣ – حسن متابعة سياق ومراحل تنفيذ برامج العمل الجغرافى البحت ، والعمل التطبيقى ذات العلاقة بالهدف الجغرافى ، وضبط ايقاعات الانتشار والتفرق فى أنحاء متفرقة ومنتخبة فى الميدان ، وضبط حركات التجمـــع والالتقاء من حين الى حين آخر ، بعد انجاز العمل اليومى ، فى المكان المنتخب لهذا اللقاء ، فى الميدان •

٤ – حسن التحلى بالقدرات المناسبة المرنة ، فى مجالات التحليـــل والتركيب ، وحسن الاستعداد دائما لاستيعاب الرصـــيد المتراكم ، حتى يصبح فى وسعه صياغة التوليفة الجغرافية الجيدة ، من حيث الخلط والربط ومراعاة أصول التداخل الجيد ، بين نتائج العمل الجغرافى الميدانى المباشر عن البيئة ، ونتائج العمل العلمى الموجه ذات العلاقة بالبيئة •

٥ – حسن التحلى بالقدرات والمهارات فى العـــرض الجغرافى الـــذى يتحدث عن البيئة وعن مشاكلها أو أمراضها العارضة والمزمنة ، حتى تتضح وتتألق الرؤية الجغرافية للبيئة ، فى المكان ولزمان •

وهكذا تكون قيادة فريق الدراسة الميدانيـــة المتعـــاون عن البيئة ، مسئولية جغرافية فى المقام الأول • وتلك مسئولية تكليف ضرورى ، وأمانة غالية فى عنق التخصص الجغرافى • وهى فى نفس الوقت لا تمثل تشريفا يلتمسه المتخصص الجغرافى ، لكى يزهو به أو لكى يتباهى بهذا التكليف بين أنداده وشركائه فى الفريق • وامتثالا لدواعى هذا التكليف الاشرافى فى الميدان . لا ينبغى أن ينفض المتخصص الجغرافى يديه أبدا من هذه المهمة، حتى يفرغ الفريق كله من اتمام العملية الدراسية الميدانية •

ووضع المتخصص الجغرافى على رأس الفريق التعاون ، لا يعنى قيادة اشرافية مؤقتة ، تنتهى بانتهاء رحلة العمل الجغرافى العملى الميـــدانى • ولا يعنى ذلك التكليف بدا ، مسئولية محدودة ، تقف عند حد حسن تنفيذ ومتابعة اجراء العمل الجغرافى العملى عن البيئة فى المساحة المعنية • بل قل انها قيادة تكليف مستمر واشراف وليس تشريف ، حتى يوظف الجغرافى المتخصص ، مهاراته الجغرافية ، فى صياغة النتائج البحثية الأنسب شكلا وموضوعا عن البيئة وعن مشاكلها وتوجهـات الافساد فيهـــا ، فى المكان والزمان •

وانهاء أعباء ومسئوليات هذا التكليف ، لا يتأتى الا عندما يتفـــرغ المتخصص الجغرافى تماما ، لاخراج البحث أو الدراسة الجغرافية عن البيئة• وهو وحده الذى يعرف جيدا كيف تكون الصياغة أو كيف تكون التوليفة ، التى يلملم فيها ، أوصال العمل الجغرافى الميدانى ونتائجه ، وأوصال العمل الجغرافى المكتبى وحصاده ، ويدخلهما فى سياق مناسب فى نسيج البحث أو الدراسة الجغرافية عن البيئة • وما من شك فى أن المهارة فى صياغة الحبكة الجغرافية فى المكان ، وفى حسن الانسياب الرتيب فى سياق الزمان ، وفى تجويد العرض الموضوعى أو التعبير الناطق عن البيئة الجغرافية ، كلها أمور جوهرية تستحق العناية • ولا تخدم هذه الامور ، ولا تفلح أبدا فى حسن صنعها ، الا الخبرة الجغرافية التى تمتلك أعظم مهـــارات فى التحليـــل والتركيب ، فى وقت واحد •

وقد يستحق المتخصص الجغرافى شيئا من الثناء والاطراء ، على نجاحه فى القيادة ، وهذا فى نفس الوقت لا يحرم الشركاء من أعضـــاء الفريق المتعاون ، من حق آخر ثابت من الشكر والتقدير • بمعنى أن كل من يسهم بعمله الميدانى ، فى جميع الأوصال والتفاصيل والمـادة الخـام من الميدان ،

يستحق شيئا كثيرا من الثناء ، وان من يعكف على متابعة هذا الجمع وتنسيقه حتى يصنع منه عرضا مناسبا عن البيئة وأمراضها العارضة أو أمراضها المزمنة ، يستحق نصيبا مناسبا من هذا الثناء ·

خطة العمل الجغرافى الميدانى عن البيئة :

اذا كان من شأن الانطباع الجغرافى الذى تفضى اليه الزيارة الميدانية ، أن يرشد حسن اختيار أعضاء الفريق المتعاون فى الدراسة الميدانية ، فانه اضافة الى ما ينتهى اليه الاطلاع على المراجع الذى يتيسر أثناء الدراسة المكتبية ، يبصر ويرشد وضع خطة العمل الجغرافى ، لاجراء الدراسة الميدانية عن البيئة فى المساحة المعنية · ويستحق العمل الجغرافى العملى فعلا ان توضع من أجله خطة شاملة ، تجمع وتنسق بين برامج العمل التنفيذى فى أنحاء المساحة المعنية · بل قل يستحق تنسيق هذا التنفيذ فى الميدان ، تحرى السياق الزمنى الذى يحدد أولويات اجراء هذه البرامج الميدانية ، عن البيئة وعن مشاكلها على صعيد المساحة المعنية ·

وصحيح ان الباحث الجغرافى ، هو الذى يباشر الدراسة المكتبية ، ويستوعب الاطلاع الجغرافى على أهم المراجع والمصادر ، عن البيئة فى المساحة المعنية · ثم هو الذى يباشر الزيارة التفقدية ، ويستشعر الانطباع الجغرافى المباشر عن البيئة ومشاكلها ، على صعيد المساحة المعنية ·

وصحيح ان الباحث الجغرافى ، يمتلك الخبرات والمهارات اللازمة التى تؤهله تأهيلا مناسبا ، لحسن الانتفاع بحصاد الاطلاع الجغرافى ، وبمحصلة الانطباع الجغرافى ، فى وقت واحد لوضع خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، عن البيئة · كما تسعفه هذه الخبرات والمهارات وهذا الانتفاع المباشر بالاطلاع والانطباع الجغرافى ، فى حسن اختيار أعضاء الفريق المتعاون معه فى الدراسة الميدانية ، عن البيئة ·

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، ان الباحث الجغرافى لا يقدم على وضع الخطة وبرامج العمل الميدانى عن البيئة فى المساحة المعنية وحده · بل قل انه يتحرى حسن التشاور مع رفاقه من أعضاء الفريق المتعاون ، ولا يكف عن حسن تبادل الرأى عن برامج العمل الميدانى ، وعن جدولة هذه البرامج على امتداد السياق الزمنى المناسب لانجاز العمل فى الميدان ·

ويبدو أن معاينة البيئة ، والوقوف أمامها وجها لوجه أثناء الزيارة

الميدانية التفقدية ، بعد الاطلاع على ما تحدث به وعنه المراجع والكتابات الجغرافية المنشورة ، لا يكفى وحده - فى الغالب - لترشيد وضع خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى • ويكون التشاور الهادىء ، بين الفريق حول هذه الخطة ، مفيدا ، ولا ينبغى الاحجام عنه أو التفريط فى معطياته الجادة • ويجرى هذا التشاور ، فى شىء كثير من التأنى ، مع من يهمه الأمر ، أو مع من يشترك اشتراك المتعاون فى الفريق المسئول عن الدراسة الميدانية • ويدور هذا التشاور حول عدد من القضايا الجوهرية ، حتى يكون الرأى السديد ، الذى ينبغى الالتزام به ، عند مباشرة وضع خطة العمل الجغرافى العملى الأنسب لدراسة البيئة ومشاكلها فى المكان والزمان •

وتبدو هذه القضايا الجوهرية التى يغطيها التشاور كثيرة ومتنوعة • بل قل انها تكون متشعبة ، وتستحق الحصر والتحديد • وتمثل بالفعل الشغل الشاغل الذى يشغل أو يهم الاجتهاد الجغرافى ، لضبط وتنظيم وتنسيق الخروج فى رحلة العمل الجغرافى الميدانى ، وتقصى حقيقة البيئة على صعيد المساحة المعنية • وتتمثل هذه القضايا الجوهرية ، محل التشاور وطلب الرأى من الفريق فى :

١ - قضية توجه الرحلة الجغرافية الميدانية لمباشرة العمل الميدانى •

٢ - قضية ضبط وتنظيم ايقاعات حركة العمل الجغرافى على صعيد المساحة المعنية •

وعن **قضية التوجه الى الميدان** ، يكون الاهتمام ليس لكى يتحدد موعد الذهاب أو الانطلاق فى الوقت المعين ، الى المساحة المعنية فقط ، بل يمضى هذا الاهتمام حتى يتسنى الاتفاق على نمط الوجود أو البقاء فى الميدان • والفرق كبير جدا ، بين نمط وجود واجراء الدراسة الميدانية ، عن البيئة ، على صعيد مساحة معنية ، تعج بالحياة الانسانية ، ونمط وجود واجراء الدراسة الميدانية على صعيد مساحة معنية أخرى ، فارغة تفتقد فيها الحياة • وهناك فروقات كثيرة أخرى ، بين البيئات فى المساحات المتنوعة ، توضع فى الاعتبار عند التشاور الجاد بين أعضاء الفريق المتعاون ، حول قضية التوجه بالرحلة الجغرافية الميدانية الى الميدان •

وتكون المفاضلة ، من خلال التشاور الهادىء ، فى اختيار بين وجود الفريق وجودا مستمرا على مدى الفترة الزمنية المناسبة ، الى حين الانتهاء من

اجراء وتنفيذ برامج العمل الميدانى دفعة واحدة ، بوجود الفريق غير المستمر أو المقتطع ، حيث يتكرر الذهاب والعودة من والى المساحة المعنية ، حتى يتأتى الانتهاء من برامج العمل الجغرافى الميدانى على دفعات متعددة ومتكاملة . ومن ثم تكون خطة عمل واحدة ، نضم برامج تنظيم العمل وضبط ايقاعاته ، فى المراحل المتعاقبة حتى تكفل انجازه على حسب دواعى الذهاب والعودة الى الميدان ، واجراء العمل الميدانى على دفعات متعاقبة أو فى مرحل متوالية .

هذا ، ولا يبتنى هذا الاختيار على غير أساس . بل ولا تكون هــذه المفاضلة عشوائية أو اعتباطية أبدا . بل قل هناك دواعى وعوامل متنوعة وموجبات متعددة ، ينبغى أن يصغى اليها هذا الاختيــار ، أو أن تستمع اليها المفاضلة ، بين استمرار فى الميدان ، وخطة عمل واحدة شاملة تغطى هذا العمل الميدانى ، وجود متقطع وذهاب وعودة تتكرر ، ومجمــوعة خطط تغطى حاجة العمل الميدانى غير المتواصل .

وتقف من وراء هذه المفاضلة أو الاختيار ، عوامل كثيرة ترجح الكفة وتحدد الالتزام . ونذكر من هذه العوامل ، قدرة أعضاء الفريق على التفرغ للعمل الجغرافى الميدانى . ومن هذه العوامل أيضا توفر امكانيــات الاقامة المستمرة أو الوجود المتقطع فى المساحة المعنية . وأضف الى ذلك كله ، حاجة العمل نفسه ، ومبلغ استجابته لأن يتجزأ ، أو لأن يتم انجازه على مراحــل متباعدة ، دون أن يتضرر اجراء العمل أو حصر النتائج العملية وتبويبها .

واحتواء خطة العمل الجغرافى الميدانى ، البرامج المرحلية اللازمة لانجاز المهام المتعددة والمتنوعة على البيئة على دفعة وحدة ، أثناء الاقامة المستمرة على صعيد المساحة المعنية ، قد لا يحتاج الى تعليق . ولكن توزيع مراحــل العمل الجغرافى الميدانى توزيعا منسقا على دفعات متــوالية ، هو الــذى يستوجب الاهتمام الجغرافى الميدانى . بمعنى أن الخطة الموحدة تكفل هــذا التنسيق ، على حين أن وضع مجموعة من الخطط لكى يتكامل بها العمل الجغرافى الميدانى ، يستوجب حسن العناية بترتيب البرامج ترتيبا جيدا . وفى مثل هذه الحالة ، يكون من الضرورى ، لضمان حسن العمل الجغرافى الميدانى على هذا النحو المتقطع ، التأنى الشديد فى تصنيف العمــل وفى حسن ترتيبه منسقا ، حتى يتسنى الحفاظ على نسق مناسب فى التوالى أو فى التعاقب من ناحية ، أو حتى يتسنى حصر عدد المراحل أو المرات التى يتكرر فيها الذهاب والعودة من الميدان أحيانا أخرى .

وعن قضية ضبط وتنظيم اهتمامات الدراسة الميدانية بالبيئة ومشاكلها وأمراضها العاضنة أو المزمنة ، ينبغى أن يتناول الاجتهاد الجغرافى مسألة الاقتراب من دراسة عناصر البيئة بمهارة تعرف كيف تجسد رؤيتها الجغرافية على صعيد المساحة المعنية • وقد يلتمس هذا التنظيم التوزيع والتعليل والربط ، فى تنسيق بديع ، يكشف عن المنظور الجغرافى • كما ينبغى أن يلتمس هذا التنظيم ، مسألة التقويم الجغرافى والوصول الى الرأى الجغرافى المناسب تعليقا أو تعقيبا على هذه الرؤية الجغرافية عن البيئة ، فى المساحة المعنية •

وهكذا ، ينبغى أن توضع برامج العمل الجغرافى الميدانى ، وكأنها تطاوع مسئولية الجغرافى عن حسن تفكيك أو تحليل الاوصال فى المنظور الجغرافى وتعبيره الجلى عن البيئة • كما يجب أن تتحرى برامج العمل الجغرافى الميدانى فى اطار الخطة ، وكأنها تجاوب حسن التماس خيوط العناصر الجغرافية التى تتداخل فى نسيج الرؤية الجغرافية للبيئة • بمعنى أن يكون وضع الخطة على النحو الذى يكفل حسن اجراء العمل الميدانى ، حتى يتسنى الاستدلال الجيد على مكونات منظور البيئة الجغرافى ، أو الذى يسعف البحث الجغرفى عن حصص العناصر الجغرافية المتنوعة المشتركة فى نسيج البيئة • ومن ثم لا يكون التشاور حول هذه القضية مفيدا لضبط وتنظيم الاهتمامات الجغرافية عن البيئة ومشاكلها فقط ، بل يكون التشاور أهم وأجدى ، فى مجال تحديد توجهات العمل الجغرافى الميدانى وبرمجته ، وفى حسن توزيع وتوجيه التكليفات المختلفة ، التى تعهد لكل عضو فى الفريق المتعاون ، بنصيب معين من العمل ، ويلتزم بانجازه ، فى تناغم حسن وفى حسن تنسيق فعلى ، بين انجازات الأعضاء ، مع تقدم العمل ، أو مضى التنفيذ العملى ، من مرحلة عمل الى مرحلة عمل أخرى •

وقد يستمر أو يتمادى هذا التشاور بين قائد الفريق وأعضائه ، فى ضوء وضوح تكليفات العمل الواردة فى الخطة ، حول وسائل العمل الجغرافى الميدانى • ويتناول هذا التشاور مسألة التزود بالمعدات والاجهزة والأدوات اللازمة لانجاز برامج العمل الجغرافى الميدانى ، فى أنحاء المساحة المعنية • وأضف الى ذلك كله ، ضرورة التشاور المتكرر أو المستمر ، من خلال عقد الاجتماعات أو اللقاء الدورى من حين الى حين آخر ، للمراجعة والاطمئنان على حسن سير العمل الجغرافى الميدانى ، ومبلغ استجابته للنزعة الجغرفية التطبيقية ، وهو يرصد خصائص البيئة ، ويكشف عن مشاكلها وأمراضها العارضة أو المزمنة ، فى المكان والزمان •

ويدرك الاجتهاد الجغرافي المعاصر ، قيمة هذا التشاور الجاد ، في صياغة الخطة حتى لا توضع في غيبة أعضاء الفريق المتعاون في الدراسة الميدانية ، وقل ان هذا الغياب أو اهمال التشاور ، لا يعني غير التفريط في أول لبنة من اللبنات ، التي تبتني عليها روح الفريق • كما يعني أيضا ، حرمان هذه الخطة من خبرات المشاركين في عضوية الفريق المتعـــاون ، وهم مسئولون مسئولية جماعية ، عن انجاز العمل الجغرافي الميداني عن البيئة ومشاكلها • بل قل ان الاشتراك في المسئولية ، عن حسن انجاز العمل الجغرافي العملي ، يستوجب بالضرورة الاشتراك في التخطيط ، لحسن الأداء • ويحول هـــذا الاشتراك في التخطيط ، دون التهرب من دواعي وموجبات هـــذه المسئولية الجماعية ، التي تمليها روح الفريق •

وفي اطار هذا التشاور الجاد ، حيث لا يغيب طرف من الأطـــراف المعنية بالدراسة الميدانية الموفقة ، يدرك الاجتهاد الجغرافي المعـــاصر ، ان وضع تفاصيل برامج العمل الميداني عن البيئة ومشاكلها ، ووضع الاطـــار الحاكم الذي يحتوي هذه التفاصيل ، ويكفل الحبكـــة المنضبطة في المكان ، وحسن السياق المتوالي في الزمان ، يختلف اختلافا كبيرا باختلاف المكان والزمان • وهذا معناه ، انه لا اتفاق بدا على خطة عمل نموذجية جامدة ، يجري العمل الجغرافي الميداني بموجبها عن البيئة ، وتتكرر تكرار القوالب الجامدة ، في كل مكان ، وفي كل زمان • ومعناه أيضا ، انه ينبغي وضـــع الخطة المناسبة لكل دراسة ميدانية تتعقب ملامح البيئة ومشاكلها ، وهي التي تتغير ، ولا تكاد تتماثل أبدا ، بل قل انها تتبدل وتختلف من مكان الى مكان آخر ، ومن زمان الى زمان آخر •

وفي اطار وضع وتصميم خطة العمل الجغرافي العملي الميداني الأنسب ، التي تتعقب خواص البيئة ، وتشخص أمراضها ، في المكان والزمان ، وفي اطار التشاور الجاد بين أعضاء الفريق المتعاون عن تفاصيل هذه الخطـــة ، تكون العناية الجغرافية باعـــداد الاستبيان • ويشمل هـــذا الاستبيان ، الاستفسارات والاسئلة المناسبة التي يجاوب تنفيذ البرامـــج العملية في الميدان عليها ، اجابات سديدة وصادقة • ولا ينبغي أن يستقل عضو واحد في الفريق برأيه في اعداد الاسئلة ، أو في تصنيف الاستفسارات ، أو في تصميم الاستبيان ، حتى لا تفتقد الدراسة الميدانية التنسيق المناسب ، عند حصر الاجابات التي يسفر عنها العمل الميداني ، أو حتى لا يتـــأتى شيء من التناقض الموضوعي في نتائج العمل الجغرافي الميداني عن البيئة وتشخيص أمراضها •

ويبقى الاهتمام بالتشاور من أجل اعداد الاستبيان ، الشغل الشاغل الذى يهم الفريق المتعاون • وهناك اهتمام من نوع خاص ، باعداد وتجهيز محتوى الاستبيان الناطق • ويجرى الحوار فى هذاالاستبيان بصوت مسموع، وهو يتعامل مع من يستمع جيدا الى السؤال أو الى الاستفسار ، ويجاوب عليه • وهناك اهتمام آخر من نوع خاص أيضا ، باعداد وتجهيز محتوى الاستبيان الصامت • ويجرى الحوار فى هذا الاستبيان ، دون صوت مسموع، وهو يتعامل مع عناصر طبيعية لا تنطق ، ويعرف كيف يوظف الوسيلة التى تنتزع من الصمت الساكت ، الاجابة على السؤال • وحسن تصنيف وتبويب الأسئلة والاستفسارات فى الاستبيان بصفة عامة ، ييسر الحصول على أحسن انسياب فى جميع البيانات والمادة الخام عن البيئة وعن مشاكلها ، فى المكان والزمان •

وكما يكون من حق كل شريك أو عضو متعاون فى الفريق المتعاون ، ابداء الرأى ، وفى ترشيد اعداد وتجهيز الاستبيان الصامت الذى يتعقب العناصر الجغرافية الطبيعية ، أو الاستبيان الناطق الذى يسأل ويحاور العناصر الجغرافية البشرية ، وهى تتداخل فى توليفه أو فى مكونات البيئة ، لا يكون من حق الشريك الجغرافى ، عضو الفريق أو قائد الفريق ، ان يغيب عن جلسات التشاور ، التى تراجع وتمحص كل رأى مطروح ، قبل اعداد الاستبيان • ويمتلك الجغرافى الخبرات والمهارات ، التى تؤهله للاعداد أو للاشتراك الايجابى فى اعداد هذه الاستبيانات ، على النحو الذى يكشف الغطاء عن خواص البيئة ، أو الذى يلتمس التشخيص الجيد لامرضها العارضة أحيانا أو لأمراضها المزمنة أحيانا أخرى •

وينبغى أن يعهد الى الجغرافى ، حسن تبويب الإستفسارات وتنسيق الأسئلة تنسيقا موضوعيا ، حتى يكون الاستبيان كاشفا عن سياق تتوالى فيه الاجابات الصحيحة ، أو حتى لا يتهرب السائل من المسئول ، وهو يتخوف أو وهو يتشكك فى الهدف • وهذا معناه فى نهاية المطاف ،المسئولية المشتركة المناسبة فى مجال اعداد الاستبيانات ، التى تناسب برامج العمل الجغرافى العملى الميدانى • ومعناه أيضا ، أن يؤمن هذا الاشتراك الجماعى فى اعداد الاستبيانات ، حسن توجيه الاسئلة والاستفسارات المعنية ، لكى نجاوب عليها عناصر المنظور الجغرافى اجابات صريحة وحسنة التعبير عن البيئة ، فى المكان والزمان •

هذا ، وفى الوقت الذى تبصر فيه رحلة الزيارة التفقدية ، وضع خطة العمل الجغرافى العملى ، تبصر الدراسة المكتبية ، وجلسات التشاور بين أعضاء الفريق ، تفاصيل هذا الاعداد الجيد للبرامج داخل اطار الخطة · وقل يبقى بعد ذلك كله ، الحق فى أن تتحلى الخطة بأكبر قدر من المرونة · وتستوجب هذه المرونة شيئا من الحرية ، أو الحق فى اعادة النظر فى بعض تفاصيل البرامج العملية فى الخطة ، ومن أجل شيء من الحذف ، أو شيء من التعديل ، أو شيء من الاضافة · بمعنى أن تتجرد الخطة من دواعى الجمود ، وأن تتخذ من المرونة وسيلة تحرر العمل الجغرافى الميدانى ، حتى يجاوب احتياجات البحث والتحرى عن البيئة ومشاكلها ، فى المكان والزمان ·

وحيث تتحلى الخطة الموضوعة بالمرونة ، ولا تستغرق فى الجمود ، يتسنى الحذف أو التعديل أو الاضافة ، بعد اجراء المشاورة اللازمة ، حتى يسود الاقتناع التام بين أعضاء الفريق المتعاون · بمعنى أن الحذف جائز ولا غبار عليه ، وان التعديل مباح ولا بأس به ، وان الاضافة واجبة ولا تفريط فيها ، فى خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى أثناء تقدم خطوات التنفيذ ، ولكن لا ينبغى أن ينفرد عضو من أعضاء الفريق برأيه فى استحداث هذا التغيير على ما تتضمنه الخطة ، أو على برامج العمل المتفق عليها ، أو على تنظيم مسيرة التنفيذ العملى على صعيد المساحة المعنية · ولا بديل عن التشاور الذى يسبق هذا التغيير ، حتى تبقى المسئولية المشتركة فى وضعها الصحيح ، وتهيمن على الانجاز العملى الميدانى ، روح الفريق ·

وآخر ما ينبغى أن يلتفت اليه الاجتهاد الجغرافى ، عند الجلوس والتشاور من أجل وضع خطة العمل الجغرافى ، يتمثل فى ضرورة حسن التمييز بين ، دراسة ميدانية تتعقب ملامح وخواص البيئة ، فى المساحة المعنية ، التى تزخر بحركة الحياة ، وهى مسئولة عن أمراضها ، ودراسة ميدانية تتعقب ملامح وخواص البيئة فى المساحة المعنية الأخرى التى تبدو فارغة أو التى تطرد حركة الحياة ولا تكاد تنبض الا بأقل القليل من نبضات من هذه الحركة · والفرق كبير جدا بين تعقب البيئة تعقبا جغرافيا ، فى هاتين الحالتين المتباينتين · وحضور الانسان فى البيئة ، وتوجهات العلاقة الحميمة بين الانسان والأرض ، على درب الصواب أحيانا أو على درب الخطأ أحيانا أخرى ، يعنى وضوح بصمات الانسان وهو يحيا فى البيئة ، ويحافظ عليها أو يعبث فيها فسادا وتخريبا · وعدم حضور الانسان أو حضوره حضورا خافتا ، لا يمثل عنصرا مؤثرا فى البيئة · وكان الدراسة الميدانية مسئولة

عن الاستجابة للاختلافات البينة ، بين ايقاعات حركة الحياة فى البيئة ، أو بين فعل المتغيرات البشرية التى تؤثر على خواص البيئة ، وهى تحافظ على صحة البيئة أو وهى تبث أسباب المرض والافساد والتلوث فى البيئة ٠

ومهما يكن من أمر ، فان حسن العناية باختيار عناصر الفريق المتعاون، وحسن التشاور بين أعضاء الفريق لوضع خطة العمل الجغرافى العملى ، يحتاج الى عناية جغرافية كبيرة ٠ ومن ثم يحين أوان الخروج مرة أخرى الى المساحة المعنية ، وفى رحلة العمل الجغرافى ، وتقصى الحقيقة الجغرافية عن البيئة ٠

رحلة تقصى الحقائق الجغرافية عن البيئة :

هذه رحلة عمل جغرافى عملى ، فى المساحة المعنية ، يقوم بها الفريق المتعاون ، بعد تشكيله ووضع خطة تغطى هذا العمل ٠ وتجسد هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، الصلب المتين ، أو الجوهر الحقيقى ، فى التوجه الجغرافى الى مباشرة الدرسة لميدانية ، عن البيئة ومشاكلها وأمراضها ، فى المكان والزمان ٠ وقيل ان هذه الرحلة الجغرافية الميدانية تخرج الى الميدان فى هذه المرحلة ، وقد تزودت بزاد كثير ومناسب عن البيئة المعنية ، من خلال الاطلاع والعمل الجغرافى المكتبى ٠ وقل أيضا ، انها تخرج فى الوقت المناسب تماما، خروج من يلتمس تقصى الحقائق الجغرافية ، والحصول على المادة الجغرافية الخام ، حتى يتكشف للفريق وضوح الرؤية والمعرفة الجغرافية ، عن البيئة ٠ بل قل انها الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى تمثل جولات التعامل العلمى العملى المباشرة ، مع المنظور الجغرافى الشامل ، بكل أبعاده الطبيعية والبشرية ، حتى يفلح الفريق فى تعقب عناصر ومكونات وملامح البيئة ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان ٠

وفى مواجهة المنظور الجغرافى ، الذى يعلن عن خواص وملامح البيئة ومشاكلها ، ينبغى أن يتحلى الباحث الجغرافى قائد الفريق ، وأن يتحلى معه أعضاء الفريق المتعاون ، من المتخصصين الجغرافيين وغير الجغرافيين ، بأكبر قدر مناسب من ، ذكاء الحس الجغرافى المرهف ، والادراك الجغرافى السليم والتفكير الجغرافى المتفتح ٠ وقل ان الحاجة الى ذكاء الحس ، وسلامة الادراك ، وتفتح التفكير ، هى التى ترشد العمل الجغرافى وتبصره عندما يواجه أى عضو فى الفريق عناصر ومكونات البيئة ، ويتعامل معها فى طلب الحقائق التى تبوح بها ، أو التى تعلن عنها ، تصريحا أو تلميحا ٠

وينبغى أن يعرف المتخصص الجغرافى وغير المتخصص ، الذى يخرج ويتعاون فى خدمة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، عن البيئة على صعيد المساحة المعنية ، كيف يتعامل مع المنظور الجغرافى ، وكيف يطل على هذا المنظور ويتمعن فيه ، وكيف يتعقب تداخل العناصر فى نسيج البيئة وما تنطوى عليه من مشاكل بعين جغرافية بحتة • وتبدو نظرة العين الجغرافية وهى من نوع خاص ، تعتمد على المهارة الجغرافية فى التحليل والتركيب ، وحسن التحول الذكى من الكل الى الجزء ، وحسن جمع الاجزاء وتكوين الكل • كما ينبغى أن يجيد من يمتلك هذه العين الجغرافية ، تذوق الحقيقة الجغرافية، التى تمثل فى معظم الاحيان ، نتيجة مبنية فى الأساس ، على نتائج علمية طبيعية أو انسانية •

والباحث الجغرافى الذى تسند اليه قيادة الفريق المتعاون ، فى الدراسة الميدانية عن البيئة فى المساحة المعنية ، يكون هو وحده صاحب القرار بعد التشاور مع رفاقه ، فى الذهاب الى الميدان ، وفى العودة منه • بل قل يكون له هو وحده حق الاختيار النهائى ، فى الاستمرار على مدى الفترة الزمنية المناسبة لاجراء الدراسة الميدانية مع شركائه دفعة واحدة ، أو الذهاب اليومى والعودة على مرات متكررة ومتعاقبة لاجراء الدراسة الميدانية على عدد كبير من الدفعات • وخطة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، هى التى توضع بالتشاور مع أعضاء الفريق ، وتبقى معمولا بها فى الميدان ، وهى التى تعلن أو التى تفصح عن دواعى أو عن موجبات هذا الاختيار بصفة عامة •

والعمل الجغرافى العملى الميدانى ، سواء تفرغ له الجغرافى المتخصص ، أو قام به الشريك العلمى غير الجغرافى ، أو عهد به الى الفنى الماهر ، تكون من ورائه مهارة وخبرة وحسن تذوق العين الجغرافية • ويستهدف هذا العمل فى جملته ، تقصى الحقائق عن البيئة ومشاكلها فى المكان والزمان • ويجسد هذا العمل الجغرافى العملى ، معنى المواجهة الصريحة المباشرة ، والتعامل الجغرافى مع المنظور الجغرافى جملة وتفصيلا ، فى الميدان • وتستحق هذه المواجهة ، ومباشرة التعامل العملى واجراء الدراسة الميدنية ، حسب جدولة مراحل العمل فى الخطة المعمول بها ، ما يلى :

١ - فى بعض الحالات الخاصة ، وعلى صعيد المساحة المعنية ، تكون اقامة فريق العمل المتعاون ، اقامة دائمة أو اقامة متقطعة ، فى معسكر عمل

خاص • ويقام هذا المعسكر الخاص فى الميدان ، فى موقع منتخب مناسب ، أو عدد من المواقع المنتخبة ، يقع عليها الاختيار ، اثناء رحلة الزيارة التفقدية السابقة • وينتقل الفريق فيما بين هذه المواقع المنتخبة ، حسب خطة العمل المعمول بها ، والاستجابة لحاجة العمل الجغرافي وتنفيذه العملى فى الميدان • ومن هذا المعسكر وهو محل الاقامة الدائمة أو الاقامة المتقطعة ، يباشر أعضاء الفريق كل فيما يخصه ، تنفيذ التكليفات العملية ، التى تعهد اليهم بالمهمة الدراسية المعينة ، أو باجراء العمل الجغرافى العملى فى الميدان • وتكون هذه الاقامة فى المعسكر ، ومباشرة العمل من موقع واحد منتخب ، أو من عدة مواقع ينتقل فيما بينها المعسكر انتقالا مبرمجا ، على صعيد المساحة المعنية، اقامة دائمة فى الغالب • وقل أن هذه الاقامة الدائمة ، تعنى الاستمرار فى الميدان ، وعدم العودة أو الرجوع الا بعد الانتهاء الفعلى ، من تنفيذ برامج العمل الجغرافى الواردة فى خطه العمل • بل قل أيضـــا ، ان الاقامة فى معسكر عمل خاص ، معناه تعذر فرص الاقامة الأخرى ، فى مستوطنة من المستوطنات المناسبة ، فى أنحاء المساحة المعنية ، لمباشرة العمـــل وتنفيذ الدراسة الميدانية منها • ومباشرة العمل الجغرافى العملى ، واجراء الدراسة الميدانية ، من معسكر العمل فى الموقع المنتخب الثابت أو فى المواقع المنتخبة المتغيرة ، لا ينبغى أن يدعو أبدا الى شىء من التعجل فى الأداء ، أو الى شىء من التسرع على طلب العودة والرجوع من الميدان • بل ينبغى أن يكون العمل وتنفيذ برامجه متمهلا ودقيقا ، حتى يتحقق القـــدر المناسب من التمعن ، ولا تقع الدراسة الميدانية ، فى عواقب وأخطاء الانجاز المتعجل •

٢ ــ فى بعض الحالات الأخرى ، وعلى صعيد المساحة المعنية ، تكون اقامة فريق العمل المتعاون ، فى مستوطنة مناسبة تنبض بالحياة • وتنتفى الحاجة فى مثل هذه الحالة ، الى اقامة معسكر العمل الخاص ، فى مواقـــع منتخبة فى الميدان • ويقع الاختيار على هذه المستوطنة المناسبة ، و على عدد من المستوطنات الانسب ، التى ترحب باقامة الفريق وتفســح له مكانا ، أثناء القيام برحلة الزيارة التفقدية الى المساحة المعنية • وقد يستوجب هذا الاختيار ، الحصول على اذن السلطة المحلية ، الذى يبيح للفريق مبـــاشرة العمل الجغرافى الميدانى ، ويقدم له العون فى كثير من الأحيان • ومن هذه المستوطنة المنتخبة أو من المستوطنات المناسبة ، يباشر أعضـــاء الفريق المتعاون العمل الميدانى ، كل فيما يخصه بعناية ، وهو مؤهل له ، عـــلى صعيد المساحة المعنية • ومن هذا المحل المختار ، تخرج وتفترق رحـــلات العمل الجغرافى اليومية الى مواقع العمل ، لاجراء الدراسة الميدانية ، ثم تكون

اليه العودة بعد نهاية يوم العمل . والتحرك والانتشار ، الى مواقع العمل اليومى ، يكون متفقا عليه ، حسب الخطة الموضوعة التى ينبغى الالتزام بها وعدم الخروج عنها ، فى أنحاء المساحة المعنية . كما تكون العودة أو الرجوع ، وتجمع أعضاء الفريق الى موقع الاقامة فى المستوطنة ، متفقا عليه أيضا . وقد يشمل هذا الاتفاق على العودة ، عقد جلسة الاجتماع اليومية ، لمراجعة معدلات تقدم العمل فى الدرسة الميدانية ، أو لمناقشة المشاكل البحثية والاقتراحات ، أو تبادل الرأى حول اجراء العمل الميدانى فى اليوم التالى . وهذا هو عين ما تعنيه وينبغى أن تفضى اليه سيطرة روح الفريق على تنفيذ العمل الميدانى .

هذا ، ويكون التفرغ لاداء الدراسة الميدانية فى المساحة المعنية عن البيئة ومشاكلها ، تفرغا كليا على امتداد فترة زمنية مناسبة ، سواء تكون مستمرة أو تكون متقطعة . ويبدو هذا التفرغ ، وهو طوع أمر الخطة الموضوعة ، التى تضبط وتنظم وتنسق المضى التنفيذى ، وتوجه مسيرة الاجتهاد العملى من يوم الى يوم آخر . وينبغى ان تطاوع الرحلة الجغرافية الميدانية - على كل حال - وهى تباشر العمل اليومى المنظم ، ارادة الانتقال المنضبط ، والتحرك السليم ، والبحث الواعى الرزين ، عن عناصر المادة الخام المنشودة عن البيئة فى الميدان . بل قل يجب أن تسعف الرحلة الجغرافية الميدانية اليومية ، جولات أعضاء الفريق ، وهم يتفرقون ، حسب نوعية التكليفات العملية المنوطة بهم ، أو وهم يعودون أو وهم يتجمعون ، بعد انجاز العمل المنشود ، فى أنحاء متفرقة فى الميدان .

وعلى صعيد المساحة المعنية ، فى أنحاء الميدان ، يعكف أعضاء الفريق الجغرافى المتعاون ، كل فيما يخصه من تكليفات معينة ، على انجاز الواجب اليومى من العمل الجغرافى العملى ، الذى يلتمس أو الذى يتعقب ملامح البيئة ومشاكلها . وتحمل الرحلة الجغرافية الخاصة اليومية ، كل عضو من الأعضاء ، الى حيث يتفرغ أو يتصدى لاجراء الدراسة أو لاجراء التجربة الجغرافية ، أو لجمع بعض الاجابات عن أسئلة الاستبيان ، عن البيئة ، فى الأنحاء المتفرقة من الميدان . وكيف لا تسعف الرحلة الجغرافية الميدانية اليومية الخاصة ، عمل أو أداء كل متخصص من أعضاء الفريق المتعاون ؟ بل وكيف لا تطاوعه فى هذا الأداء العملى اليومى ، وهو يسأل الأرض أحيانا وترد عليه وتجاوبه ، أو وهو يسأل الناس وتجاوبه وترد عليه أحيانا أخرى ؟ وتظل الحاجة الى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهى لا تكف عن

السؤال أو الاستفسار عن المدركات الجغرافية ، التى تشترك فى صياغة مكونات البيئة ، فى المكان والزمان ٠

ويحتاج هذا العمل الجغرافى العملى ، الذى ينبغى أن يتقن الباحث فيه ، القاء السؤال وتلقى الاجابة ، من المدركات الجغرافية ، الى شىء كثير من التأنى الشديد فى مباشرة هذه المهمة ، وفى اجراء الدراسة ، أو فى القاء السؤال وحسن نلقى الاجابة ، حتى تكون النتيجة الصحيحة والاجابة السديدة ٠ كما يحتاج هذا العمل الجغرافى العملى شيئا كثيرا من الصبر ،عند مباشرة العمل وضرورة التكرار فى مواضع كثيرة متعددة ، حتى يتسنى التيقن من صدق النتائج عن تفاصيل الموضوع ٠ وقد يدعو التأنى والصبر ، الى وقفات انتظار وترقب وتريث حقيقى ، على صعيد المساحة المعنية ، حتى يتحقق التمعن العميق ، ويتوفر حسن التأمل والتفكير العقلانى المناسب ، فى بعض أمور أو قضايا العمل الجغرافى العملى عن البيئة ومشاكلها ٠ وفى جميع الاحوال ، لا ينبغى أن ينفض أى عضو من أعضاء الفريق المتعاون يديه أبدا من العمل الجغرافى الميدانى ، قبل أن يلتمس الجدوى الفعلية من نتائج هذا العمل ٠ وجلسات الاجتماع التى تضم أعضاء الفريق ، بعد اتمام العمل الجغرافى اليومى فى الميدان ، تكفل المراجعة ، والتيقن من صدق تعبير وحسن بيان نتائج العمل عن البيئة وعن أمراضها فى المكان والزمان٠

ويمضى العمل الجغرافى العملى الميدانى ، من يوم الى يوم آخر ، فى انضباط حقيقى ، تكفله خطة العمل المعمول بها ٠ ويتأتى هذا العمل الجغرافى ، على وجهين ، لا تكاد تنفصم الصلة بينهما أبدا ٠

وعلى الوجه الأول ، يكون العمل الميدانى من الاختصاص الجغرافى البحت ، على صعيد المساحة المعنية ٠ ويستوجب هذا العمل خبرة ومهارة فى التحليل والتركيب ، يجيدها الجغرافى المتخصص اجادة حقيقية ٠ وقل ان هذا هو الشق العملى الجغرافى المباشر ، الذى يعتنى بالقاعدة الاساسية التى ترتكز عليها البيئة ، ولا يصلح لهذه العناية غير المتخصص الجغرافى وانجاز التكليفات المنوطة به فى الميدان ٠

وعلى الوجه الآخر ، يكون العمل الميدانى من الاختصاص العلمى المعاون ، على صعيد المساحة المعنية ٠ ويستوجب هذا العمل الميدانى مهارة وخبرة المتخصص العلمى ، الذى يعمق ويدقق فى تفاصيل حيوية ، عن عناصر كثيرة متداخلة فى تكوين البيئة ، أو متسببة فى تفشى الامراض فى

أوصالها . وقل ان هذا العمل الميدانى، هو الشق العملى ذات العلاقة بجغرافية البيئة ، الذى لا يصلح له غير المتخصص العلمى . بل قل انه العمل الجغرافى غير المباشر ، الذى ينبغى انجازه ، حتى يشد أزر الدراسة الميدانية ، ويسدد خطاها ، ويكفل حسن التعامل مع أوضاع البيئة فى المكان والزمان .

وتكفل الخطة المعمول بها فى الميدان ، لحساب الدراسة الميدانية عن البيئة وعن أمراضها العارضة ، أو المزمنة ، فى المكان والزمان ، حسن التنسيق وتناغم الايقاعات ، بين العمل الجغرافى المباشر ، والعمل الجغرافى غير المباشر . كما تكفل مهارة وخبرة التخصص الجغرافى فى الاخذ من نتائج العلوم وحسن فهمها واستيعابها ، حسن الانتفاع بالعمل الجغرافى غير المباشر ، وفى تطويع نتائجه تطويعا مناسبا ، حتى يسهم فى وضوح ملامح لبيئة ، وفى حسن تشخيص مشاكلها وأمراضها . كما يبرهن المتخصص الجغرافى ، على الاستعداد الكامل والفورى ، لأن يصطنع من نتائج العمل الجغرافى المباشر ، ومن نتائج العمل الجغرافى غير المباشر ، نسيجا يصور أو يحكى أو يتحدث بصدق وموضوعية ، عن البيئة فى المكان والزمان .

وحسن سير العمل الميدانى ، وتقدم معدلات الانجاز العملى ، فى الشق الجغرافى البحت ، أو فى الشق العلمى المساعد غير الجغرافى ، وحسن تنسيق النتائج والانجازات المتكاملة المرحلية ، تستوجب شيئا حصيفا من العناية الجغرافية ، بهذا التنسيق الموضوعى . وتعتمد هذه العناية الجغرافية الحصيفة ، فى الميدان ، على أمرين جوهريين ، هما :

١ — ألا ينفرد عضو متخصص واحد ، جغرافى أو غير جغرافى ، بأداء العمل الميدانى الموكل اليه تنفيذه فى الميدان . وينبغى أن يصطحب المتخصص ، ساعة أداء هذا العمل ، الزميل المتخصص ، أو الفنى الماهر ، أو المساعد العلمى ، من أجل انجاز عمل مشترك تخيم عليه روح الفريق . ولا يمكن ان نتصور عملا ميدانيا يقوم به عضو واحد متفرد ، من غير أن يلتمس أو يطلب معاونة الشريك ، أو أن يعمل وحده فى غيبة المعاون له ، من الفنيين أو من المساعدين العلميين . ولا يبتنى هذا المحظور أصلا ، على انعدام الثقة فى الكفاءة ، أو على التشكيك فى جدوى الأداء الفردى فى الميدان ، بل قل انه المحظور الذى يتجنب احتمالات عدم قدرة الفرد وحده على حسن التنفيذ والانجاز العلمى فى الميدان ، أو على السيطرة الفردية على حسن استخدام وتوظيف الأجهزة والأدوات العلمية المناسبة للعمل فى الميدان .

٢ - لا ينبغي أن تطول غيبة أعضاء الفريق المتعاون ، ومنهم قائد الفريق ، وهم مفترقون في أنحاء المساحة المعنية ، عن بعضهم بعضا . واجتماع أعضاء الفريق المتعاون ، الذين يفترقون صباحا في أنحاء الميدان ، عندما يحل المساء ، في جلسة عمل هادئة ، بعد أن يفرغ كل واحد من أداء تكليفاته الخاصة المتخصصة ، يكون اجتماعا هاما ومفيدا ومثمرا ، من كل الوجوه . ولا ينبغي أن يغيب عنه أحد ، بل ولا يجب أن يفرط أى عضو من الفريق في حضوره والاشتراك في الحوار عن العمل الميداني اليومي . وينسق هذا الاجتماع الهادىء العمل الميداني المشترك ، في اطار الفريق كله، وفق بنود برامج في الخطة المعمول بها . كما ينسق وينظم هذا الاجتماع توزيع العمل الميداني ، ويذكر بالتكليفات العملية ، على صعيد المساحة المعنية في اليوم التالي . ويكفل هذا الاجتماع الدوري المتكرر ، في جلسات المراجعة والحوار والتشاور ، شيئا من الاطمئنان العام والخاص ، على معدلات سير العمل الميداني في الاتجاهات الصحيحة ، وعلى متابعة مبلغ الالتزام الدقيق بحذافير الخطة الميدانية . وقد يضيق اطار هذا الاجتماع أحيانا ، لكي يضم بعض أعضاء الفريق ، وقد يتسع أحيانا أخرى ، لكي يضم الفريق المتعاون كله . وحتما يتكرر هذا الاجتماع المحدود أو هذا الاجتماع الموسع ، حسب حاجة العمل وتوقعاته من حين الى حين آخر . ويمضي هذا التكرار ، من غير ملل ودون أى تهاون ، لتقويم معدلات الانجاز العملي بصفة مستمرة دورية ، أو لاعادة النظر في توزيع أعباء الأعمال التي تستجد أحيانا ، وينبغي القيام بها ، استكمالا لتقصي الحقائق عن البيئة ومشاكلها الواردة .

وغاية ما ينشده أعضاء الفريق ، وهو يعمل في الكشف عن خواص وملامح البيئة ، أو في تشخيص علامات المرض العارض أو المرض المزمن في أوصالها ، هو أن تسعف الجولات المتكررة والحركة المتأنية ، في المساحة المعنية ، هذا العمل الميداني . كما يلتمس العضو من الفريق ، أن تبصره الوقفات المتكررة بالبيئة ، عندما يجرى العمل الجغرافي المباشر ، والعمل غير الجغرافي المعاون ، في أى موقع من المواقع المنتخبة في الميدان على قدم وساق . والتأني والتمعن وحسن الأداء والتعامل الهادىء ، مع المدركات الجغرافية المعنية ، التي تمثل قاعدة أساسية ، ترتكز عيلها خواص البيئة ، أو تنشأ عليها أمراض البيئة ، يكون في غاية الأهمية . وقل ان هذا التمعن المتأني ، هو الذي يسعف التفكير الهادىء ، وحسن التنفيذ العملي أثناء جولات العمل الميداني ، وهو الذي يهدى ويوجه التقديم الحسن والمراجعة وحسن حساب الجدوى ، أثناء الوقفات المتكررة ، من حين الى حين آخر ، أو

أثناء جلسات العمل المتعاقبة ، من يوم الى يوم آخر • بل قل ان هذا التوجه الميدانى الرشيد ، هو الذى يناسب الحاجة الجغرافية ، ولا يخذل الهدف الجغرافى أبدا ، ولا يضلله عندما يلتمس ملامح البيئة ، أو عندما يشخص أمراضها وعوامل الافساد فيها •

وهكذا ، يوغل الانجاز العملى عن البيئة وعن مشاكلها الذاتية المبنية على خواصها المتميزة ومبلغ استجابتها لفعل المتغيرات الطبيعية ، أو عن مشاكلها التى تفتعلها يد الافساد البشرى المهيمن عليها ، عمقا واتساعا مع تقدم العمل الميدانى الرزين ، فى أنحاء المساحة المعنية • ثم قل يزداد هذا العمق وهذا الاتساع ، صدقا وحسن تعبير وبيانا عن البيئة وأمراضها ، من خلال اسهام المتخصصين العلميين غير الجغرافيين ، المتداخل تداخلا منسقا فى صلب الدراسة الميدانية الجغرافية • ويكفل هذا التوغل فى البحث عمقا وتساعا ، الكشف الجيد أو التشخيص الكاشف عن :

١ - كنه وطبيعة وماهية البيئة ، وهى محصلة تفضى اليها صيغة التوليفة الجغرافية المركبة ، طبيعيا وبشريا ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان •

٢ - كنه وماهية وطبيعة عمل أو فعل العناصر الجغرافية الطبيعية والبشرية والمتغيرات المرتبطة بها أو المبنية عليها ، وهى تحدد أهم ملامح البيئة ، أو السلوك الحياتى الردىء الذى يعيث فيها فسادا أحيانا ، أو السلوك البشرى الحميد السائد أحيانا أخرى فى المساحة المعنية •

٣ - كنه وماهية وطبيعة السلوك البشرى الذى يسىء الى خواص البيئة ، أو الذى يعيث فيها فسادا أحيانا ، أو السلوك البشرى الحميد الذى يلتمس دواعى المحافظة على خواص البيئة ويحول دون هيمنة دواعى الافساد غير المتعمد عليها •

ومهما يكن من أمر ، فان تعقب خواص البيئة ، والحرص على تشخيص أمراضها العارضة أو المزمنة ، يستوجب يقظة ووعيا وحصافة جغرافية وحسن تعاون مع الشركاء فى الفريق ، لانجاز العمل الميدانى • ومن خلال هذا العمل الجغرافى الميدانى ، ينبغى أن يكون فى وسع الجغرافى المتخصص أن يحسب حساب قبول خواص البيئة وعناصر تكوينها لفعل المتغيرات ،

والاستجابة لها ، حسابا جيدا • ولا ينبغى أن تخذله الدراسة الميدانية ، فى اطار هذا الانفتاح الجغرافى الرشيد ، فى العثور على ما يقيم الدليل على توجهات هذا التغيير ومداه واحتمالاته المرضية ، فى المساحة المعنية •

هذا ، ولا ينهى الفريق المتعاون الدراسة الميدانيـــة عن البيئة ، أو لا ينهى أمد وجوده على صعيد المساحة المعنية أبدا ، الا بعد تمام الانتهـاء الفعلى ، من اجراء وجنى ثمرات العمل الجغرافى الميدانى ، حسب الخطـــة المعمول بها والمتفق عليها • ومن ثم يكون الاتفاق بين أعضاء الفريق ، عـلى عودة الرحلة الجغرافية الميدانية من الميدان •

الانجاز العملى عن البيئة فى الميدان :

يلتمس الانجاز الجغرافى العملى ، من دراسة البيئة أكثر من هدف • ويكون من هذه الأهداف ، وضوح رؤية البيئة ومنظورها المتكامل عـلى الوجهين الطبيعى والبشرى ، فى المساحة المعنية • ويكون من هذه الأهداف أيضا ، حسن التحرى والكشف على صـــحة البيئة ، وتشخيص الأحـــوال المرضية التى تتعرض لها البيئة ، فى المكان والزمان • ثم يكون الهـــدف الجغرافى الأهم ، الذى يلتمس ايجابيات وسلبيات العـــلاقة بين الانسان وسلوكه وسائله الحضـــارية وشـــطحاته المفسدة من ناحيـــة ، والأرض وخواصها التى تحدد ملامـــح مسرح الأحـــداث لحركة الحيـــاة التى تسهم فى اتمـــام جـوهر وشكل البيئة من ناحية أخـــرى • ويتمادى هـــذا الهدف الجغرافى الأهم ، لكى يلتمس مبلغ استسلام البيئة للعبث الحضـارى الذى يسىء الى البيئة ، أو لكى يلتمس مبلغ صمود البيئة لهذا العبث دفاعا عن التوازن الحيوى فى البيئة •

وتتحقق هذه الأهداف الجغرافية مجتمعة أو متفرقة ، من حسن توظيف الدراسة الميدانية ، فى متـــابعة المدركات الجغرافية وملاحقتها بالتـــوزيع والتعليل والربط ، على صعيد المساحة المعنية • ومـــن ثم تتكشف الرؤية الجغرافية الواضحة التى تتحدث عن البيئة وعنـــاصر تكوينهـــا الطبيعية والبشرية ، فى المكان والزمان • وقل انها هى التى تعلن عن حقيقة الخواص التى تتميز بها البيئة ، أو هى التى تجسد خواص البيئة فى اطـــار المنظور الجغرافى الشامل ، على صعيد المساحة المعنية • بل قل انها هى التى تضع كل عنصر من العناصر المتداخلة فى صياغة البيئة ، أو فى المحافظة على صحة

البيئة أحيانا ، أو فى افساد صحة البيئة أحيانا أخرى ، فى حجمه الصحيح أو الحقيقى ٠

ويبتنى على نتائج حسن توظيف الدراسة الميدانية عن البيئة ، التوجه الصحيح الى التقويم الجغرافى المناسب، الذى يعجم عود هذه البيئة ، ويحسب جدواها لحساب حركة الحياة التى تحيا فيها ٠ ومن ثم يملك الاجتهاد الجغرافى الذى تعينه الدراسة الميدانية فى هذا التقويم الجيد ، القدرة على ابداء الرأى الجغرافى السديد ، عن البيئة وعن صحتها ، أو عن المواطن التى تنال منها معاول الافساد البشرى أو معاول الافساد الطبيعى ٠ ويعبر هذا الرأى الجغرافى السديد ، الذى يتداعى تعقيبا على حسن رؤية البيئة فى اطار المنظور الجغرافى ، تعبيرا كاشفا بالوضوح والصدق والموضوعية ، عن سلبيات وايجابيات النبض الحياتى السائد فى ربوع المناخ ٠

ويفتح الرأى الجغرافى عن البيئة ومشاكلها ، الذى تسفر عنه الدراسة الميدانية ، أوسع الأبواب ويوفر الفرص ، بل قل يؤمن حسن توظيف هذا الرأى الجغرافى بعد تطويعه تطويعا تطبيقيا ، فى خدمة حركة الحياة ، وهى تتأثر وتؤثر فى معالم البيئة ، أو وهى تسىء الى صحة البيئة ٠ وهل تهدف دراسة البيئة ، من خلال العمل الجغرافى المكتبى ، والعمل الجغرافى الميدانى ، الى شىء أهم من وضوح رؤية ملامحها الجغرافية فى المكان والزمان ، ومن سداد الرأى الجغرافى عن تأثير وتأثر حركة الحياة بها ؟ والوضوح فى رؤية البيئة وحسن تشخيص أمراضها ومشاكلها ، وفى الرأى وحسن التوصية بالمحافظة عليها ، يشد أزر حركة الحياة فيها ، حتى تتخذ قدرات قوة فعل الند القوى ، الذى يحسن الانتفاع بها والمحافظة عليها فى وقت واحد ٠

ومن أجل انجاز العمل الجغرافى العملى الميدانى ، عن البيئة ومشاكلها ، يطرح أعضاء الفريق المتعاون ، كل فيما يخصه ، الأسئلة والاستفسارات ، وهى منسقة ومرتبة ومتفق عليها فى الغالب ، على عناصر الواقع الجغرافى ، فى المكان والزمان ٠ ويتوقع الباحث فى المقابل حسن الاستماع الى الاجابات أو الى الردود ، عن الأسئلة المطروحة ٠ ومن خلال حوا رفى الميدان لا يسكت أبدا ، توفر الاجابات على الأسئلة المطروحة ، المادة الخام والبيانات التى تستخدم فى رسم وتجسيد أهم ملامح البيئة ، أو فى تعقب أهم أعراض المرض فى البيئة ٠ وقد توفر هذه الاجابات خطوة مباشرة أو غير مباشرة ، فى الاتجاه الصحيح ، نحو الرأى الجغرافى عن البيئة ، وسبل تطويعه لكى يلبى حاجة التطلع الجغرافى التطبيقى ، فى اسهام يخدم صحة البيئة

والمحافظة عليها ، أو فى اسهام يشد أزر حركة تعامل الحياة مع البيئة ٠

وتخدم مجموعات من الأسئلة والاستفسارات ، تطلع السائل الى معرفة واجابات صحيحة ، عن توزيع وانتشار المدركات الجغرافية وعناصرها المتنوعة والمتداخلة فى تكوين ملامح البيئة ، وعن مبلغ تسلل وانتشار أعراض الأمراض فى كيان البيئة ، فى المساحة المعنية ٠ وتخدم مجموعة أخرى من الأسئلة والاستفسارات ، التماس التفسير الصحيح ، الذى يعلل أو الذى يبرر هذا التوزيع أو الانتشار ، حتى تتكشف الضوابط الحاكمة ، لتداخل المكونات الجغرافية فى البيئة ، أو لتعامل الانسان المسىء الى البيئة ٠ وتلتمس المجموعة الثالثة من الأسئلة والاستفسارات ، كيفية هذا التداخل وتوجهات الارتباط السليم بين عناصر المكونات الجغرافية الطبيعية والبشرية ، فى صلب التركيب الهيكلى لبنية البيئة ، وكيفية هذا التعامل وتوجهات السلوك الردىء ، الذى يعيث فى البيئة فسادا ، على صعيد المساحة المعنية ٠

واذا كان فى وسع الخبرة الجغرافيـــة المكتسبة ، ان تعـــد الاسئلة والاستفسارات فى استبيان جيد ، وتعرف كيف تلقى بها على مسامع البيئة فى الميدان ، حتى تتلقى الاجابات والردود الصحيحة ، تبقى الحاجة الى تعاون رشيد، بين الخبرة الجغرافية والخبرة العلمية المعاونة ، فى هذا الاعداد ٠ويسعف هذا التعاون فى اعداد الاستبيان ، وفى العمل الميدانى ، التماس العمـــق والوضوح وحسن البيان ، فى التفسير والتعليل ، أو فى تعقب العـــلاقات ودواعى الربط ، بين التفاصيل الجغرافية الطبيعية والبشرية المتداخلة فى صلب توليفة البيئة ، أو فى تعقب العـــلاقات ودواعى الربط بين السلوك الردىء المتعمد أو غير المتعمد ، الذى يسىء الى صحة وسلامة البيئة ٠ وقـــد يسعف هذا التعاون العلمى العملى على صعيد المساحة المعنية أيضا ، التماس المتغيرات الطبيعية والمتغيرات البشرية ، وقوة الفعل المباشر أو غير المباشر المؤثر على البيئة وأوضاع حركة الحياة فيها ، أو على صحة البيئة ومسئولية حركة الحياة عنها ٠

وهناك أسلوب عمل جغرافى ميدانى خاص ومتخصص جدا ، يلتمس البيانات ويجمع أوصال المادة العلمية الخام من الواقع ، الذى ينطق به أو يحدث عنه المنظور الجغرافى ، عن البيئة ، فى المساحة المعنية ٠ ويعتمد هذا الاسلوب الجغرافى أصلا ، على رؤية وحسن تمييز وتعقب العناصر الجغرافية الطبيعية والبشرية ، التى تصطنع الخطوط الأساسية فى بنية وتكوين البيئة،

وعلى رؤية وحسن تمييز السلوك الانسانى الذى يتعامل مع البيئة ويتجنى عليها بقصد أو من غير قصد • وفى ظل هذا الأسلوب ، تكون التكليفات التى توزع العمل على أعضاء الفريق المتعاون ، حتى يتعقب هـذه الرؤية وما تحدث به عن أوضاع البيئة ، وعـن أحوالهـا المرضية ، فى المساحة المعنية • وكما يكون الاتفاق بين أعضاء الفريق على توزيع هذه التكليفات يكون الاتفاق أيضا ، على محتوى هذا التكليف ، وعلى سبيل انجازه ، وعلى ضرورة الالتزام بصدق التعبير أو البيان عن خواص البيئة ، وعن شكواها من الأوجاع وضغوط الافساد التى تتعرض لها •

ومثل هذا التكليف ، والاتفاق على محتواه ، والالتزام بالهدف من انجاز العمل الذى يستوجبه ، يلقى أعباء العمل الجغرافى الميدانى ، على عاتق الشريك فى الفريق المتعاون المكلف بالفعل • ولكن يبقى على قائد الفريق الجغرافى ، أن يتابع حسن أداء العمل ، وأن يتحمل مسئولية حصر النتائج وتصنيفها ، واضافتها اضافة سليمة ، الى الرصيد الجغـرافى عن البيئة ومشاكلها • ومسئولية قائد الفريق الجغرافى ، عن توزيع التكليفات العملية ، وعن متابعة تنفيذ هذه التكليفات فى الميدان ، وعن اجراء ما يخصه شخصيا من هذه التكليفات ، وعن استخلاص الاضافات المناسبة واضافتها الى الرصيد الجغرافى ، تجسد حجم المسئولية على عاتق القائد الجغرافى • بل قل انها تجسد معنى ومغزى اسناد القيادة الى صاحب الخبرة الجغرافية ، التى تمثل تكليفا صعبا ، لا مكان فيه أبدا للتشريف •

وتتضخم هذه المسئولية العملية التى تقع عـلى عاتق قائد الفـريق الجغرافى ، لكى تشمل الاتفاق على أهم تفاصيل أسلوب وطريقة تنفيذ العمل الجغرافى الميدانى ، بينه وبين الرفيق أو الشريك المتعاون • ولا ينشأ هذا الاتفاق من فراغ أبدا ، بل انه يبتنى على النحو الذى يجاوب الهدف الجغرافى وهو يتحرى دراسة البيئة ومشاكلها فى المكان والزمان • بمعنى ان القـائد الجغرافى هو الذى يعرف أكثر من أى شريك متعاون معه ، ماذا يريد من انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، وهو الذى يضع ويحدد التكليفات وتفاصيلها التى تجاوب الهدف الجغرافى ، من خلال التعامل مع عناصر البيئة • بل قل انه هو الذى يمسك الدفة التى توجه العمل الميدانى لانجاز هـذه التكليفات المتنوعة ، حتى تبوح البيئة بكل أسرارها •

والتزام المكلف من أعضاء الفريق المتعاون ، بالتكليف الذى يوكل

اليه تنفيذه ، واجراء الدراسة الميدانية العملية التى تجاوب التكليف ، معناه التزام فعلى بمطالب معينة ، يفضى اليها الانجاز ، ونتائج العمل فى الميدان • ولا ينبغى أن يتهاون المكلف فى بلوغ الغاية من هذا الانجاز العملى ، أو أن يتمادى المكلف فى هذا الانجاز ، حتى يتجاوز الحد المناسب ، الذى يحدد التزامات التكليف الميدانى • بمعنى ان يتحرى المكلف من أعضاء الفريق المتعاون ، الدقة والتدقيق ، فلا نقصان أو اهمال أو تهاون فى الانجاز ، ولا زيادة أو اضافة أو تعديل فى الانجاز • وجلسات العمل الدورية التى تجمع أعضاء الفريق فى نهاية كل يوم عمل ، أو فى آخر كل فترة عمل فى الميدان ، هى وحدها التى توفر التشاور واجراء الحوار العلمى المناسب ، حتى يمكن ان تستحدث شيئا من الحذف ، أو شيئا من التعديل ، أو شيئا من الاضافة ••

والتعديل فى التكليف ، سواء تأتى بالاضافة أو تأتى بالحذف ، جائز لصالح العمل الميدانى الافضل •• وقل انه لا يستحق السكوت أبدا ، أثناء استمرار العمل الجغرافى العملى فى الميدان • ومع ذلك ، فاعلم ان هذا التعديل بالحذف أو بالاضافة ، يستوجب تعديلا فى خطة العمل ، أو اعادة النظر فيها • ويعنى هذا التعديل شيئا من التغيير المناسب بالضرورة ، فى مسيرة العمل الميدانى ، وتنفيذ ما يطلبه التكليف فى شكله المعدل • وتلك ـ على كل حال ـ أهم دواعى الاعتراض على ممارسة التعديل التطبيقى ، الذى لا ينبغى أن يباشره المكلف أبدا وحده ، دون علم الفريق والتشاور من حسن العناية والاهتمام ، بالقضايا التى تعين على تقويم أوضاع البيئة ،

ويبقى بعد ذلك كله ، لاتمام العمل الجغرافى العملى الميدانى ، شيئا من حسن العناية والاهتمام ، بالقضايا التى تعين على تقويم أوضاع البيئة ، فى اطار العلاقة الحميمة بين الانسان والارض • وقد يلتمس هذا التقويم الجغرافى شيئا واضحا عن أوضاع وسلوك وتوجهات حركة الحياة ، التى تجاوب خواص البيئة وقوة فعلها المباشر وغير المباشر • كما يلتمس هذا التقويم الجغرافى أيضا ، شيئا مناسبا عن استعدادات حركة الحياة ، لكى تطور قوة الفعل الحضارى ، حتى يكون فى وسعها ان تطوع قوة فعل خواص البيئة • ويشمل مثل هذا التقصى ، قياس وحساب الاضافة بالكم أو الاضافة بالكيف الى رصيد حركة لحياة ، لدعم وتطوير قوة الفعل الحضارى المباشر وغير المباشر ، فى مواجهة قوة فعل خواص البيئة فى المساحة المعنية •

وهكذا يتحرى هذا التقويم الجغرافي الذي يحسب حساب كل شيء في البيئة ، اكتشاف مبلغ ما يصل اليه الصراع الجاد ، وهو يضع أو وهو يرسم حد المصالحة بين حركة الحياة وقوة فعلها وكيف تعيش وتتعايش من ناحية ، والأرض وخواص الأرض وقوة فعلها وكيف تمتثل لارادة التعايش في ربوعها ، من ناحية أخرى • كما يتمادى هذا التقويم الجغرافي الى حد تحرى الحقيقة والكشف عن الكيفية التي تكون بموجبها المتغيرات البشرية الحضارية ، متعقلة أحيانا وهي تضع في قبضة حركة الحياة قوة فعل مؤثر ، يغير حد المصالحة بين الانسان والأرض ، دون تجاوزات تطعن في البيئة أو تفسد فعلها ، أو غير متعقلة أحيانا أخرى وهي تضع في قبضة حركة الحياة قوة فعل مؤثر ، يغير حد المصالحة بين الانسان والارض ، بشكل عدواني يطعن في صميم البيئة ويوقع بها في براثن الافساد المتعمد أو غير المتعمد • ويتحرى هذا التقويم الجغرافي بالمثل شيئا عن حقيقة فعل المتغيرات الطبيعية، وهي متعقلة أحيانا تغير من خواص البيئة تغيرا معقولا ، أو وهي غير متعقلة أحيانا أخرى حتى تكاد تدمر البيئة تدميرا شديدا •

وكما تنتهي رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية ، وهي في طلب التعارف الأولى على البيئة في الميدان ، أو وهي تستشعر مناخ الانفتاح الجغرافي اليقظ على المنظور الجغرافي وتعبيره الواقعي عن البيئة ومشاكلها ، دون أن تستنفد هذه الرحلة كل أغراضها ، تنتهي أيضا رحلة تقصى الحقائق الجغرافية التي تتحدث ولا يكاد يفرغ لها حديث عن البيئة ، في المكان والزمان • بمعنى أن عودة الفريق المتعاون ، بعد الانتهاء من تنفيذ برامج العمل الميداني ، لا يعني وصول هذا العمل الجغرافي الى نهاية المطاف •

ويبقى الباب مفتوحا ، لكي تعود الرحلة الجغرافية الميدانية مرة أخيرة الى الميدان ، طالما لم تستنفد هذه الرحلة كل أغراضها من العمل الجغرافي الميداني ، عن البيئة ، في المساحة المعنية • وقل تبقى هذه الحاجة ملحة بالضرورة الى رحلة جغرافية ثالثة وأخيرة ، لاستيفاء هذه الاغراض ، وحتى يستشعر الباحث الجغرافي انه قد أنهى بالفعل كل العمل الجغرافي الميداني عن البيئة في المساحة المعنية ، أو حتى تبوح له البيئة بكل ما ينبغي أن تعلن عنه ولا تخفي عنه شيئا ، حتى تتوفر بيانات ومعلومات وحقائق كاملة عن البيئة ، وعن أوجاعها ومشاكلها •

وهكذا ، نتبين بوضوح ان حاجة البحث الجغرافي عن البيئة ، على

صعيد المساحة المحلية ، من الدراسة الميدانية ؛ انها رحلة تقصى الحقائق الجغرافية ، لم تكتمل تماما حتى تغطى أو تشمل كل حذافيرها . بل قد تتكشف للباحث الجغرافى ، ان هناك بقية باقية ، وان دور الرحلة الجغرافية الوظيفى ، فى طلب استيفاء هذه البقية ، يبقى أو يتجدد ، لحساب التماس هذه البقية . وكيف لا تكون ثمة بقية ، ينبغى استيفائها ، والدراسة الجغرافية المكتبية ، تؤكد هذه الحاجة الى هذه البقية ، أو تكشف عن بعض جوانب الغموض ، وبعض الثغرات فى التصور الجغرافى الصحيح للبيئة ؟ بل قل كيف تنتهى الرحلة الجغرافية الميدانية ، أو كيف يعفيها الاجتهاد الجغرافى من العودة الى الميدان من جديد ، مرة وربما مرت كثيرة متكررة ، وهو لم يفرغ بعد من تكديس وجمع ما ينبغى الحصول عليه من مادة علمية خام عن البيئة ، من ثمرات العمل الجغرافى الميدانى ؟

وعودة الرحلة الجغرافية الميدانية ، من بعد تقصى الحقائق الجغرافية وتعاون أعضاء الفريق ، فى جمع أوصال المادة الخام ، واجراء الجزء العملى الأساسى من العمل الجغرافى الميدانى عن البيئة ، تكون بالقطع عودة منطقية وموفقة ، وهى تتأتى فى الوقت المناسب . ولا تعنى هذه العودة من الميدان شيئا ، أهم من انهاء أخطر شوط من الأشواط العملية ، أو أهم جولات العمل الجغرافى الميدانى ، عن البيئة وعن أوجاعها ومشاكلها . ومع ذلك قد تعنى هذه العودة ، من الميدان ، توجها ضروريا من جديد الى الدراسة المكتبية ، وتوسيع دائرة الاطلاع على المراجع والمصادر التى تتحدث عن البيئة .

وصحيح ان هذه العودة ، و هذا الرجوع من الميدان ، يعطى الفريق المتعاون وعلى رأسه الاجتهاد الجغرافى ، فرصة التقاط الانفاس ، لكى يبدأ استيعاب الرصيد الجغرافى المتراكم فى الجعبة الجغرافية عن البيئة ومشاكلها . وصحيح أيضا ان هذه العودة الموفقة من الميدان ، تفض جمع الفريق المتعاون ، وتوجه الاجتهاد الجغرافى وحده شطر أو نحو الدراسة المكتبية والاطلاع على المراجع والمصادر من جديد ، فى طلب حسن التنسيق والتناغم بين المادة الجغرافية الخام التى يسفر عنها العمل الجغرافي الميداني ، والمادة الجغرافية غير الخام التى يوفرها حسن الاطلاع على المراجع . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو ان هذه العودة من الميدان بعد انهاء رحلة تقصى الحقائق ، لا تطلق أيدى الباحث الجغرافى حرة أبدا ، لكى يكتب أو لكى يعلن عن ما تنبؤ به دراسته العميقة عن البيئة ومشاكلها فى المكان والزمان .

ولا يستبعد الاجتهاد الجغرافي احتمال العودة مرة أخرى وأخيرة من جديد ، في رحلة جغرافية ثالثية ، الى نفس المساحة المعنية ، في الميدان . وتبتنى هذه العودة المتوقعة — في الغالب — على استشعار الحاجة الى استكمال النقص أو الى تدارك التقصير أو الى استيفاء بعض العمل الجغرافي ، الذى تستجد الحاجة اليه حتى يسد الثغرات في البحث ، وبعد شيء مفيد ومركز من الدراسة المكتبية . ويبقى الحكم بصدق هذا الاحتمال وجديته وجدواه ، لكى ترجع الرحلة الجغرافية الميدانية من جديد إلى الميدان ، في حاجة الى قرار جديد لمستقل ، في الوقت المناسب . ويصدر الاجتهاد الجغرافي وحده هذا القرار ، دون حاجة الى تشاور ملزم مع أعضاء الفريق . وقل انه يتخذ هـذا القرار ، لصالح البحث ، ولا ينبغي أن يتردد أو أن يتأخر في اصدار هـذا القرار ، الذى يحق الحق ويستوجب الواجب ، لاستيفاء العمل الجغرافي عن البيئة ومشاكلها في الميدان .

ومثل هذه العودة من جديد الى الميدان ، لا تهم غير الاجتهاد الجغرافي . وهى لا تعنى أبدا ان هذا العمل الجغرافي العملي الميداني أثناء رحلة تقصى الحقائق عن البيئة ، قد قصر أو قد وقع في الخطأ الذى ينبغي تداركه . كما لا تعنى أيضا ، أن رحلة تقصى الحقائق ، قد تعجلت في العودة من الميدان ، قبل اتمام العمل الجغرافي العملي كله ، وينبغي أن يحتسب عليها شيئا من الاهمال أو التقصير . بل قل انها تعنى فقط ، طلب استيفاء العمل الجغرافي العملي ، الذى تستجد الحاجة اليه عن البيئة ومشاكلها .

ومن شأن القرار الجديد الذى يتخذ لكى يعيد الرحلة الجغرافية من جديد الى الميدان ، الا يصدر بالفعل ، الا في الوقت المناسب ، الذى يعرف فيه الاجتهاد الجغرافي ويتيقن تماما من أوجه النقص ، أو من أوجه التقصير . بمعنى أن تكون هذه العودة ، بعد دراسة متأنية تحسب حساب النقص ، حتى يدرك الاجتهاد الجغرافي جيدا ، لماذا ترجع الرحلة الجغرافية مرة أخرى وأخيرة الى الميدان ، ومتى وكيف يكون هذا الرجوع واجبا . فلا يجوز اهماله أو العدول عنه أو التفريط فيه ؟

رحلة جغرافية ميدانية اخيرة الى الميدان :

هذه رحلة ذهاب بجغرافي الخبرة ، يتكرر من جديد ، الى نفس الميدان ، الذى يشهد رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية مرة ، والذى تعيش وتتعامل على صعيده رحلة العمل الجغرافي وتقصى الحقائق عن البيئة ومشاكلها مرة أخرى .

وحاجة ملحة الى هذه العودة ، يعلن عنها الاجتهاد الجغـــرافى ، تعنى طلب اضافة جغرافيه واجبة عن البيئه ، فى المساحة المعنية • وسواء تكون هذه الاضافة الواجبة ، مطلوبه ، لاستكمال النقص أو التقصير فى رؤية البيئة ، فى المساحة المعنية ، أو تكون هذه الاضافة الواجبة مطلوبة لاستيفاء مقومات تقويم هذه البيئة ، وحسن تشخيص أمراضها المعارضة والمزمنة ، يصبح الذهاب الى الميدان أمرا ضروريا ، ولا يجوز التفريط فى معطيـــاته أو فى جدواه أبدا •

وقل ان هذه الحاجة الملحة ، هى التى تدعو أو التى تلزم الاجتهـــاد الجغرافى فى الوقت المناسب ، دون حرج أو اهمال أو تكاسل ، الى اتخاذ القرار الجديد ، بالعودة هذ المرة الى الميدان • ويتمم هذا الذهاب الجغرافى الأخير ، رحلة العمل الجغرافى الميدانى ، عن البيئـــة ومشاكلها ، فى المكان والزمان • بل قل انه الذهاب الاخير الــذى يكفل استيفاء بعض جـــوانب الحقائق الجغرافية ، أو المادة الخام ، التى تكون ألزم ما ينبغى الالتزام به ، فى البحث والتحرى عن البيئة الجغرافية •

وقل مرة أخرى أنها رحلة استيفاء عمـــل جغرافى واجبـــة • وهى مسئولية الباحث الجغرافى وحده ، دون حاجة – فى الغالب – الى معظـــم الشركاء فى الفريق المتعاون • وهى الرحلة الجغرافية التى تتدارك ما فات العمل الجغرافى الميدانى ، ويطلب الباحث الجغرافى الحصول عليه • بل قـــل انها رحلة جغرافية ميدانية أخيرة ، تستحق شيئا من الاعداد الجيد لاستيفاء أو لاستكمال العمل الجغرافى العملى ، قبل الذهاب من جديد الى الميدان • وهذا الاعداد الجيد الذى ينظم التوجه الجغرافى ، لا يكون الا من أجل حسن العناية بتدارك النقص وتلافى التقصير ، فى حصاد العمل الجغرافى عن البيئة ومشاكلها من الميدان • وقلما يتعمد هذا الاعداد الجيد ، ضم غير الجغـــرافى الى صف الجغرافيين الذين يتفردون فى الخروج الأخير الى الميدان •

هذا ، ولا يكون النقص فى المعلومات ، أو التقصير فى تقصى الحقائق الجغرافية ، أو الاهمال فى جمع بعض المادة الخام ، عن البيئة ومشاكلها ، وليد التعجل أو التهاون أو التخبط فى اجراء الدراسة الميدانيـــة • بـــل ولا يكون أبدا ، نتيجة من نتائج الاستخفاف وعدم التدقيق ، حتى يتـــأتى الوقوع فى الخطأ • ولكنه يكون – فى الغالب – وليـــد حاجة الاجتهـــاد الجغرافى ، وهو مسئول عن اعداد البحث الجيد عن البيئة ، الى :

١ - مزيد من العمق أو من الشمول أو من التدقيق ، فى الاحـــاطة والتحرى والبحث واجراء الدراسة الميدانية عن البيئة ، وترسيخ القاعدة الجغرافية التى تحدد ونشخص أعراض المرض فيها •

٢ - مزيد من التوسع ، أو من التماس المعلومة على صعيد المساحة المعنية ، وتكثيف العمل الجغرافى العملى الذى يتعقب الوضوح الجغـــرافى وسد النغرات فى بنية التصور الجغرافى للبيئة ، أو فى تحرى جذور المشاكل البيئية •

ومن شأن هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى هذه العودة الاخيرة الى الميدان ، أن تبدأ فى الوقت المناسب تماما ، لكى تتدارك نقصا أو تقصيرا غير متعمد ، أو لكى تلتمس معلومة جديدة واضافة مقصودة ، لاثراء البحث عن البيئة • ومع ذلك لا ينبغى أن تكون هذه العودة ، أو أن يكون هذا الذهاب الأخير الى الميدان ، متعجلا • ويستحسن أن يتشاور الباحث الجغرافى مع رفاقه من الجغرافيين فقط ، فى أمر هذه العودة • بل قل يجرى هذا التشاور الجغرافى حول :

١ - من الذى ينبغى أن يخرج فى هذا الذهاب الاخير ، ويعاود العمل الجغرافى العملى من جديد عن البيئة ومشاكلها ، فى المساحة المعنية ؟

٢ - ما هو بالضبط نوع وحجم العمل الجغرافى العملى الميدانى الذى ينبغى القيام به ، حتى يتدارك النقص ، أو حتى يتلافى التقصير ، أو حتى يسد الثغرات ، أو حتى يجنى ثمرات الاضافة ، ويلتزم به فرد أو مجموعة أفراد منتخبين من الصف الجغرافى ؟

٣ - ما هو أسلوب العمل الجغرافى العملى الميدانى ، وكيف يجرى على صعيد المساحة المعنية ، فى الاتجاه الصحيح ، لاستكمال قاعدة البحث عن البيئة ومشاكلها ؟

ومن ثم يخضع خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، والذهاب من جديد ، من أعضاء الفريق المتعـــاون الا من تستوجب حاجة العمل الجغرافى الميدانى المستجد ، التحاقه بها ، ولا يمكن الاستغناء عنه أبدا • وقد يكون فى وسع الباحث الجغرافى أن يذهب بمفرده ودون أن يصطحب معه أحدا ، فى هذا الذهاب الأخير الى المساحة المعنية • بل قل إنه قد يمتلك القدرة لانجاز

المهمة منفردا • ولكن المؤكد ان شرط الصحبة في هذه الرحلة الجغرافية الميدانية، وفى كل رحلة جغرافية ميدانية أخرى، هو شرط ضرورى وجوهرى ينبغى ان يراعى ، فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى • ومن ثم لا ينبغى تجاوز هذا الشرط ابدأ ، عند الذهاب الاخير الى الميدان • ويتعين الالتزام الصارم بشرط الصحبة ، حتى لو يكون اختيارا للفنى الذى يعاون الجغرافى فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى المطلوب ، عن البيئة ومشاكلها ، فى المكان والزمان •

وتكون هذه الصحبة فى الرحلة الجغرافية الميدانية ضرورية ، حتى لو يكون الذهاب متعجلا ، لقضاء مهمة السويعات القليلة المحدودة • وتضم هذه الصحبة ـ فى العادة ـ عضوا أو أكثر من عضو من الجغرافيين فى تشكيل الفريق المتعاون ، للخروج الاخير الى الميدان • ويتمثل الحد الأدنى فى هذه الصحبة ، فى الرحلة الجغرافية الميدانية الاخيرة ، فى زمالة عمل ميدانى تجمع بين الجغرافى قائد الفريق وزميل جغرافى آخر أو فنى ماهر ، لكى يعينه فى انجاز العمل الجغرافى العملى ، واستيفاء النقص • ذلك أن الذهاب المنفرد الى الميدان غير مستحب ، لأنه قد يفضى الى شىء من التقصير • كما ان اجراء العمل الجغرافى الميدنى الفردى غير وارد أبدا ، لان هذا الانفراد لا يكفل الانجاز الميدانى الجيد • بل قل يكون العمل الجغرافى الميدانى الانفرادى ، مرفوضا على الاطلاق ، وينبغى تجنبه تماما ، فى كل مرة يكون فيها الذهاب الى الميدان ، فى رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية ، وفى رحلة الدراسة الميدانية الحقيقية ، وفى رحلة تدارك النقص الجغرفى وسد الثغرات، لان هذا التفرد يكون غير مجد •

ويستوجب خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، والذهاب الى الميدان من جديد ، الى جانب حسن اختيار الرفيق ، حسن وضع خطة العمل الجغرافى والبرامج العملية الجغرافية ،التى تغطى وتنظم وتضبط مسيرة التنفيذ العملى التكميلى ، فى هذه المرة الاخيرة • ويتعين على الباحث الجغرافى ، ومن يكون فى معيته شريكا لحساب العمل الجغرافى الميدانى ، ان يعرف بالضبط حدود المهمة العملية المنوطة بهذا الذهاب الضرورى والاخير الى المساحة المعنية • كما ينبغى أن يدرك كل شريك فى هذا الذهاب الاخير ، بالضرورة ، مواقع أو مواضع العمل الجغرافى العملى الميدانى التكميلى المستهدف ، على صعيد المساحة المعنية • بل قل ينبغى ان يتحدد فى الأصل ، وقبيل الذهاب الى

الميدان ، المدى الزمنى المتوقع الانسب ، للذهاب والعودة ، مع تأمين حسن التفرغ فى غير عجلة ، لانجاز المهمة المنوطة به فى الميدان ٠

وهناك فى المساحة المعنية ، لا يجب أن يكون العمل الجغرافى الميدانى، عملا متعجلا ، من أجل عودة سريعة من الميدان ٠ بل ولا يجب أن يهبط مستوى الاداء ، وحسن التدقيق فى جمع المادة الخام ، أو فى حصر الاجابات والردود على الأسئلة والاستفسارات المطروحة ، عن مستوى الاداء العملى فى الرحلة الجغرافية الميدانية السابقة ٠ وينبغى أن يعــزز هـذا الأداء فى الميدان ، شيئا من التحلى بالصبر والجلد والمثــابرة ، فى طلب النتــائج وحصرها وحسن تصنيفها ، من أجل استيفاء وسد الثغرات فى البحث عن البيئة ومشاكلها ، فى المساحة المعنية ٠

وسواء يتكرر هذا الذهاب الاخير الى المساحة المعنية كلما استوجبت الحاجة اليه ، أو لم تتكرر ، فلا تكاد تنقطع الصلة بين الاجتهاد الجغرافى ، وهو يعمل هذا الجغرافى المناسب عن البيئة ومشاكلها من ناحيــة ، والمساحة المعنية التى تحتوى هذه البيئة الجغرافية السائدة فى المساحة المعنية ، حتى يتبين له ، كيف يفسر هذا الواقع الجغرافى عن بيئة متميزة ، وكيف يسفر سلوك حركة الحياة ، عن صيانة البيئة والمحافظة عليها ، أو عن الافساد فيها والمشاركة فى التعدى على صحة البيئة ٠

وفور الانتهاء من هذه الدراسة الميدانية ، التى تستغرق ثلاثة مراحل وتغطيها ثلاثة رحلات جغرافية ميدانية متخصصة ، يكتمل جمــع الرصيد المناسب ، من المادة الخام عن البيئة ومشاكلها ٠ ومن ثم ، يعتمد الباحث الجغرافى على التحليل والتركيب ، لكى يصطنع من حسن توظيف هذه المادة الجغرافية الخام التى يحصل عليها من الميدان ، ومن المادة الجغرافيــة لتى يحصل عليها من المراجع والمصادر ، لاخراج أو لاعداد البحث الجغــرافى المناسب عن البيئة ٠ كما يعتمد الباحث الجغرافى على مهــارته فى التقويم الجغرافى ، لتشخيص امراض البيئة العارضة أو المزمنة ، وتحديد مسئولية الانسان وهو يفسد فى الارض ، ومسئولية الطبيعة وهى تطعــن بفعــل متغيراتها فى خواص الأرض ٠

ويمثل هذا الانجاز الجغرافى عن البيئة ومشاكلها فى المكان والزمان ،

يفتح الأبواب أمام البحث عن النتائج ذات الطابع التطبيقي · ويكون هذا البحث الجغرافي عن البيئة ومشاكلها ، وكأنه المقدمة أو التمهيد الـــذى يمهـــد ، للمحافظة على البيئة ، أو للعناية بصحة البيئة ، أو لترشيد تعامل حركة الحياة مع البيئة أو لانقاذ البيئة من براثن فعل المتغيرات الطبيعية أو البشرية التى تعبت بها ، فى المكان والزمان ·

الفصل الرابع

الجغرافية وتوجيه الدراسة الميدانية للشخصية الجغرافية

- الجغرافية ومفهوم الشخصية الجغرافية .
- الدراسة الميدانية والعمل الجغرافى عن الشخصية الجغرافية .
- الرحلة الجغرافية ودراسة الشخصية الجغرافية الميدانية .
- الرحلة الجغرافية ومستويات توظيفها فى الكشف عن خواص الشخصية الجغرافية .
- النظر الجغرافى فى تشكيل الفريق المتعاون .
- خطة العمل الجغرافى الميدانى عن الشخصية الجغرافية .
- الانجاز العملى والشخصية الجغرافية فى الميدان .
- رحلة جغرافية ميدانية الخيرة الى الميدان .

الفصل الرابع

الجغرافية وتوجه الدراسة الميدانية للشخصية الجغرافية

تمهيـــد :

الجغرافية ومفهوم الشخصية الجغرافية :

في اطار توجهات لجغرافية المعاصرة الى التجديد والتجـويد ، يبزغ الاهتمام الجغرفي الجاد ، الذى يتحرى، أو يلتمس العناية بالشخصيةالجغرافية فى المكان والزمان • ويبحث الاجتهاد الجغرافي ، أولا وقبل أى شيء آخر ، عن مكونات هذه الشخصية ، فىالمكان والزمان • بمعنى أن يتحرى هــذا البحث حصة الارض وخواص الارض وكل العناصر التى تشترك فى صياغة مواصفات الأرض التى تتسع لوجود حركة الحياة من ناحية ، وحصة الانسان وقدرات الانسان وكل العناصر التى تشترك فى صياغة مواصفات حــركة الحياة التى تحيا وتتعايش على صعيد الارض من ناحية أخرى ، فى تكوين أو فى صياغة مقومات الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان • بل قل ينبغى أن يلتمس هذا البحث الجغرافى ، أبعاد العلاقة ، بين الانسان وهو يطلب الحياة ويتعمد تطويع الأرض لحساب الحياة ، والأرض وهى المسرح الــذى يستوعب هذه الحياة ، ويطاوعها على نحو يناسب ما فى جعبة هذه الحياة من وسائل وأساليب وقدرات ومهارات ، وتنتزع بها حق الوجود فى ربوعها •

وفى اطار التيقن من الندية بين الانسان وما فى وسعه أن يفعل لكى يعيش ويؤمن وجوده على الأرض ، والأرض وما تتميز به من خواص طبيعية، فى وسعها أن تفعل لكى تستوعب وجود الانسان فى ربوعها • وفى اطـار الفهم الحقيقى لمعنى هذه الندية ، وما تفضى اليه من جولات مصــارعة بين الانسان والأرض وكل منهما يملك وسائل الفعل المباشر وغير المباشر ،ويمتلك الاستعداد للضبط والانضباط المتبادل ، حتى يتصالح الطرفان على حــد المصالحة الذى يبيح لحركة الحياة أن تكون وتباشر نشاطها وحضورهاالمطمئن، يبدأ البحث الجغرافى عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان • ويثق الباحث الجغرافى فى قيمة أو فى جدوى الدراسة التى تتعقب الواقع الجغرافى التطبيقى ، وتتحرى العناصر المتداخلة فى صلب التوليفة الجغرافية لهذا الواقع

فى المكان والزمان • كما يثق الباحث الجغرافى أيضا فى قيمة أو فى جدوى الدراسة التى تتعقب الواقع الجغرافى البشرى ، وتتحرى العناصر الحيـانية المتداخلة فى صلب التوليفة الجغرافية لهذا الواقع ، فى المكان والزمان •

ويتوجه الاجتهاد الجغرافى بهذه الثقة ، الى دراسة الواقـــع الجغرافى دراسة تحسن التمعن فى المنظور الطبيعى الشامل على صعيد المكان • كما يتوجه هذا الاجتهاد الجغرافى ، الى دراسة الواقع الجغرافى البشرى ، دراسة تحسن أو تجيد التمعن فى المنظور البشرى الشامل ، على صعيد نفس المكان• وشمول النظرة والتمعن فى المنظور الجغرافى الطبيعى ، والمنظور الجغـــرافى البشرى ، يمهد لنظرة جغرافية أعم وأشمل ، تجمع بين هذين المنظورين ، وهى تلتمس العناصر والابعاد ، التى تفضى الى تجسيد الشخصية الجغرافية، فى المكان والزمان •

وقل تزداد عناية الاجتهاد الجغرافى ، الذى يتحرى عناصر ومقـــومات الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان لانه يدرك جـــدوى التعرف عـــلى الشخصية . وكيف انها تكشف عن تأثير هذه الشخصية الجغرافية ، عـــلى حركة الحياة • بل قل انه يستشعر أيضـا كيف تكـــون قـــوة أو ضعف الشخصية الجغرافية ، مسألة مهمة ولا يجوز اهمالها لانها تكون دائما من وراء أوضاع حركة الحياة وسـلوكها وتوجهـاتها ، اجتمـــاعيا وسياسيا واقتصاديا وحضاريا • وأذكر على سبيل المثال ، كيف تكـــون الشخصية الجغرافية للوجود الروسى ومنذ نشأة الدولة الروسية وتكوين المجتمـــع الروسى ، من وراء السلوك السياسى فى حالة الحرب وفى حالة السلام ، ومن وراء التحلى بارادة التوسع فى كل اتجاه للخروج من سجن الموقع الحبيس والوصول عنوة ، أو تسللا الى المياه الدفيئة • وأذكر على سبيل المثال أيضا كيف أفضى الكشف الجغرافى فى القرن الخامس عشر ، عن المحيط الاطلنطى، الى عنصر جديد أضاف شيئا مهما الى الشخصية الجغرافية لغرب وجنـــوب أوروبا ، حفز الانتشار الأوروبى على الصعيد العالمى ، وشد وما زال يشد أزر انتصاره ، سياسيا واقتصاديا وحضاريا واجتماعيا •

كما تزداد عناية الاجتهاد الجغرافى ، الذى يتدارس فى تمعن شديد ، وتقويم اشد ، للشخصية الجغرافية فى المكان والزمان ، لانه يدرك مبلـــغ استجابة هذه الشخصية ومواصفاتها ، لفعل المتغيرات وعوامل التغيير التى تتوالى فى المكان ، من عصر الى عصر آخر • وقل ان العناية الجغرافية بتوجيهه

الشخصية الجغرافية ، لا تهمل أبدا ، دواعي التغير في الشخصية الجغرافية، ولا تسكت عن تقصى نتائج هذا التغير على حركة الحياة ، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وحضاريا • وأذكر على سبيل المثال ، كيف كانت الشخصية الجغرافية المصرية فى المكان الحاكم لحركة الحياة الانسانية كلها على صعيد الأرض ، فى الماضى قبل قناة السويس وبعدها ، شخصية جغرافية متغيرة لانها جاوبت هذا المتغير • وأذكر أيضا كيف كانت الشخصية الجغرافية لجزيرة العرب ، قبل الاسلام وبعد الاسلام مثلا ، وكيف تبدلت الشخصية الجغرافية لجزيرة العرب قبل الكشف عن البترول وبعد الكشف عنه •

وتوجه الجغرافية المعاصرة ، فى الوجهة التى تخدم حركة الحياة على صعيد الأرض ، حيث يتعامل الانسان مع الارض ، ويتعامل الانسان مع الانسان ، يدعو الى استشعار قيمة الدراسة الجغرافية التى تكشف عن أبعاد الشخصية الجغرافية • ويقدم الاجتهاد الجغرافى على الدراسة والبحث والتحرى ، ليس فى طلب المعرفة بالشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان فقط ، بل قل انه يطلب ويلتمس العنصر أو العناصر الجغرافية ، التى تمثل مفتاح هذه الشخصية الجغرافية ، أو التى تكون من أهم دواعى تميز وتفرد الشخصية الجغرافية • وفى الاعتقاد الجغرافى ان معرفة الشخصية الجغرافية فى الاقليم ، يقدم تقديما جيدا لفهم وحسن ادراك أوضاع وتوجهات حركة الحياة ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وحضاريا • كما تقدم هذه المعرفة بالشخصية الجغرافية أيضا ، لحسن ادراك وتعقب دواعى وموجبات التغيير، من عصر الى عصر آخر ، فى الشخصية الجغرافية أولا ، وفى توجهات حركة الحياة التى تمليها وتدعو اليها هذه الشخصية الجغرافية القابلة للتغير •

ولأن البحث الجغرافى عن الشخصية الجغرافية ، لا يكون بحثا جغرافيا عن المكان وحده ، ولا يكون بحثا عن الانسان فى المكان وحده ، يتحرى الاجتهاد الجغرافى عناية شديدة بدراسة توليفة العناصر المتداخلة ، وهى تحدد ملامح الشخصية الجغرافية • وقبل أن تسعف المهارة الجغرافية الباحث الجغرافى فى التركيب والتحليل ، وصولا الى رؤية ملامح الشخصية الجغرافية ، ينبغى أن يبادر الى معرفة وحسن تحديد المساحة المعنية فى المكان الجغرافى ، والى معرفة وحسن ادراك أوضاع حركة الحياة فى هذه المساحة المعنية • ومثل هذه المبادرة ، هى التى تقدم تقديما مناسبا ، حتى تتكشف للباحث الجغرافى ملامح الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان •

وحسن ادراك وفهم ورؤية ملامـــح الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان ، مسألة غاية فى الأهمية • ولا تكون هذه الاهمية ، وهى محـــل عناية الباحث الجغرافى واهتماماته ، لحساب الاجتهاد الجغرافى وحده ، بل قل انها أهمية من غير حدود ، لحساب حركة الحيـــاة وتوجهاتها • وما من شك فى أن اختلاف توجهات حركة الحياة من اقليم الى اقليم آخر ، لا يكشف عنها شىء أهم من الاختلاف فى مقومات الشخصية الجغرافية لكل اقليم • وعلى صعيد مصر - على سبيل المثال - هناك فرق كبير بين ملامح الشخصية الجغرافية ، فى اقليم سيناء ، وفى اقليم وادى النيل ، وفى اقليم الدلتا ، وفى اقليم الصحراء الشرقية ،وفى اقليم الصحراء الغربية ، وهو الفرق الذى يفسر ويبرر اختلاف توجهات حركة الحياة فى كل اقليم من هذه الأقاليم •

وتبرهن العناية الجغرافية المعاصرة ، على حسن الاقدام على دراسة جادة تتعقب الشخصية الجغرافية • وتعول العناية الجغرافية كثيرا ، على الدراسة الميدانية فى تقصى الحقائق الجغرافية على صعيد المساحة المعنية ، التى تحدد أبعاد وتوجهات الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان • وقل ان الرحلة الجغرافية الميدانية ، تطاوع هـذا الاهتمام الجغـــرافى بدراسة الشخصية الجغرافية • بل قل انها هى التى تشد أزر الباحث الجغرافى ، فى حسن بيان التعبير الجغرافى عن الشخصية الجغرافية • كما تجاوب الرحلة الجغرافية الميدانية منطق وفلسفة التفكير الجغرافى ، الذى تشغله مواصفات الشخصية الجغرافية ، وكيف تتنوع هذه الشخصية الجغرافية من مكان الى مكان آخر، ومن عصر الى عصر آخر •

الدراسة الميدانية والعمل الجغرافى العملى لحساب الشخصية الجغرافية :

هذا توجه جغرافى آخر من التوجهات الى الدراسة الميدانية • بل قل هذا توظيف خاص للرحلة الجغرافية الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية • ولا يكون العمل الجغرافى العملى الذى تخرج الرحـلة الجغرافية ، من أجـــل الدراسة الميدانية ، عملا مجردا بالفعل ، لحساب البحث الجغرافى العلمى البحت • بمعنى ان حاجة البحث الجغرافى العلمى ، ليست هى وحـــدها الدافع الحقيقى ، لتنظيم وخروج الرحلة الجغرافية الميدانية لاجراء الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية • وما من شك أبدا ، فى أن حاجـــة الحياة ، هى التى تفطن جيدا ، الى جدوى الاجتهاد الجغرافى ، فى تقصى ملامح الشخصية الجغرافية ، وتستشعر ضرورة الرجوع الى هذا الاجتهاد وتكليفه

بمهمة البحث الجغرافى الذى يكشف عن ملامح الشخصية الجغرافية ·

وتكليف الباحث الجغرافى من قبل الآخرين ، للكشف عن ملامح الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان ، معناه أن يتحمل الإجتهاد الجغرافى المسئولية ، وهى أمانة فى العنق ، لحساب الغير · ومعناه أيضا ، أن يجرى الباحث الجغرافى هذا البحث ، الذى يلتمس ملامح الشخصية الجغرافية ، وهى النتيجة الجغرافية التى تخدم حركة الحياة ، على صعيد المساحة المعنية ·

ويستوجب هذا التكليف الذى يتصدى لانجازه الباحث الجغرافى ، دراسة مكتبية محددة واطلاع ذكى على المراجع والمصادر · كما يستوجب هذا التكليف أيضا ، خروج الباحث الى المساحة المعنية ، لاجراء الدراسة الميدانية ، ومعايشة الواقع الجغرافى والتماس أو الاستدلال على ملامح الشخصية الجغرافية · وقد يجاوب هذا الاجتهاد الجغرافى ويتبنى طلب أو تكليف من الغير ، ويوليه أحسن عناية واهتمام · ومثل هذا الاقدام الجغرافى على تبنى مطلب غير الجغرافى والاهتمام به وانجاز العمل الجغرافى من أجله ، يستوجب حماس الباحث الجغرفى ، لأن هذا الانجاز الجغرافى ، يمثل نقطة الانطلاق فى مهمة الانفتاح الجغرافى والتحول الى المجالات التطبيقية · ويوفر هذا الانفتاح الجغرافى ، وهو يباشر الاهتمام بملامح الشخصية الجغرافية ، شيئا مطلوبا ومهما ، تنتفع به حركة الحياة · وعندما تتيقن حركة الحياة من حسن الأداء فى الكشف عن ملامح الشخصية الجغرافية وتنتفع بها ، لا يكون فى وسعها أبدا ، أن تفرط فى خبرة ومهارة وحسن ما يحدث عنه العمل الجغرافى فى أى مجال من المجالات التطبيقية ·

ونجاح الباحث الجغرافى ، فى هذا التوجه الجغرافى ونزعته التطبيقية وتقديم الخبرة الجغرافية ، لحساب هذا التكليف من غير الجغرافى ، هو خير ما يفسح للاجتهاد الجغرافى وللعمل الجغرافى مكانا مناسبا ، فى العمل العلمى التطبيقى ، الذى تنتفع به حركة الحياة · ويصبح هذا النجاح ، وكأنه الباب المفتوح ، الذى تدخل منه انجازات العمل الجغرافى التطبيقى دخول الواثق المتمكن ، حتى تجد الخبرة الجغرافية لنفسها مكانا مناسبا ، فى الصف العلمى الذى يجمع بين مجموعة العلوم التطبيقية · بل قل ينبغى أن يفضى النجاح الجغرافى فى هذا التكليف ، الى اقتناع حقيقى بلزوم الخبرة الجغرافية ، وهى تباشر المهمة ، وتصطنع القاعدة الصلبة ، التى يرتكز اليها تنفيذ وانجاز تطبيقى أفضل ، لحساب حركة الحياة · كما ينبغى أن يرسخ

هذا النجاح الجغرافي ، قضية التحول العلمى الجغرافى ، من جمود النظرية البحتة الى مرونة التطبيق العملى ، حتى يصبح علم الجغرافية علمـــا بينيا راسخا فى العمل التطبيقى •

ومعنى هذا النجاح فى الانجاز الجغرافى ، لحساب العمل التطبيقى ، يمثل خطوة هامة على درب التوجه الجغرافى العلمى العملى ، الذى تحرص عليه الجغرافية المعاصرة • ولا يكون هذا النجاح فى الانجـــاز الجغـــرافى التطبيقى ، من غير عناية جغرافية ومهارة ، تعكف على :

١ ـ حسن الجمع والتنسيق الجيد ، بين حصة الدراسة الجغرافية المكتبية ، والدراسة الجغرافية الميدانية ، من أجل صياغة التصور الجغرافى المناسب للشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان •

٢ ـ حسن اجراء الدراسة الميدانية فى المساحة المعنية ، حتى تتضح رؤية ملامح الشخصية الجغرافية ، وتداخل العناصر الجغرافيـــة الطبيعية والعناصر الجغرافية البشرية فى صنع هذه الملامح •

٣ ـ حسن التمعن فى تقويم هذه الشخصية الجغرافية ، فى المساحة المعنية ، ومبلغ استعداد ملامحها للتغيير استجابة لفعل المتغـــيرات ، حتى يتسنى للخبرة الجغرافية أن تبدى الرأى الجغــرافى ، وكأنه النصيحة أو التوصية الى من يهمه الامر •

ومن ثم نفهم جيدا ، كيف يكون تقصى ملامـــح الشخصية الجغرافية تكليفا ومسئولية ، يكلف بها الاجتهاد الجغرافى ، من قبل الغير الذى يهمه الا يبدأ العمل أو التنفيذ التطبيقى لحساب حركة الحياة ، دون أن تتكشف ملامح الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان • كما نفهم أيضا كيف يلتمس تقصى ملامح الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان ، تطويع النتائج التى يسفر عنها العمل الجغرافى أو الأداء الجغرافى بشقيه النظرى المكتبى والعلمى الميدانى ، تطويعا مناسبا ، لحساب الغرض الحياتى التطبيقى • ويبقى صاحب التكليف ومعه كل أدوات العمل التطبيقى ، وكل الخبرات العلمية التطبيقية، فى انتظار وترقب نتائج البحث الجغرافى عن الشخصية الجغرافية ، وما تفضى اليه من حيث وضوح رؤية الملامح الجغرافية للشخصية الجغرافية فى المكان والزمان ، ومن حيث سداد الرأى الجغرافى عنها • ووضوح هذه الرؤية ، وسداد هذا الرأى ، هما معا اللذان ، يرشدان صاحب التكليف ، وهـــو

يتأهل بهما ، للعمل المناسب ، لحساب الغرض التطبيقي ، في المكان والزمان •

الرحلة الجغرافية الميدانية ودراسة الشخصية الجغرافية :

تكليف الباحث الجغرافي بدراسة الشخصية الجغرافية في المكان والزمان ، هو التكليف الرشيد الذى لا يبدأ أبدا من فراغ ، ولا ينتهي من غير غاية مفيدة • وبموجب هذا التكليف ، يتعقب الجغرافي ، في المكان والزمان ، المنظور الجغرافي الشامل ، حتى يجرى المسح الجغرافي العام الذى يغطي هذا المنظور ومكوناته الجغرافية الطبيعية والبشرية • وما من شك في أن من يهمه أمر هذا التكليف ، الذى يتعين اسناده الى الاجتهاد الجغرافي ، يكون على بينة وثقة ، من كفاءة وجدوى الانجاز الجغرافي ، الذى يجاوب الغرض • بل قل انه يكون واثقا في حسن تفرد الاجتهاد الجغرافي بالخبرة والمهارة ، التى يباشر بها ، أو التى يجاوب بها ، انجاز العمل الجغرافي ، الكاشف عن الشخصية الجغرافية ، في المكان والزمان •

وقبول الباحث الجغرافي ، هذا التكليف بدراسة الشخصية الجغرافية في المكان والزمان ، الذى يتعقب المنظور الجغرافي ، على الوجهين الطبيعي والبشري ، هو القبول الرشيد الذى لا يبدأ من فراغ أبدا ، ولا ينتهي من غير غاية مفيدة ، لحساب حركة الحياة • وما من شك أبدا ، في أن من يبادر الى هذا القبول الجغرافي دون تحفظات ، أو دون تردد ، يكون على وعى كامل باعباء ومسئوليات المهمة الصعبة ، التى تسند اليه • وقل انه يكون واثقا من قدراته في العمل المكتبي وحسن الاطلاع ، ومن خبراته في العمل الميداني ، حتى يتأهل بهما معا ، وهو يباشر الانجاز الجغرافي المناسب ، لحساب هذا التكليف • بل قل أن توجهات التحول الجغرافي العظيم ، الذى أخذت به الجغرافية المعاصرة ، حتى يزج بها في الأداء أو في العمل التطبيقي ، هو عين ما يبرر مبادرة الاجتهاد الجغرافي ، أو اقدامه على قبول هذا التكليف الصعب ، والاستجابة لطلب الاحاطة ومعرفة الشخصية الجغرافية ، في المكان والزمان •

ولأن الاجتهاد الجغرافي التطبيقي ، الذى ترسخه وتدعمه وتتبناه وتوجهه فلسفة الجغرافية المعاصرة ، هو جزء حيوى وفعال ، من صلب هذا التحول الجغرافي العظيم الذى تسفر عنه وتسغفه وتسدد خطاه الدراسة الدراسة الميدانية ، فلقد تصاعدت العناية الجغرافية ، بالرحلة الجغرافية

الميدانية • بل قل يتوجه الاهتمام الجغرافي المعاصر ، فكرا وروحا ومنطقا وفلسفة ، توجها حميدا ، وهو يوظف الرحلة الجغرافية الميدانية ، توظيفا رشيدا وهادفا يلتمس جوهر وتفاصيل الوضوح الحقيقى للشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان •

وينبغى أن نفهم جيدا ، كيف تولى هذا الإجتهاد الجغرافى المعاصر ، مهمة تطويع وتطوير العمل الجغرافى العملى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية ، لكى يجاوب استعدادات الجغرافية المعاصرة ونزعاتها التطبيقية لتحمل أعباء ومسئوليات التماس الوضوح فى مقومات الشخصية الجغرافية• كما أقدم هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، اقدام الواثق على حسن مباشرة هذا التكليف الجغرافى ، لحساب الهدف التطبيقى • ولا يكف هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر أبدا ، عن انتهاز الفرص التى تيسر له ، ان يغوص فى أغوار الشخصية الجغرافية ، حتى تكون الاستجابة لاهداف التخصص الجغرافى •

ومن ثم أخذ علم الجغرافية المعاصرة - بصرف النظر عن جمود بعض المتخصصين الجغرافيين ، أو عن تردد وحيرة وتحفظ شديد ، يشل استجابتهم - يواجه مسئولياته ، قبل البحث عن مقومات الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان • ولقد أمسك علم الجغرافية المعاصرة ، وهو اشد ايمانا وحرصا على دوره الوظيفى ، بانه علم عملى ، ينبغى أن يوفر خدماته لحركة الحياة فى الأرض ، فى كل مجالات الانجازات التطبيقية ، بزمام الرحلة الجغرافية • وتولى هذا العلم وما زال حريصا على حسن توظيف هذه الرحلة الميدانية ، فى العمل الجغرافى العملى ، وهو يلتمس مقومات الشخصية الجغرافية •

ويبدع الاجتهاد الجغرافى المعاصر إبداعا كبيرا ، ويتفانى فى الكيفية التى يتسنى بموجبها ، توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى دراسة الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان • بل قل يفلح الاجتهاد الجغرافى كثيرا ، فى تطويع الدراسة الميدانية تطويعا مناسبا ، حتى يمسك الباحث بأطراف الخيوط التى تتداخل فى نسيج الشخصية الجغرافية • ومع ذلك فلا قوالب ، فى هذا المجال ، حيث يختلف نسيج الشخصية الجغرافية ، من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر • ودراسة الاجتهاد الجغرافى التى لا تتقيد أبدا ، بقيود القوالب الجامدة ، فى تنفيذ العمل الجغرافى العملى الميدانى ، وهو يتعقب مواصفات وخصائص الشخصية الجغرافية الخاصة فى

المكان والزمان ، تشد أزر الابداع الجغرافي . بل قل ان هذا التحضر في الأداء دون الخروج عن أصول المنهج في الدراسة الميدانية ، يشد أزر التوجه الجغرافي لدراسة الشخصية الجغرافية ، ويقوى ويحسن مستوى الأداء العملي في الميدان ، الذي يعزز هذا التوجه العلمي العملي الجغرافي التطبيقي المفيد .

ولان التحول العظيم ، الذي يعلن عنه علم الجغرافية المعاصرة ، ويزج به في ميدان العمل الجغرافي العملي ، لحساب الشخصية الجغرافية ، يمثل تحولا متحمسا للهدف التطبيقي ، فلقد كرس ويكرس الاجتهاد الجغرافي اهتماما كبيرا ، بتطويع الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهي الوسيلة ، وبتطوير مباشرة العمل الجغرافي الميداني ، وهو الهدف التطبيقي . وتنطلق الرحلة الجغرافية الميدانية ، انطلاقا مناسبا في الاتجاه الميداني الصحيح ، وهي تجاوب مطالب البحث الجغرافي ، عن الشخصية الجغرافية . بل قل تطاوع الرحلة الجغرافية الميدانية الاجتهاد الجغرافي ، وتسعف اسهامه المناسب عن الشخصية الجغرافية ، في المكان والزمان ، سواء وهو الاسهام الذي يتأتى جانب منه في أحضان الدراسة المكتبية الجغرافية البحتة ، أو وهو الاسهام الذي يأتي جانب منه أكثر أهمية وأجدى ، في أحضان الدراسة الميدانية الجغرافية العملية .

وينبغي أن ندرك كيف يتسبب هذا التطويع ، في تغيير حقيقي ، في مهمة الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهي في خدمة الدراسة الميدانية . ولا يفجر هذا التغيير ثورة عارمة ، تقلب أوضاع الدراسة الميدانية ، وتوجيهاتها العملية المثمرة ، رأسا على عقب ، بل قل ان هذا التغيير ، يضيف اضافات لحساب التكليف الجغرافي واقدامه على تقصي حقيقة الشخصية الجغرافية جديدة ، ويوسع دائرة التزامات هذه الدراسة في الميدان . بمعنى ان هذا التطويع يفتعل ثورة اضافة وتجديد في الأداء . وتبقى الدراسة الميدانية ، وبمعنى ان هذا التطويع والتطوير ، قد اصطنع هذا التغيير ، الذي يتسبب في زيادة وتنوع الأعباء الدراسية الميدانية ، التي ينبغي أن تتفرغ لها ، وتقوم بها الرحلة الجغرافية الميدانية .

وتتأتى زيادة هذه الأعباء في العمل الجغرافي الميداني ، في شيء كثير من الهدوء . وقل انها تجسد الزيادة في الأعباء ، التي تنال شيئا كثيرا ، من الترحيب الجغرافي ، وحسن الاستجابة . ولم يتنكر هذا التطويع أو هذا التطوير ، وهو يجدد ويجود ويضيف التوجهات الميدانية المستجدة

أبدا ، لكل الدروس المستفادة أو الخبرات المكتسبة ، من توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية ، وآدائها السابق ، لحساب البحث الجغرافى • وما من شك فى أن هذه الخبرات والمكتسبات ، تكون وكأنها القاعدة الصلبة ، التى يبتنى عليها التجديد والاضافة ، التى تؤهل التوجه الجغرافى المتطور فى الميدان ، الى انجاز العمل الجغرافى العملى وتكليفاته المتنوعة ، بما فيها من ضرورة تقصى ودراسة الشخصية الجغرافية •

ويمكن القول أن الجغرافية المعاصرة ، قد صعدت الاهتمام بالرحلة الجغرافية الميدانية الى حد كبير • وقل انها توسع دائرة التنوع فى اجراء الدراسة الميدانية ، ولم تترفق بها أبدا فى شأن من شئون العمل الجغرافى العملى والاستجابة لهذا التنوع • وقل أيضا ان الجغرافيه المعاصرة ، قد تركت أمر الرحلة الجغرافية الميدانية ، من غير أن تستحدث تعديلا مهما أو جوهريا من حيث الشكل ، ولكنها استحدثت التغيير الحقيقى ، فيها من حيث المضمون والغاية والهدف • بل قل انها تبارك وتباشر التمادى فى توسيع تكليفات الدراسة الميدانية ، تكنيفا يطاوع أو يسعف انجاز المهام المنوطة بها ، فى دراسة الشخصية الجغرافية ، لحساب الغرض أو التكليف وتوجهاته التطبيقية •

الرحلة الجغرافية الميدانية ومستويات توظيفها :

تستوجب دراسة الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان ، شيئا مهما من العمل الجغرافى العلمى فى الميدان • وينبغى أن ننظم الرحلة الجغرافية الميدانية التى تذهب الى الميدان ، لانجاز هذا العمل • وفى الاعتقاد الجغرافى أن هذا التنظيم ، هو الذى يدعو الى ذهاب الرحلة الجغرافية الميدانية ، الى الميدان ، أكثر من مرة • ولأن هناك اطار جامع ، يجمع بين مرات الذهاب الى الميدان التى تتكرر ، فينبغى أن نؤكد على أنها رحلة جغرافية ميدانية واحدة ، تتأتى على مراحل متوالية أو متعاقبة • وفى كل مرحلة من هذه المراحل ، تؤدى الرحلة الجغرافية الميدانية دورها الوظيفى ، على مستوى خاص ومعين ، لحساب الدراسة الميدانية عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان •

وهناك حاجة لأن تكون الرحلة الجغرافية الميدانية ، على مستويات متباينة ، عندما تذهب الى الميدان • ومع ذلك فانها تخرج فى كل مرحلة من المراحل خروجا ، يناسب الهدف الذى يحدد هذا المستوى ، ويجاوب الهدف الجوهرى ، الذى يتعين الخروج من أجله الى الميدان • وقل ان هناك

ترتيبا لا يجوز اهماله أبدا ، حتى يتحقق الهدف من خروج الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى كل مرحلة من المراحل ، الى الميدان . بل قل ان ترتيب هذا الخروج الى الميدان ، فى كل مرحلة ، هو جزء من العناية الجغرافية ، بسياق يمضى فيه العمل الجغرافى العملى . فى الاتجاه الصحيح ، وصولا الى الهدف النهائى ، لحساب المسح الجغرافى الشـــامل ، الذى يفصح عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان .

وتتمثل الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى يتكرر خروجها الى الميـدان على مستويات متباينــة ، فى ثلاث رحـــلات متعاقبة ، هى ، رحلة الزيارة التفقدية ، ورحلة تقصى الحقائق الجغرافية ، ورحلة استيفاء المـادة الجغرافية. وعلى الرغم من الترابط والترتيب بين هـــذه الرحلات ، وهى تتعـاقب فى الخروج الى الميدان ، فليس هناك زمن أو مدى زمنى محدد لفترة وجود كل رحلة فى الميدان ، أو مدى زمنى معلوم للفصل بين كل رحلة من هـــذه الرحلات المتكاملة . بل قل قد يستوجب الدور الوظيفى المنوط بكل رحلة من هذه الرحلات ، تكرار الذهاب والعودة ، حتى تفرغ الرحلة تمــاما من انجاز الهدف الذى تتوجه من أجله الى الميدان . وحسب الترتيب المعمول به لخروج الرحلة فى كل مرحلة من هذه المراحل ، لا ينبغى أن تخرج الرحلة الا فى الوقت المناسب . بل قل انه لا مجال لتداخل بين رحلة جغرافية فى مرحلة معينة ، ورحلة جغرافيـــة فى مرحلة أخرى تسبقها أو تليهـا فى الترتيب .

الرحلة الجغرافية والزيارة التفقدية :

تشجب الجغرافية المعاصرة ، أو قل تســتنكر ــ فى الغالب ــ الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى يقوم بها الباحث الجغرافى منفردا بذاته ، من أجل العمل فى الميدان . ذلك أن الجغرافية المعاصرة ، تفضـــل أن تكون الرحلة الجغرافية الميدانية ، هى رحلة الجماعة أو رحلة الفريق . بل قل ان الجغرافية المعاصرة ، تكاد تتشكك كثيرا فى جدوى نتائج العمل الجغرافى العملى الذى لا يشترك فى انجازه الفريق . بمعنى انها تعترض على التفرد فى انجـاز العمل الجغرافى الميدانى ، وتفضيل دائما اسناد هذا العمل الى الفريق .

ويبتنى رأى الجغرافية المعاصرة فى الاعتراض المبدئى على الانفراد فى الخروج الى الميدان ، على أساس أن الجغرافى المنفرد بذاته ، مهمـا أوتى من مهارات وقدرات وخبرات ، فى اجراء الدراسة الميدانية ، لا يكون فى وسعه

أبدا التصدى المنفرد الموفق ، لانجاز العمل الجغرافى العملى ، وهو يعمـــل بمفرده فى الميدان • بل تقول الجغرافية المعـــاصرة بصراحة ، ان الجغرافى المنفرد بذاته ، لا يستطيع أن ينجز هذا العمل الجغرافى العملى وحده عـــلى الوجه الأنسب ، لأنه مهما أوتى من أسباب التفوق ، لا يملك كل أسباب التفتح الجغرافى العام والخاص ، التى يستوجبها انجاز هذا العمل الجغرافى العمل المتنوع عن الشخصية الجغرافية فى أنحاء الميدان •

هكذا ، لا يجوز التفرد الخاص فى الرحلة الجغرافية الميدانية ، بصفة عامة ، وهى تخرج أو وهى تذهب الى الميدان • ولكن اذا أجيز هذا التفرد ، بصفة استثنائية ، فانه لا يجوز بالفعل فى غير خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى مرحلة الزيارة التفقدية • ومع ذلك تبقى هذه الاجازة مشكوكا فيها أو فى جدوى انجاز الهدف من خروج الرحلة الجغرافية فى هذه المرحلة الأوليـــة • ويستحسن أن يصحب الجغـــرافى معـــه ، شريكا يشاركه فى القاء النظرة ، بالعين الجغرافية الخاصة والمتخصصة ، على المساحة المعنية ، فى الميدان •

وتخرج الزيارة الجغرافية التفقدية ، فى الوقت المناسب ، الذى يكون أوانه بعد شىء من القراءة عن المساحة المعنية • وقل تكون هـــذه الزيارة التفقدية ، بنية التعرف الجغرافى العام الشامل ، على المساحة المعنية ، فى الميدان • بمعنى أن يطلب الباحث الجغرافى ، وحده أحيانا ، وهو جائز مع شىء من التحفظات ، أو يطالب الباحث الجغرافى ومعه شريك الصحبة الحسنة أحيانا أخرى ، وهو الأفضل من غير تحفظات ، رؤية تغطى المساحة المعنية ، وتشاهد المنظور الجغرافى الشامل ، فى المكان والزمان •

وتستوجب هذه المعاينة التى تشاهد وترى بعـــين جغرافية واعية ، طوافا على صعيد المساحة المعنية • ويتعين أن تستوعب هذه العين الجغرافية الواعية ، خصوصية المنظور الجغرافى الذى تبتنى عليه مواصفات وملامح الشخصية الجغرافية • ويستمر هذا الطواف الذى يمعن النظر فى المنظور الجغرافى فترة من الوقت ، حتى يفرغ الباحث الجغرافى وشريكه من التعرف الجغرافى الشامل • بل قل ينبغى أن يجاوب هذا التعرف الجغرافى الشامل الهدف من الزيارة التفقدية ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان • بل ولا ينبغى أن يكون الرجوع من الميدان أبدا ، الا بعد التيقن من بلوغ الغاية ، التى تجاوب هدف الزيارة التفقدية للمساحة المعنية •

وصحيح أن خطوت الطواف والزيارة الجغرافية التفقدية ، تضع الباحث الجغرافى فى مواجهة صريحة مع المنظور الجغرافى • وصحيح ان وضـوح وحسن بيان المنظور الجغرافى ، يضع الاجتهاد الجغرافى فى الاتجاه السليم • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو بلوغ الغاية أو تحقيق الهـدف ، الذى يسعف الاجتهاد الجغرافى بالفعل ، بعد العودة من هذه الرحلة الجغرافية ، فى التجهيز والاعداد الجيد ، لخروج الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى المرحلة الثانية ، لتقصى الحقائق وجمع المادة الخام واجراء العمل الجغرافى العملى •

ويتمثل هذا الهدف الذى تسفر عنـه رحلة الزيارة التفقـدية التى تطوف وتعاين المنظور الجغرافى ، فى توفير أو فى تهيئة الأسس السليمة التى ترشد الاجتهاد الجغرافى ولا تخذله أبدا ، فى قضية حسن تشـكيل الفريق المتعاون فى انجاز العمل الجغرافى العملى الميدانى ، وفى قضية حسن وضع خطة هذا العمل الجغرافى الميدانى • بمعنى أن بلوغ الغاية من الزيارة التفقدية الأولية ، يرشد اختيار أعضاء الفريق المتعاون • كما يبصر مسألة وضع برامج العمل الجغرافى وتجهيز الأدوات والمعدات ، وتوزيع تكليفات هذا العمل ، بين الشركاء ، فى الفريق المتعاون فى اجراء الدراسة الميدانية ، عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان •

واضافة الى ذلك كله ، تفضى الرحلة الجغرافية الميدانية ، بعد الانتهاء من الزيارة التفقدية ، الى حسن توجيه الاجتهاد الجغرافى أيضـا الى حسن الاطلاع والقراءة على مستوى الدراسة المكتبية • بمعنى أن بلوغ الغاية من الزيارة التفقدية فى أنحاء المساحة المعنية ، يضع الاجتهـاد الجغرافى فى أحسن وضع للاستعداد ، حتى يتمم مسيرة العمل الجغرافى العملى والمكتبى ، لحساب الدراسة المطلوبة ، عن الشخصية الجغرافية • ومن ثم نفهم جيـدا جدوى الزيارة التفقدية ، وكيف ينبغى أن يحرص الاجتهاد الجغرافى عـلى القيام بها ، حتى يجنى ثمرات الغاية أو الغرض الجوهرى ، الذى تحققه هذه الرحلة فى هذه المرحلة الأولى ، الى الميدان •

النظر فى تشكيل الفريق المتعاون :

نعود ونكرر اعتراض الجغرافية المعاصرة ، على العمل الجغرافى العملى المنفرد ، فى الميدان ، عندما يكون المطلوب دراسة جغرافية كاشـفة ، عن الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان • ونذكر ان فحوى هذا الاعتراض وجديته ، لم تكن مفاجئة أو جديدة تماما ، على الساحة الجغرافية ، بـين زملاء الصف والانتماء الجغرافى المتخصص • وما من شك فى أن الجغرافيـة

الحديثة ، كانت قد أثارت هذا الاعتراض من قبل . وجاء هذا الاعتراض فى شكل تحذير وتخوف من أن لا يسعف التفرد حسن انجاز العمل الجغرافى . بل قل انها كانت تفضل دائما رحلة الفريق الجغرافى ، علي رحلة الفرد الجغرافى ، الى الميدان . كما كانت تحذر كثيرا من عجز الفرد الجغرافى ، وهو مستغرق فى أغوار التخصص الدقيق ، من حيث القدرة الشاملة ، على الأداء المناسب ، وحسن انجاز العمل الجغرافى العملى ، عندما يكون شاملا ، لكثير من التخصصات الجغرافية الدقيقة . وكان أقصى ما انتهت اليه الجغرافية الحديثة ، أن استوجبت انضمام بعض الفنيين ، فى صحبة الباحث الجغرافى . بل قل ان دور الجغرافية الحديثة قد توقف عند حد ، تشكيل الفريق من الباحث الجغرافى المتخصص ، وفى معيته مجموعة من الفنيين المعاونين .

ومهما يكن من أمر ، فينبغي أن نذكر كيف تحبذ الجغرافية المعاصرة توسيع دائرة المشاركة بين من يضمهم الفريق ، الذى يتوجه الى الدراسة الميدانية ، عن الشخصية الجغرافية . وفى اطار توسيع هذه الدائرة ، يجمع الفريق بين نخبة من الجغرافيين المتخصصين ، ومن العلميين غير الجغرافيين . هذا بالاضافة الى حشد من العمالة الفنية وغير الفنية ، التى تخرج مع الرحلة الجغرافية ، وفى خدمة العمل الذى تكلف به أثناء الوجود فى الميدان . ويقع الاختيار عند تشكيل فريق العمل المتعاون ، في أى رحلة دراسة ميدانية ، على هذه العناصر من المتخصصين ، تأسيسا على حاجة العمل الجغرافى الميدانى ، وتوجهاته الدراسية المتخصصة ، فى حصر وتقصى ملامح الشخصية الجغرافية .

ويكون التطلع فى هذا الاختيار ، الذى يجمع شمل الفريق المتعاون فى الدراسة الميدانية ، موجها بعناية الى طلب خبرات ومهارات ونتائج واجتهاد وعمل المتخصص الجغرافى وغير الجغرافى . كما يكون هذا التطلع فى الاختيار ، موجها فى سبيل التماس الكيفية التى تدخل بها اسهاماتهم العلمية العملية ، فى توليفة البحث الجغرافى ، عن الشخصية الجغرافية . بمعنى أن اهتمام الجغرافية المعاصرة بالدراسة الميدانية ، عن الشخصية الجغرافية ، يتمادى وصولا الى :

١ - طبيعة تشكيل الفريق المتعاون ، وحسن اختيار العناصر المتخصصة - وهي من الجغرافيين ومن غير الجغرافيين - التى تشترك فيه ضمن كل رحلة عمل جغرافى ميدانى ، فى المساحة المعنية .

٢ - طبيعة التعاون العلمى والعملى المشترك ، فى أداء هذا العمل الجغرافى الجماعى بكل التنسيق ، حتى تخيم عليه روح الفريق المتعاون - وليس المعاون - لحساب الدراسة الميدانية الأجدى والأكثر انفتاحا وتفتحا •

وهكذا تهتم الجغرافية المعاصرة اهتماما من غير حدود ، بأمر توسيع قاعدة الاشتراك التخصصى فى الفريق ، فى الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهى تخرج لحساب البحث عن مقومات وملامح الشخصية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان • وهذا التوسيع فى القاعدة ، يعنى التحول من فكرة الفريق المعاون الذى يضم الباحث الجغرافى وبعض الفنيين ، الى فكرة الفريق المتعاون الذى يضم نخبة من المتخصصين الجغرافيين وغير الجغرافيين فضلا عن الفنيين • كما يعنى هذا التوسيع فى القاعدة أيضا ، أن يتحلى الباحث الجغرافى ، بقدرة على حسن اختيار عناصر الصحبة من الصفوة المتخصصة وتشكيل الفريق المتعاون • كما ينبغى أن يتحلى الباحث الجغرافى بعد ذلك كله ، بقدرة على حسن قيادة الفريق المتعاون ، وحسن توزيع العمل الميدانى ، لحساب الهدف الجغرافى ، على عناصر هذه الصحبة المتخصصة •

وصحيح أن اختيار العناصر من المتخصصين فى الجغرافية أو فى علوم طبيعية أو انسانية أخرى ، للاشتراك فى تكوين الفريق المتعاون ، يقع على عاتق الباحث الجغرافى ، الذى يقود الفريق ، ويتولى تنسيق مهام العمل والتحرى ، عن الشخصية الجغرافية فى الميدان • وصحيح أيضا أن الباحث الجغرافى يكون مسئولا أيضا عن حسن إختيار العناصر الأنسب من الفنيين والكوادر الفنية المدربة على تنفيذ العمل فى الميدان • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو التزام الباحث الجغرافى التزاما قاطعا ، بدواعى الاختيار ، التى تكاد تتفاوت وتتنوع من رحلة جغرافية ميدانية لدراسة الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان ، الى رحلة جغرافية ميدانية ، لدراسة الشخصية الجغرافية الأخرى ، فى المكان والزمان الآخر •

ولأن الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان ، هى محصلة العلاقة ، بين الأرض والعناصر التى تصطنع خواصها ، وتهيىء لها أن تضبط وتنضبط فى مواجهة الانسان ؛ من ناحية أخرى ، ينبغى أن يضم تشكيل الفريق المتعاون أصحاب التخصصات العلمية الجغرافية التى تعالج طبيعة الأرض ، وأصحاب التخصصات العلمية الجغرافية التى تعالج حضور الانسان وتعايشه مع الطبيعة على صعيد الأرض • كما ينبغى أن ينضم الى تشكيل الفريق

بعض المتخصصين العلميين فى العلوم الطبيعيـــة ، وبعض المتخصصين فى العلوم الانســانية • ويحدد الغرض من اصطحاب العلميين المتخصصين واشراكهم فى تشكيل الفريق المتعاون ، سبل توجهات الاختيار ، وكيفيـة الانتفاع بخبراتهم ومهاراتهم ، فى انجاز الدراسة الميدانية عن الشخصـية الجغرافية ، فى المكان والزمان • ومن ثم ينبغى أن نفهم جيدا ، كيف لا يتخذ تشكيل الفريق شكلا جامدا وثابتا لا يتغير • بل قل ان هذا التشكيل يكون مرنا ، ويكاد يتغير تغيرا ملحوظا ، حسب ما تمليه خواص ومواصفات وملامح الشخصية الجغرافية التى تتغير من مكان الى مكان آخر • وتشاور أعضـاء الفريق المتعاون ، من المتخصصين الجغرافيين مع قائد هذا الفريق ، هو الذى يرشد اختيار العلميين المتخصصين ، وضمهم الى تشكيل الفريق ، عنـد القيام بالرحلة الجغرافية فى مرحلة تقصى الحقائق واجراء الدراسة الميدانية عن الشخصية الجغرافية •

وتعلق الجغرافية المعاصرة أملا كبيرا ، على ما يمكن أن يسفر عنه هذا الانفتــاح الجغرافى الحقيقى • وقل تكون المصـلحة الجغرافية فى التفتح الشديد ، وحسن الأخذ والعطاء ، والتشاور وتبادل الرأى العلمى والعملى ، بين الصفوة المنتخبة من المتخصصين الجغرافيين والعلميين غير الجغرافيين • بل قل تهيمن فى ظل هذا التشكيل أو تعـود وتسيطر روح الفريق حتى توفر المناخ العلمى المناسب ، لانجاز العمـل الجغرافى العملى ، عن ملامح الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان •

وفوق ذلك كله ، تدرك الجغرافية المعـاصرة قيمـة التفتح الجغرافى الرشيد ، وتثق كثيرا في أن نجاح عمل هذا الفريق المتعاون غير المتجانس ، يظل معلقا على شرطين هامين • وهذان الشرطان هما :

١ ـ حسن تصدى الباحث الجغرافى لقيادة الفريق ، وهو المسئول عن توزيع العمل والاسهام المباشر وغير المباشر فى انجازه ، وعن جمع النتائج وتصنيفها التصنيف الأنسب •

٢ ـ حسن انفتاح قنوات الاتصال ، وحسن الأخذ والعطاء ، وتنفيـذ العمل الجغرافى العملى ، تنفيذا يسدد خطوات هذا التعاون العلمي ، حتى يتسنى انجاز العمل الجغرافى الميدانى الأنسب ، بل قل الأجدى عن ملامح الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان •

وترى الجغرافية المعاصرة أن اسناد قيادة فريق العمل الجغرافى المتعاون ، الى صاحب الخبرة الجغرافية ، مسئولية جسيمة ، لا تنشأ أبدا من فراغ ، ولا تنتهى أبدا من غير غاية • وقل ان هذا الوضع الذى يكلف الخبرة الجغرافية أكثر مما يشرفها ، هو مسئولية صعبة وأمانة غالية ، لا ينبغى التهرب منها أبدا • ولا يتأتى هذا الاسناد أو هذا التكليف ، الا على أساس ما يتمتع به الجغرافى من مهارات ، أو ما يكون قد اكتسبه من خبرات ، وهى مطلوبة بالحاح فى :

١ ـ حسن تنسيق العمل الجغرافى العملى الجماعى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان •

٢ ـ حسن متابعة سياق ومراحل تنفيذ برامج العمل الجغرافى البحت، وغير الجغرافى ، وضبط ايقاعات الانتشار والتفرق فى أنحاء متفرقة ومنتخبة فى الميدان ، وضبط حركات التجمع والالتقاء بعد انجاز العمل اليومى فى المكان المنتخب فى الميدان •

٣ ـ حسن تقويم جدوى العمل الجغرافى وغير الجغرافى الميدانى ، ومتابعة انجازات التقدم العملى المرحلى ، وحصر الرصيد من المعلومات والنتائج والمادة الخام ، وهى تتوالى وتتراكم ، من مواقع العمل المنتخبة بعناية شديدة ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان •

٤ ـ حسن التحلى بالقدرات المناسبة فى مجالات التحليل والتركيب ، وحسن الاستعداد لاستيعاب الرصيد المتراكم ، حتى يصبح فى وسعه صياغة التوليفة الجغرافية الجيدة ، من خلط وتداخل ماهر ، بين نتائج العمل الجغرافى الميدانى البحت ، ونتائج العمل غير الجغرافى أو العلمى الموجه •

٥ ـ حسن التحلى بالقدرات والمهارات ، فى العرض الجغرافى ، حتى يكون فى وسعه ، حسن صياغة الخلط والجمع بين نتائج العمل الجغرافى العملى ونتائج العمل الجغرافى المكتبى ، حتى تتألق الرؤية الجغرافية لملامح ومواصفات الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان •

ومن ثم يكون الباحث الجغرافى هو المتخصص الأنسب ، لقيادة الرحلة الجغرافية الميدانية ، واجراء العمل والدراسة عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان • وتعاون العلمى المتخصص ، وهو غير جغرافى ، لا يعطى أى متعاون حق المنافسة أو الادعاء بالأحقية فى هذه القيادة أبدا • ذلك ان

حصاد هذا العمل ، هو لحساب العمل الجغرافى . على الوجهين الميدانى العملى ، والمكتبى النظرى . ولا يجيد غير الجغرافى حسن الانتفاع بهذا العمل الجغرافى . فى انجاز البحث الجغرافى المناسب عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان . بل ولا يملك غير الجغرافى المهارات التى يتمتع بها الجغرافى المتخصص ، ويجيد استخدامها فى انجاز هذا البحث .

وترى الجغرافية المعاصرة أن تعاون أعضاء الفريق المتعاون ، يمثل ضرورة لا يمكن التنازل عنها ، وهى التى تضمن حسن انجاز العمل الميدانى ، فى ظل روح الفريق . ولكنها ترى فى الوقت نفسه . ضرورة اسناد قيادة الفريق المتعاون الى المتخصص الجغرافى ، دون منازع . بل قل انها تحتم ضرورة استمرار الخبرة العامية الجغرافية ، أو المتخصص الجغرافى ، فى تحمل أعباء هذه القيادة ، ومسئوليات هذا الدور الوظيفى الاشرافى المباشر ، بعد عودة الرحلة الجغرافية الميدانية ، من الميدان . والانتهاء من اجراء الدراسة الميدانية ، حسب ما تتضمنه خطة العمل فى نظام حاكم لتوزيعات التكليفات العملية التى يلتزم بها كل فرد من أعضاء الفريق .

وهكذا تكون القيادة مسئولية جغرافية . وقل انها تكليف ضرورى ، وأمانة فى عنق المتخصص الجغرافى . بل قل أيضا انها لا تمثل تشريفا يلتمسه المتخصص الجغرافى ، لكى يزهو به ويتباهى بين أنداده وشركائه ، فى الفريق المتعاون . ولا ينفض المتخصص الجغرافى يديه أبدا من هذا التكليف الاشرافى فى الميدان ، حتى يفرغ الفريق كله . من اتمام العمل الميدانى . وفى ظل هذا التكليف الاشرافى ، يكون المتخصص الجغرافى ، مسئولا عن توزيع تكليفات العمل ، وجمع وحصر ومتابعة نتائج العمل ، فى الميدان . وهو مسئول أيضا ، عن حسن متابعة تنفيذ العمل الميدانى اليومى ، وعن حسن مراجعة مراحل التنفيذ ، فى كل لقاء يجمع أعضاء الفريق بعد كل جولة عمل ميدانى عن الشخصية الجغرافية .

ووضع المتخصص الجغرافى على رأس الفريق المتعاون ، لا يعنى قيادة اشرافية مؤقتة ، أثناء رحلة العمل الجغرافى العملى . ولا يعنى أبدا مسئولية محدودة تقف عند حد حسن تنفيذ ومتابعة اجراء العمل الجغرافى فى المساحة المعنية فقط . بل انها قيادة تكليف واشراف وليس تشريف ، حتى يفرغ هذا الفريق المتعاون من جمع أوصال العمل الميدانى . ويوظف القائد المتخصص مهاراته فى التركيب والتحليل ، فى صياغة النتائج الأنسب شكلا وموضوعا عن الشخصية الجغرافية .

وانهاء هذا التكليف بقيادة الفريق المتعاون ، لا يكون الا عندما يتفرغ المتخصص الجغرافى ، لاخراج البحث الجغرافى عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان . وهو وحده الذى يعرف جيدا ، كيف تكون الصياغة أو كيف تكون التوليفة ، وهى تلملم أوصال العمل الجغرافى الميدانى والعمل الجغرافى المكتبى ، وتدخلها فى نسيج البحث عن الشخصية الجغرافية . وما من شك فى أن المهارة فى صياغة الحبكة الجغرافية فى المكان ، وفى حسن الانسياب والترتيب فى السياق أو فى الزمان ، وفى تجويد العرض أو التعبير عن الشخصية الجغرافية ، كلها أمور جوهرية ، لا تخدمها ولا تفلح فى حسن صنعها أبدا ، الا الخبرة الجغرافية المتخصصة ، التى تمتلك أعظم المهارات فى التركيب والتحليل .

وقد يستحق المتخصص الجغرافى شيئا من الثناء والاطراء ، وهو فى نفس الوقت لا يحرم الشركاء من أعضاء الفريق المتعاون ، من حق ثابت من الشكر والثناء . بمعنى أن من يسهم بعمله الميدانى فى جمع الأوصال والتفاصيل والمادة الخام من الميدان ، يستحق شيئا كثيرا من الثناء ، وان من يعكف على متابعة هذا الجمع ، ثم يصنع من هذه المادة الخام توليفة مناسبة عن الشخصية الجغرافية ، يستحق نصيبا آخرا من الثناء .

خطة العمل الجغرافى الميدانى عن الشخصية الجغرافية :

اذا كان الانطباع الجغرافى عن الشخصية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ، بعد العودة من رحلة الزيارة التفقدية فى الميدان ، يرشد اختيار أعضاء الفريق المتعاون ، فان هذا الانطباع الجغرافى مع الاطلاع الجغرافى الذى يتيسر أثناء الدراسة المكتبية ، يبصران وضع خطة العمل الجغرافى ، لاجراء الدراسة الميدانية عن الشخصية الجغرافية ، فى هذا الميدان . وصحيح أن الباحث الجغرافى ، هو الذى يستوعب الاطلاع الجغرافى على المراجع ، وهو الذى يباشر الانطباع الجغرافى عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان . وصحيح أن الباحث الجغرافى يمتلك الخبرات الجغرافية اللازمة ، التى تؤهله تأهيلا مناسبا ، لوضع خطة العمل الجغرافى العملى ، لدراسة ميدانية كاشفة عن ملامح الشخصية الجغرافية . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، إنه لا يقدم على وضع هذه الخطة - فى الغالب - دون التشاور مع كل أو بعض رفاقه من أعضاء الفريق المتعاون .

ويبدو أن معاينة الشخصية الجغرافية ، والوقوف أمامها وجها لوجه ، بعد الاطلاع على ما تتحدث به المراجع والكتابات الجغرافية عنها ، وحدها

لا تكفي - في الغالب - لوضع خطة العمل الجغرافي العملي . ويكون التشاور مع بعض أعضاء الفريق ، مفيدا ولا ينبغي الاحجام عنه أو التفريط فيه . ويجرى هذا التشاور ، في شيء كثير من التأني ، مع من يهمه الأمر ، أو مع من يشترك المتعاون في الفريق ، حول عدد من القضايا الجوهرية ، حتى يكون الرأي السديد الذي ينبغي الالتزام به ، عند مباشرة وضع خطة العمل الجغرافي العملي الأنسب ، لدراسة الشخصية الجغرافية ، في الميدان .

والقضايا الجوهرية التي يغطيها هذا التشاور كثيرة ومتنوعة ، وهي التي تمثل الشغل الشاغل الذي يشغل الاجتهاد الجغرافي ، لضبط وتنظيم وتنسيق الخروج في رحلة العمل وتقصي حقيقة الشخصية الجغرافية . وتتمثل هذه القضايا الجوهرية في :

١ - قضية التوجه بالرحلة الجغرافية الميدانية الى الميدان ، ليس لكي يتحدد موعد الذهاب أو الانطلاق الى المساحة المعنية فقط ، بل لكي يتسنى الاتفاق على نمط الوجود أو البقاء في الميدان . وتكون المفاضلة في اختيار بين الوجود المستمر على مدى فترة زمنية مناسبة ، الى حين الانتهاء من اجراء وتنفيذ برامج العمل الجغرافي العملي دفعة واحدة ، أو الوجود المتقطع حيث يتكرر الذهاب والعودة من والى المساحة المعنية ، حتى يتأتى الانتهاء من برامج العمل الجغرافي العملي ، على دفعات متعددة . ومن ثم تكون خطة واحدة ، تضم تنظيم العمل في كل المراحل المتعاقبة ، وتكفل انجازه على دفعة واحدة ، أو تكون مجموعة خطط متعددة ، حسب دواعي الذهاب والعودة ، الى الميدان واجراء العمل على دفعات أو في مراحل متوالية . هذا ، ولا يكون هذا الاختيار أو هذه المفاضلة عشوائية أو اعتباطية أبدا ، بل هناك دواعي وعوامل متنوعة ، ينبغي أن توجه هذا الاختيار أو هذه المفاضلة ، بين استمرار وخطة واحدة للعمل المستمر في الميدان ، أو الذهاب والعودة ومجموعة خطط للعمل غير المتواصل في الميدان . وتقف وراء هذه المفاضلة أو هذا الاختيار ، عوامل كثيرة ، منها قدرة أعضاء الفريق على التفرغ للعمل ، ومنها توفر إمكانيات الاقامة المستمرة أو المتقطعة في الميدان . وأضف الى ذلك كله حاجة العمل نفسه ومبلغ استجابة العمل لأن يتجزأ أو لأن يتم على مراحل متباعدة ، دون أن يتضرر اجراء العمل الميداني . واحتواء خطة العمل الميداني ، للبرامج المرحلية اللازمة لانجاز المهام المتعددة والمتنوعة على دفعة واحدة أثناء الاقامة المستمرة في الميدان ، لا يحتاج الى تعليق ، ولكن توزيع مراحل العمل على دفعات متوالية ، هو الذي يستوجب الاهتمام بحسن التنسيق بين مجموعة الخطط التي ينبغي

أن يتكامل بها انجاز العمل الميدانى • بمعنى أن توضع هذه الخطط لكى تتكامل ويؤدى انجاز العمل الميدانى فى مرحلة الى حسن متابعة الانجاز فى المرحلة التالية • وفى مثل هذه الحالة ، يكون من الضرورى لضمان حسن سير العمل الميدانى على هذا النحو المتقطع ، التأنى فى تصنيف العمل الميدانى وفى ترتيبه حتى تتسنى فرص المحافظة على نسق مناسب فى التوالى أو فى التعاقب من ناحية ، وحصر عدد المراحل أو المرات التى يتكرر فيها الذهاب والعودة من الميدان من ناحية أخرى •

٢ ـ قضية ضبط وتنظيم اهتمامات الاجتهاد الجغرافى بالمسح الجغرافى الطبيعى والبشرى ، الذى يغطى كل العناصر التى تتداخل فى صياغة الشخصية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية • ويشمل هذا الضبط والتنظيم ، العناية بتوزيع وتعايل وربط ، يفصح عن وضوح الرؤية الجغرافية وبتقويم جغرافى ذكى ، يجسد الرأى الجغرافى السديد عن هذه الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان • بمعنى أن توضع برامج العمل الجغرافى الميدانى ، لكى تكون وكأنها مسئولة عن حسن تفكيك الأوصال فى المنظور الجغرافى ، أو عن حسن التماس خيوط العناصر الجغرافية المتداخلة فى نسيج الرؤية الجغرافية • وبمعنى أن يكون اجراء العمل الجغرافى الميدانى ، على النحو الذى يكفل الاستدلال الجيد على مكونات المنظور الجغرافى ، أو الذى يسعف البحث عن حصص العناصر المشتركة فى صياغة ملامح الشخصية الجغرافية للمنظور الجغرافى • ومن ثم لا يكون التشاور حول هذه القضية مفيدا لضبط وتنظيم الاهتمامات الجغرافية التى تلتمس حسن البيان الكاشف عن الشخصية الجغرافية فقط ، بل يكون مفيدا بشكل قاطع فى تحديد توجهات العمل الجغرافى وبرمجته ، وفى حسن توجيه التكليفات التى تعهد لكل عضو فى الفريق بنصيب من العمل الذى يلتزم بانجازه ، فى تناغم وحسن تنسيق بين انجازات الأعضاء مع مضى التنفيذ العملى من مرحلة الى مرحلة عمل أخرى • وقد يتمادى هذا التشاور ، لكى يتناول مسالة التزود بالأدوات والأجهزة والمعدات اللازمة لانجاز العمل الميدانى ، أو لكى يتناول مسالة الاشراف على تنفيذ العمل وعقد الاجتماعات فى الميدان من حين الى حين آخر ، للمراجعة والاطمئنان على حسن سير العمل ، ومبلغ استجابته للنزعة الجغرافية التطبيقية ، وهو يرصد الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان •

ويدرك الاجتهاد الجغرافى المعاصر قيمة هذا التشاور فى وضع الخطة ، حتى لا توضع فى غيبة أعضاء الفريق المتعاون • وقل ان غياب هذا

التشاور أو اهماله لا يعنى غير التفريط فى أول لبنة من اللبنات التى تبتنى عليها روح الفريق . كما يعنى أيضا ، حرمان هذه الخطة من خبرات المشاركين فى عضوية الفريق المتعاون وهم مسئولون مسئولية جماعية عن انجاز العمل الميدانى . بل قل ان الاشتراك فى المسئولية عن حسن انجاز العمل الجغرافى العملى ، يستوجب بالضرورة الاشتراك فى التخطيط لحسن الانجاز ، ويحول دون التهرب من موجبات ودواعى هذه المسئولية .

وفى اطار التشاور حيث لا يغيب طرف من الأطراف المعنية بدراسة ميدانية جيدة ، يدرك الاجتهاد الجغرافى ، ان وضع تفاصيل برامج العمل الميدانى عن الشخصية الجغرافية ، ووضع الاطار الحاكم الذى يحتوى هذه التفاصيل ويكفل الحبكة فى المكان وحسن السياق فى الزمان ، يختلف اختلافا كبيرا باختلاف المكان والزمان . وهذا معناه ، انه لا اتفاق أبدا على خطة عمل نموذجية ، يجرى بها العمل الجغرافى فى الميدان ، بحثا عن ملامح الشخصية الجغرافية ، وتتكرر تكرار القوالب الجامدة فى كل مكان وفى كل زمان . ومعناه أيضا ، انه ينبغى وضع الخطة المناسبة لكل دراسة ميدانية تتعقب ملامح الشخصية الجغرافية التى تكاد تتغير ولا تتماثل أبدا ، بل قل انها تتبدل ، وتختلف مواصفات ملامحها من مكان الى مكان آخر ، ومن زمان الى زمان آخر .

وفى اطار وضع وتصميم خطة العمل الجغرافى العملى الأنسب ، التى تتعقب ملامح الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان ، وفى اطار التشاور بين أعضاء الفريق المتعاون ، تكون العناية بصياغة الاستثمارات أو الأسئلة الجيدة ، التى تجاوب تنفيذ البرامج العملية فى الميدان عليها ، اجابات سديدة وصادقة . ولا ينبغى أن يستقل عضو فى الفريق برأيه فى اعداد الأسئلة أو فى تصميم الاستبيان ، حتى لا تفتقد الدراسة الميدانية التنسيق المناسب ، عند حصر الاجابات التى يسفر عنها العمل ، أو حتى لا يتأتى التكرار ، وينشأ شىء من التناقض فى نتيجة العمل الميدانى . ومع ذلك ، يبقى الاهتمام باعداد **الاستبيان الناطق** الذى يجرى الحوار فيه ، بصوت مسموع يتعامل مع من يستمع الى السؤال ويجاوب عليه ، أو باعداد **الاستبيان الصامت** الذى يجرى الحوار فيه دون صوت مسموع ويعرف كيف يوظف الوسيلة التى تنتزع من الصمت الساكن ، حسن الاجابة .

وكما يكون من حق كل شريك متعاون فى الفريق ابداء الرأى ، فى إعداد وتجهيز الاستبيان الذى يتعقب العناصر الجغرافية الطبيعية أو العناصر

الجغرافية البشرية ، المتداخلة فى صياغة الشخصية الجغرافية ، لا يكون من حق الشريك الجغرافى عضو الفريق أو قائد الفريق ، أن يغيب عن جلسات المشاورة التى تراجع وتحاور وتمحص كل رأى قبل اعداد الاستبيان . ويمتلك الجغرافى الخبرة والمهارة ، التى تؤهله لاعداد أو للاشتراك فى اعداد الاستبيانات . وقبل ينبغى أن يعهد اليه بحسن تبويب الأسئلة والاستفسارات تبويبا نهائيا ، حتى يكون الاستبيان مبوبا ومنسقا وموضوعيا وكاشفا عن الاجابات الصحيحة ، حتى لا يمتنع أو لا يتهرب المسئول من السائل ، وهذا معناه المسئولية المشتركة فى اعداد الاستبيانات ، التى تناسب برامج العمل الجغرافى العملى فى الميدان . ومعناه أيضا ، أن يؤمن هذا الاشتراك فى اعداد الاستبيانات ، حسن توجيه الأسئلة والاستفسارات المعنية ، لكى يجاوب عليها الانسان تعبيرا عن وضعه فى المنظور الجغرافى. وعن اسهامه فى صياغة الشخصية الجغرافية ، أو لكى تجاوب عليها المدركات الجغرافية الطبيعية ، تعبيرا عن وضعها فى المنظور الجغرافى ، وعن اسهامها فى صياغة الشخصية الجغرافية .

هـذا ، وفى الوقت الذى تبصر فيه رحلة الزيارة المفقدية ، وخروج الرحلة الجغرافية الأولى الى الميدان ، وضع خطة العمل الجغرافى العملى ، تبصر الدراسة الجغرافية المكتبية والتشاور مع أعضاء الفريق المتعاون هذا الاعداد الجيد . ومع ذلك أو قل بعد ذلك كله ، يبقى الحق فى مرونة كاملة ، تستوجبها اعادة النظر فى بعض تفاصيل البرامج العملية فى الخطة ، من أجل الحذف أو من أجل الاضافة . بمعنى ان الخطة ينبغى أن تتجرد من الجمود ، وأن تتخذ من المرونة وسيلة ، لكى تواجه احتياجات البحث عن ملامح الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان . وحيث تكون المرونة ، حتى يتسنى الحذف أو حتى تتأتى الاضافة ، تكون المشاورة بين أعضاء الفريق المتعاون . بمعنى ان الحذف جائز وان الاضافة جائزة ، وان التعديل مباح ، ولكن لا ينبغى أن ينفرد عضو من أعضاء الفريق فى ادخال هذا التغيير على الخطة أو على برامج العمل المتفق عليها أو على تنظيم مسيرة هذا التنفيذ العملى فى الميدان .

وآخر ما ينبغى أن يلتفت اليه انتباه الاجتهاد الجغرافى ، يتمثل فى ضرورة التمييز بين دراسة ميدانية تتعقب ملامح الشخصية الجغرافية فى المساحة المعنية التى تزخر بحركة الحياة ، ودراسة ميدانية تتعقب ملامح الشخصية الجغرافية فى المساحة الفارغة أو الطاردة التى لا تكاد تنبض الا بأقل القليل من نبضات حركة الحياة . والفرق كبيرا جدا ، بين تعقب

الشخصية الجغرافية فى هاتين الحالتين ذلك ان الاختلاف بين شخصية جغرافية يشترك حضور حركة الحياة فى اطار العلاقة الحميمة بين الانسان والأرض فى صياغة ملامحها المتفجرة بالحيوية ، وشخصية جغرافية خافتة ، لا يضيف حضور حركة الحياة الى صياغة ملامحها الخافتة شيئا منيرا أو مؤثرا ٠ وكأن التفاوت فى ايقاعات حركة الحياة ، يمثل عنصرا مهما فى التفاوت أو فى الاختلاف بين شخصية جغرافية فى مكان ، وشخصية جغرافيه أخرى فى مكان آخر ٠ كما تكون استجابة ايقاعات حركة الحياة للمتغيرات وتفاوتها ، عنصرا مهما فى رصد وتسجيل التفاوت فى معدلات واستعدادات التغير فى ملامح الشخصية الجغرافية من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر ٠

خروج رحلة تقصى الحقائق عن الشخصية الجغرافية :

تجسد هذه الرحلة الجغرافية الصلب المتين فى التوجه الجغرافى الى الدراسة الميدانية ، عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان ٠ ويتأتى هذا الخروج الذى يجمع أعضاء الفريق المتعاون ، فى الوقت المناسب ، بعد تمام حصر وتشكيل الفريق من المتخصصين والفنيين والمستخدمين ، وبعد الانتهاء وحسن الاتفاق على خطة العمل الجغرافى العملى فى الميدان ٠ وقل ان هذه الرحلة الجغرافية ، تخرج الى الميدان ، لكى تتقصى الحقائق الجغرافية ، ولكى تحصل على المادة الخام ، حتى تنال وضوح الرؤية والمعرفة الفعلية بالشخصية الجغرافية ٠ بل قل انها الرحلة الجغرافية التى تمثل جولات التعامل العلمى والعملى المباشر ، مع المنظور الجغرافى الشامل بكل أبعاده الطبيعية والبشرية ، حتى تفلح فى تعقب عناصر ومكونات وملامح الشخصية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان ٠

وفى مواجهة المنظور الجغرافى الذى يعلن عن مواصفات وملامح الشخصية الجغرافية فى الميدان ، ينبغى أن يتحلى الباحث الجغرافى قائد الفريق ، وأن يتحلى معه أعضاء الفريق المتعاون من المتخصصين الجغرافيين وغير الجغرافيين ، بأكبر قدر مناسب من ذكاء الحس الجغرافى ، والادراك الجغرافى السليم ، والتفكير الجغرافى المتفتح ٠ وقل ان الحاجة الى ذكاء الحس، وسلامة الادراك ، وتفتح التفكير ، هى التى تبصر وترشد العمل الجغرافى ، عندما يصبح أو عندما يواجه أى عضو فى الفريق عناصر الشخصية الجغرافية ، ويتعامل فى طلب الحقائق التى تبوح بها أو التى تعلن عنها ٠ بل قل ان المتخصص الجغرافى وغير المتخصص الذى يخرج ويتعاون فى خدمة العمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية ، ينبغى أن يعرف كيف

يطل على المنظور الجغرافى ، وكيف يتعقب العناصر المتداخلة فى بنية الشخصية الجغرافية ، بعين جغرافية . كما ينبغى أن يجيـد تذوق الحقيقة الجغرافية التى تمثـل فى معظم الأحيـان نتيجة مبنية على نتائج علمية طبيعية أو انسانية .

والباحث الجغرافى الذى تسند اليه قيادة الفريق المتعاون فى الدراسة الميدانية ، عن الشخصية الجغرافية فى المسـاحة المعنية ، يكون هو وحده صـاحب القرار بعد التشـاور مع رفاقه ، فى الذهاب الى الميـدان ، وفى العودة منه . بل قل يكون له وحده حق الاختيار ، فى الذهاب والاستمرار على مدى الفترة الزمنية المناسبة ، لاجراء الدراسـة الميدانية مع شركائه ، دفعة واحـدة ، أو فى الذهاب اليومى والعودة على مرات متـكررة ، لاجراء الدراسـة الميدانية على عـدد كبير من الدفعات . وخطة العمـل الجغرافى العملى التى وضعت بالتشاور مع أعضـاء الفريق ، وتبقى معمولا بها ، هى التى تعلن أو تفصـح عن دواعى أو عن موجبات هذا الاختيار بصفة عامة .

والعمـل الجغرافى العمـلى ، سـواء تفرغ لـه الجغرافى المتخصص ، أو قام به الشريك العلمى غير الجغرافى ، أو عهـد به الى الفنى المـاهر ، هو الهدف والأصـل فى تقصى الحقـائق عن الشخصـية الجغرافية ، فى المكان والزمان . ويجسـد هذا العمـل الجغرافى العملى ، معنى المواجهة الصريحة المباشرة ، والتعامل مع المنظور الجغرافى فى الميدان . وتستحق هذه المواجهة ، ومباشرة التعامل واجراء العمـل الجغرافى العملى ، حسب جدولة مراحل العمل فى الخطة المعمول بها ، ما يلى :

١ - فى بعض الحالات ، وعلى صعيد المسـاحة المعنية ، تكون اقامة فريق العمـل المتعاون اقامة دائمة أو متقطعة فى معسكر عمل خاص . ويقام هذا المعسكر الخاص فى الميدان ، فى موقع منتخب مناسب أو فى عدد من المواقع المنتخبة ، يقع عليها الاختيار ، أثناء رحلة الزيارة التفقدية السابقة ، ويتنقل فيما بينها الفريق حسب الخطة المعمول بها ، والاستجابة لحاجة العمل الجغرافى الفعلية . ومن هذا المعسكر ، وهو محل الاقامة الدائمة أو المتقطعة ، يباشر أعضاء الفريق المتعاون تنفيذ التكليفات التى تعهـد اليهم بالمهمـة العملية المعينة ، أو اجراء العمـل الجغرافى العملى اليومى ، فى الميـدان . وتكون هذه الاقامة فى المعسـكر ، ومباشرة العمـل من موقع واحد منتخب أو من عـدة مواقع ينتقل اليها المعسـكر على صعيد المسـاحة المعنية ، اقامة دائمة فى الغالب . بل قل ان الاقامة فى معسـكر عمل خصوصى ، معناه افتقاد فرص الاقامة الأخرى ، أو فرص الحضور المؤقت والاقامة فى مستوطنة

من المستوطنات المناسبة في أنحاء المساحة المعنية ، لمباشرة العمل والدراسة الميدانية منها • ومباشرة العمل الجغرافي العملي واجراء الدراسة الميدانية ؛ من المعسكر الخاص ، فى الموقع الثابت أو فى الموقع المتنقل ، لا ينبغي أن تدعو الى التعجل أبدا • بل قل ينبغي أن يكون العمل متمهلا ، ودقيقا حتى لا تقع الدراسة الميدانية في عواقب وأخطاء الانجاز المتعجل •

٢ — فى بعض الحالات الأخرى ، وعلى صعيد المساحة المعنية ، تكون اقامة فريق العمل المتعاون ، فى مستوطنة مناسبة • وتنتفى الحاجة الى اقامة معسكر العمل الخاص فى الميدان • ويقع الاختيار على هذه المستوطنة المناسبة ، أو على عدد من المستوطنات ، التى ترحب باقامة فريق العمل ، أثناء القيام برحلة الزيارة الأولى التفقدية الى المساحة المعنية • وقد يستوجب هذا الاختيار الحصول على اذن السلطة المحلية ، الذى يبيح مباشرة العمل الميدانى • ومن هذه المستوطنة أو المستوطنات ، يباشر أعضاء الفريق المتعاون العمل ، كل فيما يخصه بعناية ، على صعيد المساحة المعنية • ومن هذا الموقع المختار ، تخرج وتتفرق رحلات العمل الجغرافى اليومية الى مواقع العمل ، لاجراء الدراسة الميدانية • والتحرك والانتشار ، يكون متفقا عليه ، حسب الخطة الموضوعة التى ينبغى الالتزام بها ، فى أنحاء المساحة المعنية • كما تكون العودة وتجمع أعضاء الفريق الى موقع الاقامة فى المستوطنة متفقا عليها أيضا • وقد يشمل الاتفاق عقد الاجتماع اليومى ، لمراجعة معدلات تقدم العمل فى الدراسة الميدانية ومناقشة المشاكل البحثية والاقتراحات ، أو تبادل الرأى حول اجراء العمل فى اليوم التالى

ومن غير تمييز حقيقى ، بين شكل حضور الفريق المتعاون المستمر ، لفترة زمنية محددة ، وشكل حضور نفس هذا الفريق المتقطع على فترات زمنية متعاقبة ، فى الميدان ، يكون التفرغ لأداء الدراسة الميدانية ، أو لاجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، عن الشخصية الجغرافية مطلوبا • ويبدو هذا التفرغ وهو طوع أمر الخطة الموضوعة ، التى تضبط وتنظم وتنسق المضى التنفيذى ، وتوجه مسيرة الاجتهاد العملى ، من يوم الى يوم آخر • وينبغى أن تطاوع الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهى تباشر العمل اليومى المنظم ، ارادة الانتقال المنضبط ، والتحرك السليم ، والبحث الواعى ، عن المادة الخام المنشودة ، من الميدان • بل قل يجب أن تسعف الرحلة الجغرافية الميدانية اليومية ، جولات أعضاء الفريق ، وهم يتفرقون ويفترقون ، حسب نوعية التكليفات المنوطة بهم ، أو وهم يعودون ويتجمعون بعد انجاز العمل المنشود ، فى أنحاء متفرقة من الميدان •

وعلى صعيد المساحة المعنية في انحاء الميدان ، يعكف أعضاء الفريق، كل فيما يخصه من تكليفات ، على انجاز الواجب اليومي من العمل الجغرافي الذى يلتمس ملامح الشخصية الجغرافية • وتحمل الرحلة الجغرافية الخاصة كل عضو من أعضاء الفريق ، الى حيث يتفرغ لاجراء الدراسة أو التجربة الجغرافية ، أو لجميع بعض الاجابات عن أسئلة الاستبيان ، في الانحاء المتفرقة من الميدان • وكيف لا تستوعب الرحلة الجغرافية الميدانية اليومية الخاصة ، عمل كل متخصص من أعضاء الفريق ؟ بل وكيف لا تطاوعه ، وهو يسأل الأرض أحيانا وترد عليه وتجاوبه • أو وهو يسأل الناس وتجاوبه وترد عليه أحيانا أخرى ، أو وهو لا يكف عن السؤال والاستفسار عن المدركات الجغرافية التى تشترك وتتداخل فى صياغة الشخصية الجغرافية، فى المكان والزمان ؟

ويحتاج هذا العمل الجغرافي الذى ينبغى أن يتقن القاء السؤال، وتلقى الاجابة ، من المدركات الجغرافية ، الى شيء كثير من التأنى الشديد فى اجراء الدراسة أو التجربة ، أو فى القاء السؤال ، حتى تكون النتيجة الصحيحة والاجابة السديدة • كما يحتاج هذا العمل الجغرافى الى شيء من الصبر ، عند تكرار العمل ، فى مواضع متعددة ، حتى يتسنى التيقن من صدق النتائج • وقد تدعو هذه الحاجة الى وقفات انتظار وترقب وتريث حقيقى ، حتى يتحقق التمعن العميق ، ويتوفر حسن التأمل والتدبر والتفكير العقلانى ، فى بعض أمور العمل الجغرافى العملى ، عن الشخصية الجغرافية • وفى كل الأحوال ، لا ينبغى أن ينفض أي عضو من أعضاء الفريق المتعاون ، يديه من العمل الميدانى العملى ، قبل أن يلتمس الجدوى الفعلية من هذا العمل • وجلسة الاجتماع التى تضم أعضاء الفريق ، بعد اتمام العمل اليومى فى الميدان ، تكفل المراجعة ، والتيقن من صدق تعبير وحسن بيان نتائج العمل الميدانى ، عن الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان •

ويمضى العمل الميدانى من يوم الى يوم آخر ، فى انضباط حقيقى ، وهو يتأتى على وجهين ، لا تنفصم الصلة بينهما أبدا • **وعلى الوجه الأول** يكون العمل الميدانى ، من الاختصاص الجغرافى البحت • ويستوجب هذا العمل خبرته ومهارته فى التحليل والتركيب التى يجيدها الجغرافى المتخصص • وقل ان هذا هو الشق العملى الجغرافى المباشر ، الذى لا يصلح له غير المتخصص الجغرافى ، فى الميدان • **وعلى الوجه الآخر** ، يكون العمل الميدانى ، من الاختصاص العلمى المتعاون • ويستوجب هذا العمل خبرة ومهارة المتخصص العلمى الذى يشارك ويتعاون فى انجاز هذا العمل

الميدانى • وقل ان هذا العمل الميدانى ، هو الشق العملى الجغرافى ، الذى لا يصلح له غير المتخصص العلمى • بل قل انه العمل الجغرافى غير المباشر ، الذى يشد أزر الدراسة الميدانية ويسدد خطاها ، ويكفل حسن التعامل مع المدركات الجغرافية فى الميدان •

وتكفل الخطة المعمول بها فى الميدان ، لحساب الدراسة الميدانية عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان ، حسن التنسيق بين العمل الجغرافى المباشر والعمل الجغرافى غير المباشر • كما تكفل مهارة وخبرة المتخصص الجغرافى ، حسن استيعاب العمل الجغرافى غير المباشر وتطويع نتائجه تطويعا مناسبا حتى يسهم فى وضوح ملامح الشخصية الجغرافية • كما يبرهن المتخصص الجغرافى ، على الاستعداد الكامل لأن يصطنع من نتائج العمل الجغرافى المباشر ، ومن نتائج العمل الجغرافى غير المباشر ، نسيجا يصور أو يحكى أو يتحدث عن الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان •

ويهم الفريق المتعاون فى العمل الجغرافى المشترك ، المباشر وغير المباشر ، عن الشخصية الجغرافية ، أن يخضع التحرك فى أنحاء الميدان ، والتوقف فى المواقع المنتخبة هنا أو هناك ، وحسن توزيع العمل ، لخط سير متفق عليه ، فى اطار الخطة المعمول بها • ومع ذلك يبقى زمام الأمر كله ، أمانة فى قبضة المتخصص الجغرافى قائد الفريق ، وهو صاحب المسئولية الحقيقية ، فى ترسيخ وتأكيد صدق وموضوعية ، نتائج العمل الميدانى المشترك • بل قل يظل هو المسئول الأول ، عن خطوات الانجاز والتنفيذ العملى ، عن الشخصية الجغرافية • ولا تثريب على الباحث القائد أبدا ، لو استشعر الحاجة الى اعادة النظر ، فى خطة العمل الميدانى • وقد يقدم على شيء من التعديل ، بعد مشاورة الشركاء ، فى خطة انجاز العمل الميدانى • كما يكون فى وسعه أن يغير أو أن يبدل فى توجهات العمل الميدانى ، أو أن يحل وسيلة فى انجاز هذا العمل الميدانى ، محل وسيلة أخرى •

وفى أعقاب كل جولة عمل تستغرق يوما أو بضعة أيام فى الميدان ، والانتهاء من انجاز التكليفات العملية فى هذه الجولة ، ينعقد الاجتماع الذى يضم أعضاء الفريق المتعاون ، لمراجعة وتقويم نتائج هذه الأعمال ، وانجاز التكليفات العملية الميدانيــة • وعندئذ ، يجب أن يتأتى حسن التنسيق الموضوعى ، بين محصلة أو حصاد العمل الميدانى ، وأن يحرص الجميع على روح الفريق ، التى ينبغى أن تهيمن على الأداء فى الميدان • ولكن عندما يفترق

هذا الجمع المشـارك ، كل باختصـاصه العلمى الجغرافى وغير الجغرافى ، فى أنحاء المسـاحة المعنية ، يتعين التزام كل متخصص فى موضعه ، وفى صميم اختصـاصه ، التزاما صارما بأداء حصـته المعينة ، من التكليفات المرحلية من العمل الميدانى ، وهى التى تتمم بعضها بعضا ٠

وحسن سير العمـل الميدانى ، وتقدم معدلات الانجاز العملى ، فى الشق الجغرافى البحت ، أو فى الشق العلمى المسـاعد غير الجغرافى ، وحسـن تنسيق النتائج والانجازات المتكاملة المرحلية ، تستوجب شـيئا كبيرا من العنـاية الجغرافية ٠ وتعتمد هذه العنـاية الجغرافية فى الميدان على أمرين جوهرين ، هما :

١ ـ ألا ينفـرد عضـو متخصص واحـد جغرافى أو غير جغرافى ، بأداء العمـل الميـدانى الموكل اليه ، فى الميـدان ٠ وينبغى أن يصـاحب المتخصص ، سـاعة أداء هذا العمل ، الفنى أو المسـاعد العلمى ، أو الزميل ، لانجاز العمـل معه ٠ ولا يمكن أن نتصـور عملا ميدانيا عمليا ، يقوم به عضـو واحد متفرد ، من غير أن يلتمس أو أن يطلب معاونة الشريك ، أو أن يعمل وحـده فى غيبة المعاون له من الفنيين أو من المسـاعدين العلميين ٠ ولا يبتنى هذا المحظور أصـلا ، على انعدام الثقة فى الكفاءة ، أو على التشكيك فى جدوى الأداء الفردى وحـده فى الميدان ٠ بل قل انه المحظور الذى يتجنب احتمالات عـدم قدرة الفرد وحـده ، على حسن التنفيذ والانجاز العملى فى الميدان ، أو السيطرة على حسن استخدام وتوظيف الأجهزة والأدوات العلمية المناسبة للعمـل فى الميدان ٠

٢ ـ لا ينبغى أن تطول غيبة أعضـاء الفريق المتعاون ، ومنهم قائد الفريق ، وهم مفترقون فى أنحاء المسـاحة المعنية ، عن بعضهم بعضـا ٠ واجتماع أعضـاء الفريق المتعاون ، الذين يفترقون صباحا فى أنحاء الميدان ، عندما يحل المسـاء فى جلسة عمـل هادئة ، بعد أن يفرغ كل واحد من أداء تكليفاته الخاصة المتخصصة ، يكون اجتماعا مفيدا ومثمرا ، ولا ينبغى التفريط فى حضـوره ٠ وينسق هذا الاجتماع الهادىء ، العمـل الميدانى المشترك فى اطار الفريق كله ، وفق بنود الخطة المعمول بها ٠ كما ينسق وينظم توزيع العمـل الميدانى ، ويذكر بالتكليفات العملية ، على صعيد المسـاحة المعنية ، فى اليوم التـالى ٠ ويكفل هذا الاجتمـاع الدورى ، فى جلسـات المراجعة والتشاور ، الاطمئنـان العام والخاص ، على معدلات سير العمـل الميدانى وتوجهاته الصـحيحة ، وعلى متابعة مبلغ الالتزام الدقيق ، فى تنفيذ خطوات

العمل الميدانى . وقد يضيق هذا الاجتماع أحيانا ، لكى يضم بعض أعضاء الفريق ، وقد يتسع أحيانا أخرى لكى يشمل كل أعضاء الفريق المتعاون . وختما يتكرر هذا الاجتماع المحدود أو الاجتماع الموسع حسب حاجة المراجعة ، من حين الى حين آخر . ويمضى هذا التكرار ، من غير ملل ، لتقويم معدلات الانجاز بصفة مستمرة ، أو لاعادة النظر فى توزيع أعباء الأعمال التى نستجد وينبغى القيام بها ، لحساب البحث عن الشخصية الجغرافية .

وغاية ما ينشده أعضاء الفريق المتعاون ، وهو يعمل فى الكشف عن ملامح الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان هو أن تسعف الجولات المتكررة والمتأنية ، فى المساحة المعنية العمل الميدانى . كما يلتمس أن تبصره الوقفات المتكررة ، عندما يجرى العمل الجغرافى المباشر ، وغير الجغرافى المعاون ، فى أى موقع من المواقع المنتخبة ، فى الميدان . على قدم وساق . والتأنى وحسن الأداء والتعامل الهادىء ، مع المدركات الجغرافية المعنية . التى تمثل قاعدة ترتكز اليها الشخصية الجغرافية ، يكون فى غاية الاهمية . وقل ان هذا التأنى هو الذى يسعف التأمل والتفكير وحسن التنفيذ فى أثناء جولات العمل الميدانى . وهو الذى يهدى ويوجه التقويم والمراجعة وحسن حساب الجدوى ، أثناء الوقفات المتكررة من حين الى حين آخر . أو أثناء جلسات العمل المتعاقبة من يوم الى يوم آخر . بل قل ان هذا هو التوجه الميدانى الرشيد ، الذى يناسب الحاجة الجغرافية ، ولا يخذل الهدف الجغرافى أبدا ، ولا يضلله عندما يلتمس ملامح الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان .

ومن خلال هذا العمل الجغرافى الميدانى المباشر أو غير المباشر يلتمس الباحث الجغرافى تفاصيل ملامح الشخصية الجغرافية ، فى المساحة المعنية ، وهو يعاين الرؤية الجغرافية الكلية أحيانا ، أو وهو يتعامل معها بأساليب العمل الميدانى العملية أحيانا أخرى . كما يلتمس الباحث الجغرافى أيضا ، من خلال خبرات ومهارات المتخصصين غير الجغرافيين ، وهم يتعاونون مع الفريق ، شيئا مهما ومفيدا ، لانه يكفل الوضوح الجيد للشخصية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية . بل قل ان تعاون الجغرافى وغير الجغرافى العملى فى ربوع الميدان ، يكون مفيدا ومثمرا ، لانه ييسر أمر التحليل الجغرافى للشخصية الجغرافية ، ويكشف عن علاقة هذه الشخصية الجغرافية المباشرة وغير المباشرة ، بالتوليفة الجغرافية الشاملة فى المنظور الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية .

وهكذا ، يوغل الانجاز عن الشخصية الجغرافية عمقا واتساعا ، مع تقدم العمل الميدانى فى أنحاء المساحة المعنية . ثم يزداد هذا العمق والاتساع صدقا وحسن تعبير ، عن الشخصية الجغرافية ، من خلال اسهام المتخصصين غير الجغرافيين ، فى الدراسة الميدانية . ويكفل هذا التوغل فى البحث عمقا واتساعا ، الكشف الجيد عن :

١ ـ كنه وطبيعة وماهية الشخصية الجغرافية ، وهى محصلة تؤدى اليها صيغة التوليفة الجغرافية المركبة ، طبيعيا وبشريا ، على صعيد المساحة المعنية فى الميدان .

٢ ـ كنه وماهية وطبيعة فعل العناصر الجغرافية الطبيعية والبشرية ، التى تحدد أهم ملامح الشخصية الجغرافية ، فى اطار الواقع الجغرافى السائد فى المساحة المعنية .

٣ ـ كنه وماهية وطبيعة التغيير من حين الى حين آخر ، فى قوة فعل العوامل الجغرافية ، التى تلعب دورا مثيرا فى صياغة أهم المتغيرات الطبيعية أو المتغيرات البشرية ، وهى تؤثر على ملامح الشخصية الجغرافية فى المكان ، من وقت الى وقت آخر .

ومهما يكن من أمر ، فان تعقب الشخصية الجغرافية على صعيد المساحة المعنية ، يستوجب يقظة ووعيا وحصافة جغرافية فى انجاز العمل الميدانى . ومن خلال هذا العمل الجغرافى الميدانى ، ينبغى أن يكون فى وسع الجغرافى المتخصص أن يحسب حساب قبول عناصر الشخصية الجغرافية للتغيير حسابا جيدا . ولا ينبغى أن تخذله الدراسة الميدانية فى العثور على ما يقيم الدليل على توجهات هذا التغيير واحتمالاته ومداه فى المساحة المعنية . ولا ينهى الفريق المتعاون الدراسة الميدانية الا بعد تمام الانتهاء من اجراء وجنى ثمرات العمل الجغرافى الميدانى . ومن ثم يكون الاتفاق بين أعضاء الفريق ، على عودة الرحلة الجغرافية الميدانية من الميدان .

* * *

الانجاز العملى والشخصية الجغرافية فى الميدان :

يلتمس الانجاز العملى فى الميدان ، الهدف الجغرافى من دراسة الشخصية الجغرافية على وجهين متكاملين . وبهما معا تكتمل ملامح الشخصية

الجغرافية في المكان والـزمان ، وبدون أى منهما ، لا تكـون أصـلا ولا تتضح لها ملامح جغرافية معبرة • بمعنى أن تشمل الدراسة الميدانية تعاملا عمليا مع المنظور الجغرافى الطبيعى ، وتعاملا عمليا مع المنظور الجغرافى البشرى ، في وقت واحد • وقد تطول أيدى الدراســة الميدانية ، لكى تلتمس حـد المصالحة الذى تحدد أبعاد العلاقة بين الانسان والطبيعة ، وكيف كانت وكيف تكون المصارعة بينهما ، وهى من وراء تغير هذا الحد فى اطار الشخصية الجغرافية ، لحساب الانســان وعلى حساب الطبيعة أحيانا ، أو على حساب الانسان ولحساب الطبيعة أحيانا آخرى •

وعلى وجـه من هذين الوجهين ، يكون الهدف الجغرافى العملى ، الذى يتحقق من خـلال التوزيع والتعليـل والربـط • ومن ثم تتكشف الرؤية الجغرافية الواضحة ، للشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان • وتعبر هذه الرؤية الجغرافية عن تداخل العنـاصر الطبيعية والعنـاصر البشرية فى رسم ملامح الشخصية الجغرافية • بل قل انها هى التى تعلن عن حقيقة الشخصية الجغرافية ، وتجسـد مواصـفاتها ، فى اطار المنظور الجغرافى الشـامل ، على صعيد المسـاحة المعنية • كما انها تضـع كل عنصر من العناصر المشتركة فى صياغة الشخصية الجغرافية فى حجمه الصحيح •

وعلى وجـه آخر من هذين الوجهين ، يكون الهدف الجغرافى العملى ، الذى يتحقق من خلال التقويم الجغرافى لرؤية الشخصية الجغرافية ، وحساب جدواها لحركة الحيـاة • ومن ثم يتكشف الرأى الجغرافى ، عن هذه الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان • ويعبر هـذا الرأى الجغرافى الذى يتداعى تعقيبا على الرؤية الجغرافية تعبيرا كاشفا ، عن سلبيات وايجابيات الشخصية الجغرافية ، وهى تؤثر على حركة الحيـاة • ويفتح هذا الرأى الجغرافى عن الشخصية الجغرافية ، أوسـع الأبواب • ويوفر الفرص • بل قل يؤمن حسن توظيف هذا الرأى الجغرافى بعد تطويعه ، تطويعا تطبيقيا ، فى خدمة حركة الحيـاة ، وهى تتأثر وتؤثر فى معالم الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان • وهل تهدف دراسة الشخصية الجغرافية، الى شىء أهم من وضوح رؤية ملامحها الجغرافية ومن سـداد الرأى الجغرافى عن تأثير حركة الحياة بها ؟ ويشـد هذا الوضوح فى الرؤية ، وفى الرأى ، أزر حركة الحياة ، حتى تتخذ قدرات قوة فعل النـد القوى ، وهى فى أحضان الشخصية الجغرافية وتواجه قوة فعلها المؤثر ، فى المكان والزمان •

ومن أجل انجاز العمـل الجغرافى العملى ، عن الشخصية الجغرافية ،

يطرح أعضاء الفريق المتعاون ، كل فيما يخصه ، الأسئلة والاستفسارات، وهى منسقة ومرتبة ومتفق عليها أحيانا ، على الواقع الجغرافى ، فى المكان والزمان • ويتوقع فى المقابل حسن الاستماع الى الاجابة أو الى الردود عن الأسئلة المطروحة • ومن خلال حوار لا يسكت أبدا ، توفر الاجابات على الأسئلة المطروحة ، المادة الخام التى تستخدم فى رسم ملامح الشخصية الجغرافية • وقد توفر أيضا خطوة مباشرة أو غير مباشرة ، فى الاتجاه الصحيح نحو الرأى الجغرافى عن الشخصية الجغرافية ، وسبل تطويعه لكى يلبى حاجة التطلع الجغرافى التطبيقى •

وتخدم مجموعة من الأسئلة والاستفسارات ، تطلع السائل الى معرفة واجابة ، عن توزيع المدركات والعناصر الجغرافية ، التى تصطنع منها معالم أو ملامح الشخصية الجغرافية ، فى المساحة المعنية • وتخدم مجموعة أخرى من الأسئلة والاستفسارات ، التماس التفسير الصحيح ، الذى يعلل أو يبرر هذا التوزيع أو الانتشار ، حتى تتكشف الضوابط الحاكمة لتداخل المكونات الجغرافية ، فى صياغة ملامح الشخصية الجغرافية • وقد تلتمس مجموعة ثالثة من الاستفسارات والأسئلة ، كيفية هذا التداخل وتوجهات الارتباط بين المكونات الجغرافية ، فى التركيب الهيكلى لبنية الشخصية الجغرافية ، فى المساحة المعنية •

واذا كان فى وسع الخبرة الجغرافية المكتسبة ، أن تعد الأسئلة والاستفسارات ، وتلقى بها على مسامع المنظور الجغرافى فى الميدان ، وتتلقى الاجابات والردود ، تبقى الحاجة الى تعاون الخبرة العلمية مع الخبرة الجغرافية • ويسعف هذا التعاون ، التماس العمق والوضوح ، فى التفسير والتعليل ، أو فى تعقب العلاقات ودواعى الربط بين التفاصيل الجغرافية المتداخلة ، فى بنية الشخصية الجغرافية • وقد يسعف هذا التعاون العلمى أيضا ، التماس المتغيرات وقوة الفعل المؤثر على الشخصية الجغرافية ، سواء تكون هذه المتغيرات طبيعية ، أو تكون هذه المتغيرات بشرية •

وهناك أسلوب عمل ميدانى خاص ومتخصص جدا ، يلتمس البيانات ويجمع أوصال المادة العملية الخام ، من الواقع الذى ينطق به المنظور الجغرافى فى المساحة المعنية ، عن الشخصية الجغرافية • ويعتمد هذا الأسلوب أصلا ، على رؤية وحسن تمييز العناصر الجغرافية الطبيعية والبشرية ، التى تصنع الخطوط الأساسية ، فى بنية وتكوين الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان • ومن ثم تكون التكليفات المتنوعة ، التى

تتعقب كل عنصر من هذه العناصر الجغرافية ، فى صلب التركيب الهيكلى لبنية الشخصية الجغرافية • ولا تكاد تستهدف هذه التكليفات من العمل الميدانى ، الذى يتعامل مع هذه العناصر الفاعلة ، شيئا أهم من الوقوف على مقدار ، ما يسهم به كل عنصر فى صياغة الشخصية الجغرافية •

واتساع قاعدة هذه التكليفات ، لكى تشمل عناصر جغرافية طبيعية على صعيد الأرض ، وتشمل عناصر جغرافية بشرية ، تعيش وتتعايش مع خواص الأرض فى المساحة المعنية ، وتشمل بعد ذلك أبعاد العلاقة بين عناصر جغرافية طبيعية تفرض خواص الأرض ، وعناصر جغرافية بشرية تعلن عن التوجه الى تطويع هذه الأرض ، يعتمد أسلوب العمل الميدانى عن الشخصية الجغرافية ، على دراسة الفريق المتعاون • ويستوجب هذا التعاون تقسيم العمل ، على أعضاء الفريق المتعاون • ويصير توزيع التكليفات حسب التخصصات ، لكى يحسن كل عضو من أعضاء الفريق ، الأداء وانجاز العمل الميدانى ، لحساب التكليف الذى يوكل اليه • وبقدر اجادة قائد الفريق المتعاون ، لانجاز ما يخصه من تكليفات معينة ، ينبغى أن يجيد أيضا توزيع هذه التكليفات على الشركاء فى الفريق ، ومنهم الجغرافى المتخصص ، ومنهم العلمى المتخصص ، ومنهم الفنى والمساعد العلمى • كما يجب أن يجيد قائد الفريق الاتفاق مع كل عضو من الأعضاء المشاركين ، على تفاصيل أو على محتوى هذا التكليف فى الميدان ، وضرورة الالتزام به •

ومثل هذا الاتفاق على تفاصيل أو على محتوى التكليف ، يلقى العمل الميدانى ، وأعباء جمع المادة العلمية ، على عاتق الشريك المكلف بالفعل • ولكن يبقى على قائد الفريق أن يتابع حسن أداء العمل ، ومسئولية حصر النتائج ، واضافتها اضافة سلسة الى الرصيد الجغرافى • عن الشخصية الجغرافية • ومسئولية قائد الفريق • عن توزيع التكليفات ، وعن متابعة تنفيذ هذه التكليفات ، وعن اجراء ما يخصه من هذه التكليفات ، وعن استخلاص الاضافات وضمها الى الرصيد الجغرافى ، تجسد حجم المسئولية ، ومعنى ان اسناد القيادة الى صاحب الخبرة الجغرافية يمثل تكليفا ، لا مكان فيه للتشريف أبدا •

وقد تتضخم هذه المسئولية التى تقع على عاتق قائد الفريق ، لكى تشمل الاتفاق على تفاصيل أسلوب وطريقة العمل الميدانى ، بينه وبين الشريك المتعاون ، أو لكى تشمل التعاون فى التماس كيفية انجاز العمل فى الميدان • ولا ينشأ هذا الاتفاق من فراغ أبدا ، بل يبتنى بالضرورة على

النحو الذى يجاوب الهدف الجغرافى الذى يتحرى دراسة جادة عن الشخصية الجغرافية • بمعنى ان القائد الجغرافى يعرف جيدا ماذا يريد من العمل فى الميدان ، فيصنع التكليفات ، ثم يضع التفاصيل التى تتضمنها هذه التكليفات ، ويوجه العمل لانجاز هذه التكليفات ، التى تجاوب التطلع الجغرافى الى دراسة الشخصية الجغرافية ، فى المساحة المعنية •

والتزام المكلف من أعضاء الفريق المتعاون بالتكليف الذى يوكل اليه تنفيذه واجراء الدراسة الميدانية العلمية التى تجاوب هذا التكليف ، معناه التزام فعلى بمطالب معينة يفضى اليها الانجاز ونتائج العمل فى الميدان • ولا ينبغى أن يتهاون المكلف فى هذا الانجاز ، أو أن يتمادى المكلف حتى يتجاوز الحد الذى يحدد التزامات التكليف • بمعنى أن يتحرى المكلف من الأعضاء ، الدقة والتدقيق ، فلا نقصان أو اهمال فى انجاز التكليف ، ولا زيادة أو اضافة الى ما ينبغى أن يتحقق بموجب هذا التكليف • وجلسات العمل التى تجمع أعضاء الفريق ، فى نهاية كل يوم عمل ، أو كل فترة عمل فى الميدان ، هى وحدها التى يمكن أن تستحدث تعديلا على التكليف ، حتى تكون الاضافة أو حتى يكون الحذف •

والتعديل فى التكليف ، سواء تأتى بالاضافة أو تأتى بالحذف ، جائز لصالح العمل الميدانى الأفضل أو الأنسب • ومع ذلك • فانه يعنى بل يستوجب تعديلا فى الخطة العامة ، واعادة النظر فيها • كما يعنى تغييرا فى مسيرة العمل وتنفيذ ما يطلبه التكليف فى شكله الجديد أو المعدل • وتلك هى أهم دواعى الاعتراض على التعديل التطوعى الذى لا ينبغى أن يباشره المكلف أبدا ، دون علم الفريق والتشاور مع قائد الفريق ، من أجل المصادقة عليه •

ويبقى بعد ذلك كله ، لاتمام العمل الجغرافى العملى الميدانى ، حسن العناية بالجانب الذى يعين على تقويم الشخصية الجغرافية • وقد يتمس هذا التقويم الجغرافى ، تقصى أوضاع حركة الحياة التى تجاوب ما تفرضه هذه الشخصية الجغرافية • كما يلتمس هذا التقويم أيضا ، تقصى استعدادات حركة الحياة ، لكى تقوى قوة فعلها الحضارى ، حتى يكون فى وسعها أن تطوع الشخصية الجغرافية ، فى المساحة المعنية • ويشمل مثل هذا التقصى ، قياس وحساب الاضافة بالكم أو بالكيف الى رصيد حركة الحياة ، لدعم قوة الفعل الحضارى المباشر وغير المباشر ، فى مواجهة قوة فعل الشخصية الجغرافية ، فى المساحة المعنية • بمعنى أن يتحرى تقويم

الشخصية الجغرافية ، اكتشاف مبلغ ما يصل اليه حد المصالحة بين حركة الحياة وكيف تعيش ، والأرض التى تجـاوب حركة الحياة ، فى المساحة المعنية • كما يتمادى هذا التقويم الى حد التحرى والكشف عن الكيفية التى تكون بموجبهـا المتغيرات البشرية الاجتماعية والاقتصـادية والسياسية والادارية والحضارية ، حتى تضع فى قبضة حركة الحياة قوة فعل مؤثر ، يغير حد المصالحة بين الانسان والأرض ، ثم يغير فى توجهات وفى معـالم الشخصية الجغرافية ، فى المساحة المعنية •

وكما انتهت رحلة الزيارة الميدانية التفقدية ، وهى فى طلب التعارف الجغرافى الأولى على الميدان ، أو وهى تستثمر مناخ الانفتاح الجغرافى عـلى المنظور الجغرافى وتعبيره الواقعى عن الشخصية الجغرافية ، دون أن تستنفد الرحلة الجغرافية الميدانية كل أغراضها ، تنتهى أيضا رحله تقصى الحقائق الجغرافية التى تكشف ولا تخفى شيئا عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان • بمعنى أن عودة الفريق المتعاون من الميدان ، لا يعنى أبدا الوصول الى نهاية المطاف • وقل يبقى الباب مفتوحا ، للذهاب من جـديد الى نفس الميدان ، طالما لـم تستنفد الرحلة الجغرافية الميدانيـة ، كل أغراضها من العمل الجغرافى العملى ، عن الشخصية الجغرافيـة • بل قل تبقى الحاجة ملحة الى رحلة جغرافية ثالثة ، لاستيفاء هذه الأغراض ، وحتى يستشعر الباحث الجغرافى أنه قد أنهى بالفعل كل العمل الجغرافى فى المساحة المعنية، أو حتى تبوح له الخلفية الجغرافيـة ، بكل ما ينبغى أن يتوفر من بيـانات صريحة وكاملة ، عن الشخصية الجغرافية •

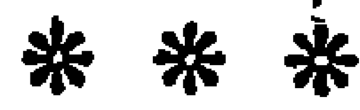
وهكذا ، نتبين بوضوح أن حاجة البحث عن الشخصية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ، من الدراسة الميدانية ، أثناء رحلة تقصى الحقـائق الجغرافية ، لم تكتمل تماما • بمعنى أن تتكشف أن هناك بقية ، وأن دور الرحلة الجغرافية الوظيفى ، فى طلب استيفاء هذه البقية ، يبقى أو يتجدد لحساب الحصـول على هـذه البقية • وكيف لا تكون ثمة بقيـة ، ينبغى استيفائها ، والدراسة المكتبية تؤكد الحاجة الى هذه البقية ، أو تكشف عن بعض جوانب الغموض وعدم وضوح كل معالم الشخصية الجغرافية ؟ بل قل كيف تنتهى الرحلة الجغرافيـة الميدانية ، أو كيف يعفيها الاجتهـاد الجغرافى ، من العودة الى الميدان ، من جديد ، مرة وربما مرات كثيرة أخرى، وهو لم يفرغ بعد من تكديس وجمع ما ينبغى الحصول عايه من مادة علمية خام عن الشخصية الجغرافية ، من ثمرات العمل الجغرافى العملى فى الميدان ؟

وعودة الرحلة الجغرافية الميدانية ، من بعد تقصى الحقائق الجغرافية ، وتعاون الفريق ، فى جمع أوصال المادة الخام ، واجراء الجزء العملى الأساسى من العمل الجغرافى الميدانى ، عن الشخصية الجغرافية ، تكون عودة منطقية وموفقة ، وهى تتأتى فى الوقت المناسب • ولا تعنى هذه العودة ، شيئا ، أهم من انهاء أخطر شوط من الأشواط ، أو أهم جولة عمل جغرافى ميدانى، عن الشخصية الجغرافية • وصحيح أن هذه العودة ، أو هـذا الرجوع من الميدان ، يعطى الاجتهاد الجغرافى الفرصة ، لكى يلتقط أنفاسه ، ولكى يستوعب الرصيد الجغرافى المتراكم فى الجعبة الجغرافية عن الشخصية الجغرافية • وصحيح أيضا ان هذه العودة الموفقة من الميدان ، توجه الاجتهاد الجغرافى شطر أو نحو الدراسة المكتبية والاطلاع على المراجع من جديد ، فى طلب حسن التنسيق ، بين المادة الجغرافية الخام التى يسفر عنها العمل الجغرافى الميدانى ، والمادة الجغرافية غير الخام التى يوفرها الاطلاع على المراجع • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن هـذه العودة الموفقة من الميدان ، لا تطلق أيدى الاجتهاد الجغرافى ، حرة أبدا ، لكى يكتب أو لكى يعلن عن ما تنبىء به دراسته عن الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان •

ولا يستبعد الاجتهاد الجغرافى احتمال العودة مرة أخرى ، فى رحلة جغرافية ميدانية ثالثة ، الى نفس المساحة المعنية ، فى الميـدان • وتبتنى هذه العودة المتوقعة – فى الغالب – على استشعار الحاجة الى استكمال أو الى استيفاء بعض العمل الجغرافى العملى الذى تستجد الحاجة اليه ، بعد شىء من الدراسة المكتبية • ويبقى الحكم بصدق هذا الاحتمال وجديته وجدواه ، لكى ترجع الرحلة الجغرافية من جديد الى الميدان ، فى حاجة الى قرار جديد مستقل • ويصدر الاجتهاد الجغرافى هذا القرار الجـديد ، دون حاجة الى التشاور مع أعضاء الفريق • وقل انه لا ينبغى أن يتأخر كثيرا فى اصدار هذا القرار ، الذى يحق الحق ، ويستوجب الواجب ، لاستيفاء العمـل فى الميدان عن الشخصية الجغرافية •

ومثل هذه العودة ، لا تعنى أبدا أن العمل الجغرافى العملى ، أثنـاء رحلة تقصى الحقائق عن الشخصية الجغرافية قد وقع فى الخطأ ، الذى ينبغى تداركه • كما لا تعنى أيضا أن رحلة تقصى الحقائق ، قد تعجلت فى العودة من الميدان ، قبل اتمام العمـل الجغرافى العمـلى كله ، وينبغى أن يحتسب عليها شيئا من التقصير • بل قل انها تعنى طلب استيفاء العمل الجغرافى ، الذى تستجد الحاجة اليه • ومن شأن القرار الجديد الذى يعيـد الرحلة الى الميدان ، ألا يصدر بالفعل ، الا بعد أن يعرف الاجتهاد الجغرافى ويتيقن من

أوجه النقص • بمعنى أن تكون هذه العودة ، فى الوقت المناسب تماما ، بعد أن يدرك الاجتهاد الجغرافى بالضبط ، لماذا ترجع الرحلة الجغرافية الميدانية مرة أخيرة الى الميدان ، ومتى وكيف يكون هذا الرجوع واجبا ، ولا يجوز اهماله أو العدول عنه ؟



رحلة جغرافية ميدانية اخيرة الى الميدان :

هذه رحلة ذهاب جغرافى يتكرر من جديد الى نفس الميدان ، الذي شهد رحلة الزيارة الجغرافية مرة ، والذي تعيش وتتعامل على صعيده رحلة العمل وتتقصى الحقائق الجغرافية عن الشخصية الجغرافية مرة أخرى • وحاجة ملحة الى هذه العودة ، تعني طلب اضافة واجبة ، عن الشخصية الجغرافية • وسواء تكون هـــذه الاضافة مطلوبة لاستكمال وضـوح رؤية الشخصية الجغرافية فى المساحة المعنية ، أو تكون هذه الاضافة لازمة لاستيفاء مقومات تقويم هذه الشخصية ، يصبح الذهاب الى الميدان أمرا ضروريا ، ولا يجوز التفريط فى جدواه أبدا •

وقل ان هذه الحاجة الملحة ، هي التى تدعو أو التى تلزم الاجتهـــاد الجغرافى ، فى الوقت المناسب ، دون حرج أو دون تكاسل ، الى إتخاذ القرار الجديد ، الذى يستوجب الخروج من جديد ، الى نفس المساحة المعنية ، في الميدان • ويتمم الذهاب الجغرافى الأخير ، رحلة العمل الجغرافي الميداني ، عن الشخصية الجغرافية • بل قل انه يكفل اســـتيفاء بعض جوانب الحقـائق الجغرافية أو المـادة الخام ، التي تكون ألزم ما ينبغى الالتزام به ، فى البحث والتحرى ، عن الشخصية الجغرافية •

وقل مرة أخرى انها رحلة استيفاء جغرافى واجبة • وهى التى تتدارك ما فات العمل الجغرافى العملى ، وتطلب أن تحصل عليه • بل قل إنها رحلة جغرافية ميدانية ، تستحق الاعداد الجيد ، قبل الذهاب من جـــديد الى الميدان • وهذا الاعداد الجيد ، لا يكون الا من أجل حسن العناية ، بتدارك النقص ، وتلافى التقصير في حصاد العمل الجغرافى العملى عن الشخصـــية الجغرافية ، من الميدان •

هذا ، ولا يكون النقص او التقصير فى تقصى الحقائق ، وجمع المـادة الخام عن الشخصية الجغرافية ، من الميدان ، وليد التعجل أو التهـــاون فى

اجراء الدراسة الميدانية . بل ولا يكون أبدا ، نتيجة من نتائج الاستخفاف وعدم التدقيق ، حتى يتأتى الوقع فى الخطأ . ولكنه يكون - فى الغالب - نتيجة حاجة الاجتهاد الجغرافى الى :

١ - مزيد من العمق أو من الشمول والاحاطة . فى التحرى والبحث والدراسة الميدانية ، عن الشخصية الجغرافية ، والخلفية التى تحدد ملامحها وتجسد توجهاتها .

٢ - مزيد من التوسع على صعيد المساحة المعنية ، فى التحرى والبحث والدراسة الميدانية ، التى تنعقب الوضوح الجغرافى ، حتى يجاوب الحاجة الى استيفاء النقص وسد الثغرات ، فى تكامل بنية الشخصية الجغرافية .

ولا يملك الاجتهاد الجغرافى أبدا ، الا أن يجاوب حاجة البحث عن مقومات الشخصية الجغرافية ، فى المكان والزمان . ولا يجب أن يتخاذل أو أن يتهرب من ضرورة هذا الخروج الأخير ، الى الميدان . بل قل عليه التزام أكيد ، بأن يطاوع التطلع الى استيفاء النقص واستكماله ، أو الى مواصلة التحرى والحصول على الاضافة ، عن تفاصيل مقومات الشخصية الجغرافية ، من الميدان ، على صعيد المساحة المعنية . واستشعار النقص ، ووضوح رؤية الثغرات ، هى التى توجه هذا الذهاب الأخير الى الميدان . وهى التى توجه العمل الجغرافى الميدانى من جديد الى استيفاء النقص ، أو الى تدارك التقصير .

ومن شأن هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى هذه العودة الأخيرة الى الميدان ، أن تبدأ فى الوقت المناسب تماما ، لكى تتدارك نقصا أو تقصيرا من غير قصد ، أو لكى تلتمس معلومة جديدة واضافة مقصودة ، لاثراء البحث عن الشخصية الجغرافية . ومع ذلك لا ينبغى أن تكون هذه العودة ، أو يكون الذهاب الأخير الى الميدان ، من غير أن يعيد الاجتهاد الجغرافى الكرة فى التشاور مع بعض أعضاء الفريق المتعاون ، من الجغرافيين وغير الجغرافيين . ويجرى هذا التشاور ، فى أمر :

١ - من الذى ينبغى أن يخرج فى صحبة هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الأخيرة ، حتى تعاود العمل الجغرافى واجراء العمل الميدانى مرة أخرى فى الميدان ؟ .

٢ - ما هو بالضبط العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى ينبغى القيام به ، حتى يتدارك النقص أو حتى يتجنب عواقب التقصير ، أو حتى

يسد الثغرات ، أو حتى يجنى ثمرة الاضافة ، ويلتزم به فرد أو مجموعة من أفراد منتخبين فى صحبة الجغرافى وهو يذهب الذهاب الأخير الى الميدان ؟ ٠

٣ – ما هو أسلوب العمل التكميلى الأنسب ، الذى يتعين الالتزام به واتباعه ، أو الأخذ به فعلا فى العمل الجغرافى العملى المستجد ، حتى يجاوب القصد أو الهدف الجغرافى عن الشخصية الجغرافيـــة ، أو حتى يلبى ارادة التوجه من جديد ، فى طلب المعلومة الجديدة ، أو فى طلب تصحيح المعلومة التى سبق الحصول عليها من الميدان ؟ ٠

٤ – كيف ينبغى أن يجرى العمل الجغرافى العملى الذى يتحرى الدقة أو يلتمس الاضافة ، فى الميدان ، حتى يضمن الاجتهاد الجغرافى حسن توجه الدراسة الميدانية الأخيرة ، فى الاتجاه الصحيح ، ويتسنى تدارك النقص أو معالجة التقصير أو استيفاء بعض الجديد من الميدان ؟ ٠

وهكذا ، يخضع خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية والذهاب الى الميدان ، فى اطار المساحة المعنية وهى تحمل طابع الاســتيفاء ، أو تدارك النقص والتقصير ، أو تجنب الغموض فى الشخصية الجغرافية ، لضــوابط محددة ٠ ويضع التشاور الذى يجرى بين أعضاء الفريق المتعاون ، أيدى الاجتهاد الجغرافى ، على هذه الضوابط التى تحكم الذهاب الأخير الى الميدان ٠ كما يسعف هذا التشاور أيضا ، وضع خطة العمل الجـــديد أو الاضافى ، التى تنظم وتضبط مسيرة العمـــل الجغرافى المستجد عـــلى الساحة ، عن الشخصية الجغرافية ٠

ولا ينبغى أن يلتزم بالخروج فى هذه الرحلة الجغرافية ، والذهاب من جديد من أعضاء الفريق المتعاون ، الا من تستوجب حاجة العمـــل الميدانى المستجد ، التحاقه بها ، ولا يمكن أو لا يجوز الاســـتغناء عنه أبدا ٠ وقد يكون فى وسع الباحث الجغرافى ، أن يذهب بمفرده ، ودون أن يصطحب معه أحدا ، فى هذا الذهاب الأخير الى الميدان ٠ بل قل انه قد يمتلك كل القدرة ، لانجاز المهمة متفردا ، بالعمل الجغرافى العملى فى الميدان ٠ ولــكن المؤكد أن شرط الصحبة فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، وفى كل رحلة جغرافية ميدانية أخرى ، هو شرط ضرورى وجوهرى ٠ ومن ثم لا ينبغى تجاوز هذا الشرط أبدا ، عند الذهاب الأخـــير الى الميدان ٠ بل قل يتعين الالتزام الصارم ، بشرط هذه الصحبة ، حتى لو تكون اختيارا للفنى الذى يعاون الجغرافى ، فى انجاز العمل الجغرافى المطلوب ، لحســـاب الشخصية الجغرافية فى المساحة المعنية ٠

وتكون الصحبة فى هذه الرحلة الجغرافية ضرورية ، حتى لو يكون الذهاب الى الميدان متعجلا ، لقضاء مهمة السويعات القليلة المحدودة • وتضم هذه الصحبة عضوا أو أكثر من أعضاء الفريق المتعاون ، للخروج الأخير الى الميدان • ويتمثل الحد الأدنى فى هذه الصحبة ، فى الرحلة الجغرافية الأخيرة ، في زمالة عمل ميدانى ، تجمع بين الجغرافى وهو الأصل ، ورفيق آخر من المتخصصين أو من الفنيين ، لكى يعينه أو يعاونه ، فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى • ذلك أن الذهاب المنفرد الى الميدان ، غير ممكن ، لانه قد يفضى الى شىء من التقصير • كما ان اجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى انفردى ، غير وارد أبدا ، لأن الانفراد لا يكفل الانجاز الجيد فى الميدان • بل قل يكون العمل الجغرافى الميدانى الانفرادى مرفوضا على الاطلاق ، وينبغى تجنبه تماما ، فى كل مرة يكون فيها الذهاب الى الميدان ، فى رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية ، وفى رحلة الدراسة الميدانية الحقيقية ، وفى رحلة تدارك النقص الجغرافى ، لأن هذا التفرد يكون غير مجد من وجهة النظر العملية الجغرافية •

ويستوجب خروج هذه الرحلة الجغرافية ، والذهاب الى الميدان من جديد ، الى جانب حسن اختيار الرفيق من بين مجموعة الفريق المتعاون ، حسن وضع خطة العمل والبرامج العملية ، التى تغطى وتنظم وتضبط مسيرة التنفيذ التكميلى ، فى هذه المرة الأخيرة • ويتعين على الباحث الجغرافى ومن يكون فى معيته لحساب العمل ، أن يعرف بالضبط حدود المهمة العملية المنوطة بهذا الذهاب الضرورى الى الميدان • كما يجب أن يدرك كل شريك فى هذا الذهاب بالضرورة ، مواقع أو مواضع العمل الجغرافى العملى التكميلى المستهدف ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان • بل قل ينبغى أن يتحدد ، قبيل الذهاب الى الميدان ، المدى الزمنى الأنسب ، للذهاب والعودة ، مع تأمين حسن التفرغ لانجاز المهمة المنوطة به ، فى الميدان •

ومن أجل هذه المهمة الطارئة ، التى تشهد انجاز العمل الجغرافى العملى التكميلى ، قد توضع الخطة التى يتكرر بموجبها الذهاب الى الميدان ذهابا خاطفا أكثر من مرة ، والى أكثر من موضع معين متفق عليه ، فى المساحة المعنية • وفى كل مرة من هذه المرات ، تنجز الرحلة الجغرافية الخاطفة ، عملا ميدانيا ، لاستيفاء النقص أو التقصير ، فى التماس وضوح رؤية الشخصية الجغرافية ، أو فى التماس الرأى الجغرافى السديد عنها • ولا ينبغى أن يتزامن هذا الذهاب المتكرر أبدا فى اطار الخطة الموضوعة ،

لان الباحث الجغرافي ، يكون الشريك الأصلي في كل مرة . وهناك في الميدان ، وفي كل موقع عمل جغرافي ، ينبغي أن يتعاون الاجتهاد الجغرافي مع الاجتهاد العلمي غير الجغرافي ، تعاونا مستنيرا وحصيفا ، في انجاز المهمة ، التي تتوجه من أجلها رحلة الذهاب الأخير الى الميدان . ولا يجب أن يكون العمل الجغرافي متعجلا من أجل عودة سريعة من الميدان . ولا يجب أن يهبط مستوى الأداء والتدقيق في جمع المادة الخام وحصر الاجابات والردود على الأسئلة المطروحة عن مستوى الأداء العملي في الرحلة الجغرافية الميدانية السابقة . بل قل ينبغي أن يعزز هذا الأداء في الميدان ، شيئا من التحلي بالصبر والجلد والمثابرة ، في طلب النتائج وحصرها وحسن تصنيفها ، لحساب البحث عن الشخصية الجغرافية .

وسواء يتكرر هذا الذهاب الأخير الى الميدان ، أو لا يتكرر ، فلا تنقطع الصلة بين الاجتهاد الجغرافي وهو يعمل عملا جغرافيا مناسبا عن الشخصيه الجغرافية من ناحية ، والمساحة المعنية التي تتجلى فيها هذه الشخصية الجغرافية ، من ناحية أخرى . وينبغي ألا يكف الجغرافي عن التمعن في رؤية الواقع الجغرافي ، حتى يتبين له : كيف يسفر هذا الواقع الجغرافي عن شخصية جغرافية متميزة . بل قل ان الرؤية الجيدة التي تمعن النظر وتحسن التعامل مع الواقع الجغرافي في المساحة المعنية ، هي التي تسعف الوصول الى حسن بيان التعبير عن الشخصية الجغرافية والتعرف على قيمتها وجدوى تأثيرها المباشر أو غير المباشر على مضي حركة الحياة في المكان والزمان ، ويكون العكس غير صحيح .

* * *

وفور الانتهاء من هذه الدراسة الميدانية التي تستغرق ثلاثة مراحل ، يكتمل جمع الرصيد من المادة الخام ، عن الشخصية الجغرافية . ومن ثم يعتمد الجغرافي على خبرته في التحليل والتركيب ، لكي يصطنع من حسن توظيف هذه المادة الخام التي يحصل عليها من الميدان ، مع المادة الجغرافية التي يستخرجها من المراجع والمصادر . لاخراج البحث الجغرافي عن الشخصية الجغرافية . وحسن تصوير الشخصية الجغرافية ، وحسن تقويمها ، وهي من وراء حركة الحياة في المساحة المعنية ، يفتح أبواب البحث عن النتائج ذات الطابع التطبيقي . ومثل هذا الوصول الى النتائج ذات الطابع التطبيقي ، يخدم أو يدعم حركة الحياة ، ويعزز استثمارها الحيوي للشخصية الجغرافية في المكان والزمان . وقد تسعف الانسان أحيانا أخرى ، لكي يستحدث قوة فعل مؤثر ، يتسبب في تعديلات حاسمة في الشخصية الجغرافية ، في المكان والزمان .

الفصل الخامس

الجغرافية والدراسة الميدانية لاستخدامات الأرض

- الجغرافية ومفهوم استخدام الأرض ٠
- الدراسة الميدانية والعمل الجغرافى العملى ، لحساب استخدام الأرض ٠
- الرحلة الجغرافية الميدانية ومستويات توظيفها فى دراسة استخدام الأرض ٠
- الرحلة الجغرافية الميدانية والزيارة التفقدية فى المساحة المعنية ٠
- تشكيل الفريق المتعاون وتكليفات العمل عن أنماط استخدامات الأرض ٠
- خطة العمل الجغرافى الميدانى عن استخدامات الأرض ٠
- خروج رحلة العمل الجغرافى وتقصى الحقائق عن انماط استخدامات الأرض ٠
- الانجاز الجغرافى العملى عن استخدام الأرض فى الميدان ٠
- رحلة جغرافية ميدانية اخيرة الى الميدان ٠

الفصل الخامس

الجغرافية والدراسة الميدانية لاستخدامات الأرض

الجغرافية ومفهوم استخدام الأرض :

تعتنى الجغرافية دائما بدراسة الأرض لحساب حركة حياة الانسان . كما تعتنى الجغرافية أيضا ، بحركة حياة الانسان وحضوره وتوجهاته الفاعلة ، فى ربوع الأرض . ومن ثم لا تكاد تستحدث الجغرافية المعاصرة جديدا ، عندما تعكف على دراسة استخدام الأرض ، وتتقصى العلاقة الوثيقة وتوجهاتها المتباينة ، التى تسفر عن أنماط استخدام الأرض ، وتطويعها التطويع المناسب ، لحساب الانسان . ومع ذلك فان الجديد الذى تستحدثه الجغرافية المعاصرة ، يتمثل فى صياغة المنهج الأنسب ، الذى يوغل به البحث الجغرافى عمقا فى دراسة استخدام الأرض .

ومن خلال المنهج الأنسب ، تلتمس الجغرافية المعاصرة ، الدراسة الجغرافية التحليلية التى تتكشف لها أنماط الاستخدامات المتنوعة للأرض . بل قل انها تتعقب هذه الأنماط المتنوعة ، وتطلب وضوح رؤية دور الانسان الوظيفى فى كل نمط من أنماط استخدام الأرض ، والكيفية التى يتسنى له بموجبها أن يطوع الأرض حتى تطاوعه ، فى اطار التزام حقيقى بقاعدة الضبط والانضباط المتبادل بين خواص الأرض وقوة فعل هذه الخواص ، وقدرات الانسان وقوة فعل وسائله الحضارية . بمعنى انها تلتمس دور الأطراف المعنية ، فى اطار علاقة وثيقة وحميمة ، بين الانسان وهو حريص على تطويع الأرض والانتفاع بها فى جانب ، والأرض وهى تطاوع من يكون فى وسعه أن يعرف خواصها ويحسن التعامل معها حتى تجاوبه ولا تخذله ، فى جانب آخر .

ويقدم الاجتهاد الجغرافى الذى يعتنى بدراسة العلاقة الوثيقة بين الانسان والأرض ، ويتعقب الأنماط المتباينة من استخدامات الأرض ، على حسن تصنيف وترتيب هذه الأنماط . وفى اطار هذا التمييز أو هذا التصنيف ، يميز الاجتهاد الجغرافى بين :

١ - استخدامات الأرض التى تجاوب الهدف الاقتصادى الانتاجى، حيث يتوجه الفعل البشرى نحو بذل الجهد ، وتوظيف الوسيلة لكل شكل من أشكال التعامل مع موارد الأرض . وتكون هذه الاستخدامات الشغل الشاغل الذى يشغل الباحث المتخصص فى **الجغرافية الاقتصادية** .

٢ - استخدامات الأرض التى تجاوب الهدف الاستيطانى والايواء ، حيث يتوجه الفعل البشرى نحو حسن الاختيار وتوظيف الوسيلة المناسبة ، لكل شكل من أشكال الاستيطان والتنعم والانتفاع بالسكن والمأوى . وتكون هذه الاستخدامات الشغل الشاغل ، الذى يشغل الباحث المتخصص فى **جغرافية السكن** .

٣ - استخدامات الأرض التى تجاوب الهدف الاجتماعى الحضارى ، حيث يتوجه الفعل البشرى نحو حسن الاختيار وتوظيف الوسيلة المناسبة ، لكل شكل من أشكال الخدمات المتنوعة فى كل صورها الحضارية ، لحساب الحضور الاجتماعى فى ظل مصالحه المشتركة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا . وتكون هذه الاستخدامات الشغل الشاغل الذى يشغل الباحث المتخصص فى **جغرافية الخدمات** .

وعلى ساحة استخدام الأرض ، يجتمع أصحاب التخصص فى الجغرافية الاقتصادية ، وأصحاب التخصص فى جغرافية العمران والسكن ، وأصحاب التخصص فى جغرافية الخدمات ، لكى يعمل كل فيما يخصه فى حقل البحث الجغرافى عن استخدامات الأرض المتنوعة . وقد يتبع كل تخصص من هذه التخصصات الجغرافية السبيل الذى يكون من شأنه ، معالجة النمط الذى يعنيه من أنماط استخدام الأرض المتنوعة . وقد يلتمس الباحث الجغرافى المتخصص ، كل دواعى وموجبات وضوح رؤية هذا النمط من أنماط الاستخدام ، ويتحرى دور الانسان الوظيفى فى هذا الاستخدام . ولكن يتفق الجميع على أهمية البحث وتحرى الدقة وحسن الاقتراب ، من القواعد التى يبتنى عليها التقويم الجغرافى السليم الذى يميز بين مستويات هذا الاستخدام ، وهى تتراوح ، بين الاستخدام الردىء أو الجائر ، والاستخدام التقليدى الجامد ، والاستخدام الحسن المتطور .

ومن خلال هذا التقويم الجغرافى ، الذى يميز بين مستويات الاستخدام ، لحساب الانتاج وعطائه ، أو لحساب السكن والاستيطان وأشكاله ، أو لحساب الخدمات والتنعم الحضارى بها ، يعرف الاجتهاد

الجغرافى جيدا كيف يحسب مسئولية الانسان عن مستوى الاستخدام • كما يعرف هذا الاجتهاد الجغرافى أيضا ، كيف تتبين له قوة فعل المهارة والخبرة الحضارية التى تتوجه فى جد للتعامل مع الأرض ، وطلب محصلة ما يرنو اليه من استخدامها • كما يعرف هذا الاجتهاد الجغرافى أيضا كيف تتبين له قوة فعل خواص الأرض التى يتحتم أن يجد الانسان وسيلة مناسبة لمواجهة ضوابطها ، حتى يطوعها الاستخدام وتطاوعه ولا تخذله •

ويكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى ، الذى يحدد مواصفات الاستخدام الجائر ، ويعرف لماذا هو جائر وكيف يجسد شكلا رديئا من استنزاف الأرض وارهاقها والتأثير على مقومات استجاباتها الفورية ، لحاجة الانسان أن يقدم التوصية التى تعترض على الاستخدام الجائر وتبصره بالتحول الى الاستخدام الأفضل • بل قل يكون فى وسع العمل الجغرافى الرشيد ، أن يبلور الرأى الجغرافى السديد ، الذى يحسن مستوى العلاقة الحميمة بين الانسان ووسيلته التى تطاوعه ، والأرض التى تجور عليها الوسيلة التى تطاوعه • بمعنى أن يصاغ هذا الرأى الجغرافى فى صيغة مناسبة ، تخدم الهدف التطبيقى ، من أجل استخدام أفضل ، لحساب حركة الحياة فى المكان والزمان •

ويكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى ، الذى يحدد مواصفات الاستخدام التقليدى ، ويعرف لماذا هو جامد وكيف يجسد شكلا رديئا من حيث الامتناع عن حسن الاستماع الى قوة فعل المتغيرات ، والمحافظة على استجابة لا تحقق التجديد أو التجويد أبدا ، أن يقدم التوصية التى تعترض على جمود الاستخدام التقليدى ، وتبصره بالتحول الرشيد الى الاستخدام الأفضل • بل قل يكون فى وسع هذا الاجتهاد الجغرافى وعمله الرشيد أن يبلور الرأى الجغرافى السديد ، الذى يحسن سبل استماع الاستخدام الى صوت المتغيرات ، حتى يكون الاقدام على التغيير ، والذى يحسن سبل استماع الاستخدام الى صوت الضوابط ، لكى لا يجنح التغيير فى غير الاتجاه الصحيح وتقذف به المتغيرات فى اتجاه على درب الخطأ • بمعنى أن يصاغ الرأى الجغرافى فى صيغة مناسبة ، تنمى العلاقة بين الانسان واستعداداته الحقيقية للتغيير من أجل طلب الأفضل من الأرض من ناحية ، والأرض استعداداتها الفعلية للاستجابة لهذا التغيير وتحسين مستوى العطاء الذى توفره لحساب الانسان من ناحية أخرى • وهذا هو عين ما يعنى صياغة الرأى الجغرافى السديد ، الذى يخدم الهدف التطبيقى ، من أجل استخدام أفضل ، لحساب حركة الحياة فى المكان والزمان •

ويكون في وسع الاجتهاد الجغرافى ، الذى يحدد مواصفات الاستخدام المتطور ، ويعرف لماذا هو على استعداد دائما ، لحسن الاستماع الى المتغيرات أو الى دواعى التغيير الى ما هو أفضل ، دون تجاوزات مثيرة ، تستوجب اللجوء الى الضوابط لايقاف هذه التجاوزات • بل قل يكون فى وسعه أيضا ، أن يبلور الرأى الجغرافى السديد عن علاقة رزينة وجيدة ، بين أوضاع وكفاءة الانسان وحسن توظيف الوسيلة التى يداوم على تحسينها حتى تجاوب اقدامه على الاستخدام المتطور الذى يجدد أو الذى يجود ، دون الوقوع فى محظورات الخطأ • بمعنى أن يعلن هذا الرأى الجغرافى فى صيغة مناسبة ، تخدم الهدف التطبيقى ، من أجل تنشيط معدلات تطور هذا الاستخدام الجيد ، لحساب حركة الحياة فى المكان والزمان •

وحاجة الاجتهاد الجغرافى الى مطالعة المنظور الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، من أجل تقصى سبل وتوجهات استخدام الأرض ، والحكم على مستوى هذا الاستخدام ، تؤكد قيمة أو جدوى الدراسة الميدانية ، لحساب هذا العمل الجغرافى • بل قل ان هذه الحاجة الى مباشرة العمل الجغرافى العملى ، تسبق فى قيمتها وأهميتها ، أهمية وقيمة الدراسة المكتبية عن استخدام الأرض • ذلك ان مباشرة العمل الجغرافى ، توفر للعين الجغرافية أن تعاين فلا تضل ، أو أن تشاهد فلا تقع فى الخطأ ، وهى تلتمس رؤية جغرافية كاشفة عن أنماط استخدام الأرض ، أو وهى تلتمس الرأى الجغرافى الذى يجسد الحكم السليم عن مستوى الاستخدام ، فيوجه الثناء الى من يستحقه ، ويوجه اللوم الى من يسىء الى الأرض •

الدراسة الميدانية والعمل الجغرافى العملى ، لحساب استخدام الأرض :

هذا توجه جغرافى معاصر حميد ، الى الدراسة الميدانية ، التى تضع الاجتهاد الجغرافى على درب من أهم دروب الهدف الجغرافى التطبيقى • ويستوجب هذا التوجه الجغرافى الذى يجسد العناية الجغرافية باستخدام الأرض ، فى المساحة المعنية ، توظيف خاص أو خصوصى للرحلة الجغرافية الميدانية • ولا يكون العمل الجغرافى العملى الذى يخرج الرحلة الجغرافية الميدانية ، عملا مجردا بالفعل ، لحساب البحث الجغرافى العملى البحت • بل قل ان من وراء هذا الخروج ومباشرة الدراسة الميدانية ، هدف جغرافى تطبيقى •

وهذا معناه ان حاجة البحث الجغرافى العلمى ، ليست هى وحدها الدافع الحقيقى ، لتنظيم خروج الرحلة الجغرافية الميدانية ، لحساب استخدام

الأرض ، على صعيد المساحة المعنية . وما من شك ، فى ان حاجة حركة الحياة الى تحسين وتنشيط استخدام الأرض ، هى التى تدفع هذا التوجه الجغرافى ، بعد أن تفطن الى جدوى الاجتهاد الجغرافى ، وهو يلتمس الحكم على مستوى الاستخدام ، ويعرف كيف يوصى بكل ما من شأنه أن يبصر أو يرشد ارادة تحسين هذا الاستخدام . وقل ان هذا تكليف يقع على عاتق الاجتهاد الجغرافى ، وهو الذى يكاد أن يكون مسئولا عن التوصية التى تستمع اليها حركة الحياة ، وتعمل بموجبها ، من أجل مباشرة سبل تحسين مستويات استخدام الأرض ، فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات .

وتكليف الباحث الجغرافى ، من قبل من يهمه الأمر ، لدراسة استخدام الأرض والتمعن فى مستويات هذا الاستخدام والحكم عليها ، معناه أن يتحمل الاجتهاد الجغرافى المسئولية الجسيمة ، وهى أمانة فى العنق ، ترشيد الاستخدام وتحسين مستوياته . ومعناه أيضا ، أن يجرى الباحث الجغرافى ، هذا البحث الذى يلتمس أنماط الاستخدام ، حتى تتبين له ، أبعاد العلاقة الحميمة بين الانسان والأرض ، وكيف تفلح الوسيلة الحضارية فى تطويع الأرض واستخدامها ، فى اطار ادراك جغرافى حقيقى ، بكل معانى الضبط والانضباط المتبادل بينهما ، فى المكان والزمان .

وقد يستوجب هذا التكليف الذى يتصدى ويعمل الباحث الجغرافى على حسن انجازه ، شيئا من دراسة مكتبية ، واطلاع ذكى مناسب على المراجع والمصادر ، التى تعالج مفهوم استخدام الأرض . ولكن خروج الباحث الجغرافى فى الرحلة الجغرافية الميدانية ، الى المساحة المعنية ، هو الذى ييسر له أمر الحصول على المادة الخام ، وجمع المعلومات والبيانات ، من الميدان مباشرة ، وتعينه على تقصى كل الحقائق عن استخدام الأرض . وبقدر ما يستوجب هذا الخروج فى الرحلة الجغرافية الميدانية خبرة الاجتهاد الجغرافى وحسن تقديره لأنماط استخدام الأرض ومستوياتها ، يستوجب حماسه وكل عنايته ، لأن هذا الانجاز يمثل نقطة من أهم نقاط الانطلاق ، فى ممارسة الانفتاح الجغرافى الحميد ، والتحول المباشر الى المجالات العملية الجغرافية التطبيقية .

ويوفر هذا الانفتاح الجغرافى الذى يطل على أنماط استخدام الأرض ، ويباشر الحكم على مستوياتها ، ويحدد مسئولية الانسان ووسائله الحضارية وتكنولوجيته عن هذه المستويات ، شيئا مهما للغاية ، تنتفع به حركة الحياة . وعندما تتيقن حركة الحياة من حسن الأداء الجغرافى الذى ينتزع

الرأى الجغرافى من خلال العمل الميدانى ، لا يكون فى وسعها أبدا ، أن تفرط فى طلب خبرة ومهارة وحسن ما يحدث عنه العمل الجغرافى الميدانى الجيد ، فى هذا المجال الحيوى التطبيقى من أجل استخدامات أفضل للأرض .

ونجاح الباحث الجغرافى فى هذا التوجه الجغرافى ونزعته التطبيقية ، لدراسة استخدام الأرض ، وتقديم الرأى الجغرافى السديد الذى يفتح أبواب التغيير الى ما هو أفضل ، هو خير ما يفسح للاجتهاد الجغرافى وللعمل الجغرافى التطبيقى الصادر من الميدان ، مكانا مناسبا ومكانه حسنة ، فى العمل التطبيقى الذى تنتفع به حركة الحياة . ويصبح هذا النجاح ، وكأنه الباب المفتوح ، الذى تدخل منه انجازات العمل الجغرافى الميدانى التطبيقى ، دخول الظافر الواثق ، من جدوى أدائه الجغرافى ، حتى تجد الخبرة الجغرافية ونزعتها التطبيقية لنفسها ، مكانا مناسبا ، فى الصف العلمى ، الذى يجمع وينسق بين مجموعة العلوم التطبيقية .

وقل ينبغى أن يتشبث الاجتهاد الجغرافى بهذا النجاح فى الدراسة الميدانية التى تتخصص فى ابداء الرأى الجغرافى عن استخدام الأرض . بل قل ينبغى أن يبشر هذا النجاح الجغرافى باقتناع حقيقى بلزوم الخبرة الجغرافية ، وهى تباشر مهمة العمل الميدانى عن استخدام الأرض . وتصطنع القاعدة الصلبة ، التى يرتكز عليها تحسين مستويات هذا الاستخدام ، لحساب حركة الحياة . ويرسخ هذا النجاح الجغرافى بالضرورة ، قضية التحول الجغرافى العلمى المعاصر ، من جمود النظرية البحتة الى مرونة التطبيق الجغرافى العملى المتفتح ، حتى يصبح علم الجغرافية المعاصرة ، علما بينيا راسخا فى الأخذ من العلوم الأخرى ، وسخيا فى العطاء التطبيقى ، لحساب الانسان ومصالحه المشتركة فى أنماط استخدام الأرض ، فى المكان والزمان .

ومعنى نجاح الاجتهاد الجغرافى فى هذا التوجه التطبيقى الذى يبصر التغيير فى أساليب استخدام الأرض ، تطلعا الى ما هو أفضل ، يمثل خطوة هامة على دروب التجديد والتجويد الذى تحرص عليه الجغرافية المعاصرة . ولا يكون هذا النجاح فى الانجاز الجغرافى التطبيقى عن استخدام الأرض ، نجاحا حقيقيا ، من غير عناية جغرافية ومهارة ، تعكف على :

١ ـ حسن الجمع والتوظيف والتنسيق ، بين حصة الدراسة الجغرافية المكتبية ، والدراسة الجغرافية الميدانية ، من أجل صياغة التصور الجغرافى المناسب عن أنماط استخدامات الأرض المتنوعة ، فى المكان والزمان .

٢ - حسن ممارسة أو اجراء الدراسة الميدانية فى المساحة المعنية ، حتى تتضح رؤية أنماط كل الاستخدامات ، وكيف تكون العلاقة بين الانسان والأرض ، فى ضوء تداخل فعل العناصر الجغرافية الطبيعية فى صنع خواص الأرض ، وتداخل فعل العناصر الجغرافية البشرية فى صياغة وسيلة وتكنولوجية وكفاء عمل الانسان •

٣ - حسن التمعن والتدبر فى تقويم الاستخدامات ، فى المساحة المعنية ، وفى تعقب ايجابيات وسلبيات العلاقة ، وكفاءة الوسيلة والعمل فى الاستخدام من ناحية ، ومبلغ استسلام الأرض لهذه الكفاءة والوسيلة من ناحية أخرى ، حتى يتسنى للخبرة الجغرافية أن تبدى الرأى الجغرافى السديد ، ويصبح وكأنه التوصية الواجبة عليه لمن يهمه الأمر •

ومن ثم نفهم كيف تكون مهمة الجغرافى الذى يتحمل مسئولية دراسة استخدام الأرض مهمة صعبه • وتلقى هذه المسئولية على عاتقه ، أعباء الدراسة الميدانية ، وتنفيذ العمل الجغرافى العملى فى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، وهو يعجم عود الاستخدام • كما تلقى هذه المسئولية على عاتقه أيضا ، أعباء الدراسة الميدانية ، التى تلتمس امكانيات التغيير فى الأساليب أو فى توظيف التكنولوجيا الأحسن ، من أجل تحسين مستوى الاستخدام • بل قل انه قد يلتمس دواعى التغيير والمتغيرات الطبيعية التى تؤهل الأرض ، حتى تجاوب الهدف من التغيير ، أو يلتمس دواعى التغيير والمتغيرات البشرية التى تؤهل الانسان ، حتى يصبح وسعه ممارسة هذا التغيير وجنى ثماره على صعيد الأرض ، اقتصاديا ، واجتماعيا ، وحضاريا •



الرحلة الجغرافية الميدانية ودراسة استخدام الأرض :

تكليف الباحث الجغرافى بدراسة استخدام الأرض ، لحساب الانتاج أو لحساب السكن والاستيطان ، أو لحساب الخدمات والانتفاع بها ، فى المكان والزمان ، هو التكليف الرشيد ، الذى ينبغى أن يقبله فورا • ولا يكاد يبدأ هذا التكليف أبدا من فراغ وهو يوغل برفق فى صلب العلاقة الحميمة بين الانسان والأرض • ولا يكاد ينتهى هذا التكليف أبدا من غير غاية ، وهو يكشف بوضوح عن الفرص المتاحة ، فى تحسين مستوى هذه العلاقة ، من أجل استخدام أفضل للأرض •

وبموجب هذا التكليف ، يتعقب الباحث الجغرافى ، فى المكان والزمان . المنظور الجغرافى الشامل ، لأنماط كل استخدامات الأرض ، على صعيد المساحة المعنية • ولا حدود جغرافية صارمة ، تحدد أبعاد هذه المساحة المعنية ، بل يحددها هذا التكليف الذى يلتمس دراسة أنماط استخدامات الأرض فى هذه المساحة • وقد تغطى المساحة المعنية قطرا أو دولة معينة ، أو مقاطعة من هذه الدولة ، أو أى مساحة أخرى تهم صاحب هذا التكاليف • وفى ضوء هذا التحديد الذى يدقق فى حصر أبعاد المساحة المعنية ، يجرى الباحث الجغرافى ، المسح الجغرافى العام ، لأنماط الاستخدامات السائدة •

ويغطى هذا المسح الجغرافى المنظور الجغرافى ومكوناته الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ، وهو يتعقب أنماط الاستخدامات السائدة • وقل ان توجهات التحول الجغرافى المعاصر ، التى تزج بالعمل الجغرافى العملى فى الأداء أو العمل التطبيقى ، هى عين ما يبرر مبادرة الاجتهاد الجغرافى ، لاجراء هذا المسح الجغرافى عن استخدامات الأرض فى المساحة المعنية • وتحسن هذه المبادرة الجغرافية توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية ، لاجراء هذا المسح الجغرافى ، وضمان حسن تصوير أنماط الاستخدامات السائدة وتقويمها تقويما اقتصاديا ، أو تقويما عمرانيا ، أو تقويما خدميا ، لحساب حركة الحياة •

ولأن الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، الذى تتبناه وترسخه وتدعمه وتوجهه ، فلسفات الجغرافية المعاصرة ، هو جزء حيوى وفعال من صلب هذا التحول الجغرافى العظيم ، الذى تسفر عنه وتسعفه وتسدد خطاه ، الدراسة الميدانية المتعمقة ، فلقد تصاعدت العناية الجغرافية ، بالرحلة الجغرافية الميدانية ودورها الوظيفى • بل قل يتوجه الاهتمام الجغرافى المعاصر بكل الرشد ، فكرا وروحا ومنطقا وفلسفة عميقة ، توجها حميدا وموفقا ، وهو يوظف الرحلة الجغرافية الميدانية ، توظيفا رشيدا وهادفا وسديدا ، عندما يلتمس الوضوح الجغرافى ، عن أنماط استخدامات الأرض المتنوعة ، فى المكان والزمان •

وينبغى أن نفهم جيدا ، كيف يتولى الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، مهمة تطويع وتطوير أسلوب العمل الجغرافى العملى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية ، لكى يجاوب استعدادات الجغرافية المعاصرة ونزعاتها التطبيقية ، لتحمل مسئولية الدراسة التحليلية عن استخدامات الأرض • ولا يكف هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر أبدا ، عن حسن توظيف مهارات

الخبرة الجغرافية فى التركيب وفى التحليل ، فى مباشرة التعامل الميدانى مع المنظور الجغرافى الذى يصور أو الذى يتحدث عن أنماط استخدامات الأرض . ومن ثم يمسك الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، بأطراف الخيوط الجغرافية التى تتداخل تداخلا سليما ، فى نسيج الصورة التى تجسد النمط السائد من استخدامات الأرض فى الانتاج ، أو فى السكن ، أو فى الخدمات .

وينبغى أن ندرك عندئذ ، كيف يتسبب هذا التطويع ، فى تغيير حقيقى فى مهمة الرحلة الجغرافية الميدانية وهى فى خدمة الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض . ومع ذلك لا يفجر هذا التغيير ثورة عارمة ، تقلب أوضاع الرحلة الجغرافية أو توجهات الدراسة الميدانية العملية ، فى المساحة المعنية رأسا على عقب . بل قل ان هذا التغيير ، يكون موضوعيا ، وهو يضيف اضافات مجددة عن تعقب العلاقة بين الانسان والأرض التى تحدد شكل الاستخدام وهدفه ومستواه . كما يكون هذا التغيير موضوعيا مرة أخرى ، وهو يوسع دائرة التزامات الدراسة الميدانية ، عن تقصى المتغيرات الطبيعية والبشرية ، التى تؤثر على شكل وهدف وكنه ومستوى الاستخدام، فى المكان والزمان .

وهذا معناه - على كل حال - ان هذا التطويع الذى يقدم به الاجتهاد الجغرافى على توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية ، يستحدث ثورة اضافة وتجديد وتجويد فى أداء الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض . وفى طلب هذه الاضافة أو فى طلب هذا التجديد أو فى طلب هذا التجويد ، الذى يجاوب الاهتمام الجغرافى باستخدام الأرض ، تزيد أعباء الدراسة الميدانية واجراء المسح الجغرافى لأنماط هذا استخدام ، واعداد الاستبيانات المناسبة التى ينبغى اعدادها . بل قل تصبح مهمة هذا المسح الجغرافى مهمة صعبة ، وتستوجب شيئا كثيرا من الدقة والتدقيق .

وتتأتى زيادة الأعباء فى العمل الجغرافى الميدانى ، فى شىء كثير من الهدوء ، بعد أن تصبح جدوى أو قيمة الدراسة الميدانية عن استخدامات الأرض ، فى مرتبة أهم من الدراسة الجغرافية المكتبية . وقل انها تجسد الزيادة فى الأعباء الميدانية ، التى تنتزع الحقائق عن استخدامات الأرض من التعامل مع بعض المدركات الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية . وصحيح ان هذه الزيادة فى الأعباء تنال شيئا كثيرا من الترحيب الجغرافى وحسن الاستجابة وطلب المهارة فى هذا التعامل الميدانى مع أنماط

استخدامات الأرض · ولكن الصحيح أيضا ان هذه الاستجابة لتطوير وتطويع الدراسة الميدانية ، أو لاضافة التوجهات الميدانية المستجدة ، قد تأسست على خبرات ومهارات مكتسبة من التعود الجغرافي على توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية وأدائها المعمول به ، لحساب البحث الجغرافي · وما من شك ، في ان هذه الخبرات المتراكمة والمهارات المكتسبة ، تبدو دائما وكأنها القاعدة الصلبة ، التي يبني عليها الاجتهاد الجغرافي أصول التجديد وأسس الاضافة ، وتوجهات التجويد ، في الدراسة الميدانية وانجاز العمل الجغرافي العملي الميداني ·

وهكذا تصعد الجغرافية المعاصرة الاهتمام بالرحلة الجغرافية الميدانية ، الى حد كبير · وترى في هذا الاهتمام بالدراسة الميدانية ، شيئا مفيدا ، يؤهل التوجه الجغرافي الى التجديد والتجويد · بل قل انها تتخذ من هذه الدراسة الميدانية المكثفة ، سبيلا الى انجاز العمل الجغرافي العملي وكل تكليفاته المتنوعة ، التي توفر ما يبتغيه البحث الجغرافي المناسب ، عن استخدام الأرض · بل قل أيضا ان لا يمكن اعداد البحث الجغرافي أبدا ، دون العناية بالدراسة الميدانية التي تطالع استخدامات الأرض ، وتتعامل معها تعاملا عمليا مباشرا ، على الطبيعة في المساحة المعنية ·



الرحلة الجغرافية الميدانية ومستويات توظيفها في دراسة استخدام الأرض :

تستوجب دراسة استخدامات الأرض ، في المكان والزمان ، شيئا مهما من العمل الجغرافي العملي ، في الميدان · بل قل انها تستوجب من هذا العمل الجغرافي ، تعاملا مباشرا ، مع صور وأنماط استخدامات الأرض السائدة ، في المساحة المعنية · ويكون هذا التعامل المباشر ، مطلوبا من أجل تحليل الرؤية الجغرافية للاستخدام ، ومن أجل التعقيب على هذه الرؤية برأى جغرافي سديد ، عن مستوى هذا الاستخدام ومكانته في مكانه الجغرافي ، على صعيد المساحة المعنية · ومن ثم ينبغي أن تنظم الرحلة الجغرافية الميدانية ، التي تذهب الى الميدان في هذه المساحة المعنية ، لانجاز هذه المهمة الجوهرية ، لدراسة استخدام الأرض دراسة جغرافية مناسبة ·

وفي الاعتقاد الجغرافي المعاصر ، ان هذا التنظيم الجيد ، هو الذى يدعو الى أو الذى يستوجب ذهاب الرحلة الجغرافية الميدانية الى المساحة

المعنية ، أكثر من مرة ، من أجل دراسة استخدامات الأرض دراسة ميدانية جيدة • ولأن هناك اطار جامع ، يجمع وينسق ، بين مرات الذهاب والعودة التى تتكرر ، فينبغى أن نؤكد على استمرارية الصلة أو العلاقة بين مرات هذا التكرار ، الذى يكون له ما يبرره • بل قل أنه من خلال هذه الصلة أو هذه العلاقة ، تكون الرحلة الى المساحة المعنية ، رحلة جغرافية ميدانية واحدة • وتتأتى هذه الرحلة الجغرافية الواحدة ، على مراحل متوالية أو متعاقبة ، فى ترتيب أو فى تنسيق بديع • وفى كل مرحلة من هذه المراحل المتعاقبة ، تؤدى الرحلة الجغرافية الميدانية دورها الوظيفى المناسب ، على مستوى خاص ومتخصص ، لحساب الدراسة الميدانية عن استخدامات الأرض ، فى المكان والزمان •

وهناك حاجة بالفعل ، لأن تكون الرحلة الجغرافية الميدانية ، لدراسة استخدامات الأرض ، على مستويات متباينة ، عندما تذهب فى كل مرحلة من المراحل المتوالية الى المساحة المعنية • ومعنى ذلك ، انها تخرج فى كل مرحلة من المراحل ، خروجا يناسب الهدف الذى يحدد هذا المستوى المعنى ، ويجاوب الهدف الجوهرى الذى يتعين الخروج من أجله الى الميدان • وقل ان هناك ترتيبا متفق عليه ، لا يجوز أبدا اهماله أو تجاوزه ، حتى يتحقق الهدف من خروج الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى كل مرحلة من المراحل المتوالية ، الى الميدان • بل قل ان ترتيب هذا الخروج المتكرر ، الى المساحة المعنية ، فى كل مرحلة معينة ، هو جزء من حسن العناية الجغرافية ، بسياق ينساب فيه العمل الجغرافى العملى الميدانى ، فى الاتجاه الصحيح أو الموضوعى ، وصولا الى الهدف النهائى ، لحساب المسح الجغرافى الشامل ، الذى يغطى موضوع استخدام الأرض ، فى المكان والزمان •

وتتمثل المرحلة الجغرافية الميدانية ، التى يتكرر خروجها الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، وعلى مستويات متباينة ، فى ثلاثة رحلات متعاقبة ، هى :

١ ـ رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية •

٢ ـ رحلة تقصى الحقائق الجغرافية العملية •

٣ ـ رحلة استيفاء جمع المادة الجغرافية العملية •

وعلى الرغم من الترابط والترتيب بين هذه الرحلات ، وهى تتعاقب وتتكامل فى الخروج الهادف ، الى المساحة المعنية ، فان الخبرة الجغرافية

تعرف جيدا ماذا تريد أو ماذا تطلب ؟ من هذا الخروج فى كل مرة · وليس هناك زمن معين أو مدى زمنى محدد ، لفترة وجود أو استمرار الرحلة فى الميدان · وليس هناك أيضـا فاصل زمنى معلوم أو مدى زمنى معين ، للفصل بين كل رحلة من رحلات الذهاب المتكررة ، فى تنسيق بديع الى الميدان ·

هذا ، وقل قد يستوجب الدور الوظيفى ، المنوط بكـل رحلة معينة من هذه الرحـلات المتوالية والمتكاملة ، تـكرار الذهاب والعودة ، من غير حدود ، حتى تفرغ الرحلة فى كل مرة تماما ، من انجاز الهدف المرحلى · الذى تتوجه من أجله الى المسـاحة المعنية · وتكون المعاينة الجغرافية مثلا ، هى الهـدف الذى تتطلع اليه رحلة الزيارة التفقـدية · وتكون الدراسـة الجغرافية المتعمقة مثلا ، هى الهدف الذى تسعى اليه رحلة تقصى الحقائق الجغرافية عن أنمـاط استخدام الأرض · وتكون مهمـة الرحلة الجغرافية الميدانية الأخيرة متمثلة فى استيفاء أو فى استكمال بعض النقص أو التقصير وسـد الثغرات ، عند انجاز البحث الجغرافى عن استخدام الأرض ·

وحسب الترتيب المعمول به ، لخروج الرحلة الجغرافية الميدانية الخاصة ، فى كل مرحلة من هذه المراحـل المتوالية ، لا ينبغى أن تخرج الرحلة الى المساحة المعنية الا فى الوقت المناسب ، وفى الدور المناسب · بل قل انه لا مجال أبدا ، لتداخل بين رحلة جغرافية ميدانية فى مرحلة معينة ، ورحلة جغرافية ميدانية أخرى ، تسبقها أو تليها فى الترتيب · ومن المفيد - على كل حال - أن نلتمس الحـديث عن كل رحلـة جغرافية ميـدانية من هذه الرحـلات ، وهى تخرج فى موعدها المنـاسب ، وفى ترتيبها الصـحيح ، حتى نتبين ماذا تفعل وكيف تفعل فى شأن الهدف الذى يسعى اليه انجاز العمل الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض ·

الرحلة الجغرافية الميدانية والزيارة التفقدية :

بعد حسن تحديد المسـاحة المعنية التى يتعين دراسة أنماط استخدام الأرض ، فى ربوعها ، يعد الاجتهاد الجغرافى المعاصر العدة لرحلة الزيارة الجغرافية التفقدية · وربما يقدم على ذلك شـيئا من العناية بالاطلاع على المراجع والمصـادر ، أو التفرغ للانتفاع بالدراسـة المـكتبية · ومع ذلك يكون الاسـتعداد للرحلة التى تهيىء للبـاحث الجغرافى أن يزور المسـاحة المعنية ، هى شـغله الشـاغل · قل انه يكون على يقين دائمـا ، من قيمـة الدراسة الميدانية ، وهو يتعامل بوسائله المتنوعة لدراسة مكثفة تتمعن فى

أنماط استخدام الأرض ، ثم تعرج على حسن تقويمها وتحديد مستويات الانتفاع البشرى بها ، فى المكان والزمان .

والخروج في رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية ، لا يعنى أبدا ذهاب الباحث الجغرافى وحده أو منفردا الى المساحة المعنية . ذلك ان هذه الزيارة الميدانية ، لا تمثل جولة سريعة وكأنها نزهة تستهدف المتعة من خلال المعاينة . وقل انها زيارة عمل تفقدى ، تتعمد المعاينة والتعرف الجغرافي وتلتمس شيئا من التمعن من خلال هذه المعاينة . بل قل تشجب الجغرافية المعاصرة ، أو تستنكر - فى الغالب - رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية ، التي يقوم بها الباحث الجغرافى منفردا بذاته ، وانجاز أهداف هذا التفقد وهو يتمعن فى أنماط استخدام الأرض السائدة . كما تتشكك الجغرافية المعاصرة كثيرا ، فى جدوى نتائج العمل الجغرافى العملى ، عن استخدامات الأرض ، التى لا يشترك فى انجازها الفريق . بمعنى انها تعترض أصلا على التفرد فى انجاز العمل الجغرافى ، حتى فى حالة الزيارة الجغرافية التفقدية ، وتفضل اسناد هذه المهمة الى أكثر من جغرافى واحد .

وتكون رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية الى المساحة المعنية ، رحلة معاينة متأنية الى حد كبير ، وهى تطل وتحملق فى أنماط استخدامات الأرض . وقل ان محصلة هذه المعاينة ، لا تكاد تتجاوز طلب التعرف الجغرافى ، على الأنماط السائدة من استخدامات الأرض ، على صعيد المساحة المعنية . وهذا معناه بالفعل أن يطلب الجغرافى الزائر ، رؤية شاملة لأنماط استخدامات الأرض ، انتاجيا وسكنيا ، وخدميا ، على صعيد المساحة المعنية ، وفى اطار المنظور الجغرافى الشامل ، فى المكان والزمان . بل قل ، تستوجب هذه الرؤية أو هذه المعاينة ، أن يتحلى الجغرافى الزائر بمهارات العين الجغرافية الخاصة المتخصصة ، فضلا عن ذكاء الحس الجغرافى المتفتح ووعيه وحسن تذوق هذه المعاينة .

ويتعين على هذه العين الجغرافية التى تجاوب ذكاء الحس الجغرافى ووعيه ، أن تستوعب خصوصية الاستخدامات السائدة فى المساحة المعنية ، فى عمومية المنظور الجغرافى الشامل . ويسعف الطواف المتأنى هذا الاستيعاب الذى لا يتحقق من غير التمعن الهادىء فى المنظور الجغرافى على صعيد المساحة المعنية وفى محتواه من أنماط الاستخدامات المتنوعة . ويستمر هذا الطواف المتأنى فترة من الوقت ، حتى تشبع العين الجغرافية من

المعاينة ، ويفرغ ذكاء الحس الجغرافى ووعيه ، من استيعاب ما تحدث عنه هذه المعاينة • ولا ينبغى أن يكون الرجوع من المساحة المعنية أبدا ، الا بعد التيقن من بلوغ الغاية أو الهدف الجغرافى المرحلى ، الذى تبتغيه الزيارة الجغرافية التفقدية •

وصحيح ان خطوات هذا الطواف والزيارة الجغرافية التفقدية فى طلب المعاينة على صعيد المساحة المعنية ، تضع الاجتهاد الجغرافى ، فى مواجهة صريحة وكاشفة مع المنظور الجغرافى الشامل • ويتسنى للعين الجغرافية الماهرة أحيانا أن ترقب الصلة بين هذا المنظور الجغرافى والاستخدامات السائدة • كما يتسنى لذكاء الحس الجغرافى ووعيه أحيانا أخرى ، أن يستشعر الاهتمامات البشرية بهذه الاستخدامات السائدة ، فى أنحاء المساحة المعنية •

وصحيح أيضا ، ان وضوح وحسن بيان المنظور الجغرافى ، ووضوح وحسن بيان أنماط الاستخدامات فى اطار هذا المنظور الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، يضع الاجتهاد الجغرافى ، فى حالة تأهب أو استعداد لاستيعاب ما تحدث عنه هذه المعاينة الجغرافية • ويتسنى للعقل الجغرافى أن يتذوق ما تنبىء به هذه المعاينة ، تذوقا جغرافيا ، خاصا ومتخصصا • كما يتسنى للتفكير الجغرافى أن يستغرق فى هذا التذوق الجغرافى المتخصص • وهو هدف جوهرى من أهداف الزيارة الجغرافية التفقدية وطوافها المتأنى ، فى أنحاء المساحة المعنية •

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو بلوغ الغاية أو تحقيق الهدف من بعد استيعاب ما تحدث عنه المعاينة ، أثناء الزيارة الجغرافية التفقدية • وهذه الغاية أو هذا الهدف النهائى ، هو الذى يسعف الاجتهاد الجغرافى ، ويزوده بزاد جغرافى مناسب ، يرشد التجهيز الجيد والاعداد المناسب ، لخروج الرحلة الجغرافية الميدانية فى المرحلة التالية الى المساحة المعنية • بل قل ان هذا الزاد الجغرافى الذى تفضى اليه المعاينة وحسن استيعاب ما تحدث عنه ، يبصر اجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، لحساب جمع المادة الجغرافية الخام وتقصى الحقائق الجغرافية عن أنماط استخدامات الأرض ، فى المكان والزمان •

ويتمثل هذا الهدف الأولى ، الذى تسفر عنه رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية ، وهى تطوف وتعاين المنظور الجغرافى ، أو وهى تعاين وتستوعبه

أنماط استخدام الأرض ، فى توفير ، أو فى تهيئة الأسس السليمة التى ترشد الاجتهاد الجغرافى ، فى دراسة موضوع استخدام الأرض ، ولا تخذله أبدا • ويمكن أن نتبين أبعاد هذا الترشيد ، فى قضية الاختيار وحسن نشكيل أعضاء الفريق المتعاون فى الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض ، وفى قضية التخطيط وحسن وضع الاطار العام والبرامج التى تغطى الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض •

وهذا معناه ان بلوغ الغاية الحقيقية من الزيارة الجغرافية التفقدية ، ترشد اختيار أعضه الفريق المتعاون ، وتحدد مواصفات التخصص الدقيق اللازم توافره فى كل عضو من أعضاء هذا الفريق • كما تبصر هذه الغاية ، وضع الخطة اللازمة فى اطار منضبط ، قبل خروج رحلة تقصى الحقائق الجغرافية عن استخدام الارض الاجتهاد الجغرافى فى ثلاثة مسائل هى :

١ - وضع برامج العمل الجغرافى الميدانى التى تلتمس دراسة أنماط الاستخدامات وحسن الحكم عليها وتقويمها لحساب الانسان •

٢ - تجهيز واعداد الأدوات والمعدات والاستبيانات اللازمة ، لتنفيذ برامج العمل الجغرافى العملى فى المساحة المعنية ، عن استخدامات الأرض •

٣ - حسن توزيع تكليفات العمل الجغرافى العملى الميدانى وبرامجه على الشركاء فى فريق العمل المتعاون •

واضافة الى ذلك كله ، تفضى الرحلة الميدانية ، بعد الانتهاء من الزيارة التفقدية للمساحة المعنية ، ومعاينة استخدامات الأرض ، الى حسن توجيه الاجتهاد الجغرافى وعودته من جديد الى شىء مهم من حسن الاطلاع على المراجع وانجاز ما ينبغى انجازه على مستوى الدراسة المكتبية • وما من شك فى ان التزود من معين الدراسة المكتبية ، يكون يعد رحلة الزيارة التفقدية على بصيرة ووعى • بل قل ان هذا الزاد الجغرافى المكتبى ، يشد أزر الاعداد الجيد لرحلة الدراسة الميدانية وتقصى الحقائق الجغرافية عن أنماط استخدامات الأرض •

وهكذا ، يسفر بلوغ الغاية من الزيارة الجغرافية التفقدية ، عن وضع جغرافى سليم ، فى طلب الهدف الجغرافى الموضوعى عن دراسة استخدام الأرض • وبناء على الوضع الجغرافى السليم ، يبدأ الاستعداد الفعلى

لانجاز التجهيزات الأساسية ، لخروج رحلة تقصى الحقائق الجغرافية الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية ·

تشكيل الفريق المتعاون وتكليفات العمل عن أنماط استخدامات الأرض :

نعود ونكرر مبلغ حرص الجغرافية المعاصرة ، على العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى ينجزه الفريق ، عندما يكون المطلوب ، هو دراسة جغرافية عن أنماط استخدامات الأرض ، فى المكان والزمان · وفحوى هذا الالحاح على العمل الجماعى والتحلى بروح الفريق ، لم يكن غريبا أبدا ، على الساحة الجغرافية ، بين زملاء الصف والانتماء الجغرافى المتخصص · ويكفى أن تتنوع الاستخدامات ، لكى تشمل الاستخدام الذى يغطى الانتاج ، والاستخدام الذى يغطى السكن والاستيطان والايواء ، والاستخدام الذى يغطى الخدمات المتنوعة ، حتى يتأتى المبرر القوى لاشتراك أكثر من متخصص جغرافى فى دراسة موضوع استخدام الأرض واجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، لحساب هذا الموضوع المتخصص ·

وهناك مبرر قوى آخر ، يبتنى على أساس الاهتمام الجغرافى من غير حدود ، بالانفتاح الجغرافى الحميد ، على العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية، لكى تبرهن الجغرافية على انها علم بينى — كما قلنا — تعرف كيف تأخذ المناسب من نتائج العلوم وتصبح وكأنها جزء من المادة العلمية الخام التى تدخل فى نسيج البحث الجغرافى بصفة عامة ، وفى نسيج البحث الجغرافى عن استخدام الأرض بصفة خاصة · واستجابة لهذا المبرر القوى الذى يجاوب منطق وروح وفلسفة الانفتاح الجغرافى ، يكون الاقدام المطمئن على اشراك بعض العناصر العلمية المنتخبة ، فى صف واحد مع أعضاء الفريق المتعاون فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، عن موضوع استخدام الأرض ·

ومثل هذا التوجه الجغرافى الذى يحشد أو يجمع فى صف واحد أو فى فريق واحد ، بين المتخصصين الجغرافيين والمتخصصين العلميين غير الجغرافيين ، يستوجب مهارة فى حسن الاختيار ، وفى وضع ضوابط ينبغى أن يلتزم بها هذا الاختيار · ومن بين هذه الضوابط ، استعداد المتخصص العلمى غير الجغرافى وحسن اقباله على الاشتراك فى الفريق ، دون ضغوط مادية أو معنوية · ومن بين هذه الضوابط أيضا ، حسن استعداد الشريك المتخصص العلمى غير الجغرافى ، لاكتساب مهارة العين الجغرافية وهى تعاين ، ومهارة التذوق الجغرافى وهو يعمل ويختبر ويقوم ، الاستخدام السائد فى الميدان ·

ويكون التطلع في هذا الاختيار الدقيق ، الذى يجمع شمل الفريق المتعاون ، وينسق فى الدراسة الميدانية عن استخدامات الأرض فى المساحة المعنية ، موجها بعناية شديدة ، الى طاب وحسن توظيف والانتفاع المباشر وغير المباشر ، ومهارات واجتهاد ونتائج عمل المتخصص الجغرافى والمتخصص الآخر غير الجغرافى • كما يكون هذا التطلع فى هذا الاختيار الحميد ، موجها بعناية أشد نحو سبل التماس الكيفية التى تدخل بها اسهامات الشركاء فى الفريق تداخلا سايما ومنطقيا وموضوعيا ، فى توليفة البحث الجغرافى عن استخدامات الأرض فى المساحة المعنية •

واضافة الى هذا التدقيق المناسب فى اختيار عناصر الفريق من الجغرافيين ومن غيرالجغرافيين ، تمتد يد الاختيار أيضا الى عناصر معينة ، ينبغى أن تكون فى صحبة الفريق ، عند الخروج الى المساحة المعنية • ويقع هذا الاختيار على حشد جامع من العمالة الفنية المدربة على العمل الجغرافى الميدانى لمباشرة وانجاز البرامج العملية فى الميدان • كما يقع هذا الاختيار أيضا على حشد آخر من العمالة غير الفنية ، لكى توفر الخدمات العامة والخاصة ، لحساب العمل أحيانا ، ولحساب أفراد الفريق أحيانا أخرى • واذا كانت المهارة الفنية هى التى تزكى العناصر الفنية ، فان أهم ما يزكى العناصر غير الفنية ، هو الشهادة لها بالنشاط والأمانة والذكاء وحسن الاستجابة المباشرة للتعليمات •

وهكذا يبدو الاهتمام الجغرافى المناسب الذى يدقق فى اختيار كل عناصر الفريق المتعاون • بل قل ان هذا الاهتمام الجغرافى الذى يبرهن على منتهى العناية بالدراسة الميدانية عن استخدامات الأرض فى المساحة المعنية ، يتمادى وهو يدقق فى هذا الاختيار الجيد ، وصولا الى :

١ - طبيعة تشكيل الفريق المتعاون ، وحسن جمع واختيار العناصر المتخصصة والعناصر الفنية والعناصر غير الفنية ، فى منظومة متفاهمة تفاهم العازفين فى الفريق الموسيقى ، ومقبلة بتفتح على انجاز العمل الجرافى الميدانى عن استخدامات الأرض فى المساحة المعنية •

٢ - طبيعة وماهية التعاون العملى الميدانى المشترك ، فى حسن توزيع التكليفات ، وفى أداء العمل الجغرافى الميدانى على مستوى الفرد أحيانا وعلى مستوى الجماعة أحيانا أخرى ، بكل التنسيق ، حتى تخيم عليه وعلى نتائجه روح الفريق ، لحساب الدراسة الميدانية الأجدى والأكثر انفتاحا وتفتحا عن استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية •

وهكذا تبرهن الجغرافية المعاصرة على حسن منطق وفلسفة الانفتاح الجغرافى ، وتهتم بتوسيع قاعدة الاشتراك التخصصى فى تشكيل الفريق المتعاون ، فى الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى مرحلة تقصى الحقائق عن أنماط استخدام الأرض • ويكون هذا التوسيع فى هذه القاعدة ناجحا وموفقا ، لحساب هذه الدراسة الميدانية ، كلما تحلى الجغرافى بقدرات أكبر فى مجال حسن اختيار عناصر الصحبة من الصفوة العلمية المتخصصة • كما ينبغى أن يتحلى الباحث الجغرافى بعد ذلك كله ، بقدرة على حسن قيادة الفريق المتعاون ، وحسن توزيع برامج العمل الميدانى ، عن أنماط استخدامات الأرض ، على عناصر هذه الصحبة المتخصصة •

وصحيح ان اختيار العناصر من صفوة المتخصصين فى الجغرافية ، أو فى العلوم الطبيعية ، أو فى العلوم الانسانية ، للاشتراك فى تشكيل الفريق ، يقع على عاتق الباحث الجغرافى ، الذى يقود هذا الفريق ، ويتولى توزيع وتنسيق مسيرة العمل الجغرافى العملى ، عن أنماط استخدامات الأرض •

وصحيح أيضا ، ان هذا الباحث الجغرافى قائد الفريق المتعاون ، يكون مسئولا بعد شىء من التشاور مع الصفوة المشاركة له ، عن حسن اختيار العناصر المدربة الأنسب ، من الفنيين ، وضمهم الى تشكيل الفريق •

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو ضرورة التزام الباحث الجغرافى القائد التزاما قاطعا ، بدواعى أو بضوابط الاختيار ، التى تكاد تتفاوت وتتنوع ، من رحلة جغرافية ميدانية لدراسة استخدامات الأرض ، فى المكان والزمان ، الى رحلة جغرافية ميدانية أخرى لدراسة استخدامات الأرض فى المكان والزمان الآخر • وهذا هو عين ما يعبر عن معنى ومغزى تحرير مسألة تشكيل الفريق من الوقوع فى خطيئة القوالب الجامدة •

ولأن أنماط استخدامات الأرض فى المكان والزمان ، تكون قابلة للتغير بفعل المتغيرات ، من مكان الى مكان آخر ، ومن زمان الى زمان آخر ، تبدو الحاجة الحقيقية الى تحرير تشكيل الفريق المتعاون من جمود القوالب الجامدة • وهذا التحرير فى تشكيل الفريق ، هو الذى يوفر التشكيل المناسب لدراسة استخدامات الأرض دراسة جيدة ومناسبة ، فى المكان والزمان • بل قل انه هو الذى يضم العناصر التى تشارك بالفعل فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، ويستبعد العناصر التى لا يتوقع منها أن تشارك

فى هذا العمل ، فى المكان والزمان • وما من شك فى أن الانطباع الذى تكون رحلة الزيارة الجغرافية قد انتهت اليه ، هو الذى يبصر هذا التوجه الجغرافى فى قضية تشكيل الفريق ، الى هذا الضم أو الى هذا الاستبعاد ، استجابة لحاجة العمل الميدانى فى المساحة المعنية •

ولأن أنماط استخدامات الأرض فى المكان والزمان ، هى محصلة العلاقة الحميمة ، بين الأرض والعناصر التى تصطنع وترسخ خواصها ، وتهيىء لها أن تضبط وتضبط فى مواجهة الانسان من ناحية ، والانسان ومهارته التى تصطنع وسائل استخداماته الحضارية ، وتهيىء له أن يضبط وينضبط فى مواجهة الأرض من ناحية أخرى ، ينبغى أن يضم تشكيل الفريق المتعاون :

١ – نخبة من أصحاب التخصصات العلمية الجغرافية ، التى تعالج فى عمق طبيعة الأرض وخواصها ومتغيراتها ، ونخبة أخرى من أصحاب التخصصات الجغرافية ، التى تعالج فى عمق حضور الانسان وتعايشه ذات العلاقة بأنماط استخدامات الأرض ، مع الطبيعة على صعيد الأرض •

٣ – نخبة من أصحاب التخصصات العلمية الطبيعية والعلمية الانسانية ، ذات العلاقة غير المباشرة بأنماط استخدامات الأرض السائدة •

ويحدد الغرض من أصحاب هذه النخبة المتنوعة ، واشراكهم فى تشكيل الفريق المتعاون ، سبل توجهات الاختيار المناسب ، وكيفية الانتفاع الفعلى بخبراتهم ومهاراتهم ، فى انجاز الدراسة الميدانية ، عن أنماط استخدامات الأرض ، فى المكان والزمان • ومن ثم ينبغى أن نفهم جيدا ، كيف لا يجب أن يتخذ تشكيل الفريق المتعاون شكلا ثابتا أو جامدا لا يتغير • بل قل ان هذا التشكيل يكون مرنا كل المرونة ، ويكاد يتغير تغيرا ملحوظا ، حسب ما تمليه خواص ومواصفات وأنماط الاستخدامات السائدة ، التى تتغير من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر •

وتشاور أعضاء الفريق المتعاون من نخبة المتخصصين الجغرافيين ، مع قائد الفريق ، تشاورا موضوعيا ، هو الذى يرشد حسن انتخاب أو اختيار نخبة من المتخصصين العلميين ، وضمهم الى تشكيل الفريق • كما يرشد التشاور بين أعضاء الفريق المتعاون بصفة عامة ، حسن اختيار عناصر العمالة الفنية وغير الفنية ، وخروجهم فى معية الفريق المتعاون ، عند القيام بالرحلة

الجغرافية الميدانية ، في مرحلة تقصي الحقائق الجغرافية ، واجـراء الدراسة الميدانية عن أنماط استخدامات الأرض ، في المساحة المعنية ·

وتعلق الجغرافية المعاصرة أملا كبيرا ، على ما يمكن ان تسفر عنه توجهات الانفتاح الجغرافي ، من نتائج جغرافية أفضل · وقل تكون المصلحة الجغرافية، في التفتح الشديد ، وحسن الاخذ والتشاور وتبادل الرأى العلمى والعملي ، بين الصفوة المنتخبة من أعضاء الفريق المتعاون ، في الدراسة الميـــدانية ، مصلحة حقيقية ، لانها تحقق دواعي تجديد البحث الجغرافي عن استخدامات الأرض ، ورسم الخرائط الجيـــدة التى تجسد أو تعبر عن توزيـــع هـــذه الاستخدامات في المساحة المعنية · بل قل تهيمن في ظل تشكيل الفريق ، وتسيطر أو تسود روح الفريق ، حتى يتوفر المناخ العلمى والعملي المناسب ، لانجاز المهام الميدانية عن أنماط استخدامات الأرض في المكان والزمان ·

وبعد ذلك كله ، يدرك الاجتهاد الجغرافي المعاصر جيدا ، قيمة أو جدوى التفتح الجغرافي الحميد ، ويثق كثيرا من غير حدود ، في أن نجاح عمل هـــذا الفريق المتعاون وغير المتجانس ، يظل أو يبقى معلقا على شرطين جوهريين · وهذان الشرطان الجوهريان هما :

١ ــ شرط يحدث ولا يسكت أبدا ، عن حسن تصدى الجغـرافي لقيادة الفريق، وهو المسئول أولا وأخيرا ، عن حسن توزيع العمل على أعضاء الفريق، والاسهام المباشر أو غير المباشرفيانجازه ، في المساحة المعنية ، وعن جمـــع النتائج النهائية ، وتصنيفها التصنيف الانسب ، واضـــافتها الى الرصيد الجغرافي عن أنماط الاستخدامات السائدة ·

٢ ــ شرط آخر يحدث ولا يسكت أبدا ، عن حسن انفتاح قنـــوات الاتصال والانفتاح والاستعداد للأخذ والعطاء ، وتنفيذ العمـــل الجغـــرافى العملي ، تنفيذا تخيم عليه روح الفريق ، فيسدد خطوات هذا التعاون العلمى العملي ، حتى يتسنى انجاز العمل الجغرافي العملي الانسب ، بل قل الأجدى والأكثر تغلغلا في كنه وماهية توجهات أنماط استخدامات الأرض في المساحة المعنية ·

وترى الجغرافية المعاصرة وهى صادقة ، ان اسناد قيادة الفريق العمل الجغرافي المتعاون في دراسة أنماط استخدامات الأرض ، الى صاحب الخبرة

والمهارة الجغرافية فى موضـــوع استخدام الارض ، مسئولية جسيمة • ولا تنشأ هذه المسئولية أبدا من فراغ ، ولا تنتهى أبدا من غير غاية • وقل ان هذا الوضع الصعب ، الذى يكلف الخبرة الجغرافية المتخصصة فى استخدام الأرض ، أكثر مما يشرفها ، هو مسئولية صعبة وأمانة غـــالية ، لا ينبغى التهرب منها أبدا • ولا يتأتى هذا الاسناد أو هذا التكليف ، الا على أساس ، ما يتمتع به الجغرافى المنتخب ، من مهارات ، أو ما يكون قد اكتسبه مـــن خبرات فى دراسة استخدام الأرض وتخصصاتها الدقيقة • ويبـــدو هـــذا التخصص الدقيق مطلوبا بالحاح فى :

١ ـ حسن تنسيق العمل الجغرافى العملى الجماعى الميدانى ومتابعتـــه التنفيذ ، وضبط ايقاعات التحرك والانتشار فى أنحاء متفرقة ومنتخبة فى المساحة المعنية ، وضبط وتنظيم حركات التجمع والالتقاء والمراجعة بعد انجاز العمل اليومى فى الميدان •

٢ ـ حسن تقويم جدوى العمل الجغرافى الميدانى ، ومتابعة التقـــدم المستمر ، وحصر الرصيد المتراكم من المعلومات والنتائج والمادة الخام ، وهى تتوالى وتتراكم تباعا ، من مواقع العمل المنتخبة بعناية شديدة عـــلى صعيد المساحة المعنية •

٣ ـ حسن التحلى بالقدرات الجغرافية المناسبة ، فى مجالات التحليل والتركيب ، وحسن الاستعداد الفورى لاستيعاب معنى ومغزى الرصـــيد الجغرافى المتراكم فى الجعبة ، حتى يصبح فى وسعه صياغة أو صنع التوليفة الجغرافية المناسبة عن انماط استخدامات الارض ، من خلط وتداخل ماهر وسديد ، بين نتائج العمل الجغرافى الميدانى الذى ينجزه المتخصص الجغرافى وشريكه المتخصص العلمى •

٤ ـ حسن التحلى بالقدرات والمهارات فى التقويم الجغرافى لانمـــاط الاستخدامات السائدة ، وتحديد مستوى هذا الاستخدام ، حتى يتحقق الرأى الجغرافى الذى يرشد تحسين هذا المستوى ورفع كفـــاءة الاستخدام ، دون الخروج عن أو دون تجاوز حد الصواب اقتصاديا أو اجتمـــاعيا أو سياسيا أو حضاريا •

ووضع المتخصص الجغرافى على رأس الفريق المتعاون وتكليفه ، لا يعنى أبدا قيادة اشرافية مؤقتة ، أثناء رحلة العمل الجغرافى العملى الميدانى فقط ،

ولا يعني أبدا مسئولية محدودة منتهية ، بل قل انها قيادة تكليف مستمر واشراف ضروري ، وليس تشريف أبدا ، حتى يفرغ الفريق المتعاون ، تماما من جمع أوصال العمل الميداني • وينبغي أن يوظف القائد الجغرافي مهاراته في العمل جنبا الى جنب مع رفاقه • فلا يجب أن يغيب أو أن يمتنع أو أن يتهرب من العمل الجغرافي الميداني ، حتى يوظف مهاراته في التركيب والتحليل ، ويتسنى له صياغة الموضوع الشامل ، الذي يعالج دراسة أنماط الاستخدامات السائدة •

وانهاء هذا التكليف بقيادة الفريق المتعاون في الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، لا يكون أبدا الا عندما ينتهي العمل الميداني كله • ويتفرغ الجغرافي لاخراج البحث الجغرافي والخرائط الجغرفية عن أنماط استخدامات الأرض• وهو وحده صاحب المهارة، الذي يعرف أو الذي يجيد بها ، كيف تكون الصيغة أو كيف تكون التوليفة ، التي تلملم أوصال ونتائج العمل الجغرافي الميداني ، وأصال نتائج العمل الجغرافي المكتبي ، وتدخلها تداخلا بديعا في نسيج البحث عن استخدامات الأرض • كما يعرف ويجيد ترشيد الرسام الذي يتولى توقيع البيانات المناسبة على خرائط استخدامات الأرض في المساحة المعنية • وما من شك في أن المهارة الجغرافية في صياغة الحبكة الجغرافية في المكان ، وفي حسن انسياب التعبير الجغرافي في الزمان ، وفي تجويد العرض الجغرافي على الخريطة عن أنماط الاستخدامات المتنوعة ، كلها أمور جوهرية ، لا يتقنها ولا يتألق في حسن صنعها أبدا ، الا الجغرافي المتخصص تخصصا دقيقا في استخدام الأرض •

وقد يستحق هذا المتخصص الجغرافي في استخدام الأرض ، شيئا مناسبا من الثناء والاطراء ، بعد انجاز المهمة ، وهو في نفس الوقت لا يحرم الشركاء معه ولا يحجب عنهم أبدا ، حظهم أو نصيبهم من حق ثابت في الشكر والثناء • بمعنى أن من يسهم بعمله الميداني ، في جمع الأوصال والتفاصيل والمادة الخام من المساحة المعنية عن أنماط استخدام الأرض السائدة ، يستحق شيئا كثيرا من التقدير والثناء ، وان من يعكف على رسم الخريطة وتوقيع توزيعات انماط الاستخدامات السائدة في أنحاء المساحة المعنية ، يستحق شيئا كثيرا من الثناء أيضا • وأخيرا يستحق الجغرافي المتخصص في استخدام الأرض ، وهو الذي يتفرغ لاعداد البحث أو لدراسة النهائية ، فيصور أنماط الاستخدامات ، ويقومها ويكشف عن جدواها ، ويوصي بتحسين مستوياتها ، يستحق نصيبا كاملا من الثناء •

خطة العمل الجغرافى الميدانى عن استخدامات الأرض :

اذا كان الانطباع الجغرافى عن أنماط استخدامات الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، بعد العودة من رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية فى الميدان ، يرشد اختيار أعضاء الفريق المتعاون والعمل الفنية المعاونة، فان هذاالانطباع الجغرافى نفسه مع شىء من الاطلاع الجغرافى الذى يتيسر أثناء الدراسة المكتبية ، يبصر ويسدد وضع خطة العمل الجغرافى ، لاجراء الدراسة الميدانية عن أنماط استخدامات الأرض • ولا يكون الذهاب الى المساحة المعنية ، من أجل تقصى الحقائق ، وانجاز العمل الجغرافى العملى الميدانى أبدا ، قبل وضع هذه الخطة فى أحسن حبكة تناسب المكان ، وفى أفضل سياق يناسب الزمان•

وصحيح ان الباحث الجغرافى المتخصص ، هو الذى يستوعب الاطلاع الجغرافى على المراجع والمصادر ، وهو الذى يباشر أو يلتمس الانطباع الجغرافى عن استخدامات الأرض فى المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • وصحيح أيضا ، ان هذا الباحث الجغرافى الذى يقود الفريق المتعاون ، يمتلك الخبرات الجغرافية اللازمة التى تؤهله تأهيلا مناسبا ، لوضع خطة العمل الجغرافى العملى ، من أجل دراسة ميدانية شاملة ، تكشف عن الوجه الصحيح لأنماط استخدامات الأرض ، وتقويمها لحساب الانسان فى المكان والزمان • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو انه لا يطاوع نفسه ، ولا يقدم أبدا على وضع هذه الخطة ، وصياغة تفاصيل برامج العمل الجغرافى العملى ، دون التشاور الهادىء وتبادل الرأى مع بعض أو كل أعضاء الفريق المتعاون الذين وقع عليهم الاختيار من قبل •

ويبدو أن معاينة أنماط استخدامات الأرض ، والوقوف أمامها وجها لوجه فى المساحة المعنية ، بعد شىء من الاطلاع على ما تحدث عنه المراجع والكتابات الجغرافية وغير الجغرافية وحده ، لا يكفى ـ فى الغالب ـ لوضع خطة العمل الجغرافى الميدانى ، يستقل فيها قائد الفريق المتعاون برأيه الخاص • ويكون التشاور وتبادل الرأى مع أعضاء الفريق ، خطوة مهمة من الخطوات التى تتعمد على ترسيخ معنى ومغزى روح الفريق • ويجرى هذا التشاور المفيد ، الذى لا ينبغى الاحجام عنه أو التفريط فى معطياته ، فى شىء كثير من التانى الهادىء مع من يهمه الأمر من أعضاء الفريق أحيانا ، أو مع كل الفريق المتعاون أحيانا أخرى • ويدور هذا التشاور ، فى حوار وجدل موضوعى مناسب ، حول عدد من القضايا الجوهرية • ويكون الهدف الحقيقى من هذا التشاور ، الوصول السليم الى الرأى السديد ، الذى ينبغى الالتزام

به ، عند مباشرة وضع هيكل واطار وعناصر وتفاصيل خطة العمل الجغرافى العملى الأنسب ، لدراسة أنماط استخدامات الأرض ، فى المساحة المعنية ٠

وتبدو القضايا الجوهرية محل التشاور ، أو التى يغطيها الحوار والجدل الموضوعى ، كثيرة ومتنوعة ٠ وهى - من غير شك - التى تمثل الشغل الشاغل ، الذى يشغل ويهم الاجتهاد الجغرافى ، لضبط وتنظيم وتنسيق الدراسة الميدانية المناسبة ، عن أنماط استخدامات الأرض وحسن تقويمها الجغرافى ٠ وتتمثل هذه القضايا الجوهرية فى :

١ - قضية التوجه بالرحلة الجغرافية الميدانية الى المساحة المعنية ٠

٢ - قضية ضبط وتنظيم اهتمامات الاجتهاد الجغرافى بالمسح الجغرافى الذى يغطى أنماط استخدامات الأرض ، فى المساحة المعنية ٠

وعن **قضية التوجه الى الميدان** ، يدور الحوار ويكون التشاور ، ليس لكى يتحدد موعد الذهاب ، أو الانطلاق الى المساحة المعنية فقط ، بل لكى يتسنى الاتفاق الجماعى ، على نمط الوجود أو البقاء فى الميدان ٠ وتكون المفاضلة فى اختيار مناسب للعمل ، بين الوجود المستمر على مدى فترة زمنية مناسبة ، الى حين الانتهاء من اجراء وتنفيذ برامج العمل الجغرافى العملى دفعة واحدة ، أو الوجود المتقطع غير المستمر ، حيث يتكرر الذهاب والعودة ، من والى المساحة المعنية ، حتى يتسنى الانتهاء من برامج العمل الجغرافى العملى ، على دفعات متعددة ومتعاقبة ٠ ومن ثم تكون خطة عمل واحدة ، تضم تنظيم العمل فى كل المراحل المتعاقبة ، وتكفل انجازه على دفعة واحدة أحيانا ٠ وتكون أحيانا أخرى ، مجموعة خط متعددة ، تتكامل حسب دواعى تكرار الذهاب والعودة ، الى المساحة المعنية ، واجراء برامج العمل والمسح الجغرافى لانماط الاستخدامات على دفعات أو على مراحل متوالية ٠

ولا يكون هذ الاختيار ، أو هذه المفاضلة عشوائية أو اعتباطية ، دون مبررات منطقية ٠ بل قل هناك دواعى وعوامل ومبررات متنوعة ، ينبغى أن توجه هذا الاختيار أو هذه المفاضلة ، بين استمرار وخطة عمل تخدم هذا العمل الجغرافى المستمر فى المساحة المعنية ، أو عدم الاستمرار وتفضيل الذهاب والعودة ، فى خدمة العمل الجغرافى الميدان المتقطع ، حتى ينتهى ويتكامل فى الميدان ٠ وتقف وراء هذا الاختيار ، عوامل كثيرة ، نذكر منها قدرة أعضاء الفريق المتعاون على التفرغ دون موانع أو متاعب للعمل الجغرافى الميدانى ٠

كما نذكر منها أيضا ، مبلغ توفر امكانيات الاقامة المستمرة أو غير المستمرة ، في المساحة المعنية • وأضف الى ذلك كله حاجة العمل الجغرافي العملي الميداني نفسه عن استخدامات الارض ، ومبلغ استجابته لان يتجزأ ، أو لأن يتم على مراحل متباعدة ، دون أن يتضرر اجراء العمل أو أن يتعذر جمع الحصاد وحصر الرصيد من البيانات المطلوبة عن أنماط استخدامات الارض •

واحتواء خطة العمل الجغرافي الميداني ، البرامج المرحلية اللازمة لانجاز المهام المتعددة والمتنوعة عن استخدامات الارض ، في المساحة المعنية ، على دفعة واحدة ، أثناء الاقامة المستمرة في الميدان ، هو التوجه الاعتيادي الذى لا يحتاج الى تعليق • ولكن توزيع العمل الجغرافي العملي الميداني على عـــدد من المراحل حتى يتسنى انجازه على دفعات متوالية ، هو الذى يستوجب شيئا كثيرا من الاهتمام الجغرافي ، بحسن التنسيق وضبط ايقاعات العمل ، بين مجموعة الخطط التي ينبغي أن يتكامل بها انجاز العمل الجغرافي العملي كله في الميدان عن استخدامات الأرض • بمعنى أن توضح هذه الخطط في الشـــكل والمضمون ، لكي تتكامل تكاملا جيدا ، ويؤدى انجاز العمل الجغرافي الميداني في مرحلة ، الى حسن متابعة الانجاز الميداني في المرحلة التالية • وفي مثـل هذه الحالة الاستثنائية ، يكون من الضرورى ، لضمان حسن سير وانضباط وتنظيم العمل الجغرافي الميداني ، على هذا النحو المتقاطع أو غير المستمر ، التأني الشديد في تقسيم وتصنيف وتركيب العمل الجغرافي ، حتى يتسنى الحفاظ على نسق مناسب أو في التعاقب من ناحية ، وحصر عداد المراحل أو المرات التي يتكرر فيها الذهاب والعودة الى المساحة المعنية من ناحية أخرى•

وعن قضية الاهتمام الجغرافي بالمسح الجغرافي الذى يغطى أنمـــاط الاستخدامات المتنوعة في المساحة المعنية ، نذكر مسألة ضبط وتنظيم هذا المسح • ويشمل هذا الضبط والتنظيم ، شيئا من العناية بتوزيع أنمـــاط الاستخدامات وتعليل هذا التوزيع أو الانتشار الافقي عـــلى صعيد المساحة المعنية • كما يشمل أيضا ، قدرا من العناية بالصلة أو بالربط الموضـــوعى بين مسارات التنوع في الاستخدامات من ناحية ، ودواعي التكامل بينها من ناحية أخرى • هذا بالاضافة الى الاقدام الجغرافي الرشيد على تقويم جغـرافي جيد ، يحسب حساب أنماط الاستخدامات ومستواها وجدوى الاجتهاد البشرى الذى يعمل من أجل الانتفاع بها • ومن خلال هذا كله ، تضمن خطة العمل الجغرافي العملي أولا حسن بيان ووضوح رؤية أنماط الاستخدامات على صعيد المساحة المعنية ، وحسن أبدأ الرأى عن هذا الموضوع الجغرافي في متـــابعة

أنماط الاستخدامات المتنوعة ، فى المكان والزمان ، ثانيا •

هذا ، وينبغي أن توضع خطة العمل ، وهى تتضمن برامج العمل الجغرافى الميدانى ، لكى تبدو وكأنها مسئولة عن حسن تفكيك أوصال المنظور الجغرافى السائد لانماط استخدامات الأرض ، أو عن حسن التماس خيوط العناصر الجغرافية المتداخلة ، فى نسيج الرؤية الجغرافية لانماط الاستخدامات السائدة ، فى أنحاء المساحة المعنية • بمعنى أن يكون اجراء العمل الجغرافى الميدانى ، على النحو الذى يكفل الاستدلال الجيد على مكونات المنظور الجغرافى لانماط الاستخدامات السائدة • وهذا الاستدلال هو الذى يسعف البحث والتحرى عن حصص هذه العناصر المشتركة فى صياغة الانماط المتنوعة من استخدامات الأرض ، وعن حسن تقويمها •

ومن ثم لا يكون التشاور والحوار بين أعضاء الفريق المتعاون ، حول هذه القضية مفيدا لضبط وحسن تنظيم الاهتمامات الجغرافية ، التى تلتمس حسن بيان انماط الاستخدامات السائدة فى المساحة المعنية فقط ، بل يكون هذا الحوار والتشاور أكثر جدوى فى تحديد توجهات العمل الجغرافى العملى عنها وبرمجته ، وفى حسن توجيه وتوزيع التكليفات العملية التى تعهد لكل عضو فى الفريق ، بنصيب مناسب من العمل الجغرافى العملى الميدانى • ويلتزم العضو بانجاز هذا العمل ، فى تناغم جيد وحسن تنسيق عملى ، بين انجازات الأعضاء مع مضى أو مع تقدم معدلات التنفيذ العملى فى المساحة المعنية ، من مرحلة عمل ميدانى الى مرحلة عمل ميدانى أخرى •

وينبغى أن يتمادى هذا التشاور الحميد ، بين زملاء العمل الجغرافى الميدانى عن استخدامات الأرض ، لكى يتناول مسألة التزود بالأدوات والاجهزة والمعدات اللازمة لانجاز العمل الميدانى ، عن أنماط الاستخدامات السائدة • كما يكون هذا التشاور مفيدا ، عند الجلوس فى هدوء ، لاعداد الاستبيانات المتنوعة التى تبحث عن اجابات وردود صحيحة عن أنماط وتوجهات الاستخدامات السائدة • كما يتناول هذا التشاور مسألة الاشراف على تنفيذ العمل وعقد الاجتماعات الدورية فى الميدان من حين الى حين آخر ، للمراجعة والاطمئنان على حسن سير العمل الجغرافى الميدانى ، ومبلغ استجابته للنزعة التطبيقية فى مجالات تقويم انماط استخدامات الأرض ، والتماس سبل التحسين والتجويد فيها ، لحساب الانسان ، من خلال شحذ وتحسين أدائه وتطوير وسائله وتنمية تكنولوجيته •

ويدرك الاجتهاد الجغرافى المعـــاصر ، قيمة أو جدوى هـــذا التشاور الموضوعى ، فى وضع الخطة ، حتى لا توضع على غير هدى ، فى غيبة الفريق المتعاون • وقد لا ان غياب هذا التشاور أو اهماله أو التفريط فيه ، لا يعنى غير التنكر لمنطق وفلسفة وروح الفريق • كما يعنى هذا الغياب أيضا ، حرمان الخطة من خبرات المشاركين ، فى عضوية الفريق المتعاون ، وهم مسئولون أولا وأخيرا ، عن انجاز العمل الجغرافى العملى عن استخدامات الأرض فى المساحة المعنية • بل قل ان هذا الاشتراك الملزم فى المسئولية الجمـــاعية ، عن حسن انجاز العمل الجغرافى العملى ، يستوجب بالضرورة الاشتراك الحقيقى ، فى التخطيط الموضوعى لحسن التنفيذ • ويحول هـــذا الاشتراك فى المسئولية الجماعية ، دون التهرب بأى شكل ، من دواعى وموجبات الجـدية فى هـــذه المسئولية •

وفى اطار هذا التشاور الموضوعى ، حيث لا يغيب طرف من الأطراف المعنية ، بدراسة ميدانية جيدة ، يدرك الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، ان وضع برامج العمل الجغرافى العملى الميدانى ، عن استخدمات الأرض ، ووضـــع الاطار الحاكم الذى يحتوى هذه التفاصيل الكثـــيرة ، ويكفل الحبكة وحسن السياق فى المكان والزمان ، يختلف اختلافا كبيرا باختلاف المكان والزمان • فلا قوالب جامدة ، ولا ينبغى أن تكون أبدا • وهذا معناه ، انه لا اتفاق أبدا ، على خطة عمل نموذجية جامدة لا تتغير أو لا تتبدل ، ويتكرر تطبيقها وكأنها القالب الجامد ، فى كل مكان وفى كل زمان • ومعناه أيضا ، انه ينبغى تجهيز الخطة الميدانية المناسبة للموضوع الذى يتقصى انماط الاستخدام المتنوعة ، فى المكان والزمان •

وفى اطار وضع وتجهيز خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى الانسب ، التى تتعقب ملامح استخدامات الأرض السائدة ، فى المساحة المعنية ، وفى اطار التشاور الموضوعى الحميد بين أعضاء الفريق المتعاون ، من انجاز هـــذا العمل الميدانى ، تكون العناية بتجهيز الاستبيان • وتشمل هـــذه العنـــاية الجغرافية ، حسن صياغة الاسئلة والاستفسارات ، التى يجاوب تنفيذ البرامج العملية فى الميدان عليها ، اجابات سديدة وصادقة • كما تشمل هذه العناية الجغرافية باعداد الاستبيان ، حسن تبويب الاستفسارات تبويبا موضـــوعيا حتى ينساب سياق الاجابات انسيابا منسقا ومفيدا ، وهى تتحدث عن توزيع أو عن تعليل أو عن الربط ، بين أنماط الاستخدام وانتفاع حركة الحياة بها •

وهكذا ، لا يجب أن يستقل عضو فى الفريق برأيه ، فى اعداد الأسئلة والاستفسارات أو فى تصميم الاستبيان ، حتى لا تفتقد الدراسة الميدانية حسن التنسيق وانضباط ايقاعات الردود ، عند حصر الاجابات الواردة التى يسفر عنها تنفيذ العمل الميدانى ، عن استخدامات الأرض فى المساحة المعنية. ومع ذلك يبقى الاهتمام باعداد الاستبيان وصياغة الأسئلة الواردة فيه ، أمانة غالية فى عنق الاجتهاد الجغرافى . ويستوى فى ذلك أن يكون هذا الاستبيان ، هو **الاستبيان الناطق** الذى يجرى فيه الحوار بصوت مسموع ، يتعامل مع من يستخدم الأرض ، فيصغى الى السؤال ويجاوب عليه ، أو وهو **الاستبيان الصامت** الذى يجرى فيه الحوار ، دون صوت مسموع ، ويعرف كيف يوظف السؤال الجيد ، الذى ينتزع من صمت الارض المستخدمة الاجابة الصحيحة .

هذا ، وفى الوقت الذى تبصر فيه رحلة الزيارة الجغرافية التقدية ، وضع خطة العمل الجغرافى العملى لدراسة أنماط استخدمات الأرض ، تبصر الدراسة الجغرافية المكتبية والتشاور الموضوعى مع أعضاء الفريق المتعاون هذا الاعداد الجيد لمحتوى هذه الخطة . ومع ذلك يبقى الحق فى مرونة كافية ، تستوجبها دواعى اعادة النظر ، فى بعض تفاصيل البرامج العملية فى الخطة ، من أجل الحذف أحيانا ، أو من أجل التعديل أو الاضافة أحيانا أخرى . بمعنى ان الخطة ينبغى أن تتجرد من الجمود ، وأن تتحلى بالمرونة . وتصبح هذه المرونة وسيلة مشروعة ، لكى تواجه احتياجات البحث عن أنماط الاستخدامات ، فى المكان والزمان .

وحيث تكون المرونة متاحة فى خطة العمل الجغرافى العملى ، حتى يتسنى الحذف أو التعديل أو الاضافة أثناء العمل أو المساحة المعنية ، تكون المشاورة أكثر من واجبة بين أعضاء الفريق المتعاون . وتكون هذه المشاورة الموضوعية ، الوسيلة التى تتدارك الموقف ، وترشد التعديل بالحذف أو بالاضافة . بمعنى أن الحذف جائز ، وان التعديل مباح ، وان الاضافة متوقعة ، ولكن لا ينبغى أن ينفرد عضو من أعضاء الفريق برأيه وحده فى استحداث هذا التغيير على الخطة ، أو على محتواها الجارى تنفيذه ، أو على العمل الميدانى عن أنماط استخدام الأرض ، فى المكان والزمان .

وعندما ينتهى الاجتهاد الجغرافى المعاصر من تشكيل الفريق المتعاون ، ومن وضع خطة العمل الجغرافى فى المساحة المعنية ، ومن تجهيز واعداد الأدوات والأجهزة والمعدات ، ومن صياغة الاستبيانات تتهيأ كل الاوضاع

المناسبة لكى تبدأ رحلة الخروج الجغرافى الى المساحة المعنية واجراء أو تنفيذ العمل الميدانى ٠

خروج رحلة العمل الجغرافى وتقصى أنماط استخدامات الارض :

يجسد خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، الصلب المتين فى التوجه الجغرافى الى الدراسة الميدانية ، عن أنماط استخدام الارض ، فى المساحة المعنية ٠ وقل ان هذه الرحلة الجغرافية ، تخرج الى الميـــدان ، لكى تتقصى الحقائق الجغرافية ، ولكى تحصل على المادة الخام ، حتى تنال وضوح الرؤية والقدرة على التأمل فى أنماط استخدام الأرض ٠ بل قل انها الرحلة الجغرافية التى تباشر جولات التعامل الجغرافى العملى مع المنظور الجغرافى للأرض ، حتى تفلح فى تعقب عناصر ومكونات التفاعل الذى يسفر عن انماط من استخدام الأرض ، السائدة فى المساحة المعنية ٠

وفى مواجهة هذا المنظور الجغرافى الذى يعلن ويعبر عن مواصـــفات وملامح أنماط استخدام الأرض ، فى الميـــدان ، ينبغى أن يتحـــلى الباحث الجغرافى قائد الفريق ، وأن يتحلى معه أعضاء الفريق المتعاون ، بأكبر قـــدر مناسب من ذكاء الحس الجغرافى ، وسلامة الادراك الجغرافى ، وحصافة التفكير الجغرافى ، حتى يلتمس وضـــوح وحسن استيعاب رؤية أنماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية ٠ وقل ان الحاجة الى ذكاء الحس وسلامة الادراك ، وتفتح التفكير ، جغرافيا هى التى تبصر أو ترشد العمل الجغرافى العملى ، عندما يواجه أى عضو فى الفريق أنماط استخدام الأرض ويتعامل معهـــا ، تعامل من يطلب أن تبوح له أو أن تعلن على أسماعه الحقيقية الجغرافية ٠ بل قل ان المتخصص الجغرافى وشريكه غير المتخصص ، الذى يخرج معه ويتعاون فى خدمة العمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية ، ينبغى أن يعرفه أو أن يتقن كيف يطل على المنظور الجغرافى الذى يجمع بين أرض وموارد قابلة للاستخدام ، وحركة حياة تستخدم هذه الأرض ومواردها المتاحة ، بعـــين جغرافية ثاقبة ٠ كما ينبغى أن يجيد تذوق طعم الحقيقة الجغرافية ، التى تعلن بصراحة ، عن مبلغ استجابة الأرض ومواردها لاجتهاد حركة الحيـــاة وهى تطاوع وسائله ، وعن مبلغ مهارة وسيلة حركة الحياة التى تســـتخدم الأرض وتطوع مواردها ، فى المساحة المعنية ٠

والعمل الجغرافى العملى الذى يتحرى ويدقق فى دراسة أنماط استخدام الأرض ، سواء تفرغ له الجغرافى المتخصص فى الفريق ، أو قام به الشريك

العلمى غير الجغرافى ، أو عهد به الى الفنى الماهر ، هو الهدف وهو الأساس المتين فى تقصى الحقائق عن هذه الأنماط • وقد تغطى هذه الحقائق شكل هذا الاستخدام أو مضمونه أو كنه العلاقة المتبادلة بين أرض قابلة للاستخدام وانسان يستخدم الأرض • كما تغطى هذه الحقائق الجغرافية أيضا ، محصلة هذا الاستخدام ، ومستوى العلاقة المتبادلة ، فى اطار فهم جغرافى جيد لمعنى الضبط والانضباط المتبادل ، بين خواص الأرض وقدرات ومهارات الانسان•

ويجسد هذا العمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية ، معنى المواجهة الجغرافية الصريحة المباشرة ، والتعامل الميدانى مع المنظور الجغرافى لأنماط استخدام الأرض فى الميدان • وتستحق هذه المواجهة ، ومباشرة التعامل الجغرافى التحليلى ، واجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، حسب جدولة مراحل التنفيذ فى الخطة المعمول بها ، ما يلى :

١ ـ فى بعض الحالات ، وعلى صعيد المساحة المعنية ، تكون اقامة فريق العمل المتعاون اقامة دائمة ، أو اقامة متقطعة غير دائمة ، فى معسكر عمل خاص ، لحساب العمل الميدانى • ويقام هذا المعسكر الخاص فى الميدان ، فى موقع منتخب مناسب ، أو فى عدد من المواقع المنتخبة ، يقع عليها الاختيار أثناء رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية • ويبقى الفريق فى هذا الموقع ، أو ينتقل فيما بين هذه المواقع حسب الخطة المعمول بها ، ومبلغ الاستجابة لحاجة العمل الجغرافى ومباشرته الفعلية فى الميدان • ومن هذا المعسكر ، وهو محل الاقامة الدائمة أو المتقطعة ، يباشر أعضاء الفريق المتعاون ، تنفيذ التكليفات الجغرافية التى تعهد اليهم بالمهمة العملية المعنية ، أو التى تطالبهم باجراء العمل الجغرافى العملى اليومى فى الميدان • وتكون هذه الاقامة فى المعسكر ، ومباشرة العمل من موقع واحد منتخب ، أو من عدة مواقع ينتقل فيما بينها هذا المعسكر على صعيد المساحة المعنية ، اقامة دائمة فى الغالب • وقل يفضل أن تكون هذه الاقامة دائمة ومستمرة حتى يفرغ من انجاز الدراسة الميدانية• وقل أيضا ان مثل هذه الاقامة الدائمة فى معسكر عمل جغرافى خصوصى ، معناه افتقاد فرص الاقامة الاخرى ، فى المساحة المعنية ، أو عدم توفر فرص الحضور المؤقت والاقامة فى مستوطنة مناسبة ، لمباشرة العمل واجراء الدراسة الميدانية • ومباشرة العمل الجغرافى العملى ، واجراء الدراسة الميدانية ، من مثل هذا المعسكر الخاص ، فى الموقع الثابت أو فى الموقع المتنقل لا ينبغى أن تدعو الفريق أبدا الى شىء من التعجل • بل قل ينبغى للعمل الجغرافى الميدانى عن أنماط استخدام الأرض ، أن يكون متمهلا ودقيقا ، حتى

لا تقع الدراسة الميدانية عن استخدام الارض في المساحة المعنية ، في عواقب وأخطاء الانجاز العملي المتعجل ٠

٢ - في بعض الحالات الأخرى ، وعلى صعيد المساحة المعنية ، تكـــون اقامة الفريق المتعاون في دراسه انماط استخدام الأرض دراسة ميدانية ، في مستوطنة حضرية أو ريفية مناسبة ٠ وتنتفي في هذه الحالة ، الحاجة الى اقامة معسكر اعمل الجغرافي الخاص في الميدان ٠ ويقع الاختيار على هـــذه المستوطنة المناسبه او على عدد من المستوطنات ، التي تصلح لمباشرة العمل ، وترحب بحضور واقامه فريق العمل المتعاون ، اثناء جولات الزيارة الجغرافية التفقدية ، على صعيد المساحة المعنيه ٠ وقد يستوجب هذا الاختيار الحصول على اذن السلطة المحلية ، الذى يبيح مباشرة العمل الجغرافي الميداني ، في جو من الاطمئنان المتبادل ، بين من يعمل ويسأل ويبحث عن حقائق استخدام الأرض جغرافيا ، ومن يجاوب ويرد على الاستفسارات ويعمل في حقـــول استخدامات الارض ٠ ومن هذا المحل المختار ، يباشر أعضاء الفريق العمل ، كل فيما يخصه بعناية على صعيد المساحة المعنية ٠ ومن هذه المستوطنة محل اقامة الفريق المتعاون ، تخرج وتتفرق رحلات العمل الجغرافي اليومية ، لاجراء العمل وتنفيذ البرامج وتسجيل الاجابات على صفحات الاستبيان ٠ وهـــذا الانتشار والتحرك في أنحاء المساحة المعنية ، يكون ملتزما بالخطة الموضوعة ، ومتفقا عليه بين الفريق ٠ كما تكون العودة اليومية ، وتجمع أعضاء الفريق المتعاون بعد انتهاء كل يوم من أيام العمل متفقا عليه أيضا ٠ ويشمل هـــذا الاتفاق الجماعي ، عقد الاجتماع اليومي ، في ساعات المساء ، لمراجعة معدلات تقدم العمل في الدراسة الميدانية ، ومناقشة المشاكل البحثية والاقتراحات ، أو تبادل الرأى حول اجراء العمل الميداني في اليوم التالي ٠

ومن غير تميز حقيقي ، بين شكل وأسلوب عمل وجدوى حضور الفريق المتعاون المستمر لفترة زمنية معينة ومتفق عليها ، وشكل وأسلوب وجدوى حضور الفريق المتعاون المتقطع على امتداد فترات زمنية متعاقبة ، في الميدان ، ضمن معسكر العمل الخاص أو في أحضان المستوطنة المناسبة ، يكون التفرغ لاداء الدراسة الميدانية مطلوبا في الوقت المناسب ٠ ويبدو هذا الذى تعنيه ، وهو طوع أمر الخطة الموضوعة ، التي تضبط وتنظم وتنسق المضي التنفيذي ، وتوجه مسيرة الاجتهاد الجغرافي في المساحة المعنية ، من يوم الي يوم آخر ٠

هذا ، وينبغي أن تطاوع الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهي تباشر العمل

الجغرافى العملى اليومى المنظم على صعيد المساحة المعنية ، ارادة الانتقال المنضبط ، والتحرك السليم ، والبحث الواعى ، عن المادة الخام اللازمة لتجسيد صور وأنماط استخدام الأرض ، والتعقيب على جدوى الاستخدام ومستواه الاقتصادى والاجتماعى • بل قل يجب أن تسعف الرحلة الجغرافية الميدانية وتجاوب ، جولات أعضاء الفريق المنضبطة ، وهم يفترقون أو ينتشرون ، انتشارا مناسبا حسب نوعية التكليفات العملية الميدانية المنوطة بكل واحد منهم ، أو وهم يعودون ويتجمعون بعد انجاز العمل الجغرافى المنشود ، فى أنحاء متفرقة من المساحة المعنية • وتصبح الوجبة اليومية من هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، مسئولة يوميا عن الانتشار وجمع المادة الخام ، وعن التجمع وتفريغ المادة الخام فى الجعبة الجغرافية ، واضافتها الى الرصيد الجغرافى ، عن أنماط استخدام الأرض فى المساحة المعنية •

ويحتاج هذا العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى ينبغى أن يتقن أساليب التحرى والقاء السؤال أو الاستفسار عن أنماط استخدامات الأرض ، وتلقى الاجابات والردود الصريحة من الميدان ، الى شىء كثير من الحصافة والتأنى الشديد وحسن الانتفاع بمهارة العين الجغرافية فى المعاينة وفى اجراء الدراسة أو فى ممارسة التجربة أو فى طرح السؤال والاستفسار ، حتى تكون النتيجة الصحيحة والجواب السديد • كما يحتاج العمل الجغرافى الميدانى الى شىء كثير من الصبر ، عند تكرار العمل أو تكرار طرح السؤال ، فى مواقع متعددة والى شىء مناسب من حسن الانتفاع بالتذوق الجغرافى لنتائج العمل أو لاجابات ترد على السؤال ، حتى يتسنى التيقن من صدق وموضوعية وسلامة النتائج الجغرافية من مصادرها البكر فى الميدان •

وقد يحتاج هذا الصبر وهذه الحصافة ، من خلال مهارة العين الجغرافية وحسن تذوق نتيجة العمل الجغرافى الميدانى عن استخدام الأرض ، الى وقفات انتظار وترقب حقيقى ، حتى يتحقق التمعن الجغرافى العميق ، ويتوفر حسن التأمل والتدبير والتفكير الجغرافى العقلانى الهادىء ، فى بعض أمور العمل أو التعامل مع أنماط استخدامات الارض فى المساحة المعنية • وفى كل الأحوال ، لا ينبغى أن ينفض أى عضو من أعضاء الفريق المتعاون يديه من العمل الميدانى ، قبل أن يلتمس الجدوى الفعلية من هذا العمل الميدانى • وقد يعتمد التماس هذه الجدواى على المهارة الذاتية الخاصة والمتخصصة أحيانا • ولكن جلسات الاجتماع التى تضم اعضاء الفريق المتعاون ، بعد اتمام العمل الميدانى اليومى ، تكون الأفضل فى التماس هذه الجدوى ، أو فى التيقن من

قيمة العمل الميدانى عن استخدام الارض وتوجهات مستوياته فى المساحة المعنية .

ويمضى العمل الجغرافى الميدانى عن أنماط استخدام الأرض ، من يوم الى يوم آخر ، فى انضباط حقيقى حسب الخطة المعمول بها ، الا ما قد يستجد ويستحق الاضافة أو يستوجب الحذف . ويتأتى هذا العمل الجغرافى الميدانى، على وجهين متكاملين ، لا تنقطع الصلة الواجبة بينهما أبدا .

وعلى الوجه الأول ، يكون العمل الجغرافى الميدانى ، من الاختصاص الجغرافى البحت ، ولا سبيل للمنافسة عليه . ويستوجب هذا الشق من العمل الجغرافى خبرة ومهارة فى التحليل والتركيب ، يجيدها أو يتقنها الجغرافى المتخصص . وقل ان هذا هو الشق العملى الجغرافى الميدانى المباشر، الذى يتقصى ويتدارس أوضاع وأحوال ومستويات أنماط استخدامات الارض، فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ، ولا يكاد يصلح له غير المتخصص الجغرافى ، فى الميدان .

وعلى الوجه الآخر ، يكون العمل الميدانى ، لحساب الهدف الجغرافى من التصدى لدراسة استخدام الارض ، من الاختصاص العلمى المتعاون . ويستوجب هذا العمل الميدانى ذات العلاقة المباشرة بالهدف الجغرافى من استخدام الأرض ، خبرة ومهارة المتخصص العلمى ، الذى يشارك ولا يبخل فى انجاز حصته التى تعمق الفهم الجغرافى لأنماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية . وقل ان هذا هو الشق العملى الميدانى ، الذى يسعف التحليل الجغرافى ، أو التقويم الجغرافى ، ولا يصلح له غير المتخصص العلمى عضو الفريق المتعاون . بل قل ان هذا هو العمل الجغرافى غير المباشر ،الذى يشد أزر الدراسة الميدانية ، ويسدد توجهات التحليل والتعليل ، والحكم الجغرافى عن جدوى الاستخدام ومستوياته ، من خلال الانسان ، ولحساب الانسان .

وتكفل الخطة الميدانية المعمول بها فى المساحة المعنية ، لحساب دراسة جغرافية جيدة ، عن أنماط استخدام الأرض ، فى المكان والزمان ، شيئا كثيرا ، من حسن التنسيق وضبط توجهات العمل الجغرافى الميدانى المباشر والعمل الجغرافى غير المباشر ، وجنى ثمراته ونتائجه . كما تكفل هذه الخطة أيضا حسن توظيف خبرات ومهارات المتخصص الجغرافى ، فى استيعاب العمل الجغرافى الميدانى استيعابا يطوع النتائج تطويعا مناسبا ، يسهم فى

انجاز البحث الجغرافي في نهاية المطاف عن استخدام الأرض ، وفي رسم الخرائط الجيدة التي تخدم أهداف هذا الاستخدام • ويبرهن الجغرافي المتخصص في موضوع استخدام الأرض ، دائما على حسن الاستعداد ، لأن يصطنع من توليفة العمل الجغرافي الميداني ، ومحصلة الاطلاع على المراجع والمصادر ، أثناء الدراسة المكتبية ، نسيجا جغرافيا جيدا ، يصور أو يتحدث عن أنماط استخدام الارض في المساحة المعنية ، ويقوم مستوى هذا الاستخدام لحساب الانسان حتى يكاد يلتمس منطلق التغيير واحتمالاته في طلب تحسين مستويات هذا الاستخدام •

والدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، التي يكون في وسعها أن تجسد الحكم على مستوى الاستخدام ، وهي تميز بين الاستخدام الرديء أو الاستخدام الجائر ، أو الاستخدام المدمر أو الاستخدام التقليدي أو الاستخدام الجامد أو الاستخدام الرشيد أو الاستخدام الجيد أو الاستخدام المتطور ، توفر أو تحقق رأيا سديدا • وقل يكون في وسعها أيضا أن تمسك بزمام الخطأ في الاستخدام ، أو بزمام الصواب في الاستخدام ، وتحدد مسئولية الانسان ،هو يقترف الخطأ، أو وهو يتعمد الصواب• بل قل يكون وسعها بعد ذلك كله، أن تصدر القرارات ذات العلاقة بالتوجه التطبيقي الذي يلتمس العلاج ،فيكبح جماح الخطأ ، ويعيده الى الصواب ، الذي يلتمس الحوافز والدوافع لتنشيط وتطوير الاستخدام السائد ، وانعاشه •

وحسن سير العمل الميداني ، وتقدم معدلات الانجاز العملي ، في الشق الجغرافي البحت ، أو في الشق العلمي غير الجغرافي المساعد ، وحسن تنسيق النتائج والانجازات المرحلية المتكاملة ، تستوجب شيئا كبيرا ومهما من العناية الجغرافية • وقد تعني هذه العناية الجغرافية شيئا من المهارة والخبرة وحسن التعامل مع كل تفاصيل المدركات الجغرافية التي تصور أو التي تعبر عن أنماط استخدام الأرض في المساحة المعنية • وقد تعني هذه العناية الجغرافية أيضا ، شيئا مفيدا من الانتفاع المناسب بالاستبيان الجيد الذي يتحرى ويدقق في تفاصيل العلاقة بين الانسان والأرض ، حتى تفضي الى تجسيد صور وأنماط ومستويات استخدام الأرض لحساب الانتاج أو لحساب السكن أو لحساب توفير الخدمات • ولكن هذه العناية الجغرافية تعتمد في أعماقها الفعالة على صعيد المساحة المعنية ، على أمرين جوهريين ، هما :

---

١ ــ المحافظة على روح الفريق في الميدان ، الى الحد الذي يحول دون انفراد أي عضو في انجاز أو في اجراء العمل الجغرافي الميداني •

٢ - المواظبة على حضور جلسات الفريق الدورية ، للتشاور أو لمراجعة معدلات تقدم العمل الجغرافى العملى الى الحد الذى يحول دون تكتم اى عضو على ما قد أنجزه في الميدان ٠

وينبغي أن يثق فريق العمل المتعاون فى جدوى عمله الميـدانى ، عن استخدام الأرض ٠ وقل انه يقتنع على أساس ، أن تعميق المعـرفة الجغرافية بالأرض ، في وسعها أن تكشف عن خـواص الأرض ، وعن التحديات التى تعلن عنها الأرض فى مواجهة الانسان وكأنها لا تريد أن تطاوعه ٠ كما يقتنع أيضا على أساس ، ان تعميق المعـرفة الجغرافية بالانسان ، في وسعها أن تكشف عن استعداد الانسان لقبول التحدى ، وعن مهارة الوسيلة الحضارية التى يتوسل بها ، لتطويع الأرض حتى تطاوعه ٠ ومن ثم يتمادى هذا الاقتناع بقيمة المعرفة الجغرافية التى يسفر عنها العمل الجغرافى الميدانى ، ويكون فى وسعها أن تتبين أبعاد العلاقة بين الأرض والانسان ، أو أن تكشف عن وضع حد المصالحة بينهما ، وهو يفصل بين الأرض القابلة للاستخدام والأرض غير القابلة للاستخدام ٠ كما يكون فى وسع هـذه المعرفة الجغرافية أن تتبين المتغيرات الطبيعية ومبلغ تأثيرها على خواص الارض ، والمتغـيرات البشرية ومبلغ تأثيرها على قدرات الانسان ، وكيف يفضى هذا التغيير الى جولةمصارعة بين الانسان والأرض، تتغير بموجبها بنود الصلح وحد المصالحة بينهما ،لحساب الانسان أحيانا أو على حساب الانسان أحيانا أخرى ٠

وهكذا نفهم قيمة اسهام العمل الجغرافى العملى الذى ينجزه المتخصص الجغرافى عن خواص الارض فى المساحة المعنية ٠ كمـا ندرك قيمة اسهام العمل الجغرافى العملى غير المباشر ، الـذى ينجزه المتخصص العلمى غـير الجغرافى ، وهو يعمق المعرفة الجغرافية الطبيعية بالارض ، خواصها ومتغيراتها على المدى القصير أو المدى الطويل ٠ وهذا هو عين ما يبين مبـلغ استعداد الأرض لأن تلبى نداء الانسان وتطاوعه وتعطيه حق الاستخدام والامتثـال لوسائله التى يتوسل بها لممارسة استخدام الارض فى الانتاج أو فى المسكن أو فى توفير الخدمات ٠ وكأن هذا العمل الجغرافى العملى الميدانى عن خواص وطبيعة الأرض ومتغيراتها ، يتأتى تحت شعار « تعرف على الأرض لكى تعرف كيف تسيطر عليها وتعطيك ما تستحقه فى المقابل » ٠

كما نفهم أيضا قيمة اسهام العمل الجغرافى العملى الـذى ينجـزه المتخصص الجغرافى عن أوضاع الانسان ، فى المساحة المعنية ٠ كما ندرك أيضا قيمة اسهام العمل الجغرافى العملى غير المباشر الذى ينجزه المتخصصون

العلمى غير الجغرافى ، وهو يعمق المعرفة الجغرافيــة البشرية بالانسان ، ومواصفات حضوره بالكم والكيف ، ومتغيراتها على المدى القصير أو على المدى الطويل • وهذا هو عين ما يبين مبلغ استعداد الانسان ، لأن يقدم على التعامل مع الأرض وتطويعها ، وفى جدية الوسيلة التى يتوسل بها لممارسة استخدام الأرض فى الانتاج أو فى المسكن أو فى توفير الخدمات • وكأن هذا العمــل الجغرافى العملى الميدانى ، عن خواص وقــدرات الانسان ومتغيراتها ، يتأتى تحت شعار « تعرف على الانسان ، لكى تعرف كيف يسيطر عــلى الأرض وتطاوعه وتعطيه ما يستحقه فى المقابل » •

ومهما يكن من أمر ، فان تعقب خــواص الأرض ومتغيراتها ، وتعقب حضور الانسان وجس نبض قدراته ومتغيراتها ، على صعيد المساحة المعنية ، يمثل ضرورة جغرافية تلتمس الصــدق فى دراسة العــلاقة بين الانسان والأرض ، وما يمكن أن تفضى اليه فى مجالات استخدام الأرض • وتستوجب هذه الضرورة الجغرافية شيئا كثيرا من الوعى والحصافة والمهارة فى تحليــل خواص الارض ، وفى تحليل أوضاع الانسان فى الأرض • ومن خلال هــذا التحليل الجغرافى الذى تفضى اليه الدراسة الميدانية ، تتكشف صور وأنماط استخدام الأرض ، وتبوح للاجتهاد الجغرافى بجدوى هذا الاستخدام • بل قل انها تبوح له بأسرار التحديات ، التى تواجه بها الأرض الانسان وهــو يقدم على استخدامها ، وتبوح له بأسرار الوسائل الحضارية التى يتوسل بهــا الانسان فى هذا الاقدام على استخدامها • ومن ثم يكون الرأى الجغرافى الذى ينحاز الى صف الانسان ويبصره فى سبيل تحسين الوسيلة التى تقوى وتشد أزر هذا الاقدام على استخدام الارض وترفع كفاءته فى المساحة المعنية •

ولا ينهى الفريق المتعاون حضوره او اقامته فى المساحة المعنية ، والعمل لحساب الدراسة الميدانية عن استخدامات الارض ، الا بعد أن يفرغ أو بعد الانتهاء من اجراء وتنفيذ برامج العمل الجغرافى الواردة فى صلب الخطة المعمول بها • بل ينبغى أن يتأكد أعضاء الفريق من الوصول الى الهدف الجغرافى من الدراسة الميدانية ، ومن جنى ثمرات العمل الجغرافى العملى الميــدانى عــن استخدام الارض • ومن ثم يكون الاتفاق الجماعى ، بين أعضاء لفريق المتعاون، على عودة الرحلة الجغرافية الميدانية ، من الميدان •

* * *

الانجاز الجغرافى العملى عن استخدام الارض فى الميدان :

يلتمس الانجاز الجغرافى العملى فى الميدان ، الهدف الجغرافى من دراسة أنماط استخدام الارض • بل قل يتحرى هذا الانجاز الميدانى الالتزام الكامل بالهدف الجغرافى ، وهو يطل على رؤية جغرافيـة شاملة ، تجسد أنمـاط استخدام الارض فى المساحة المعنية ، ثم وهو يقوم هذه الرؤية الجغـرافية ويحسب قيمة أو جدوى هذا الاستخدام • ومعاينة وتحليل تفاصيل الرؤية الجغرافية ، وتحرى الدقة فى حساب الجدوى التى تحدث عنهـا هذه الرؤية التحليلية لانماط استخدام الارض ، فى المكان والزمان ، تضع الاجتهـاد الجغرافى فى وضع يصبح فى وسعه أن يقطع برأى جغرافى سديد ، يرشد أعمال المتغيرات ودواعى التغيير ، من أجل استخدام أفضل كما وكيفا ، يطوع الأرض على صعيد المساحة المعنية •

ومن يمتنع عن مباشرة هذا العمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية ، لكى يتبين أنماط استخدام الارض فى الانتاج أو فى المسكن أو فى توفير الخدمات ، لحساب حركة الحياة ، يكون وكأنه يغلق عينيه فلا يرى ، ويسد أذنية فلا يسمع ، حتى يفقد أطراف كل الخيوط التى يصطنع منهـا نسيج بحثه • بل قل ان موضوعية الدراسة الجغرافية التى تلتمس الـدور الوظيفى الجغرافى فى موضوع اسـتخدام الارض ، فى أى مساحة معينة ، لا تمضى على الدرب الصحيح ، الا من خلال الدراسة الميدانية • وبناء على هذا التوجه الجغرافى الى الدراسة الميدانية ، لا تبدأ دراسة أنمـاط اسـتخدام الارض أبدا من فراغ • بل قل كيف تبدأ من فراغ ، وهى تعايش التجربة بمهارة جغرافية تتحلى بالقدرة على التحليل ، على أنماط استخدام الارض فى المكان والزمان ؟ بل قل أيضا ان هذه البداية ، التى توجه الاهتمام الجغرافى الى معاينة الواقع وتكفل حسن التعامل معه فى المساحة المعنية ، حتى لا يبدأ من فراغ ، تعنى المضى بدراسة أنماط استخدام أرض وتحليلها وتقويمهـا والحكم عليها ، الى الغاية الجغرافية التطبيقية المنشودة •

وقيمة أو جدوى الدراسة الميدانية ، وما تفضى اليه من تقدم الاجتهـاد الجغرافى على درب الغاية أو الهدف التطبيقى المنشود ، فى مجالات استخدام الأرض ، تبدو أهم من قيمة أو جدوى الدراسة المكتبية والاطلاع على المراجع والمصادر • بل قل ان مكان الدراسة الميدانية ومكانتها فى دراسة أنمـاط استخدام الأرض تسبق أو تتقدم عـلى مكان ومكانة الدراسة المكتبية لنفس هذا الغرض الجغرافى المنشود • ويستحق هـذا الغرض الجغرافى المنشود ، تكثيف الدراسة الميدانية ، والعناية بالعمل الجغرافى العملى ، عـلى صعيد

المساحة المعنية ، من خلال عين جغرافية لا تغفل عن أى وجه من وجوه دراسة أنماط استخدام الأرض ٠

وعلى وجه من هذه الوجوه الوجوه ، يكون التعامل الجغرافى مع الأرض وخواصها وأوضاع المتغيرات التى يمكن أن تهيمن عليها ، محل عناية جغرافية مركزة ٠ وتدقق هذه العناية الجغرافية المركزة فى المنظور الطبيعى على صعيد المساحة المعنية ، وتستشرف استعدادات الارض للاستجابة والعطاء ٠ كما تلتمس استعدادات هذه الأرض لأن تطاوع فعل المتغيرات ، حيث يتناقص عطائها أحيانا أو يزداد عطائها أحيانا أخرى ٠ ومن ثم يكون السؤال الذى يسأل عن دواعى وكم وكيف العطاء ، ويكون السؤال الذى يستفسر عن دواعى التغيير فى كم وكيف العطاء بالزيادة ٠ كما يتعقب الاستفسار على صعيد المساحة المعنية أيضا ، المصادر البكر التى يكون فى وسعها أن تجاوب الاستخدام المعنى ، أدواته ووسائله ٠

وعلى وجه آخر من هذه الوجوه ، يكون التعامل الجغرافى مع الانسان وقدراته وأوضاع المتغيرات التى يمكن أن يفرضها ويحسن استيعابها وتوظيفها ، محل عناية جغرافية مركزة ٠ وتدقق هذه العناية الجغرافية المركزة ، فى المنظور البشرى على صعيد المساحة المعنية ، وتستشرف استعدادات الانسان ومبلغ الحاجة فى طلب العطاء من الأرض ٠ كما تلتمس هذه العناية الجغرافية أيضا استعدادات وسائل الانسان ، لأن تطوع فعل المتغيرات التى تحول دون تمرد الأرض أحيانا ، أو التى تنمى وتطور استجابة الإرض أحيانا أخرى ٠ ومن ثم يكن السؤال الذى يسأل عن وسائل الانسان وعن مهارات توظيفها فى طلب العطاء من الأرض ، ويكون السؤال الذى يستفسر عن مبلغ استيعاب ومباشرة توظيف تكنولوجيا متطورة أفضل ، فى طلب تحسين مستوى استخدام الأرض ٠ كما يتعقب الاستفسار على صعيد المساحة المعنية أيضا ، ويسأل عن الكيفية التى يتسنى بها انعاش مهارات وكفاءات وخبرات وتحسين مستواها ، حتى يكون فى وسعها أن تمارس استخدام افضل للأرض ، فى المكان والزمان ٠

وعلى وجه ثالث من هذه الوجوه ، يقوم الاهتمام الجغرافى ، من خلال الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية ، بتعقب سلبيات وايجابيات الاستخدام السائد ٠ وينبغى أن تتفتح العين الجغرافية على كنه السلبيات ، وتسأل فى الحاح عن تفسير صحيح عن نتائج هذه السلبيات التى تتضرر بموجبها مصلحة الانسان فى استخدام الأرض ، أو التى تعلن عن شئ

أشبه ما يكون بالتمرد وعصيان الأرض وعجز الوسيلة عن إنهاء هذا التمرد وامتلاك حق تطويعها • كما ينبغي أن تشغل الايجـابيات بال الاهتمـام الجغرافي ، ويسال عنها ، حتى يلتمس امكانيات تطوير هـذه الايجابيات تطويرا ، تنتفع به مصلحة الانسان في استخدام الارض • كما ينبغي أن يسال عن أو أن يستفسر في الحاح عن الدوافع التي يمكـن أن تفجر في الانسان طاقات أفضل حتى يصبح في وسعها ، ممارسة التغيير واستيعاب تكنولوجيا تشد أزر هذه الممارسة في طلب استخدام أفضـل للأرض في المكان والزمان •

ومن أجل انجاز العمل الجغرافي العملي ، عن اسـتخدام الارض في المساحة المعنية ، يطرح أعضاء الفريق المتعاون ، كل فيمـا يخصه ويسنده اليه ، الأسئلة والاستفسارات ، على الأرض أو على الناس الذين يستخدمون الأرض ، في المكان والزمان • وينبغي أن يتحلى هذا الطرح بشيء كثير من الحصافة والمهارة لكي تبوح الأرض بالاجابة الصحيحة ، أو لكي يبوح الانسان ويعترف في اجابة سديدة• كما ينبغي أن تكون هذه الأسئلة والاستفسارات مرتبة ومنسقة ومتفق عليها أحيانا كثيرة • ويفضـل في طـرح الاسئلة الوضوح الذي يتجنب الاثارة أو المباغتة • بل قل يفضل أن يغلف هـذه الأسئلة والاستفسارات المطروحة على الناس بصفة خاصة ، شيئا من الود والتودد ، الذي يعرف كيف يلتمس الصدق في الاجابة المتوقعة • ويتوقع كل عضو من أعضاء الفريق ، في المقابل حسن الاستماع الى الأسئلة ،وحسن الاجابة عليها • بل قل ينبغي أن يتحلى الباحث بمهارة الاصغاء الى الاجابات وتلقي الردود عن الأسئلة المطروحة ، على الأرض أو على الناس •

ومن خلال حوار مستمر لا يسكت أبدا وهو مسموع أو وهو صامت ، توفر الاجابات على الأسئلة المطروحة المادة الخام المناسبة التي تستخدم في تصوير جغرافي جيد ، يعبر عـن أنمـاط استخدام الأرض السائدة في المساحة المعنية • كما توفر أيضا شيئا مفيدا ، عن مبلغ استجابة الأرض ، واستجابة الانسان للتغير أو لفعل المتغيرات التي تؤثر سلبا وايجـابا في توجهات وأساليب استخدام الأرض • وقل ان هذا الحوار وهو جزء أصيل من الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض • يوفر خطوة مباشرة أو غـير مباشرة ، يخطوها العمل الجغرافي الميداني ، في الاتجاه الصحيح ، نحـو الرأى الجغرافي عن أنماط استخدام الارض ، وسـبل تطويعه ، لكي يلبي حاجة التطلع الى التوجه الجغرافي التطبيقي ، في المساحة المعنية •

وتخدم هذه الأسئلة والاستفسارات ، تطلع الجغرافى المباشر الى معرفة واجابة ، تشمل حصرا لانماط استخدام الأرض فى المساحة المعنية • كما تشمل أيضا ، عناية بتوزيع وانتشار هذه الانماط انتشارا جغرافيا على صعيد هذه المساحة • وتخدم مجموعة أخرى من الاسئلة والاستفسارات المطروحة بعناية هذا التوزيع فى ربوع المساحة المعنية • وعندئذ تتكشف بوضوح الضوابط الحاكمة لهذا التوزيع حتى يتسنى فرز وتحديد مسئولية الضوابط الطبيعية ، ومسئولية الضوابط البشرية ، عن استخدام الأرض فى اطار هذا التوزيع ، فى المكان والمزان •

واذا كان فى وسع الخبرة الجغرافية المكتسبة ، أن تعد الاسئلة والاستفسارات المناسبة ، وتلقى بها على مسامع المنظور الجغرافى لانماط استخدام الأرض ، وتتلقى الاجابات والردود منها ، تبقى الحاجة الى شىء من تعاون الخبرة العلمية المتخصصة غير الجغرافية ، مع الخبرة الجغرافية البحتة، فى صياغة الأسئلة أو فى تحليل الاجابات • ويسعف هذا التعاون ، التماس العمق والوضوح فى التفسير والتحليل ، أو فى تعقب العلاقات ودواعى الربط بين التفاصيل الجغرافية الطبيعية عن مواصفات وخواص الأرض أحيانا ، والتفاصيل الجغرافية البشرية عن قوة فعل الانسان الذى يستخدم هذه الأرض أحيانا أخرى • وقد يسعف هذا التعاون العلمى العملى أيضا ، التماس المتغيرات الطبيعية أو المتغيرات البشرية ، وقوة الفعل المتبادل ، ومبلغ تاثيره المباشر أو غير المباشر ، على أنماط استخدام الأرض، فى المساحة المعنية •

وهناك أسلوب عمل ميدانى جغرافى خاص ومتخصص جدا ، يلتمس البيانات وجمع أوصال المادة العلمية الخام ، التى ينطق بها أو يعبر عنها المنظور الجغرافى لانماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية • ويعتمد هذا الأسلوب أصلا على حسن التمييز الاولى ، بين أنماط استخدام الارض فى الانتاج ، وأنماط استخدام الأرض فى السكن ، وانماط استخدام الارض فى توفير الخدمات • ويلتمس اسلوب الدراسة الميدانية هدفا خاصا ، يكشف عن رؤية الجغرافى لكل نمط من هذه الأنماط المتنوعة ، وهو حريص على تعقب أهم العناصر الجغرافية الطبيعية والبشرية ، المتداخلة فى صياغة النمط المتميز من أنماط استخدام الارض • ومن خلال هذا الأسلوب الخاص ، تكون التكليفات العملية الميدانية المتخصصة والمتنوعة ، التى تتعقب رؤية كل نمط من أنماط استخدام الأرض ، وتتحرى تداخل العناصر

الجغرافية فى صياغة النمط السائد ، وتحدد مستوى هذا الاستخدام وما يسفر عنه من عطاء لحساب حركة الحياة ، فى المساحة المعنية ٠

ويصير توزيع هذه التكليفات العملية الميدانية المتخصصة ، واسنادها الى العضو المتخصص فى الفريق المتعاون ، حجر الزاوية فى حسن انجاز العمل الجغرافى الميدانى ٠ وينبغى أن يجيد قائد الفريق الاتفاق مع كل عضو من الأعضاء المشاركين ، على تفاصيل أو على محتوى التكليف الذى يسند اليه ، وضرورة الالتزام به ٠ ومثل هذا الاتفاق على محتوى التكليف الخاص ، يلقى العمل الميدانى واعباء الانجاز العملى ، على عاتق الشريك المكلف المتخصص بالفعل ٠ ولكن يبقى بعد ذلك على قائد الفريق ، أن يتابع حسن أداء العمل الميدانى وانجازاته المرحلية ٠ كما يبقى عليه أيضا أن يحمل مسئولية حصر النتائج التى تتوالى مع تقدم العمل الميدانى ، وأن يتحرى اضافتها اضافة مناسبة وسليمة الى الرصيد الجغرافى ، عن أنماط استخدام الارض ٠ ومسئولية قائد الفريق المتعاون ، عن حسن توزيع التكليفات العملية الميدانية ، وعن متابعة حسن تنفيذ هذه التكليفات فى المساحة المعنية ، وعن استخلاص النتائج وتصنيفها وضمها الى الرصيد الجغرافى الصريح الذى يتحرى الصدق والموضوعية فى دراسة النمط المعين غالية ، فى العنق الجغرافى ٠ كما تجسد أيضا معنى ومغزى اسناد قيادة الفريق المتعاون الى صاحب الخبرة الجغرافية ، وكيف انها تمثل تكليفا اشرافيا صعبا ، لا مكان أو لا محل فيه للتشريف أبدا ٠

وقد تتضخم مسئولية قائد الفريق المتعاون ، تضخما يشمل الاتفاق - كما قلنا - على تفاصيل اسلوب وطريقة تنفيذ العمل الميدانى ، بينه وبين الشريك المتخصص ، فى الفريق ٠ كما يشمل أيضا التعاون فى التماس الكيفية الانسب أو الأمثل ، لانجاز العمل فى الميدان ٠ ولا ينشأ هذا الاتفاق أبدا من فراغ ، بل يبتنى على النحو الذى يجاوب الهدف الجغرافى عن أنماط استخدام الالض ، تجسد حجم المسئولية وهى إمانة من أنماط استخدام الارض ٠ بمعنى أن قائد الفريق المتعاون وهو جغرافى بالضرورة ، يعرف جيدا أكثر من أى عضو آخر ، ماذا يريد من انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، فيتسنى له وضع وتوزيع تكليفات هذا العمل ، وتوجيه توجيها مناسبا ، يجاوب التطلع الجغرافى الى اتقان دراسة أنماط استخدام الأرض السائدة ، فى المساحة المعنية ٠

والتزام الشريك المكلف من الفريق المتعاون ، بالتكليف الذى يسند اليه ، واجراء الدراسة الميدانية العملية التى تجاوب هذا التكليف ، معناه التزام فعلى بمطالب فعلية محددة ، ينبغى أن يفضى اليها هذا العمل الميدانى • ولا ينبغى أن يتهاون الشريك المكلف فى تنفيذ هذا الانجاز الميدانى ، أو أن يتمادى فيه حتى يتجاوز الحد الذى يحدد الالتزام الحقيقى • بمعنى ان يتحرى المكلف من الأعضاء ، الدقة والتدقيق ، فلا نقصان ولا زيادة ، ولا اهمال أو تهاون فى انجاز العمل الميدانى ، الذى يسند اليه • وجلسات الاجتماع الدورى ، التى تجمع أعضاء فريق العمل فى نهاية كل يوم عمل ميدانى ، أو فى ختام كل فترة عمل ميدانى ، هى وحدها التى تناقش العمل ، أو التى يمكن لها أن تستحدث تعديلا على صلب التكليف ، حتى تكون الاضافة المجددة ، أو حتى يكون الحذف المتعمد •

والتعديل فى مهام التكليف الميدانى ، سواء تأتى بالاضافة ، أو تأتى بالحذف ، جائز ومهم ، لصالح العمل الجغرافى الميدانى الافضل أو الانسب ، عن أنماط استخدام الارض • ومع ذلك ، فانه يعنى ، بل يستوجب تعديلا جوهريا فى الخطة العامة ، واعادة النظر فيها • كما يعنى أيضا ، تغييرا فى مضى مسيرة العمل وتنفيذ ما يطلبه التكليف الميدانى فى شكله وفى جوهره الجديد أو المعدل • وتلك أهم دواعى الاعتراض على التعديل التطوعى ، الذى لا ينبغى أن يباشره المكلف وحده أبدا ، دون علم الفريق والتشاور معه ، من أجل المصادقة عليه • بل قل ان هذا التعديل يكون واجبا ، ولكن الاقدام عليه فى غيبة مصادقة الفريق عليه ، يمثل شكلا من التمرد والخروج عن دواعى الالتزام الضرورى بروح الفريق فى مجال الدراسة الميدانية •

ويبقى بعد ذلك كله ، لاتمام العمل الجغرافى العمل الميدانى ، حسن العناية بالجوانب التى تعين على تقويم أنماط استخدام الارض • وهنـاك اختلاف بين وكبير ، بين تقويم استخدام الارض لحساب الانتاج ، وتقويم استخدام الارض لحساب السكن ، وتقويم استخدام الارض لحساب الخدمات • بل قل ان ثمة اختلافات جوهرية بين تقويم أوجه الانتاج الذى تسفر عنه أنماط استخدام الأرض المتنوعة لحساب الانتاج ، وان ثمة اختلافات جوهرية أيضا بين تقويم أوجه السكن الذى تسفر عنه أنمـاط استخدام الأرض لحساب الايواء والتوطن ، وأن ثمة اختلافات جوهرية أخرى ، بين تقويم وجه الخدمات التى توفرها أنماط استخدام الأرض لحساب تأمين مطـالب حركة الحياة وتجربتها الحياتية • ومع ذلك يظل هذا التقويم معنيا بالدرجة الأولى ،

يتحرى الموضوعية في حساب خواص الأرض واستعداداتها لكى تطـاوع الانسان من ناحيـه ، ويتحرى الموضـوعية فى حساب قدرات الانسان واستعدادات وسائله واساليب تكنولوجيته ، لكى يطوع الارض من ناحيه أخرى • كما لا يتهاون في حسن التماس معنى الندية بين قوة فعل الانسان الوظيفية ، وقوة فعل خواص الارض ، التى تبتنى على فهم سليم للضبط والانضباط المتبادل بينهما • وما من شك فى أن هـذا التقويم الجغرافي الذى يعجم عود الانسان ويعجم عود الأرض ، فى وسعه أن يبصر حـركة الحياة ، عندما تقدم على زيادة كفاءة قوة فعل الانسان ، لكى يباشر تطويعا أفضل للارض ، وتغيرا أنسب لحد المصالحة مع الارض لحسابه وعلى حسابها ، من أجل استخدام أفضل لها ، في الانتـاج أو فى السكن أو فى توفـير الخدمات •

وكما تنتهى رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية ، وهي فى طلب التعارف الجغرافى العام على صعيد المساحة المعنية ، أو وهي تستثمر مناخ الانفتاح الجغرافي على المنظور الجغرافي وتعبيره الواقعي ، عن أنماط استخدام الارض ، دون أن تستنفذ هذه الرحلة الجغرافية ، كل أغراضها العلمية ، تنتهى أيضا رحلة تقصى الحقائق الجغرافية التي تتعقب أنمـاط استخدام الأرض ، وتلتمس جوهر هذه الأنماط وتقوم عطائها في المكان والزمان • بمعنى ان عودة الفريق المتعاون من الميدان ، بعد الانتهاء من انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، عن انماط استخدام الارض السائدة فى المساحة المعنية. لا يعنى أبدا الوصول الى نهاية المطاف فى هذه المهمة الميدانية •

وقل يبقى الباب مفتوحا لذهاب الرحلة الجغرافية الميدانية من جديد الى المساحة المعنية ، طالما لم تستفد الرحلة الجغرافية الميدانية ، كل أغراضها من العمل الجغرافى العملى ، عن أنماط استخدام الأرض • بل قل تبقى الحاجة ملحة الى رحلة جغرافية ميدانية ثالثة الى المساحة المعنية • وتكون هذه المرة لاستيفاء الأغراض ، وحتى يستشعر الباحث الجغرافي انه قـد انهى بالفعل كل العمل الجغرافى العملى عن أنماط استخدام الأرض السائدة ، أو حتى تبوح له انماط استخدام الارض بكل ما ينبغى أن يتوفر من بيانات صريحة وكاملة وصادقة عن شكل وجوهر وتوجهات هذا الاستخدام •

وهكذا ، نتبين بوضوح ان حاجة البحث الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، من الدراسة الميدانية ، أثناء رحلة تقصى الحقائق الجغرافية ، لم تكتمل تمـاما • بمعنى ان تتكشف للجغرفى

ان هناك بقية ، وأن دور المرحلة الجغرافيـة الميدانية الوظيفي ، في طلب استيفاء هذه البقية ، يبقى ويتجدد حتى يتسنى الحصول على هذه البقية . وكيف لا تكون هناك بقية ، ينبغي استيفائها من الميدان ، والدراسة المكتبية ومراجعة الرصيد الجغرافي كله ، يؤكد على قيمة وأهمية العودة الى المساحة المعنية لاستكمال النقص ؟ بل قل كيف تنتهي الرحلة الجغرافية الميدانية ، أو كيف يعفيها الاجتهاد الجغرافي المعاصر من العودة من جديد الى الميدان ، مرة أخرى وربما أكثر من مرة ، وهو لم يفرغ بعد من تكديس وجمـــع ما يجب الحصول عليه من مادة جغرافية خام عن أنمـــاط استخدام الارض السائدة ، من ثمرات العمل الجغرافي العملي في الميدان ؟

ومثل هذه العودة الاخيرة الى المساحة المعنية ، لا تعني أبدا أن العمل الجغرافي العملي ، أثناء رحلة تقصي الحقائق الجغرافية عن انماط استخدام الأرض ، قد تردى في الخطأ الذي ينبغي تداركه . كما لا تعني هذه العودة أيضا ، ان رحلة تقصي الحقائق ، قد تعجلت في العودة من المساحة المعنية ، قبل أن تتمم العمل الجغرافي العملي كله ، وينبغي أن يحتسب عليها شيئا من التهاون أو التقصير . بل قل انها تعني فقط طلب استيفاء العمـــل الجغرافي العملي ، الذي تستجد الحاجة اليه ، بعد شيء من الدراسة المكتبية عن أنماط استخدام الأرض السائدة في المساحة المعنية .

ومثل هذه العودة من جديد الى المساحة المعنية ، ومباشرة الدراسة الميدانية ، تكون في حاجة الى قرار خاص . ويصدر هذا القرار الجغرافي الذي يباشر الدراسة المكتبية ، وتتكشف له أوجه النقص ، ويتبين الثغرات، في الرصيد الجغرافي عن انماط استخدام الأرض في المساحة المعنية . ومن شأن القرار الجديد ، الذي يعيد الرحلة الجغرافية الميدانية الى الميدان ، الا يصدر الا بعد أن يعرف الاجتهاد الجغـــرافي بالضبط ويتيقن تمـــاما من الثغرات وأوجه النقص . بمعنى أن تكون هذه العودة متوقعـة في الوقت المناسب ، بعد أن يدرك الاجتهاد الجغرافي بالضبط :

١ - لماذا ترجع الرحلة الجغرافية الميدانية من جـــديد الى المساحة المعنية ؟

٢ - متى وكيف يكون هذا الرجوع الى المساحة المعنية رجوعا واجبا ، فلا يجوز اهماله أو العدول عنه ؟

رحلة جغرافية ميدانية أخيرة الى الميدان :

هذه رحلة ذهاب جغرافي يتكرر من جديد الى نفس المساحة المعنية ، التى تشهد رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية مرة ، والتى تعيش وتتعامل على صعيدها رحلة العمل الجغرافي الميداني وتقصى الحقائق عن أنماط استخدامات الأرض مرة أخرى • وحاجة ملحة الى هـــذه العودة الأخـــيرة الى المساحة المعنية ، تعنى طلب اضافات واجبة وضرورية الى ما الجعبة الجغرافية عـن أنماط استخدامات الأرض السائدة • وسواء تكون هذه الاضافات مطلوبة لاستكمال وضوح رؤية أنماط استخدام الارض فى المساحة المعنيـــة ، أو تكون هذه الاضافات لازمة لاستيفاء مقومات تقويم هذا الاستخدام ، من حيث الاستجابة للوسيلة ، أو من حيث الاستعداد للعطاء ، يصبح الذهاب الأخير الى المساحة المعنية أمرا ضروريا • بل لا ينبغى التفريط فى جدوى هذا الذهاب الأخير الى الميدان أبدا •

وقل ان هذه الحاجة الملحة ، هى التى تدعو أو تلزم الاجتهـــاد الجغرافى المعاصر فى الوقت المناسب ، دون حرج أو دون تكاسل ، أو دون ابطاء الى اتخاذ القرار الجديد ، الذى يستوجب الخروج من جديد ، الى نفس المساحة المعنية • ويتمم هذا الذهاب الجغرافى الأخير ، رحلة العمل الجغرافى العملى الميدانى عن أنماط استخدام الأرض • بل قل انه الذهاب الجاد ، الــذى يكفل استيفاء بعض النقص فى جوانب من الحقائق الجغرافية ، أو المـــادة الخام ، التى تكون ألزم ما ينبغى الالتزام بها ، فى البحث والتحـــرى عن العناصر الجغرافية فى موضوع استخدام الأرض •

وقل مرة أخرى انهـــا رحلة استيفاء جغرافى أخيرة واجبة ، قبـــل اعداد البحث الجغرافى ، أو رســـم خرائط استخدام الأرض السائدة فى المساحة المعنية • وهى التى تتدارك ما فات العمل الجغرافى العملى ، فى الرحلة الجغرافية الميدانية السابقة ، وتطلب أن تحصل عليه من الميدان • بل قل انها رحلة جغرافية ميدانية أخيرة ، تتمم جدوى العمل الجغـــرافى الميدانى عن أنماط استخدام الأرض • وتستحق هذه الرحـــلة الجغرافية الميدانية الأخيرة ، الاعداد الجيد ، قبل الـــذهاب من جـــديد الى المساحة المعنية • وهذا الاعداد الجيد ، يستوجب خطة عمل من جديد ، لكى يكون الذهاب الأخير ، موفقا فى تدارك النقص وتلافى التقصير ، أو فى التماس الاضافة الواجبة عن أنمـــاط اســـتخدامات الأرض السائدة فى المساحة المعنية •

هذا ، ولا يكون النقص أو التقصير فى تقصى الحقائق الجغرافية عن استخدامات الارض – فى الغالب – وليد التعجل أو التهاون أو الاهمال – فى اجراء الدراسة الميدانية السابقة • بل ولا يكون ابدا نتيجة من نتائج الاستخفاف وعدم التدقيق فى العمل الميدانى ، حتى يتأتى الوقـــوع فى الخطأ ، وتجنب الصواب • ولكنه يكون دون شك ، وليد الحاجة الجغرافية الى :

١ – مزيد من العمق أو من الشمول أو من التدقيق ، أو من الاضافة فى التحرى والبحث والدراسة الميدانية ، عن أنماط استخدام الأرض أو عن الخلفية الجغرافية التى تحدد ملامحها وتناقش أوضاعها ، عـــلى المسرح الجغرافى ، فى المساحة المعنية •

٢ – مزيد من الوضوح وتحرى الصدق والتدقيق ، الـــذى يتعقب أنماط استخدام الأرض السائدة ، حتى يجاوب الحاجة الى تدارك أو استيفاء النقص وسد الثغرات فى بنية النسيج الجغرافى الذى يحكى ويحدث عن أنماط الاستخدام السائدة ، ويقومها لحساب حركة الحياة ، فى المساحة المعنية •

٣ – مزيد من تقصى فعل المتغيرات الطبيعية والمتغـــيرات البشرية ، وكيف تؤثر على أنماط استخدام الأرض السائدة فى المساحة المعنية ، حتى يتسنى استشعار توجهات التغيير الى ما هو أفضل ، وترشيد فعل الانسان الذى يصطنع ويجنى ثمرات هذا التغيير عندما يباشره •

ولا يملك الاجتهاد الجغرافى المعاصر أبدا ، أن يتخاذل أو أن يتهرب من ضرورة هذا الخروج الأخير ، الى المساحة المعنية • بل يجب أن يبادر الى هذا الخروج الأخير الى المساحة المعنية ، استجابة لما تمليه حاجة البحث الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض السائدة • بل قل عليه التزام أكيد ، بأن يطاوع كل دواعى الـذهاب الاخـــير الى الميـــدان ، لاستيفاء النقص واستكماله ، أو لمواصلة التحرى والحصول على الاضافة عن أنماط استخدام الأرض السائدة فى ربوع المساحة المعنية •

واستشعار النقص فى الرصيد الجغرافى الذى تفضى اليـــه الدراسة الميدانية فى الرحلة الجغرافية السابقة ، ووضوح رؤية الثغرات ، بعـــد التمعن فى هذا الرصيد الجغرافى أثناء جلسات الدراسة المكتبية ، هى التى

توجه هذا الذهاب الأخير الى الميدان • وقل انها هى التى توجه وضع خطة العمل من جديد ، قبل هذا الذهاب الأخير الى المساحة المعنية ومباشرته • بل قل انها هى التى توجه اختيار الافراد من بين أعضاء الفريق المتعاون ، وتلزمهم بهذا الذهاب الأخير الى الميدان • كمـــا تلزمهم بحسن الأداء فى الميدان ، لاستيفاء النقص أو لتدارك التقصير ، أو للبحث عن الاضـــافة الجغرافية الواجبة •

ويدعو هذا الخروج الأخير الى الميدان ، الى شىء من التشاور بـــين أعضاء الفريق المتعاون • ويدور هذا التشاور فى هدوء ، حول :

١ - ما هو بالضبط العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الـــذى ينبغى القيام به ، حتى يتدارك النقص ، أو حتى يتجنب عواقب التقصير ، أو حتى يسد الثغرات ، أو حتى يجنى ثمرات الاضافة ، وهو ما ينبغى أن يلتزم به فرد أو مجموعة أفراد منتخبين ، فى صحبة الجغرافى قائد الفريق ، عندما يذهب معهم الذهاب الاخير الى الميدان ؟

٢ - من هو الذى ينبغى أن يقع عليه الاختيار ، حتى يخرج وهـــو ملتزم فى صحبة هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الاخيرة ، ويعاود من جديد مباشرة العمل الجغرافى العملى ، واجراء الدراسة الميدانية التكميلية المناسبة فى المساحة المعنية ؟

٣ - ما هو أسلوب العمل الجغرافى الميدانى التكميلى الانسب ، الذى يتعين الالتزام به واتباعه ، أو الاخذ به فعلا فى انجاز العمل الجغرافى العملى المستجد ، حتى يجاوب القصد الجغـــرافى عن أنمـــاط استخدام الارض السائدة ، فى المساحة المعنية ، أو حتى يلبى ارادة التوجه من جديد ، الى طلب المعلومة الجديدة ، أو فى طلب تصحيح المعلومة التى سبق الحصول عليها من الميدان ؟

وهكذا يخضع خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الاخـــيرة الى الميدان ، فى اطار المساحة المعنية ، وهى تحمل طابع الاستيفاء ، أو تدارك النقص والتقصير أو تجنب الغموض فى كنه وماهية استخدام الارض ، لضوابط محددة لا ينبغى تجاوزها • ويضع التشاور والحوار العلمى الذى يدور بين أعضاء الفريق المتعاون ، ايدى الاجتهاد الجغرافى المعاصر على هذه الضوابط التى تحكم الذهاب الاخير الى الميدان ، وتكفل العودة النهائية منه

والجعبة الجغرافية متخمة بما تحصل عليه ، عن أنماط استخدام الأرض • كما يسعف هذا التشاور والحوار العلمي ، وضع خطة العمل الجغرافي الجديد أو الاضافة التي تضبط وتنظيم مسيرة العمل الجغرافي العملي المستجد ، على الساحة عن موضوع استخدام الأرض •

ولا ينبغي أن يلتزم بالخروج في رحلة الذهاب الى المساحة المعنية ، الا من تستوجب حاجة العمل الجغرافي الميداني التحاقه بها ، ولا يجوز الاستغناء عن دوره الوظيفي أبدا • وقد يكون في وسعه الجغرافي أن يذهب الى الميدان بمفرده ، ودون أن يصطحب معه أحدا في هذا الذهاب الأخير • بل قل انه قد يمتلك القدرة لانجاز المهمة متفردا بالعمل الجغرافي العملي الميداني • ولكن المؤكد ان شرط الصحبة ، في هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الأخيرة ، وفي كل رحلة جغرافية ميدانية أخرى ، هو شرط حاكم وضروري ولا ينبغي التهرب منه أبدا •

ومن ثم لا ينبغي تجاوز هذا الشرط الحاكم، عند الذهاب الأخير الى المساحة المعنية • وقل ان هذا التجاوز ، يكون بمثابة التهرب أو الخروج على موجبات العمل الجغرافي الجماعي ، أو بمثابة التهرب من العمل تحت مظلة الفريق ، والتنكر لروح الفريق • بل قل يتعين الالتزام الصارم بشرط هذه الصحبة ، حتى لو كان الرفيق الفني ، هو المعاون للجغرافي ، في انجاز العمل الجغرافي المطلوب ، عن أنماط استخدام الأرض ، في المساحة المعنية ، الذي لا يستغرق الا سويعات قليلة •

ومن أجل هذه المهمة الطارئة ، التي تشهد انجاز العمل الجغرافي العملي التكميلي ، قد توضح الخطة التي يتكرر بموجبها الذهاب الى المساحة المعنية ، ذهابا خاطفا أكثر من مرة ، والى أكثر من موضع معين متفق عليه في الميدان • وفي كل مرة من مرات هذا الذهاب المتكرر ، تنجز الرحلة الجغرافية الخاطفة ، عملا ميدانيا معينا لاستيفاء النقص أو التقصير ، في التماس وضوح الرؤية الجغرافية عن أنماط استخدام الأرض ، أو في التماس الرأي الجغرافي السديد عنها • ولا ينبغي أن يتزامن هذا الذهاب الاخير المتكرر أبدا ، في اطار الخطة الموضوعية ، لان الباحث الجغرافي يكون الشريك الأصلي ، في كل مرة من مرات الذهاب ، وفي كل موضع من مواضع هذا العمل الميداني ، عن استخدام الأرض •

وعلى صعيد المساحة المعنية ، وفي كل موقع عمل جغرافي منتخب ،

ينبغى أن يتعاون الجغرافى مع الشريك فى صحبته ، تعاونا مستنيرا ، وحصيفا ، في انجاز المهمة ، التى تتوجه من أجلها رحلة الذهاب الاخيرة الى الميدان • ولا يجب أن يكون العمل الجغرافى ، سواء استوجب انجازه جمع الاجابات فى استبيان ، أو استوجب انجازه اجراء التجربة العملية الميدانية ، متعجلا من أجل عودة سريعة من الميدان • ولا يجب أن يهبط مستوى الأداء والتدقيق ، فى جمع المادة الخام ، أو فى حصر الاجابات والردود على الأسئلة المطروحة ، عن مستوى الأداء العملى ، فى الرحلة الجغرافية السابقة • بل قل ينبغى أن يعزز هذا الاداء فى الميدان ، شيئا مناسبا من التحلى بالصبر والجلد والمثابرة الى جانب حسن التذوق الجغرافى ، فى طلب النتائج وحصرها وتصنيفها واستيعاب تعبيرها عن أنماط استخدام الأرض •

وسواء يتكرر هذا الذهاب الاخير الى الميدان ، أو لا يتكرر ، فلا تنقطع الصلة الحميمة ، بين الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، وهو يعمل عملا جغرافيا عمليا مناسبا عن أنماط استخدام الارض من ناحية ، والمساحة المعنية التى تشهد وتسيطر عليها هذه الأنماط السائدة من ناحية أخرى • ولا ينبغى أن يكف الجغرافى عن حسن التمعن الهادىء فى معاينة الواقع الجغرافى الذى يتحدث عن أنماط استخدام الأرض ، حتى يتبين له ، كيف تسفر العلاقة بين الانسان والأرض عن هذه الانماط السائدة ، فى المساحة المعنية • بل قل ينبغى أن يمضى هذا التمعن الجغرافى ، فى الاتجاه الصحيح ، وهو يميز جيدا بين استخدام الارض لحساب الانتاج والتعامل مع الموارد المتاحة ، واستخدام الأرض فى السكن والاستيطان الريفى أو الحضرى ، واستخدام الأرض لتوفير الخدمات المتنوعة • ولا يكاد يشبع الجغرافى من معطيات هذا التمعن ، الا وهو يفهم جيدا ، كل شىء عن مسئولية الانسان عن مستوى العلاقة مع الأرض التى يستخدمها ، وعن مستوى العطاء أو الاستجابة التى يجاوب بها الاستخدام السائد حركة الحياة • بل قل ان هذا التمعن الجغرافى ، يلتمس شيئا من العناية بالتوازن الحقيقى الذى ينبغى أن يحافظ عليه استخدام الأرض ، حتى لا يمضى هذا التعامل مع الارض على درب الخطأ ويصبح نوعا من أنواع التجنى والافساد فى الأرض بالمساحة المعنية •

وفور الانتهاء من هذه الدراسة الميدانية الاخيرة ، تستكمل الرحلة الجغرافية الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية ، مهمتها • بل قل يكتمل على امتداد المراحل الثلاثة ، جمع الرصيد الجغرافى المناسب عن أنماط استخدام الارض • كما يتحقق استيعاب معطيات هذا الرصيد الجغرافى

وتعبيره المباشر وغير المباشر ، عن مستوى هذا الاستخدام ، وعن مبلـــغ استعداد الانسان لمباشرة الاساليب الافضل لتحسين مستوى هذا الاستخدام للتحول من الاستخدام الجائر ، أو التقليدى الجامد ، الى الاستخدام المتطور الانسب •

ومن ثم يصبح فى وسع الجغرافى ، أن يباشر مهـــارته وخبرته فى التحليل والتركيب ، لكى يصطنع من حسن توظيف المادة الخام التى يحصل عليها من الميدان ، مع المادة الجغرافية المنتخبة التى يستخرجها من بطون المراجع والمصادر الخاصة والمتخصصة ، لاخراج البحث عن أنماط استخدام الأرض فى المساحة المعنية • وحسن التعبير الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض السائدة ، وحسن تقويمها وهى مسئولية حركة الحياة من ناحية ، وهى مورد العطاء الذى يلبى حاجات حركة الحياة من ناحية أخرى ، يفتح أبواب البحث الجغرافى انفتاحا من غير حدود . لكى يطل الجغرافى ويلتمس النتائج الجغرافية ذات الطابع التطبيقى • ومثل هذا الوصول الجغـــرافى الذكى الى النتائج ذات الطابع التطبيقى ، يخدم حركة الحياة فى المساحة المعنية • بل قل انه يبصر التغيير وتوجهـــات التحسين فى الأساليب التى يرتفع بموجبها مستوى استخدام الأرض فى المكان والزمان •

الفصل السادس

الجغرافية والدراسة الميدانية لحساب التنمية

- الجغرافية والاهتمام الجغرافى بعمليات التنمية .
- التخطيط الاقليمى قمة العناية الجغرافية بالتنمية .
- الدراسة الميدانية الجغرافية لحساب التنمية .
- رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية .
- التوجه الجغرافى الى تشكيل الفرق المتعاون .
- وضع خطة العمل الجغرافى الميدانى .
- خروج رحلة تقصى الحقائق الجغرافية لحساب التنمية .
- الانجاز الجغرافى العمل لحساب التنمية فى الاقليم التخطيطى .
- رحلة جغرافية ميدانية اخيرة الى الاقليم التخطيطى .

الفصل السادس

الجغرافية والدراسة الميدانية لحساب التنمية

الجغرافية والاهتمام بمعليات التنمية :

ربما كان الاقدام الجغرافى على المسح الجغرافى ، للظاهرات الاقتصادية أو للظاهرات الاجتماعية ، أو للظاهرات السكانية ، فى المساحة المعنية ، أول خطوة تنفيذية ، فى التوجه الجغرافى نحو العناية بالتنمية • وقل ان هذا المسح الجغرافى الذى يلتمس الظاهرة الجغرافية المعنية ، وهى محصلة للعلاقة بين حركة الحياة ونبضها الاقتصادى أو الاجتماعى أو الحضارى او السكانى من ناحية ، والأرض فى المساحة المعنية واتساع صدرها لهذا النبض من ناحية خرى ، يضع الجغرافى فى موضع التصور الصحيح لمعنى ومغزى هذه العلاقة • كما يهيىء الجغرافى أو يؤهله تأهيلا مشمولا بحسن هـذا التصور ، حتى يصبح فى وسعه أن يحدد مستوى هذه العلاقة ، وأن يصدر الحكم على قوة فعل الطبيعة وخواص الأرض ، وهى تضبط وعلى استعداد لأن تنضبط ، وعلى قوة فعل الوسيلة الحضارية وقوة فعل الانسان ، وهو يضبط وعلى استعداد لأن ينضبط • بل قل ان هـذا المسح الجغـرافى ، يوجه الاجتهاد الجغرافى وجهة التقويم ، لكى يصـدر عنه الـرأى الجغـرافى الـذى يبتنى عـلى حساب مستوى هذه العـلاقة ، حتى يبصر تحسين ورفع مستوى قوة فعـل الانسان ووسائله الحضارية الى الحـد الـذى يزحزح حد المصالحة بين الانسان وحركة حياته والطبيعة وقـوة فعـل خواصها ، لحساب الانسان وعلى حساب تطويع الطبيعة ولوى ذراعيها ، لكى توقع وهى صاغرة ، على بنود هذه المصالحة •

وامعانا فى فهم هذه الخطوة التى يوفرها المسح الجغرافى للظـاهرة الجغرافية المعنية فى المساحة المعنية ، نذكر على سبيل المثال ، ان الاقدام على التنمية الاجتماعية ، لا يمكن ان تتحقق وان تمضى فى الاتجاه الصحيح، دون الاقدام الجغرافى على المسح الاجتماعى فى المساحة المعنية • كما نذكر أيضا ، مبلغ الارتباط بين المسح الاقتصادى وهو ما ينبغى أن يتأتى أولا لكى يتحسس صورة جغرافية واضحة عن الواقع الاقتصادى أو عن أبعاد وشمول العملية الاقتصادية فى المكان والزمان ، ثم يكون العمل الـذى

ينبغي تنفيذه ، من أجل استحداث التغيير أو التعديل أو التحسين ، الذى يجسد التوجه الى التنمية الاقتصادية • ومن ثم ندرك كيف يمهـــد المسح الجغرافى ، وكيف يوفر الرؤية الواضـــحة جغرافيا ، لكى يبتنى التغيير أو لكى تتأتى عملية التنمية ، تأسيسا على هذا المسح الجغـــرافى فى المكان والزمان • بمعنى استعداد الجغرافية للتكليف الذى يحملها مسئولية الاعداد والتجهيز ، واجراء عمليات المسح الجغرافى فى المكان والزمان ، توطئـــة لصياغة الخلفية الجغرافية فى المساحة المعنية وحسن بيـــان الأوضاع التى يبتنى عليها صرح العمليات التنموية • ولان عملية التنمية ، تطور الواقع فى المساحة المعنية ، لحساب الانسان ، فينبغى أن تعهد للاجتهاد الجغرافى بمهمة المسح الجغرافى ، حتى تبتنى عملية التنمية على أساس من هـــذا الواقع •

وهكذا ، تكون أول علاقة حميمة بين الجغرافية وعملية التنمية • وفى اطار هذه العلاقة ، وهى مسئولية الاجتهاد الجغرافى مسئولية محـــددة • ولم يتجاوز المطلوب منها شىء ، أهم من وضوح رؤية الواقع من خـــلال المسح الجغرافى ، للظاهرة الجغرافية المعنية ، محل اهتمام العملية التنموية، على صعيد المساحة المعنية • وقل ان المسح الجغرافى يمهد أو يهيىء الرؤية الواضحة للواقع المعنى ، أو يجهز الارضية التى يرتفع عليها بناء العملية التنموية • بل قل انه يمثل البداية التى تسبق كل الاعمال ، حتى تتوفر البداية على أساس من وضوح الرؤية التى يعبر عنها المسح الجغـــرافى • ومن ثم قل أيضا ان التنمية التى تعتمد على نتائج المسح الجغرافى لا تبدأ من فراغ أبدا • بل قل ان التنمية التى لا تبدأ من فراغ وتعتمد على المسح الجغرافى ، وهو قاعدة صلبة لهذه البداية ، لا تنتهى من غير أن تحقق الغاية التنموية السليمة • ومع ذلك تبقى حقيقة تحدث عنها هذه العلاقة بين المسح الجغرافى وعملية التنمية لكى تبين كيف تكون البداية مع صنع الاجتهادالجغرافى المعاصر • ومن ثم لا يجب أن يستبعد هذا الاجتهاد أبدا من ميدان العمل التطبيقى لحساب التنمية •

ويمضى الاجتهاد الجغرافى ، على درب العناية والاهتمام ، بالانجـــاز الجغرافى ، الذى يسعف بالنتائج الجغرافية ذات الطـــابع التطبيقى ، لكى تخدم الأهداف التنموية • وتبقى الاهداف التنموية ، فى الاطار الـــذى يلتمس الوسيلة ، التى يتحقق بموجبها ، دعم وتصعيد قوة فعل الانسان ووسائله الحضارية ، فى مواجهة قوة فعل الطبيعة وخواص الأرض ، حتى

تزحزح حركة الحياة حد المصالحة لحساب الانسان وعلى حساب الطبيعة ٠ ويأتى الاقدام الجغرافى المباشر ، على دراسة الشخصية الجغرافية فى المساحة المعنية ، الى الحد الذى تتكشف له رؤية تفاصيل العناصر الجغرافية الطبيعية. والعناصر الجغرافية البشرية ، وهى تتداخل فى توليفة الشخصية الجغرافية فى المكان والزمان ٠ ووضوح هذه الرؤية للشخصية الجغرافية ، اضسافة الى تقويم هذه الرؤية ، والوصول الى الرأى الجغرافى ، يضع أيدى الاجتهاد الجغرافى على قاعدة صلبة ، يرتكز عليها وجود حركة الحياة ٠ ومن خلال هذا الوضوح فى رؤية الشخصية الجغرافية والرأى الجغرافى تعقيبا عليها ، يكون الترشيد الانسب ، للتغيير الذى تبتنى عليه التنمية ٠ بمعنى أن يكون الترشيد الجغرافى الذى تسفر عنه دراسة الشخصية الجغرافية قاعدة، تنطلق منها التوجهات الى التنمية ، التى لا تبدأ من فراغ ، ولا تنتهى من غير غاية ٠

وهكذا يخطو الاجتهاد الجغرافى خطوة ثانية ، على درب توطيد العلاقة الحميمة ، بين الجغرافية وانجازاتها المتجددة ، وعملية التنمية ٠ وفى اطار هذه العلاقة ، تزداد الاعباء وتتضخم مسئوليات الانجاز الجغرافى الذى يركن اليه ، الاقدام التنفيذى على التنمية ٠ وما من شك فى أن دراسة الشخصية الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية ، تجسد ضخامة هذا العبء الجغرافى٠ بل قل تصبح هذه المسئولية ، أمانة فى عنق الاجتهاد الجغرافى ، وهو يبصر وضع خطة التنمية التى تناسب ولا تتناقض مع الشخصية الجغرافية ومقدار ما تتمتع به من مرونة واستعداد ، لاستيعاب دواعى هـذا التغيير الـذى تلتمسه التنمية ٠

وصحيح ان الاقدام الجغرافى على المسح الجغرافى أحيانا ، وعلى تقصى الشخصية الجغرافية أحيانا أخرى ، يوطد العلاقة الجغرافية والتوجه الجغرافى التطبيقى بالتنمية ٠ وصحيح أيضا ، ان الاجتهاد الجغرافى يرسخ أصول وقواعد المسح الجغرافى ودراسة الشخصية الجغرافيـة ، ويجيد اجـراء الدراسة الميدانية التى تفضى الى حسن صياغة الرأى الجغرافى وتوجهاته التطبيقية ، تمهيدا للممارسة التنموية ٠ وصحيح مرة أخرى ، ان تشكيل الفريق المتعاون لاجراء الدراسة الميدانية ، لحساب المسح الجغرافى أو لحساب الشخصية الجغرافية ، يبرهن على الاهتمام الجغرافى بموقف علم الجغرافية ، وهو يقف فى مكانه البينى وسط العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، حتى يأخذ من نتائجها ما يسعف وضوح الرؤية الجغرافية ، ويجـود الـرأى

الجغرافي وتوجهاته التطبيقية في خدمة التنمية ۰ ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، ان الوقوف الجغـرافي في صف العلـوم الطبيعية والانسانية ، وتأسيس نتائج العمل الجغرافي وتوجهاته التطبيقية على نتائج هذه العلوم، يقوى عزم الاجتهاد الجغرافي ويشد أزر اسهامه أو مشاركته في التمهيـد الجيد للتنمية ، وفي الترشيد الحميد لتنفيذ التنمية ۰ وقل انه من أجل هذا التمهيد الجيد للتنمية ، وهذا الترشيد الحميد لتنفيذ التنمية ، يضع الاجتهاد الجغرافي قواعد التخطيط الاقليمي لحساب عمليات التنمية ۰

التخطيط الاقليمي وقمة العناية الجغرافية بالتنمية :

يستشعر الاجتهاد الجغـرافي ، وهو يقـدم من بين يديه ، التمهيد المناسب للتنمية ، وقوع التنفيذ التنموي في شيء من الخطأ ۰ وقل ان الاجتهاد الجغرافي يباشر اهتمامه ، لكي يجنب التنمية عواقب الوقوع في هذا الخطأ ۰ بل قل انه يعمل في جد ، لكي يطور علاقة العمل الجغرافي وتوجهاته التطبيقية من مجرد التمهيد المناسب للتنمية ، الى حسن ترشيد التنمية ، عند الاقدام على وضع الخطط التنموية ، وعند الاخذ بأساليب التنفيذ الفعلي لبرامـج التنمية ۰

ويباشر الاجتهاد الجغرافي مهمة تطوير العلاقة بين عطاء العمل الجغرافي، وعملية التنمية ، من خلال مهارة تبحث عن الخطأ الـذي يقع فيه التنفيـذ التنموي ، ومهارة أخرى تبحث عن الصواب الذي يسدد أهداف العمـل التنموي ۰ بمعنى ان علم الجغرافية لا يقف عند حد الاعتراض عـلى الخطأ، وشجبه والتنديد به ، والا يصبح الأمر تجريحا هداما ۰ بل قل انه يعترض على الخطأ ، ويقوم في نفس الوقت على عرض البديل الـذي يجنب التنمية عواقب الوقوع في الخطأ الاقتصادي و الاجتماعي ۰

وتطعن المهارة الجغرافية التي تبحث عن خطايا التنفيذ التنموي ، في عدم الالتزام بالشمول التنموي على الصعيد الذي يشهد عمليات التنمية ۰ كما تطعن هذه المهارة الجغرافية أيضا ، في الخروج على قواعـد التـوازي والتوازن والتزامن ، عند الاقدام على تنفيذ عمليات التنمية ۰ وتضيف الى هذا الطعن ، اعتراضا وتنديدا ، تتوجه به في الاتجاه الصحيح ، وهي تعترض على عدم العناية بمكان ومكانة الانسان الذي يمثل الوسيلة قبل ان يمثـل الغاية من العملية التنموية ۰ ثم تلحق بذلك كـله ، إعتراضا عـلى الحيز المنتخب ، الذي يحتوي عملية التنمية ، لحساب الانسان ومن خلال قدراته

على صنع التغيير واستيعابه وطلب الحياة الأفضل ، فى ربوع الأرض ؟

وتأسيسا على هذا الطعن الجغرافى ، والاعتراض على مسيرة التوجـه التنموى ، يبتدع الاجتهاد الجغرافى ، نمطا جديدا من التخطيط التنموى • ويحرص الاجتهاد الجغرافى تماما ، على حسن اختيار الحيز ، حتى يكون وكأنه الوعاء الأنسب ، عندما يحتوى وتمضى فى انحائه عمليات التنفيذ التنموى • ويفضى حسن اختيار الحيز ، الى تحديد مواصفات الاقليم التخطيطى ، وكيف يهيمن على صعيده شيئا كثيرا من التجانس فى توليفة الواقع الطبيعى ، وفى توليفة الواقع البشرى • ويعلن الاجتهاد الجغرافى عن قدرته فى دراسة هذه التوليفة على الوجهين الطبيعى والبشرى ، حتى يصل الى حسن تقويم العلاقة بين حركة الحياة والارض التى تحيـا عليهـا • ومن ثم يكون المنطـلق الصحيح ، الذى يضع تحت سمع وبصر الخطة ، **رؤية جغرافية** تعبر عن الواقع الذى يجسد هذه العلاقة ، **ورأى جغرافى** عن الكيفية التى يتسنى بموجبها ضمان تحسين موقف الانسان من هذه العلاقة وهو يملك القبضة الأقـوى لتطويع الأرض ، وضمان استجابة الأرض لوسيلة الانسان الأفضل ، وهى تلين وتطاوع ارادة التغيير الى ما هو أفضل ، والتنمية •

واضافة الى التفضيل الجغرافى للاقليم التخطيطى ، وهو الحيز الأنسب لاحتواء عمليات التنمية ، يحرص الاجتهاد الجغرافى على وضع الخطة التى تحقق الشمول التنموى فى الوعاء التخطيطى • وهذا الشمول التنموى فى الوعاء التخطيطى الاقليمى ، لا يعنى بشىء أهم من أن يشمل النمو كـل شىء ، ولا يهمل أى شىء • بل قل انه يجسد الطعن فى التنمية غير الشاملة ، التى تفضل قطاع على قطاع آخر ، أو التى تنمى قطاع وتهمل النمو فى قطاع آخـر • ويرشد حسن اختيار الاقليم التخطيطى ، وحسن الاقدام الجغرافى على دراسة الواقع الجغرافى الشامل الذى لا يهمل شىء ، وضع الخطة التى تكفل الشمول التنموى • بل قل ان وضع هذه الخطة ، فى ضوء وضوح الرؤية الجغرافية وفى ظل حسن الاستماع الى الرأى الجغرافى تعقيبا على هذه الرؤية ، يعنى ان برامج التنمية لا تبدأ من فراغ أبدا • كما يعنى الشمول فى برامج التنمية على صعيد الاقليم التخطيطى ، عناية بالتوازن والتوازن والتزامن حتى تمضى مسيرة النمو فى الاتجاه الصحيح ، بخطوات منتظمة ومنضبطة الى ما هو أفضل ، اجتماعيا واقتصاديا ، وحضاريا وسياسيا •

وهكذا ، يقوم الاجتهاد الجغرافى اقداما واثقا وحصيفا ، على هذه الخطوة الحيوية ، التى تطور العلاقة بين العمل الجغرافى وعمليات التنمية • ويصعد

تطوير هذه العلاقة مسئولية الاجتهـــاد الجغرافى عن حسن الالتزام بالأداء الجغرافى الانسب ، لحساب التنمية • ويتمثل هذا الأداء الجغرافى فى :

١ ــ حسن البحث وتحرى الموضوعية ، لاختيار الحيز الانسب أو الوعاء الأحسن الذى يصبح قاعدة وأساسا سليما للتنمية • ويشمل هذا البحث والتحرى ، تحديد الابعاد الجغرافية الحاكمة للاقليم التخطيطى •

٢ ــ حسن البحث والتحرى الجغرافى ، عن توليفة الواقع الجغـــرافى الطبيعى ، وعن توليفة الواقع البشرى ، فى الاقليم التخطيطى ، توطئة لرؤية حركة الحياة على هذا الصعيد ، ومعرفة مبلغ الحاحها فى طلب التغيير ومعرفة مبلغ استعداداتها المادية بالكم والكيف ، والمعنوية بالمهارة والخبرة ، لصنع التغيير واستيعاب نتائجه ومتغيراته •

ويأتى هذا الاستعداد الجغرافى ، لتحمل أعباء هذا الأداء ، الذى يقتحم ميادين التنمية ، ويضمن وقوف الاجتهاد الجغرافى ، فى صف واحد مع كــل أصحاب الخبرة العاملين فى حقل التنمية ، تعبيرا جيـدا ، يبشر بالتحـــول الجغرافى الحقيقى ، من جمود النظرية الى مرونة التطبيق • ويستوجب هـذا التحول تطويع الدراسة الميدانية تطويعا ، يخدم هذا التحـــول الجغرافى ، ويشد أزر الاجتهاد الجغرافى ، وهو يعمـــل فى صف كل العـــاملين فى عمليات التنمية •

ويصبح الجغرافى فى هذا الصف الذى يجمع العـــاملين فى التنمية ، ويكون منهم فريق العمل شريكا فى العمل التنموى • ويستهل الاجتهاد الجغرافى هذا العمل المشترك ، وحده لكى يحدد بخبرته الاقليم التخطيطى ، أو لكى يحدد بخبرته مجموعة الاقاليم التخطيطية على صعيد الدولة ، ويلتمس أسباب الفصل بين الاقليم التخطيطى والاقليم التخطيطى الآخـر ، مثلمـــا يلتمس أسباب الوصل والتكامل بين الاقليم التخطيطى والاقليم التخطيطى الآخر• والفصل مع الاحتفاظ بدواعى التكامل ، أو التكامل مع العناية بدواعى الفصل ، بين الأقاليم التخطيطية ، هو أقصى ما يعلن عن النجاح الجغرافى فى صياغة الخطة الاقليمية ، ثم صياغة الخطة القومية من خلال حسن التنسيق بين دواعى الفصل ودواعى الربط والتكامل ، بين مجموعة الخطط الاقليمية •

ويستمر الاجتهاد الجغرافى بعد ذلك فى أداء مهمة أخـــرى ، لحساب التجهيز والاعداد الفعلى لوضع الخطة الانمائية الاقليمية أو مجموعة الخطط الاقليمية ، ثم حسن صياغة الخطة القومية من التنسيق وحسن التكامل بين

مجموعة الخطط الاقليمية • وفى هذه المرحلة ، يضع الاجتهاد الجغرافى الدراسة الميدانية فى خدمة الانجاز الجغرافى ، الذى يتحرى الرؤية الجغرافية على الواقع الجغرافى فى الاقليم التخطيطى ، ويلتمس الرأى الجغرافى تعقيبا على هذه الرؤية ، فى الاقليم التخطيطى • ويشرك الاجتهاد الجغرافى معه أعضاء من مختلف التخصصات ، فى تكوين أو فى تشكيل الفريق المتعاون ، لاجراء الدراسة الميدانية على النحو الذى يفضى الى النتائج التطبيقية ، لحساب التنمية • وتبدو هذه النتائج وكأنها توصيات جادة لم تنشأ من فراغ ، تبصر وضع الخطط التى تتضمن كل المشاريع الانمائية ، دون تفريط فى الشمول التنموى ، أو دون تجاوز حدود ما ينبغى أن يكون عليه التوازى والتوازن والتزامن فى التنفيذ التنموى •

الدراسة الميدانية لحساب التنمية :

يسفر التفكير الجغرافى المتفتح ، فى اطار توجهات تطبيقية معاصرة فى خدمة حركة الحياة ، عن ادراك حصيف وملتزم ، يدرك مبلغ تطلع عملية التنمية الشاملة ، وبرامجها الانمائية المتنوعة ، لان تحتويها خطة محبوكة ، فى المكان والزمان • كما يسفر الاجتهاد الجغرافى بكل الوعى الشديد ، عن حسن ادراك ما ينبغى أن يفعله الاسهام الجغرافى التطبيقى ، حتى يشترك فى حسن صياغة هذه الحبكة فى المكان • بل قل يكون فى وسعه أن يلتمس الكيفية التى يسعف بها الأداء الجغرافى ، قضايا التنفيذ العملى ، التى تلتزم بها البرامج الانمائية فى المكان والزمان •

ومن غير اسراف أو مبالغة فى تجسيد دور الخبرة الجغرافية وتوجهاتها التطبيقية المعاصرة ، التى يتصدى بها الاجتهاد الجغرافى لهذا التكليف الحيوى لحساب عملية التنمية ، يجب أن نلتمس مسألة توظيف الرحلة الجغرافية الميدانية ، فى انجاز الشق العملى من العمل الجغرافى ، استجابة لهذا التكليف • ويخضع التوجه الجغرافى الميدانى ، لضوابط تمليها ، مسئولية العمل الجغرافى بصفة عامة ، عن تحديد الحيز المكانى ، فى اطار الاقليم التخطيطى أولا ، وعن التماس الرؤية الجغرافية التى تطالع المنظور الجغرافى على الوجهين الطبيعى والبشرى ، حتى يتسنى التعليق والتعقيب والتقويم • فى طلب رأى الجغرافى السديد ، الذى يبصر ويرشد التخطيط الاقليمى •

وهذا معناه ، مضاعفة العمل الجغرافى العملى ، وتضخم مسئوليات الرحلة الجغرافية الميدانية • ومعناه أيضا ، ادخال بعض التعديلات الطفيفة ،

التى تستوعب تضخم العبء الجغرافى ، مرة وهو يحدد الاقاليم التخطيطية ، ومرة أخرى وهو يتقصى الحقائق الجغرافية ويلتمس الرأى الجغرافى عن الواقع الجغرافى الذى تبتنى عليه كل اضافات عملية التنمية فى الاقليم التخطيطى • ومع ذلك لا تكاد تمس هذه التعديلات فى انجاز العمل الجغرافى العملى ، الهيكل التنظيمى ، الذى ينتظم بموجبه ذهاب أو توجه الرحلة الجغـــرافية الميدانية ، مرات متوالية ، لانجاز المهمة التى توكل اليها فى كل مرة •

وبهذا المنطق ، تبقى حاجة الدراسة الميدانية ، لحساب التنمية فىاطار الاقليم التخطيطى ، الى ذهاب الرحلة الجغرافية ، الذى يتكرر ويتوالى ، الى الميدان • ويكون الذهاب الى الميدان فى كل مرة أو فى كل مرحلة من مراحل العمل الجغرافى الميدانى ، ذهابا مؤهلا لبلوغ الغاية أو تحقيق الهدف • وهذا معناه ان هناك عناية جغرافية حقيقية ، تبادر الى تحديد الهدف الذى يتعين الخروج من أجله فى رحلة جغرافية ميدانية هادفة • ولا تعود الرحلة الجغرافية الميداتية من الميدان ، الا بعد أن تنهى المهمة التى تخرج من أجلها • بل قل ان العودة الحقيقية من الميدان ، لا تكون الا بعد أن تستنفد الرحلة الجغرافية ، فى كل مرحلة من المراحل أغراضها الموضوعية ، لحساب الأهداف التنموية•



رحلة الزيارة الميدانية التفقدية :

تخرج رحلة الزيادة الميدانية التفقـــدية ، فى الوقت المناسب ، وهى لا تستهدف المعاينة الجغرافية فقط ، بل انها تتطلع الى تحديد الاطار الحاكم الذى يضم الاقليم التخطيطى • ويستوجب البحث عن هذا الاطار الحاكم ، شيئا كبيرا من المهارة الجغرافية ، فى التماس الحد الذى يفصل فصلا سليما بين اقليم تخطيطى واقليم تخطيطى آخر • كما يستوجب الامر ، امتداد هذه الزيارة التفقدية ، والانتقال من اقليم تخطيطى الى اقليم تخطيطى آخر ، حتى تكتمل تغطية كل الأقاليم التخطيطية ، فى تكامل مكانى جغرافى واقعى ، على صعيد الدولة •

وتستحق هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى تطوف وتنتقل من اقليم تخطيطى الى اقليم تخطيطى آخر ، شيئا كثيرا ، من حسن الاعداد والاستعداد لانجاز المهمة الجغرافية • ومن قبيل حسن الاعداد وحسن الاستعداد ، يمارس الاجتهاد الجغرافى شيئا من العمل والدراسة المكتبية ، بعد أن يتيقن من أ الاقليم التخطيطى هو بعينه الاقلم الجغرافى ، الـــذى تتصف المساحة الن

يغطيها بالتجانس الطبيعي والبشرى ، ويميزه هذا التجـانس عن الاقاليم الأخرى • وتطول جلسات العمل الجغرافى المكتبى ، ويفلح الاجتهاد الجغرافى وهو يقوم وحده بهذه المهمة ، فى حسن تمييز الاقاليم الجغـرافية ، التى نصبح هى بحذافيرها الاقاليم التخطيطية ، على صعيد الدولة • وقد يتعمد نجهيز الخرائط التى تحتوى نقاسيم هذه الأقاليم الجغرافية • وقد يتزود من خلال المطالعة وحسن الاطلاع على المراجع ، بقدر مناسب من المعرفة الجغرافية، التى يعبر عنها المنظور الجغرافى فى كل اقليم من الاقاليم التخطيطية • ومع ذلك تبقى حاجة الاجتهاد الجغرافى الى رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية الى كل اقليم من الاقاليم التخطيطية ، لكى يتيقن من التجانس الجغرافى فى كـل اقليم ، ويتثبت من الفروقات التى تميز الاقليم وتفرق بينه وبين الأقاليم التخطيطية الاخرى ، ولكى يتأكد من صدق المطابقة بين حدود الاقليم الجغرافى وحدود الاقليم التخطيطى ، ومن صدق فصل هذه الحدود بين الاقليم التخطيطى والاقليم التخطيطى الآخر • كما تلتمس الخبرة الجغرافية من هـذه الزيارة التفقدية الميدانية ، التزود بشىء مفيد ، يشد أزر الاجتهاد الجغرافى ، عندما يعود ، فى حسن اختيار وتشكيل الفريق ، وفى حسن تجهيز واعداد خطة العمل الجغرافى الميدانى وتقصى الحقائق الجغرافية •

ومن قبيل الاعداد والتجهيز لرحلة الزيارة الجغرافية التفقدية ، يختار الجغرافى بعض العناصر من ذوى المهـارة والاختصاص ، الـذى يأنس الى مشاركتهم ، ويطمئن الى حسن التعاون معهم فى انجاز المهام أو فى تغطية الهدف الجغرافى الأولى الذى يتطلع اليه ، هذا الخروج الى الميدان • كما يعتنى الجغرافى ، بوضع خطة محدودة الاجل لكى تمثل دليل العمل الجغرافى فى هذه الزيارة التفقدية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الميدان • ولا ينفرد الجغرافى بوضع تفاصيل هذه الخطة ، بل انه يعتمد على التشاور مع الشريك أو الشركاء الذين يخرجون فى صحبة رحلة الزيارة التفقدية ، فى أنحـاء الميدان •

ولا تحتاج هذه الرحلة الجغرافية ، وهى تتوجه الى الزيارة التفقدية ، الى الاقامة الثابتة فى موقع معين • بل قل انها تنتقل من موقع الى موقـع آخر ، وهى تطوف فى ربوع المساحة التى تغطى أنحاء الاقليم التخطيطى • وتصبح وسيلة الانتقال التى تطاوع هذا الطواف ، الـذى يحقق الهدف ، من الزيارة التفقدية ، أهم ما ينبغى أن يتوفر ، لحساب هذه الرحلة الجغرافية الميدانية • وتكون الاقامة — فى الغالب — فى مستوطنات منتخبة فى مواقع

متفرقة على صعيد الارض في الاقليم التخطيطي · وفي الأحوال الاستثنائية ، التي يكون فيها الطواف ، في مساحات غير مأهولة صحراوية جافة أو جبلية وعرة ، ينبغي أن تصطحب الرحلة الجغرافية معها ، وسائل الاقامة المؤقتة ·

ويطوف الفريق الذى يضم الجغرافى وفى صحبته شريك أو أكثر من شريك ـ حسب مقتضى الحال ـ طوافا منضبطا ومتأنيا· ويتعمد هذا الطواف ، أن يطل الجغرافى على المساحة التى يمر بها ، فى هدوء شديد دون عجلة ،حتى يبدو وكأنه يتمعن أو وكأنه يحاول حسن استيعاب ما تنبىء به المعـــاينة المتأنية · وقل ان هذه المعاينة جغرافية ، تطالع المدركات الجغرافية ،وتستحق أن يطل عليها الجغرافى بعين جغرافية تجيد أو تحسن التذوق الجغـــرافى ، وبادراك جغرافى حصيف يملك ناصية التفتح الجغرافى ·

وينبغى أن تشمل المعاينة الجغرافية ، التى تحقـــق أهداف الزيارة التفقدية ، متابعة تحملق فى المنظور الجرافى الكلى ، وان تعاين على الوجهين الطبيعي والبشرى ، التوليفة الجغرافية السائدة فى الاقليم التخطيطى ·والقاء النظرة بالعين الجغرافية ، معناه حسن توظيف مهارة هذه العين ، فى التحليل والتركيب ، لكى توغل هذه المعاينة عمقا واتساعا فى تفهم ، ما يحدث عنه الواقع الجغرافى ، فى اطار العلاقة الحميمة بين حركة الحياة فى أنحاء الاقليم من ناحية ، والارض وهى المسرح الفسيح الذى يحتوى ويجاوب وجود هذه الحركة بكل مالها وما عليها ، من ناحية أخرى ·

والمعاينة الجغرافية التى تنظر وتحملق فى المنظور الجغرافى ، على صعيد الاقليم التخطيطى ، لا يعنيها أبدا اجراء الدراسة الميدانية أو تنفيذ الاستبيان، أو جمع أوصال المادة الخام · بل قل يعنيها مهارة وخبرة العـــين الجغرافية التى تلمح المدركات الجغرافية ، وتجنى ثمرة اللمحـــة الخاطفـــة ، أو التى تتعامل مع المدركات الجغرافية ولا تفوتها قيمة التعامل المباشر · كما يعنيها أيضا ، مهارة وخبرة الاحساس الصادق ، والانطباع الجغرافى العام ، الذى تفضى اليه المعاينة الجغرافية ، ووقفة العين الجغرافية وجها لوجه أمام المدركات الجغرافية الكلية ، هنا وهناك على صعيد الاقليم التخطيطى ·

هذا ، ولا يطالب أحد الخبرة الجغرافية بشىء ، ينبغى الحصول عليه من هذه المعاينة الجغرافية ، بعد العودة من رحلة الزيارة التفقدية · وقل انه هو الذى يطلب وضوح الرؤية ، وهو الذى يجنى ثمرة هذه المعاينة الجغرافية ، أثناء طواف مستمر يغطى الاقليم التخطيطى ، حتى يشمل كـــل المســاحة

المعنية . بل قل ان الخبرة الجغرافية التى تملك مهارة المشاهدة ، والتعامل مع المنظور الجغرافى ، هى التى تتزود بالمعرفة الجغرافية التى تبوح بها المدركات الجغرافية فى المنظور الجغرافى ، وهى التى تنتفع من هذا الزاد الجغرافى ، بعد اتمام الزيارة التفقدية والعودة المظفرة من الاقليم التخطيطى .

وحسن اختيار الشريك المناسب الذى يصاحب الجغرافى فى هـــذه الزيارة التفقدية ، يكون على جانب كبير من الاهمية . وتخدم هذه الصحبة المعاينة الجغرافية المشتركة ، عندما تطل وتشاهد وتتعامل مع المنظـــور الجغرافى ، فى الاقليم التخطيطى بأكثر من عين واحدة . ويوفر هذا الاشتراك، فى المعاينة الجغرافية التى تجسد معنى الزيارة التفقدية ، الانفتاح الـــذى يؤدى الى شىء مهم من التفتح الجغرافى . بل قل ان هذا الاشتراك ، يهيىء الفرص من حين الى حين آخر ، للتشاور أو للحوار أو للجدل المفيد ، الذى يفجره الانطباع الجغرافى المباشر ، الذى تفضى اليه المعاينة الجغرافية عـــلى صعيد الاقلم التخطيطى .

ويستمر الطواف فى أنحاء الاقليم التخطيطى ، وتستمر المعاينة الجغرافية أثناء هذا الطواف ، حتى يشبع زملاء الصحبة فى فريق الزيارة التفقـــدية المحدود . وهو لا يكاد يشبع الا اذا أجاد الانفتاح الجغرافى على المنظـــور الجغرافى ، حتى تسفر المعاينة عن أهم ما ينبغى أن يتزود به ، فيرشد بحثه فى مرحلة تالية ، وهو يتقصى الحقائق الجغرافية ، أو وهـــو يجمع المـــادة الجغرافية الخام من المساحة المعنية، فى الاقليم التخطيطى. بل قل هذاالانفتاح الجغرافى ، يكون فى غاية الاهمية ، لأنه يضع أيدى الجغرافى ، على أهم نقاط البداية وهو يلتمس موجبات العلاقة وقنوات الاتصال والربط ، بين الاقليم التخطيطى والاقليم التخطيطى الآخر ، من أجـــل مرونة وجـــدوى التكامل التنموى بين الخطط التنموية الاقليمية ، فى التركيب الهيكلى لخطة الشمول التنموى القومى .

وعلى صعيد الدولة التى تضم مجموعة من الاقاليم التخطيطية ، يعمل أكثر من فريق لحساب هـــذه الزيارة التفقدية . ويستوجب هذا العمـــل المشترك ، خطة تضبط التحـــرك الى الاقاليم التخطيطية ، لانجـــاز الزيارة التفقدية ، واجراء المعاينة الجغرافية ، والعناية بالانطباع الجغرافى الذى توحى به هذه المعاينة . كما يستوجب هذا العمل المشترك أيضا ، فى نهاية الزيارة التفقدية الى سائر الاقاليم التخطيطية ، اجتماع كل فرق هذا العمل ، مـــن

أجل التنسيق بصفة عامة ، ومن أجل حسن التماس قنوات الربط والاتصال وسبل التكامل التنمــوى بين الأقاليم التخطيطية مجتمعة ، ترسيخا لمعنى ومغزى الشمول من ناحية ، وتأمينا لاهــداف التوازى والتوازن والتزامن وتجنب دواعى الخلل فى البنية التنموية من ناحية أخرى •

واتمام المهمة أو المهام التى تخرج من أجلها هذه الزيارة التفقدية الى الاقليم التخطيطى ، أو الى كل الاقاليم التخطيطية ، على صعيد الــدولة ، يترتب على اقتناع الفريق الصغير ، بأنه أتم العمل ، وقد أشبعته المعــاينة الجغرافية • وهذا معناه ان هذا الفريق ، هو الذى ينتفع بالمعاينة الجغرافية ، وهو الذى يملك قرار العودة ، بعد اتمام المهمة المنــوطة به ، فى الزيارة الميدانية التفقدية • وينبغى أن يكون قرار العودة مرنا ، حتى ينتهى الاجتماع الذى يضم كل فرق الزيارات التفقدية الميدانية التى تغطى كل أقاليم الدولة التخطيطية • بمعنى ان يبقى الباب مفتــوحا لكى تستمر رحــلة الزيارة التفقدية ، استجابة لما يفضى اليه الاجتماع الموسع بعد المراجعة والتنسيق بين حصيلة الزيارا تالتفقدية ، على صعيد كــل الأقاليم التخطيطية فى الدولة •

واتفاق أعضاء هذا الاجتماع الجغرافى الموسع ، هو الذى يحكم بانتهاء الزيارة التفقدية ، واستنفاد الاغراض منها ، وهو الــذى يوصى باستمرار ومواصلة الزيارة التفقدية حتى تستنفد كل أغراضها • ومهما يكن من أمر، فان انتهاء الزيارة الميدانية التفقدية ، ينهى مرحلة هامة ، تقدم وتعد وتؤهل للاعداد والتجهيز للعمل الجغرافى ، فى المرحلة التالية • بل قل انها تزود الجغرافى ، بكل ما يسعف الاقدام الجغرافى عــلى ، تشكيل فريق العمــل الجغرافى المتعاون فى رحلة تقصى الحقائق الجغرافية من ناحية ، وعلى وضع خطة العمل الجغرافى الميدانى وتجهيز الادوات والاجهزة والاستبيانات مــن ناحية أخرى • هذا بالاضافة الى ترشيد التوجه الجغرافى الى سعة الاطــلاع الجغرافى ، على المراجع والمصادر ، فى اطار الدراسة المكتبية ، وهى تــوأم الدراسة الميدانية ، التى تقوم بها رحلة تقصى الحقائق الجغرافية ، الى الاقاليم وكل اقليم من الاقاليم التخطيطية •

التوجه الجغرافى الى تشكيل الفريق :

يحق للجغرافى فعلا أن يحتفظ لنفسه بقيادة فريق العمل المتعاون فى الدراسة الميدانية أثناء رحلة تقصى الحقائق الجغرافية • بل قل انه الاحــق

بهذه القيادة وهي مسئولية تكليف وحسن أداء ، وليست مسئولية تشريف وادعاء بالزهو والافتخار • وهو الأولى بتحمل مسئولية هذا التكليف ، لأنه يعرف جيدا ، كيف يضبط ايقاعا تالعمل الجغرافي في الميـــدان ، وكيف ينسق ويكفل حسن التناغم بين تكاليف العمل الجغرافي التي يعهد بها الى كل عضو من أعضاء الفريق • وأعباء هذه القيادة الجغرافية الكبيرة ، تكون أشبه ما تكون بأعباء قائد الفريق الموسيقي - المايسترو - الذي يضبط بعصـاه انسياب النغم البديع الذي تشترك الآلات الموسيقية ومهارة العازفين عليها ، حتى تبدو المقطوعة الموسيقية غاية في الرقة وحسن التعبير الموسيقي • وليس أحق بالحق وأولى من الجغرافي ، وهو صاحب الحق والخبرة والمهارة التي تشفع له في تحمل مسئوليات وأعباء قيادة الفريق المتعاون في الدراسة الميدانية •

وفي أعقاب اختيار الجغرافي قائد الفريق من بين مجموعات العمل الجغرافي التي تباشر الزيارة الميدانية التفقدية ، يبدأ اختيار أعضاء الفريق المتعاون • وأهم شرط يسبق كل الشروط ، هو أن يقـع الاختيار عـلى من تسبق استعداداته للعمل الجغرافي في ظل روح الفريق ، مؤهلاته العلمية التخصصية في انجاز العمل الميداني • وقل أن هيمنة روح الفريق ، تمثل مسألة غاية في الأهمية ، ولا يجوز التمرد على كل ما تستوجبه أو تمليه روح الفريق ، على صعيد الميدان • بل قل ان لا نجاح للعمل الجغرافي العملي ، في المساحـة المعنية ، في غيبة أو مع انعدام روح الفريق •

والاختيار الذي يمضي في الاتجاه الصحيح ، ويجمع في الفريق المتعاون الأعضاء أو الزملاء أو الشركاء ، الذين تخيم عليهم روح الفريق ، وحسن انجاز العمل المشترك الجماعي ، ينبغي أن يلتزم بضم ذوي الاختصاص • ومن ثم يخضع اختيار ذوي الاختصاص ، بشكل مباشر ، للرؤية الصحيحة لتنوع تكليفات العمل الجغرافي ، ولتعدد أغراض هذه التكليفات العملية الميدانية ، في رحلة تقصي الحقائق الجغرافية • ويقع هذا الاختيار - في الغالب - على أعضاء ، من أربع فئات متباينة • ويكون التفاوت مطلب من مطالب التنوع في الأصل ، ومطلب من مطالب التكامل في العمل والأداء في الفعل ، عـلى صعيد الاقليم التخطيطي •

والتنوع في الفئات الأربعة التي يتألف منها فريق العمل المتعاون ، قد يباعد بين المستويات التخصصية ويفرق بين المهارات والخبرات التي تتحلى بها كل فئة ، ولكن اجتماع هذا التنوع الشديد ، في ظـــل هيمنة منطق

التعاون ، وسيادة روح الفريق ، هو الذى يرسخ قواعد النجاح فى انجـــاز الدراسة الميدانية ، لحساب التنمية الشاملة ، فى الاقليم التخطيطى . وتتمثل الفئات الأربعة التى يكون من بينها هذا الاختيـــار ، حتى يتسنى تشكيل الفريق المتعاون الانسب ، فى :

١ - فئة التخصص الجغرافى

وتتساوى حاجة الفريق وتشكيله الانسب ، الى ضم المتخصص الجغرافى فى التخصصات الجغرافية الطبيعية ، وفى التخصصات الجغرافية البشرية . ووجود الجغرافى المتخصص على أى وجه من هذين الوجهـــين ، ضرورى لانه يجاوب الحاجة الى القيام بالمسح الجغرافى الطبيعى ، وبالمسح الجغرافى البشرى . كما يجاوب أيضا حسن العناية ، بتعقب مواصفات التوليفة الجغرافية التى تجسد سيادة وسيطرة الشخصية الجغرافية ، التى تميز الاقليم التخطيطى . وهناك تكليفات جغرافية طبيعية فى حاجة للمتخصص فى الجغرافية الطبيعية ، وتكليفات جغـرافية بشرية أخرى ، فى حـــاجة للمتخصص فى الجغرافية البشرية .

٢ - فئة التخصص العلمى غير الجغرافى

وتجاوب عمليات اختيار عناصر من هذه الفئـــة ، الاعتراف الصريح بمعنى ومغزى وضع علم الجغرافية فى مكانه الصحيح وهو علم بينى ، يبتنى نتائجه على حسن اختيار نتائج العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، حتى تبدو وكأنها سبيكة أو نسيجا علميا جيدا . ويقع الاختيـــار عـــلى بعض المتخصصين من ذوى العلاقة ، بدراسة علوم الارض ، وعلى بعض المتخصصين من ذوى العلاقة ، بدراسة علوم الانسان . ونضرب لذلك مثلا بالجيولوجى أو بعالم المناخ أو بعالم النبات ، من ذوى العلاقة بدراسة الارض . كمـــا نضرب لذلك مثلا بالأثرى أو بالمؤرخ أو بعالم الاجتماع أو بعالم الاقتصاد ، من ذوى العلاقة بدراسة حركة الحياة على صعيد الأرض . كما يقع الاختيار على فريق ثالث من العلماء والمتخصصين التطبيقيين من ذوى العلاقة بتوجهات حركة الحياة حضاريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا . ونضرب لذلك مثلا بالمهندس أو بالسياسى أو بالطبيب أو بالبيطرى أو بالمعلم . ولا ينبغى التخوف من تضخم عدد من ينضم الى الفريق، ما دام العمل فى حاجة اليه ، وهناك تكليفات دقيقة متخصصة فى حاجة لأى يبدى فيها مهاراته وخبراته ، أو ما دام قائد الفريق فى وسعه أن يحسن توزيع هذه التكليفات الدقيقة على أعضاء هذا الجمع

الحاشد في الفريق . وربما يكون أعضاء هذه الفئة ، عند ضمهم الى عضوية الفريق المتعاون ، فى حاجة الى حسن تبصيرهم بصياغة نتائج العمل صياغة تخدم الهدف الجغرافى ، أو الى تدريبهم على كيفية توجه النظرة توجها جغرافيا وهم يتعاملون مع عناصر المدركات الجغرافية الطبيعية أو البشرية على صعيد الميدان ، فى الاقليم التخطيطى .

٣ - فئة الفنيين المتخصصين

وتلك فئة تضم أصحاب الخبرة والمهارة فى اجـــراء التجارب وتشغيل الاجهزة ، فى الميدان الفسيح ، لحساب العمل الجغرافى الميدانى . ومعظـــم أعضاء هذه الفئة من الفنيين ، يكتسبون المهارة ، من خلال الممارسة العملية فى الميدان ، أو من خلال حسن تلقى التدريب العملى فى مراكز التدريب الفنى والمهنى . وفى الحالتين يشحذ العمل والاداء الذى يتكرر من رحلة الى رحلة جغرافية أخرى حس الآداء الفنى ، ويصقل مهاراته ويزوده بالمهارات الأفضل باستمرار . وتشمل فئة الفنيين ، أعضاء من ذوى العلاقة بعلوم الأرض ، وهم شركاء المتخصصين العلميين من الجغرافيين وغير الجغرافيين ، وأعضاء من ذوى العلاقة الفنية بعلوم الانسان ، وهم شركاء المتخصصين العلميين مـــن الجغرافيين وغـير الجغرافيين . وتكـــون المشاركة مشاركة التبعية وليست مشاركة الندية ، فى انجاز العمـــل والتكليفات العملية ، لحساب الدراسة الميدانية ، فى الاقليم التخطيطى . وينضم الى هذه الفئة أيضا أعضاء من المساعدين العلميين، الذين يمتلكون مهارات التأهيل الفنى ، بالشكل المناسب وهو يستجيب لمعاونة وتنفيذ برامج العمل التى يكلفه بها المتخصص العلمى الجغرافى أو غير الجغرافى .

٤ - فئة العمالة وتادية الخدمات :

وتضم هذه الفئة ذوى المهارة فى توفير الخدمات التى يطلبها أعضـــاء الفريق ، فى الميدان . وتتفاوت حاجة العمل لاختيار هذه العناصر من اقليم الى اقليم تخطيطى آخر ، حسب ظروف العمل والاقامة فى معسكر عمل دائم أو فى معسكر عمل مؤقت أو فى محل اقامة ضمن مستوطنة معينة . ويشمل هذا الاختيار السائق مثلا أو الحارس أو الطاهى أو غيرهم ممن يوفرون الخدمة المناسبة للتجمع فى اطار الفريق المتعاون أثناء الوجود عـــلى صعيد المساحة المعنية فى الاقليم التخطيطى . ويضاف فى بعض الحالات الاستثنائية التى ينتشر فيها الاقليم التخطيطى على صعيد الصحراء مثلا ، مسئول المحافظة على

الصلة بين الفريق المتعاون وهو معزول عن العمران وحركة الحياة فى جانب ، وحركة الحياة ، التى يعمل من أجلها هذا الفريق فى جانب آخر • والتشاور بين أعضاء الفريق من المتخصصين والفنيين ق هو الذى يرشد اختيار أعضاء هذه الفئة فى صحبة الفريق المتعاون • ويفضل فى نهاية المطاف اختيار ، من خاض منهم هذه التجربة ، فى خدمة عمل جغرافى ميدانى سابق • وما من شك ان مكتسابتهم من هذه الممارسة ، تيسر له حسن توفير الخدمة ، وتيسر للفريق المتعاون حسن الانتفاع بخدماته ، وهو يلتحق بركب الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى تخرج من أجل تقصى الحقائق الجغرافية فى الميدان•

وفور الانتهاء من تشكيل الفريق ، يستحق التعـاون أن يبـدأ فى اجتماع موسع ، يضم كل أعضاء الفريق • وقد يكون هذا الاجتماع مـن أجل التعارف بين أعضاء الفريق ، أو من اجل توثيق العلاقة بينهم ، قبل أن يتوجه الفريق الى العمل المشترك فى الميدان • ولكن الاهم من ذلك كله ، هو أن يحسن أعضاء الفريق المتعاون الاستماع الى حديث تدارس عن الميدان ، وعن المهمة التى تخرج من أجلها الرحلة ، وعن أسلوب العمل الميدانى فى الاقليم التخطيطى • ويشترك بعض الأعضاء فى هذا الحديث المفيد ، على أن يكون على رأس المتحدثين ، الشريك القائد الذى خرج فى رحـلة الزيارة التفقدية ، ويعود وفى جعبته شيئا مهما ، يجب أن يعرض على مسامع الجمع الحاشد من الفريق المتعاون ، قبل الخروج التالى الوشيك ، فى رحلة تقصى هم الحقائق الجغرافية ، واجراء الدراسة الميدانية • وهذا معناه ان يخرج أعضاء الفريق الشركاء فى المهمة والمسئولية ، وهم على بينة أو على بصيرة ، بالأحوال والاوضاع والخصائص الجغرافية التى ينبغى التعايش معها أو التعامل معها ، فى الميدان ، على صعيد الاقليم التخطيطى •

وضع خطة العمل الجغرافى الميدانى :

فور الانتهاء من تشكيل الفريق المتعاون ، ومن عقد الاجتماع الموسع الذى يستمع فيه أعضاء الفريق ، الى ما يتيسر من حديث عن الميدان ، يبدأ العمل فى اعداد خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، فى الاقليم التخطيطى• ويختار قائد الفريق من بين رفاقه ، بعض من يستشعر الحاجة اليهم للاسهام فى اعداد وتجهيز الخطة • ولا تفوت الجغرافى قائد الفريق المتعاون قيمة هذا الاسهام المباشر ، فى وضع وصياغة برامج العمل الجغرافى الميدانى • كمـا لا يفوته أيضا حسن الائتناس برأى بقية أعضاء الفريق ، حتى يتوفر الاسهام غير المباشر فى انجاز برامج العمل الجغرافى الميدانى •

ويبدو أن الزيارة التفقدية الجغرافية ، والوقوف وجها لوجه أمام العناصر الجغرافية ، التي تتألف منها وحدة المنظور الجغرافي في الاقليم التخطيطي ، تكون مفيدة جدا ، وهي تشد أزر وضع خطة العمل الميداني . ومع ذلك فانها لا تكفي - في الغالب - في صياغة برامج العمل وتبويبها ، وفي توفير الاطار الجامع لهذا التبويب . ويكون التشاور المباشر مع النخبة المشتركة اشتراكا مباشرا ، مع بقية أعضاء الفريق ، مفيدا في انجاز خطة العمل الميداني . وقل لا ينبغي الاحجام عن هذا التشاور وحسن الاستماع اليه ، أو لا ينبغي أبدا التفريط في معطياته ، عند مباشرة وضع الخطة وتفاصيل برامج العمل الميداني . ويغطي هذا التشاور قضايا جوهرية ، وهي التي تمثل الشغل الشاغل الذي يشغل بال الاجتهاد الجغرافي . وتتمثل هذه القضايا الجوهرية في :

١ - قضية التوجه بالرحلة الجغرافية الميدانية الى الميدان لمباشرة العمل .

ولا يدور النقاش والتشاور في هذه القضية ، ليس لكي يتحدد موعد الذهاب ، والانطلاق المتحفز الى المساحة المعنية فقط ، بل لكي يستتنى الاتفاق على نمط الوجود والبقاء المستمر أو نمط الوجود المتقطع ، في الميدان . بمعنى أن تكون المفاضلة ، بين الوجود المستمر على مدى الفترة الزمنية المناسبة ، الى حين الانتهاء تماما ، من اجراء وتنفيذ برامج العمل الجغرافي العملي المباشر وغير المباشر ، دفعة واحدة ، دون توقف ، أو الوجود المتقطع ، حيث يتكرر الذهاب والعودة ، من والى المساحة المعنية ، حتى يتأتى الانتهاء المرحلي ، من برامج العمل الجغرافي المباشر أو غير المباشر ، على عدد من الدفعات . ومن ثم يبتنى على هذه المفاضلة وحسن الاختيار الذي يتفق عليه الفريق ، أن تكون خطة واحدة للعمل الجغرافي المتصل في الميدان ، أو تكون مجموعة خطط متعددة ، مبوبة ومرتبة ، حسب دواعي العمل الجغرافي ، ودواعي الذهاب والعودة الى الميدان ، واجراء العمل الجغرافي والدراسة الميدانية ، على دفعات متعاقبة ، أو على مراحل متوالية في نظام رتيب . ولا يكون هذا الاختيار أو لا تكون هذه المفاضلة عشوائية أو اعتباطية أبدا ، بل هناك دواعي ومبررات كثيرة ، ينبغي أن توجه هذا الاختيار ، أو هذه المفاضلة ، بين استمرار وخطة الاستمرار في العمل المتواصل في الميدان أو عدم الاستمرار والذهاب والعودة المتكررة ، وخطة المراحل للعمل غير المستمر في الميدان . وتقف وراء هذا الاختيار أو وراء هذه المفاضلة ، عوامل شخصية أحيانا ، نذكر منها قدرة أعضاء الفريق على التفرغ المستمر أو على التفرغ غير

المستمر للعمل في الميدان · كما نذكر منها أيضا ، عامل يتعلق بتوافر امكانيات الاقامة المستمرة أو الاقامة المتقطعة في الميدان · وأضف الى ذلك أيضا عامل يتعلق بحجم العمل الجغرافى المباشر وغير المباشر نفسه ، ومبلغ استجابة هذا الحجم ، لأن يتجزأ ، أو لأن يتم على مراحل متباعدة ، دون أن يتضرر الهدف من هذا العمل · واحتواء خطة العمل الجغرافى المباشر وغير المباشر ، البرامج المرحلية المتوالية والمستمرة ، اللازمة لانجاز العمل والمهام المتنوعة والمتعددة والمتشعبة ، على دفعة واحدة ، أثناء الاقامة المستمرة فى الميدان ، قد لا تحتاج الى تعليق · ولكن حسن توزيع مراحل العمل الجغرافى المباشر وغير المباشر ، على دفعات متعاقبة ، هو الذى يستوجب كثيرا من الاهتمام ، بحسن التنسيق بين مجموعة الخطط ، التى ينبغى أن يتكامل بها انجاز العمل الميدانى ، فى نهاية الامر · بمعنى ان توضع هذه الخطط كى تتكامل ويؤدى انجاز العمل وتنفيذ البرامج العملية الميدانية فى مرحلة ، الى حسن متابعة الانجاز الذى يتممه فى المرحلة التالية · وفى مثل هذه الحالة وهى استثناء من القاعدة ، يكون من الضرورى لضمان حسن سير العمل الميدانى وتكامله من خلال الانجاز المتقطع أو غير المستمر ، التأني كثيرا فى تصنيف العمل الجغرافى الميدانى المباشر وغير المباشر ، والتأنى فى ترتيبه أيضا ، حتى يتسنى للفريق أن يحافظ على نسق مناسب فى التوالى أو فى التعاقب ، وعلى انسياب معقول من ناحية ، وأن ينجح في حصر عدد المرات التى يتكرر فيها الذهاب والعودة من الميدان ، وفى تضييق فجوة الفاصل الزمنى الفاصل بين مراحل تكرار الذهاب والعودة لانجاز العمل الميدانى ، من ناحية أخرى ·

٢- قضية ضبط وتنظيم وتصنيف العمل الجغرافى الميدانى :

ويغطى الحوار فى هذه القضية اهتمامات الاجتهاد الجغرافى بالمسح الجغرافى الشامل الطبيعى والبشرى ، الذى يشمل كل العناصر التى تتداخل تداخلا معينا ، فى توليفة الواقع الجغرافى السائد ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الاقليم التخطيطى · ويستهدف هذا الضبط والتنظيم ، حسن العناية بالتوزيع والتعليل والربط ، التى تفصح عن وضوح الرؤية الجغرافية الشاملة · كما يستهدف هذا الضبط والتنظيم أيضا ، الشىء الحيوى من التقويم الجغرافى الذكى ، الذى يسفر عن الرأى الجغرافى السديد ، عن هذه الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان · بمعنى أن توضح برامج العمل الجغرافى المباشر وغير المباشر ، لكى تفضى أولا الى حسن تفكيك أوصال العناصر المتداخلة فى المنظور الجغرافى ، أو لكى تعبر عن حسن التماس العناصر الجغرافية

الطبيعية والبشرية ، المتداخلة فى نسيج لارؤية الجغرافية في الاقليم التخطيطي • وبمعنى أن يكون اجراء العمل الجغرافي الميداني وهو مسئولية الجغرافي لانه مباشر ، أو وهو مسئولية المتخصص العلمي المتعاون لانه غير مباشر ، حتى يكفل حسن الاستدلال على مكونات المنظور الجغرافي الشامل ، أو الذى يسعف البحث المباشر وغير المباشر ، عن حصص العناصر الجغرافية الطبيعية والبشرية في صياغة توليفة الواقع الجغرافي الشاملة ، فى المنظور الجغرافى فى الاقليم التخطيطى • ومن ثم لا يكون التشاور حول هذه القضية مفيدا ، لضبط وتنظيم الاهتمامات الجغرافية المباشرة وغير المباشرة ، التى تلتمس حسن البيان الكاشف عن الواقع الجغرافي الشامل فقط ، بل يكون أكثر فائدة في مجالات تحديد توجهات العمل الجغرافي المباشر وغير المباشر وبرمجته ، وفى حسن توجيه وتوزيع التكليفات العملية التى تعهد بها خطة العمل لكل عضو شريك فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى • وقل ان هذا التشاور هو الذى يسعف اعداد الخطة التى تلزم كل عضو بانجاز حصته من العمل الجغرافى الميدانى المباشر وغير المباشر ، فى تناغم وحسن تنسيق وتوازى وتزامن ، على مضى العمل التنفيذى العملى ، فى الاتجاه الصحيح ، من مرحلة عمل الى مرحلة عمل أخرى • وقد يتمادى هذا الحوار والتشاور بين أعضاء الفريق المتعاون أحيانا أو بين الصفوة المكلفة بوضع الخطة أحيانا أخرى ، لكى يتناول مسألة التزود بالأدوات والاجهزة المتعاون والمعدات اللازمة ، لانجاز العمل الجغرافى الميدانى ، أو لكى يتناول مسألة الاشراف المباشر على تنفيذ العمل فى أنحاء الميدان المتفرقة ، أو على عقد الاجتماعات المصغرة ، من حين الى حين آخر ، لامراجعة والاطمئنان على حسن سير العمل، ومبلغ استجابته أولا وأخيرا ، للنزعة الجغرافية التطبيقية وهو تنجز العمل بحذافيره ، لحساب عملية التنمية فى الاقليم التخطيطى •

ويدرك الاجتهاد الجغرافى المعاصر قيمة هذا التشاور حول هاتين القضيتين ، عند وضع خطة العمل ، حتى لا توضع هذه الخطة وبرامج العمل الميدانى ، فى غيبة أعضاء الفريق المتعاون • وقل ان غياب هذا التشاور أو اهماله وعدم الاستماع اليه ، لا يعنى غير التفريط فى أول لبنة من اللبنات السليمة ، التى تبتنى عليها روح الفريق ، لحساب العمل المشترك • كما يعنى هذا الغياب أيضا ، حرمان الخطة من خبرات الشركاء فى الفريق المتعاون ، وهم مسئولون مسئولية جماعية ، عن انجاز العمل الجغرافى الميدانى • بل قل ان الاشتراك فى المسئولية ، عن حسن أنجاز العمل الجغرافى الميدانى ، يستوجب بالضرورة الاشتراك فى التخطيط لحسن

الانجاز ، ويحول دون التهرب من موجبات ودواعى هذه المسئولية •

وفى اطار هذا التشاور الحميد ، حيث لا يغيب طرف من الاطراف المعنية بوضع خطة العمل الجغرافى المباشر وغير المباشر ، تختلف صياغة تفاصيل برامج العمل ، والتماس الاطار الحاكم الذى يحتوى هذه التفاصيل، ويكفل الحبكة فى المكان ، وحسن السياق فى الزمان ، من اقليم تخطيطى الى اقليم تخطيطى آخر • كما يختلف أيضا فى الاقليم التخطيطى الواحد ، من زمان الى زمان آخر • وهذا معناه ، انه لا اتفاق أبدا ، على خطة عمل نموذجية جامدة ، يجرى العمل الجغرافى الميدانى بموجبها بحثا عن الواقع الجغرافى المستهدف فى الاقليم التخطيطى ، ويتكرر تكرار القوالب الجامدة ، فى كل اقليم تخطيطى ، وفى كل زمان • ومعناه أيضا ، انه يجب وضع الخطة المناسبة لكل دراسة ميدانية مستقلة ، حتى تتعقب ملامح الاقليم التخطيطى الجغرافية ، التى تكاد تتغير ولا تثبت ولا تتماثل أبدا ، بل انها تتبدل وتختلف مواصفاتها الطبيعية والبشرية من اقليم تخطيطى الى اقليم تخطيطى آخر ، ومن عصر الى عصر آخر •

وفى اطار وضع وتصميم خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، التى تتعقب الواقع الجغرافى ، فى المكان والزمان ، وفى اطار التشاور الحميد بين أعضاء الفريق المتعاون ، الذى يعمل بروح الفريق ، تكون العناية الجيدة بصياغة الأسئلة والاستفسارات المناسبة ، التى تجاوب تنفيذ البرامج العملية فى الاقليم التخطيطى ، عليها اجابات صادقة لا تكذب ، وسديدة لا تخطىء • ولا ينبغى أن ينفرد عضو برأيه ، أو أن يتعصب لفكرة مسبقة ، عند اعداد الأسئلة أو عند تصميم الاستبيان ، حتى لا تفقد الدراسة الميدانية الجماعية ، منطق التنسيق المناسب ، عند حصر وتلقى الاجابات ، التى يسفر عنها العمل الميدانى ، أو حتى لا يتأتى أو ينشأ شىء من التكرار المتناقض فى نتائج العمل الميدانى •

وهكذا ، يكون الاهتمام الجماعى باعداد الاستبيان اهتماما جماعيا مشتركا • ويتمثل هذا الاهتمام المشترك بالاستبيان ، على مستويين متكاملين، حيث لا ينبغى أن تنقطع الصلة أبدا ، بين الواقع الطبيعى والواقع البشرى ، فى الاقليم التخطيطى • بل قل ان اجابات أى من هذين الاستبيانين ، تدخل فى نسيج بيان جغرافى واحد عن الاقليم التخطيطى • وهذا الاستبيانان هما:

١ - **الاستبيان الناطق** الذى يجسد ويسعف التعامل مع الواقع

البشرى فى الاقليم التخطيطى • ويجرى الحوار بصوت مسموع مع من يجرى التعامل معه من الناس ، أو مع من يستمع الى صيغة السؤال ويفهمه ، ويرد عليه فى صدق وموضوعية دون تهرب أو تردد أو تكتم على الحقيقة • ويستحق اعداد هذا الاستبيان ، شيء كثير من المهارة والحنكة أو الحصافة ، فى التماس الصدق والوضوح ، أو فى التماس العمــق والتأصيل ، من الاجابة أو من الاستجابة • ويفتح هذا الاستبيان الناطق ابواب حسن الفهم الجغرافى عن الواقع الجغرافى البشرى ، فى الاقليم التخطيطى •

٢ ـ الاستبيان الصامت الذى يجسد ويسعف التعامل مع الواقــع الطبيعى ، فى الاقليم التخطيطى • ويجرى الحوار الصامت أو الساكت دون صوت مسموع ، مع من يلقى السؤال بشكل يعرف كيف ينتزع منه الاجابة• ويستحق اعداد هذا الاستبيان الذى يتعامل مع المدركات الجغرافية الطبيعية وهى لا تعرف التكتم ولا تتعمد الكذب ، شيء كثــير من المهــارة والحنكة والحصافة ، فى التماس الصــدق والعمق أو فى تجنب السطحية وعــدم الموضوعية • ويفتح هذا الاستبيان الصامت أبواب ، حسن الفهم الجغرافى ، عن الواقع الجغرافى الطبيعى فى الاقليم التخطيطى •

وكما يكون من حق كل شريك متعاون فى الفريق ابداء الــرأى ، فى اعداد وتجهيز الاستبيان المناسب ، الذى يتعقب العناصر الجغرافية الطبيعية فى التوليفة الجغرافية الطبيعية ، أو يتعقب العناصر الجغــرافية البشرية فى التوليفة الجغرافية البشرية ، يكون الواجب عليه أن يحضر جلسات الحــوار والمشاورة ولا يغيب أبدا ، وهى تمحص كل رأى قبل اعداد الاستبيان • ويمتلك الجغرافى الخبرة والمهارة التى تؤهله لاسداء النصح وحسن توجيه صياغة واعداد الاسئلة والاستفسارات ، فى الاستبيان •

وينبغى أن يعهد للجغرافى فى نهاية الأمــر ، بحسن تبويب الأسئلة والاستفسارات تبويبا نهائيا ، حتى يكون الاستبيان منسقا وموضــوعيا وكاشفا عن الاجابات الصحيحة ، أو حتى لا يتهرب السائل من المسئول • وهذا ، معناه المسئولية المشتركة عن اعداد الاستبيانات ، التى تناسب برامج العمل الجغرافى العملى فى الميدان وهى لحساب التنمية ، على صعيد الاقليم التخطيطى • ومعناه أيضا ، ان يؤمن هــذا الاشتراك فى اعــداد وتجهيز الاستبيانات ، حسن توجيه الاسئلة والاستفسارات المعنية ، لكى تجــاوب عليها المدركات الجغرافية فى المنظور الجغرافى الطبيعى على صعيد الارض ،

أو لكي يجاوب عليها الانسان وهو جزء من حركة الحياة ونبضها المتدفق في المنظور الجغرافي البشري على صعيد الأرض ٠

هذا ، وفي الوقت الذي تبصر فيه رحلة الزيارة التفقدية ، وخروج الرحلة الجغرافية الاولى الى الميدان في الاقليم التخطيطي ، وضع خطة العمل الجغرافي ، تبصر الدراسة المكتبية المتأنية والتشاور مع أعضاء الفريق المتعاون اعداد الاستبيان الجيد ٠ ومع ذلك قل ان الحق في المرونة الكاملة ، تبقى طوع حاجة الفريق ، اذا ما استوجب الامر اعادة النظر ، في بعض أو في كل تفاصيل البرامج العلمية العملية ، في الخطة ، من أجل الحذف أو التعديل أو الاضافة ، أثناء العمل والتنفيذ الفعلي ، على صعيد المساحة المعنية ، في الاقليم التخطيطي ٠

بمعنى ان تتجرد الخطة الموضوعة ، في اطار الموضوعية ، من الجمود وأن تتخذ من المرونة حقها ووسيلتها ، لكي تواجه احتياجات العمل الجغرافي المباشر أو غير المباشر ٠ وحيث تكون المرونة حق ، حتى يتسنى الحذف ، أو حتى ينبغي التعديل ، أو حتى تجب الاضافة ، تكون المشاورة بين أعضاء الفريق المتعاون واجبة ، قبل الاقدام على التغيير في عناصر الخطة ٠ بمعنى ان التغيير جائز ، وأن الاضافة متوقعة ، وأن التعديل مستباح ، ولكن لا ينبغي أن يستقل العضو الفرد برأيه الخاص ، في مباشرة هذا التغيير ٠ كما لا ينبغي أن يمس هذا التغيير ، موضوعية العمل الجغرافي العملي الميداني، لحساب التنمية ، في الاقليم التخطيطي ٠

وآخر ما ينبغي ان يلتفت اليه الجغرافي المتخصص ، ويلتفت معه أعضاء الفريق ، يتمثل في ضرورة حسن التمييز ، بين دراسة ميدانية لحساب التنمية في **الاقليم التخطيطي العامر** بحركة الحياة ، وهو في حاجة الى تحسين الأوضاع اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، ودراسة ميدانية لحساب تهيئة المكان في **الاقليم التخطيطي الفارغ** ، لاستقطاب حركة الحياة ، وهو في حاجة الى حسن غرس جذور القطاعات التى تهم حركة الحياة اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ٠ والفرق كبير جدا ، بين أداء عملي جغرافي ، يخدم تنمية وجود ومصالح حركة الحياة في المكان ، وأداء عملي جغرافي آخر ، يجهز لاستقبال وتثبيت وجود وافد يبدأ قصة الحياة في المكان الآخر ٠ بمعنى ضرورة التمييز بين وضع خطة دراسة ميدانية تخدم التنمية بالفعل في الاقليم التخطيطي المعمور ، ووضع خطة دراسية ميدانية ، تجهز وتؤهل الاقليم التخطيطي

الآخر ، تأهيلا تبدأ به كل قطاعات تخدم استقطاب وتوثيق الصلة بين الحياة الأنسانية والأرض ٠

وخطة العمل في **الاقليم التخطيطي المعمور** ، التي توظف العمل الجغرافى العملي توظيفا مناسبا ، فى تنمية شاملة على صعيد الاقليم التخطيطى ، تراعي انها لا تبدأ من فراغ ، بل انها تطور القطاعات الموجودة فصلا وقد تضيف شيئا مستجدا ، تستوجبه الأوضاع في المكان والزمان ٠ كما تراعى هذه الخطة أيضا ، حساب فعل المتغيرات وقوتها الفاعلة ، في مواجهة فعل الضوابط وقوتها الفاعلة ٠ ويستوي فى ذلك المتغيرات الطبيعية أو المتغيرات البشرية ، على صعيد الاقليم التخطيطي ٠ كما تستوي أيضا حصر الضوابط الطبيعية أو الضوابط البشرية على نفس الصعيد ٠

أما خطة العمل الجغرافى فى **الاقليم التخطيطي غير المعمور** ، فهى توظف العمل الجغرافى العملى ، توظيفا مناسبا ، لاعدات القاعدة التى تستزرع فيها حركة الحياة حتى يبدأ مشوار المجتمع وتنتعش أنشطته المستجدة ، على صعيد الأرض ٠ وتراعى الخطة وضع الأساس الجيد لكل قطاع ، تتهيأ له فرصة الوجود ، ويهم حركة الحياة ٠ بمعني انها تبدأ من فراغ فعلا ، ولا تحسب حسابات كثيرة الا لفعل المتغيرات الطبيعية ولفعل الضوابط الطبيعية ٠ وبمعنى ان غياب الانسان تغيب معه المتغيرات البشرية ، والضوابط البشرية ٠ ومن ثم تزداد مسئوليات هذه الدراسة الميدانية التى ينبغى أن تكون فى غاية الدقة والصدق والامانة ، لانها ، تظل مسئولة عن توطين أو استيطان حركة الحياة المستجدة ، فى الاقليم التخطيطي ٠



خروج رحلة تقصي الحقائق الجغرافية لحساب التنمية ٠

بعد الانتفاع بالدراسة المكتبية والاطلاع على المراجع والمصادر ، وبعد الانتفاع برحلة الزيارة التفقدية في أنحاء الاقليم الخطيطى ، وبعد الانتهاء من تشكيل الفريق المتعاون ووضع خطة العمل الجغرافى الميدانى ، يأتى أوان خروج رحلة تقصى الحقائق واجراء الدراسة الميدانية ، لحساب التنمية ٠ وتجسد هذه الرحلة الجغرافية شيئا أساسيا ، فى حرص التوجه الجغرافي الى الاقليم التخطيطى المعين ، لاجراء الدراسة الميدانية ، لحساب التنمية الشاملة، فى المكان والزمان :

وقل ان هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، تخرج إلى الميدان ، وهي تضم

كل الفريق المتعاون ، فلا تترك من بين أعضائه أحدا • ويعمل هذا الفريق المتعاون ، حسب توزيع تكليفات العمل الميداني ، على الأعضـــاء • ومنهم الجغرافي الذي يعمل لحساب العمل الجغرافي المباشر ، ومنهم من هو غـــير جغرافي ويعمل لحساب العمل الجغرافي غير المباشر • وقل يبادر كل عضو ويسعى بمهارة ، في انجاز العمل الميداني ، لكي يتقصى الحقائق الجغرافية ، أو لكي يحصل على المادة الخام ، أو لكي يتيقن من صدق وموضوعية النتيجة الجغرافية • بل قل ان الفريق في هذه الرحلة الجغرافية ، يعيش جـــولات التعامل العلمي والعملي ، التي تباشر العمل وتطل بامعان على المنظور الجغرافي الشامل ، بكل أبعاده الطبيعية والبشرية ، حتى يفلح في تعقب عناصروملامح القاعدة الجغرافية التي تبتنى عليها عمليات الانجاز التنموى الصحيح ، على صعيد المساحة المعنية ، في الاقليم التخطيطي •

وفي مواجهة المنظور الجغرافي ، على صعيد الاقليم التخطيطي ، الذى يعبر عن ملامح ومواصفات القاعدة العريضة ونبض حركة الحياة عليها ، ينبغي أن يتحلى الباحث الجغرافي قائد الفريق ، وأن يتحلى معه أعضـــاء الفريق المتعاون ، دون تمييز بين المتخصص الجغرافي ، أو المتخصص العلمي ، بأكبر قدر من حسن ذكاء وتفتح الحس الجغرافي ، أثناء العمل الميداني • والتحلي بذكاء هذا الحس ، هو الذى يبصر ويرشد ، الادراك الجغرافي السليم وحسن المتابعة والانجاز ، وهو الذى يهدى التفكير الجغرافي المتفتح ، في الميدان • ومن خلال ذكاء الحس ، وسلامة الادراك ، وتفتح التفكير ، ينبغي أن يعرف كل عضو من أعضاء الفريق المتعاون ، كيف تكون الوقفة التي تواجه المنظور الجغرافي ، وقفة جغرافية • كما ينبغي أن يعرف أيضا ، كيف يتعقب عناصر هذا المنظور الطبيعية والبشرية ، على صعيد الاقليم التخطيطي ، بعين جغرافية بحتة • ونظرة العين الجغرافية البحتة ، تحتاج الى مهارة ، حتى تجيد التذوق الجغرافي المناسب ، للحقيقة الجغرافية ، التي تمثل - في معظم الأحيـــان - نتيجة مبنية على نتائج علمية طبيعية وانسانية •

والباحث الجغرافي قائد الفريق المتعاون في الدراسة الميدانية ، عـــلى صعيد الاقليم التخطيطي ، هو وحده صاحب القرار الاخير ، بعد التشاور المكثف مع رفاقه ، في الذهاب الى الميدان ، وفي متابعة العمـــل فيه ، وفي العودة منه • بل قل يكون له وحده حق الاختيار في الذهاب والاستمرار على مدى الفترة الزمنية المناسبة لاجراء الدراسة الميدانية مع الشركاء دفعة واحدة ، أو في الذهاب اليومي والعودة مرات متكررة ، لاجـــراء الدراسة

الميدانية وتنفيذ برامج العمل ، على عدد كبير من الدفعات • وخطة العمل الجغرافي العملي في الاقليم التخطيطي ، التي توضع بالتشاور الجيد مع أعضاء الفريق المتعاون ، وتبقى معمولا بها ، هي التي تعلن أو هي التي تفصح صراحة ، عن دواعي وموجبات هذا الاختيار بصفة عامة •

والعمل الجغرافي العملي ، يكون في حاجة ملحة لمهارة العين الجغرافية ، وحسن تذوق الفهم الجغرافي سواء يتفرغ له الجغرافي المتخصص أو يقوم به المتخصص العلمي غير الجغرافي ، أو يعهد به الى الفني الماهر • ويجسد هذا العمل الجغرافي العملي المباشر وغير المباشر ، الاصل والغاية ، في تقصي الحقائق عن الاقليم التخطيطي • بل قل انه يجسد جيدا ، معنى المواجهة الصريحة وحسن التعامل مع المنظور الجغرافي ، لحساب التنمية • ويستحق هذه المواجهة ومباشرة هذا التعامل العملي ، واجراء العمل الجغرافي ، حسب جدولة مراحل العمل ، في اطار الخطة المعمول بها ، ما يلي :

١ - في بعض الحالات ، على صعيد الاقليم التخطيطي ، تكون اقامة الفريق المتعاون ، لمباشرة العمل الميداني ، اقامة دائمة أو اقامة متقطعة ، في معسكر عمل خاص ، يجهز لهذا الغرض • ويقام هذا المعسكر الخاص في الميدان ، في موقع جغرافي منتخب مناسب واحد أحيانا ، أو في عدد من المواقع الجغرافية المنتخبة أحيانا أخرى • ويقع الاختيار عادة على هذه المواقع ، أثناء رحلة الزيارة التفقدية السابقة • وينتقل اليها أو فيما بينها فريق العمل المتعاون ، حسب ما تمليه خطة العمل المعمول بها ، أو استجابة لحاجة العمل الجغرافي الفعلية ، وهي تتعقب الحقائق الجغرافية عن الاقليم التخطيطي • ومن هذا المعسكر ، وهو محل الاقامة الدائمة أو محل الاقامة المتقطعة ، يباشر أعضاء الفريق العمل تنفيذ التكليفات ، التي تعهد اليهم بالمهمة العملية المعنية ، أو باجراء العمل الجغرافي اليومي في الميدان • ومباشرة هذا العمل الجغرافي العملي ، واجراء الدراسة الميدانية ، من المعسكر الخاص ، في الموقع الدائم أو في الموقع المتنقل ، لا ينبغي أن يدعو ابدا الى التعجل في تنفيذ برامج العمل الميداني • بل قل ينبغي أن يلتزم العمل في الميدان ، بأكبر قدر من التمهل والدقة وتحري الموضوعية ، حتى لا تقع الدراسة الميدانية ، وهي لحساب التنمية ، في عواقب واخطا الانجاز المتعجل التي تضلل العمل التنموي ، في الاقليم التخطيطي •

٢ - في بعض الحالات الاخرى ، وعلى صعيد الاقليم التخطيطي ، تكون

اقامة فريق العمل المتعاون ، لمباشرة العمل الميدانى ، اقامة ناعمة ، فى مستوطنة أو فى عدد من المستوطنات المناسبة • بمعنى أن تنتفى الحاجة الى اقامة معسكر العمل الخاص فى الميدان • ويقع الاختيار على هذه المستوطنة أو على عدد من هذه المستوطنات الحضرية أو الريفية ، التى ترحب باقامة فريق العمل المتعاون ، أثناء رحلة الزيارة التفقدية الى الاقليم التخطيطى • وقد يستوجب هذا الاختيار ، الحصول على اذن السلطة المحلية ، الذى يبيح مباشرة العمل الميدانى ، ولا يعترض عليه • ومن هذه المستوطنة أو المستوطنات ، يباشر أعضاء الفريق العمل المتعاون العمل اليومى ، كل فيما يخصه من برامج العمل ، فى أنحاء الميدان • ومن هذا المحل المختار ، تخرج وتتفرق رحلات العمل الجغرافى اليومية الى مواقع العمل ، لاجراء الدراسة الميدانية • والتحرك أو الانتشار اليومى ، يكون انتشارا متفقا عليه بعناية ، حسب الخطة الموضوعة ، التى ينبغى الالتزام بها فى المساحات المعنية • كما تكون العودة وتجمع الفريق فى موقع الاقامة فى المستوطنة ، متفقا عليها أيضا • وقد يشمل هذا الاتفاق فى الانتشار وفى التجمع من جديد ، عقد الاجتماع اليومى أو الاسبوعى ، لمراجعة معدلات تقدم العمل الميدانى ، ومناقشة المشاكل البحثية التى تستجد ، وعرض الاقتراحات وتبادل الرأى والتشاور ، حول اجراء العمل الميدانى ، فى اليوم التالى أو فى المرحلة التالية •

ومن غير تمييز كبير ، بين شكل حضور الفريق المتعاون المستمر لفترة زمنية محددة ، وشكل حضور نفس هذا الفريق غير المستمر والمتقطع على مدى فترات زمنية متعاقبة ومحددة ، يكون التفرغ الحقيقى لاداء الدراسة الميدانية ، أو لاجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، لحساب التنمية فى الاقليم التخطيطى ، شيئا ضروريا وهو لازم وملتزم • ويبدو هذا التفرغ اللازم والملتزم ، وهو طوع أمر الخطة الموضوعة ، التى تضبط وتنظم وتنسق ايقاعات العمل . وتوجه مسيرة الاجتهاد العملى ، من يوم الى يوم آخر • وينبغى أن تطاوع هذه الرحلة الجغرافية الميدانية المتجولة ، وهى تباشر العمل اليومى المنظم ، ارادة الانتقال المنضبط ، والتحرك السليم والبحث الواعى ، عن الحقائق الجغرافية ، من الميدان • بل قل يجب أن تسعف الرحلة الميدانية اليومية ، جولات أعضاء الفريق ، وهم يفترقون ويتفرقون ، حسب نوعية التكليفات العملية المنوطة بهم ، أو وهم يعودون ويجتمعون بعد انجاز العمل المنشود ، فى أنحاء مفترقة من الاقليم التخطيطى •

ويحتاج العمل الجغرافى الذى يجد فى المسح الجغرافى الشامل حتى

يغطي المنظور الجغرافي الطبيعي ، والمنظور الجغرافي البشري ، في الاقليم التخطيطي ، الى شيء كثير من التأني الشديد • وينبغي أن يحسن الباحث أو أن يتقن القاء السؤال وتلقي الاجابة ، من المدركات الجغرافية ، التي يتعامل معها بكل عناية في الميدان • كما يحتاج هذا العمل الجغرافي الميداني ، الى كثير من الصبر وقوة التحمل ، عند تكرار العمل والتنقل بين مواضع متعددة ، حتى يتسنى التيقن من صدق وموضوعية النتائج ومعطيات العمل العملي •

وعلى صعيد الاقليم التخطيطي ، هنا وهناك ، تدعو الحاجة كثيرا ، الى وقفات انتظار وترقب وتريث حقيقي ، حتى يتحقق التمعن العميــــق في تفاصيل المدركات الجغرافية ، في اطار المنظور الجغرافي الطبيعي أو البشري • كما تحتاج الى حسن التعامل العملي الميداني معها ، حتى يتوفر حسن التأمل والتدبر والتفكير العقلاني المتفتح ، في أهم أمور الربط بين أوصال المنظور الجغرافي ، ودلالاته الجغرافية التي لا تضلل • وفي جميع الاحوال ، لا ينبغي أن ينفض أي عضو من أعضاء الفريق المتعاون يديه من العمل الميداني العملي أبدا ، قبل أن يلتمس الجدوى الفعلية من العمل الميداني الذي أنجزه ، وهو مسئول عنه • وفي جلسة العمل في الاجتماع الذي يضم أعضــــاء الفريق المتعاون ، بعد اتمام العمل المرحلي على صعيد الاقليم التخطيطي ، تكــون المراجعة ، وتكون المشاورات ، ويكون التيقن من صدق وبيان وموضوعية العمل الميداني عن المنظور الجغرافي في الاقليم التخطيطي •

ويمضي العمل الجغرافي العملي الميداني ، من يوم الى يوم آخر ، ومن مرحلة عمل الى مرحلة عمل آخر ، في سياق منضبط رتيب • وتحافظ المراجعة الدورية على هذا السياق الرتيب • وقد يباشر قائد الفريق هذه المراجعة ، وهي جزء من مسئولياته ، أو يباشرها الفريق في جلسات العمل الدورية ، وهي لصالح استمرار العمل على الدرب الصحيح • ويتأتى العمل الجغرافي الميداني — على كل حال — على وجهين متكاملين ، ولا تكاد تنقطع الصـــلة بينهما أبدا •

وعلى الوجه الأول ، يكون العمل الميداني العمـــلي ، من الاختصاص الجغرافي البحت • ويملك الجغرافي العين الجغرافية والقدرة عـــلى التذوق الجغرافي ، الذي يعينه على انجاز العمل • ويستوجب هذا العمل الميداني ، خبرة ومهارة في التحليل والتركيب ، وهي خير ما يقدر عليـه ويجيده أو يتقنه الجغرافي المتخصص • ويستوى في ذلك الجغرافي الذي يتعامل مـــع

المنظور الجغرافي الطبيعي ، والجغرافي الذي يتعامل مع المنظور الجغرافي البشري . وقل بكل اليقين ان هذا هو الشق العملي الجغرافي المباشر ، الذي لا يصلح له غير المتخصص الجغرافي في الميدان .

وعلى الوجه الآخر ، يكون العمل الميداني العملي ، أمانة في عنق الاختصاص العلمي الذي يتعاون مع الاختصاص الجغرافي . ويستوجب هذا العمل الميداني العملي ، خبرة ومهارة المتخصص العلمي المشارك في الفريق المتعاون . ويجيد الجغرافي الاخذ من نتائج هذا التعاون ، والانتفاع بها . ومع ذلك ينبغي أن يدرب الجغرافي غير الجغرافي على التعامل مع المدركات الجغرافية ، بعين واعية فيها شيء من الفهم الجغرافي ومهارة التذوق الجغرافي . وقل ان هذا هو الشق من العمل الميداني ، لحساب العمل الجغرافي ، الذي لا يصلح له غير المتخصص العلمي ، في العلوم الطبيعية أو في العلوم الانسانية ، حسب دواعي التعامل مع نفاصيل المنظور الجغرافي الطبيعي أو البشري . بل قل ان هذا هو العمل الجغرافي غير المباشر ، الذي تشتد الحاجة اليه أحيانا ، ولا ينبغي التفريط في معطياته أبدا ، لانه يشد أزر الدراسة الميدانية ويسدد خطاها ، في رؤية المنظور الجغرافي أو في تقويم هذه الرؤية الجغرافية ، لحساب التنمية ، في الاقليم التخطيطي .

وحسن سير العمل الميداني يوما بعد يوم آخر ، ومرحلة بعد مرحلة أخرى ، مسألة تستحق اهتمام قائد الفريق . وتقدم معدلات الانجاز العملي الميداني ، في الشق الجغرافي البحت ، أو في الشق العلمي المساعد غير الجغرافي ، وحسن جمع وتنسيق النتائج والانجازات المرحلية المتكاملة ، تستوجب شيئا كبيرا من عناية ومهارة قائد الفريق المتعاون . وهذا هو جانب مهم ، من وعي العناية الجرافية ويقظتها الشديدة ، على النحو الذي يؤمن مسيرة العمل الجغرافي ، في الاقليم التخطيطي ، لحساب التنمية . وتمتد أيدي هذه العناية الجغرافية الى أمرين جوهريين ، يدعمان الانجاز الجغرافي النهائي .

ويركز **الأمر الأول** على مباشرة العمل الميداني ، حيث لا ينبغي أن ينفرد عضو متخصص واحد جغرافي أو غير جغرافي باعباء العمل وحده في الميدان . بمعنى مراعاة أن يصطحب المتخصص ساعة أداء العمل الميداني ، الفني أو المساعد العلمي أو الزميل ، لانجاز العمل في اطار روح الفريق . ولا يمكن ان تتصور عملا ميدانيا ، يقوم به أو يلتزم بتنفيذه العضو المنفرد ، دون أن

يلتمس العون والمساعدة من الشريك الذى يشد أزره • ولا يبتنى هذاالتحذير أو هذا الاعتراض على التفرد المحظور ، أبدا على انعدام الثقة فى الكفاءة ، أو على التشكيك فى جدوى الأداءالفردى وحده فى الميدان • بل قل انه المحظور الذى يتجنب احتمالات عدم القدرة على حسن التمكن من العمل الفردى ، أو على افتقاد السيطرة على حسن استخدام وتوظيف الاجهزة والأدوات العلمية المناسبة فى الميدان •

ويركز **الأمر الثانى** على المحافظة على روح الفريق ، فى مباشرة العمل الميدانى • وتأبى روح الفريق أن تطول غيبة أعضاء الفريق المتعاون ، ومنهم قائد الفريق ، وهم مفترقون عن بعضهم بعضا ويتعاملون مع المنظوز الجغرافى ، على ساحة العمل الميدانى • ولقاء أعضاء الفريق المتعاون ، الذى يفترقون على امتداد الساحة ، فى اجتماع يومى أحيانا ، فى اجتماع أسبوعى أحيانا أخرى ، يوفر جلسة عمل هادئة للمراجعة ، بعد أن يفرغ كل واحد منهم من أداء تكليفات العمل المنوطة به فى الميدان • ويكون هذا الاجتماع مفيدا ومثمرا ، ولا ينبغى التخلف أو الاعتذار أو التفريط فى معطياته • وينسق هذا الاجتماع الهادىء والهادف ، العمل الميدانى ، ويوثق أوصال وروابط وينشط دواعى التمسك بروح الفريق والعمل الجماعى المشترك ، وفق بنود وبرامج الخطة المعمول بها فى الميدان •

وطويلة مراحل العمل الميدانى ، التى تتعقب عناصر التوليفة فى المنظور الجغرافى الطبيعى • وطويلة مراحل العمل الميدانى ، التى تتابع عناصر التوليفة فى المنظور الجغرافى البشرى • وفى هذه المراحل ، يكون الهدف التماس وضوح الرؤية الجغرافية ، فى اطار التوزيع والتعليل والربط • كما تلتمس الدراسة الميدانية أيضا ، ملاحقة وفهم شكل وطبيعة العلاقة ومستوى هذه العلاقة ، بين حركة الحياة ووسائلها المادية الحضارية وقدراتها على أن تضبط وأن تنضبط من ناحية ، وخواص الارض وقوة فعل الطبيعة ، واستعداداتها على أن تضبط وأن تنضبط من ناحية أخرى •

وقل ان نجاح العمل الجغرافى العملى ، فى تعقب وفهم هذه العلاقة بين مكونات المنظور الطبيعى على صعيد الأرض ، ومكونات المنظور البشرى على ظهر هذه الأرض ، يفتح العين الجغرافية على أمور كثيرة ، ينتفع بها تقويم معطيات ونتائج هذه العلاقة ، على صعيد الاقليم التخطيطى • بل قل ان هذا التوغل الجغرافى الباحث عن مستوى هذه العلاقة ، وعن توجهات هذه العلاقة ، وعن نتائج هذه العلاقة ، هو الذى يسعف التقويم الجغرافى • ويكشف هذا التقويم

الجغرافي بكل الوضوح عن كل ما ينبغي أن يبتني عليه صدق وموضوعية الرأى الجغرافي ، تعقيبا وتعليقا على أوضاع وأحوال حركة الحياة في الاقليم التخطيطي • وهل تبتغى التنمية أو هل تعمل التنمية أو هل تقدم التنمية ، على شيء أهم من تقويم وتحسين وضع الانسان على صعيد الاقليم التخطيطي، في اطار مباشرة دوره المؤثر في صياغة هذه العلاقة •

وما من شك في أن اتقان التغلغل الجغرافي ، من خلال اتقان العمل الجغرافي الميداني ، يؤدى الى حسن بيان التعبير الذى تفصح عنه الرؤية الجغرافية على صعيد الاقليم التخطيطي • وهذا البيان الحسن هو الذى يضع الجغرافي بكل ما يملكه من مهارات في التحليل والتركيب في وضع الاستعداد الحسن ، للتعقيب على هذه الرؤية الجغرافية • وفى اطار هذا التعقيب ، يكشف التحليل الجغرافى أيضا ، عن أساليب المواجهة ووسائل التطويع التى تنتصر وهي تتعايش وتتعامل على صعيد الأرض فى الاقليم التخطيطى • كما يكشف هذا التحليل الجغرافى أيضا ، عن أساليب المواجهة ووسائل التطويع التى تنتصر وينتصر بها التعامل الحياتى على الضوابط والتحديات • وهل تبتغى عمليات التنمية شيئا أهم من تحسين وسائل هذا التطويع ، فى طلب انتصار أعظم ، لحساب الانسان ومن خلال الانسان نفسه ، فى الاقليم التخطيطى •

ومهما يكن من أمر هذا التعقب الجغرافي الذى تعكف عليه الدراسة الميدانية ، ويشترك فيه الفريق المتعاون ، فان مسئوليته عن الرؤية الجغرافية تكون كبيرة ، ومسئوليته عن الرأى الجغرافى ، تكون أكبر • وتدخل فى اطار هذه المسئولية ، الاهتمام بتوجيه الدراسة الميدانية لكى تعجم عود الانسان حتى تتبين استعداداته ، لمباشرة التغيير ولاستيعاب نتائج التغيير ، ولتقدير قوة فعله لحساب هذا التغيير • كما يكون الاهتمام أيضا بتوجيه الدراسة الميدانية ، توجها ذكيا ، لكى تعجم عود الأرض ، حتى تتبين استعداداتها للتطويع والاستسلام لوسائل وأساليب التغيير ، ولتقدير قوة فعل التصدى لما يمليه ويستوجبه هذا التغيير • بمعنى أن يكون فى وسع الدراسة الميدانية فى الاقليم التخطيطى ، بعد كل التعامل مع أطراف العلاقة الموجودة بالفعل أو التى يرجى لها أن تبدأ ، أن تصل الى الرأى الجغرافى الذى يسعف الانسان ، وهو يحاول أن يطوع الأرض ، وأن يزحزح حد المصالحة معها لمصلحته • وهل تبتغى التنمية شيئا أهم من زحزحة هذا الحد لحساب الانسان وعلى حساب الأرض ؟

هذا ، ولا ينهى الفريق المتعاون الدراسة الميدانية أبدا ، الا بعد تمام الانتهاء من اجراء وجنى ثمرات العمل الجغرافى الميدانى فى الاقليم التخطيطى ، وصولا الى أوضح صورة للرؤية الجغرافية ، والى أحسن رأى جغرافى تعقيبا عن هذه الرؤية الجغرافية • ومع ذلك ، ينبغى أيضا أن يكون هناك اتفاق بين الشركاء فى الفريق المتعاون على انتهاء هذا العمل الميدانى ، لكى تتأتى عودة الرحلة الجغرافية الميدانية من الميدان •

الانجاز الجغرافى العملى لحساب التنمية فى الاقليم التخطيطى :

يلتمس الانجاز الجغرافى العملى الميدانى ، من الدراسة الجغرافية التى تشمل المسح الجغرافى على الوجهين الطبيعى والبشرى ، واستخلاص مواصفات الواقع الجغرافى وتفرد الشخصية الجغرافية ، الوصول الى الرأى الجغرافى • ويستوجب الوصول الى هذا الرأى الجغرافى ، تقسيم فريق العمل المتعاون الى قسمين • ويتولى القسم الأول الاهتمام بالمسح الجغرافى الطبيعى ، والتغلغل العميق فى كنه وماهية التوليفة الجغرافية الطبيعية • ويتولى القسم الآخر ، الاهتمام بالمسح الجغرافى البشرى ، والتمادى الحصيف فى كنه وماهية التوليفة الجغرافية البشرية •

والتقسيم أو الافتراق بين هذ المجموعتين ، لا يعنى أبدا التفريط فى وحدة العمل الميدانى ، أو فى حتمية العلاقة الحميدة ، التى تجمع بينهما فى الاطار الجامع ، بين الواقع الجغرافى الطبيعى ، والواقع الجغرافى البشرى • وفى الوقت الذى يعالج فيه العمل الجغرافى والمسح اللواقع الجغرافي الطبيعى ، لكى تتكشف أحوال ومواصفات وخصائص المسرح ، الذى تعيش عليه حركة الحياة ويشهد حيوية نبضها الفعال ، يعالج فيه العمل الواقع الجغرافى البشرى ، لكى تتكشف أحوال واجتهادات ووسائل حركة الحياة ، التى تؤمن وجودها وتستثمر قدراتها ومهاراتها فى ترسيخ نبضها الفعال على صعيد الأرض • ويجمع الاطار الجامع والحاكم ، لدراسة الواقع الجغرافى على هذين الوجهين الطبيعى والبشرى ، ويصطنع منهما معا ، وجهين متلاحمين ومتلازمين ، يتوجهان الى هدف واحد ، هو المسح الجغرافى الميدانى الشامل ، على صعيد المساحة الفسيحة ، فى الاقليم التخطيطى •

وعن أداء الزمرة والفريق المتعاون الذى يتفرغ لدراسة الواقع الجغرافى الطبيعى ، نذكر كيف انها توظف العمل الميدانى الجغرافى المباشر ، يدعمه العمل الميدانى الجغرافى غير المباشر ، فى حصر وتقصى الحقائق الجغرافية

الطبيعية فى الاقليم التخطيطى . ويطوف هذا الفريق المتعاون ، ويتجول من مكان الى مكان آخر ، لكى يلتمس هذه الحقائق الجغرافية الطبيعية . وتشمل هذه الحقائق شيئا عن الموقع الجغرافى وعن تضاريس الارض بما فى ذلك تكوينها وتشكيل سطحها ، وعن أحوال المناخ السائد فى ربوع الارض ، وعن الوجود الحيوى والنباتى . وتبدو الحاجة أحيانا ، لخبرة العلمى المتخصص غير الجغرافى فى دراسة والتماس التفاصيل الجوهرية فى عنصر من هذه العناصر المتنوعة ، فى سبيكة التوليفة الجغرافية الطبيعية .

ومن خلال الخبرة الجغرافية فى النحليل والتركيب ، فى وقت واحد ، تنبرى هذه الزمرة من اعضاء الفريق ، لدراسة نسيج هذا الواقع الجغرافى الطبيعى ، فى الاقليم التخطيطى . وتلتمس هذه الخبرة ، حصص العناصر الجغرافية الطبيعية التى تتداخل فى صياغة وتكوين هـذا النسيج ، حتى تكسبه الخصائص الجغرافية المتميزة . ولا يلبث أن يجتاز الاجتهاد الجغرافى هذه المرحلة الاولية ، لكى يعجم عود ضوابط وتحديات هذا الواقع الطبيعى، وكيف تواجه حركة الحياة . ثم يعقب على ذلك ، ببحث يتبين مبلغ انصياع هذا الواقع الجغرافى الطبيعى ، بتحدياته وضوابطه الذى يحتوى حـركة الحياة ، للتغير والتصدى البشرى لصنع هذا التغيير ، وتقليم أظافر التحديات والضوابط الطبيعية ، فى الاقليم التخطيطى .

ومن شأن هذا التجهيز الذى تعد له الدراسة الميدانية عن الواقـع الطبيعى وخواصه فى الاقليم التخطيطى ، أن يرشد ويبصر التقويم الجغرافى، بمقدار ما يصل اليه أو يبلغه انتصار الانسان ، على التحديات والضوابط التى تواجه حركة الحياة ، فى اطار الواقع الجغرافى الطبيعى . بل قل مـن شأن هذا التقويم الجغرافى أيضا ، ان يبصر بالحد الامثل من قوة فعل الانسان ووسائله الحضارية الافضل ، التى ينبغى أن تسعف احباط أو ابطال مفعول التحديات المعلنة ، ضد ارادة التغيير الى ما هو أفضل ، على صعيد هذا الواقع الجغرافى الطبيعى ، فى أنحاء الاقليم التخطيطى . وصياغة الاستبيان الذى ينتزع بمهارة كبيرة ، اجابات وورود المدركات الجغرافية الطبيعية حتى يتجلى وضوح رؤية الواقع الجغرافى الطبيعى وتتكشف خصائصه وقوة فعل ضوابطه وتحدياته المعلنة وغير المعلنة ، تحتاج الى خبرة الجغرافى التى تدعمها نتائج كل العلوم الطبيعية المعاونة . كما يحتاج التقويم الجغرافى أيضا الى مهارة وحنكة وحسن تقدير وحساب جدوى ايجابيات وسلبيات العلاقة بين الانسان وجوده ومستواه وخبرته ومهارة وسائله ، والأرض التى يجسد مواصفاتها حسن

بيان دراسة الواقع الجغرافى الطبيعى ، فى الاقليم التخطيطى ٠

وعن آداء الزمرة الأخرى ، أو الفريق المتعاون الـــذى يتفرغ لدراسة الواقع الجغرافى البشرى ، نذكر كيف انها توظف العمل الميدانى الجغرافى المباشر ، يدعمه العمل الميدانى الجغرفى غير المباشر ، فى حصر وتقصى الحقائق الجغرافية البشرية ، فى الاقليم التخطيطى ٠ ويطوف هذا الفريق ، ويتجول من مكان الى مكان آخر ، لكى يلتمس هذه الحقائق الجغرافية البشرية ٠ وقد يسأل الناس ويستمع الى الاجابات التى ، تعبر عن ايقاعات حركة الحياة ، ونبضها فى المكان والزمان ٠ وقد يعايش حركة الحياة ، ويسجل الانطباع الجغرافى عن وجودها ، وعن فاعلية نبضها السائد ، على صعيد الأرض فى الاقليم التخطيطى ٠

ويشمل هذا التحرى الجغرافى عن حركة الحياة ، شيئا مهما عن السكان وانتشارهم السكنى ، وعن أوضاعهم الاجتماعية ، وعن أحوالهم الصحية ٠ كما يشمل هذا التحرى ، تدقيقا يتعقب أنشطتهم الاقتصادية ، فى اطـــار مكونات البنية الاقتصادية ، انتاجا واستهلاكا ٠ وقد يمضى هذا التعقب لكى يتابع جيدا ، مستويات المعيشة السائدة ، ويتحسس تطلعاتهم الى تحسين أحوالهم ، والتوجهات الى هذا التحسين المرتقب ٠ ويلتمس هذا التحرى عن كثب ، أحوالهم الحضـــارية فى الريف والحضر ، واستعدادات وســـائلهم الحضارية لمواجهة أعباء الحياة فى مجالات التعـــامل مـــع الارض ، فى طلب عطائها ، أو فى المسكن وتوفير الخدمات والمرافق ، أو فى تشغيل الخدمات ووسائل النقل والاتصال ٠ هذا بالاضافة الى تحرى مستوى الوعى السائد وتوجهاته اقتصاديا وحضـــاريا واجتمـــاعيا ، واستعداداته لطلب وتمنى التغيير ، أو لرفضه واعراضه عن الجديد أو التجديد ٠

ومن خلال الخبرة الجغرافية فى التحليل والتركيب فى وقت واحد ، نجتهد هذه الزمرة من أعضاء الفريق ، فى دراسة نسيج الواقع الجغرافى البشرى السائد ، فى الاقليم التخطيطى ، وكيف يعايش ويتعايش وتلين له الأرض ٠ وتلتمس هذه الخبرة ، حصص العناصر الجغرافية البشرية ، التى تتداخل فى صياغة وتكوين هذا النسيج ، حتى تضفى عليه مظاهر الخصوصية الجغرافية البشرية ٠ بل قل تلتمس هذه الخبرة ، ما يمكن ان يكون من فعل وتأثير خواص وطبيعة الأرض ، وهو ظاهر ومعلن ، أو وهى مستتر وغـــير ظاهر ، وراء هذا النسيج البشرى ، فى الاقليم التخطيطى ٠ ولا يلبث أن يجتاز الاجتهاد الجغرافى هذه المرحلة الاولية اجتياز العارف بهذا النسيج ،

لكى يعجم عود استعدادات وقدرات الناس فى هذا النسيج ، وكيف تتوجه حياتهم وتطوع تحديات وضوابط الواقع الطبيعى • ثم يعقب على ذلك ، ببحث وتدقيق يتبين مبلغ انتصار حركة الحياة فى معارك وجولات تطويع الأرض ، وابطال مفعول تحدياتها وضوابطها ، فى الاقليم التخطيطى •

ومن شأن هذا التجهيز الذى تعد له الدراسة الميدانية عن الواقع البشرى وأوضاع حركة الحياة ، فى الاقليم التخطيطى ، أن يرشد ويبصر التقويم الجغرافى ، عن مبلغ استعداد الانسان للدخول فى جولات حاسمة ، لكى يصارع مضارعة تفضى الى وضع حد المصالحة بين خواص الارض وقدرات الانسان ، والاستعداد المتبادل للضبط والانضباط • وقل من شأن هذا التقويم الجغرافى أيضا ، أن يلتمس ويبصر بالحد الأمثل لقدرات ومهارات وسائل الانسان الحضارية ، التى ينبغى أن يمارسها فتسعفه فى الصراع وفى ابطال مفعول التحديات المعلنة ضد ارادة حركة الحياة ، وتعايشها الانسب على صعيد الأرض • وحسن صياغة الاستبيان الذى يخاطب حركة الحياة . ويتسلل الى أعماق النسيج البشرى ، ويعجم عوده ويطلع على وعيه واستعداداته لطلب التغيير الى ما هو أفضل ، تحتاج الى مهارات الخبرة الجغرافية فى الدراسة الميدانية ، التى تدعمها وتشد أزرها نتائج كل العلوم الانسانية المعاونة • كما يحتاج التقويم الجغرافى أيضا ، الى شيء كثير من مهارة حس جغرافى ، وحنكة تحليل جغرافى ، وحسن تقدير وحساب جدوى ، أيجابيات وسلبيات العلاقة القائمة ، بين الانسان وجوده ومستواه وخبرته ووعيه واستعداداته للتغيير وفعالية وسائله من ناحية ، والارض التى يجسد مواصفاتها وخواصها ، ويعلن عن تحدياتها ، حسن بيان دراسة وتحليل الواقع الجغرافى الطبيعى ، فى الاقليم التخطيطى •

وكما انتهت من قبل رحلة الزيارة الميدانية التفقدية ، وهى فى طلب التعارف الجغرافى الاولى عن الاقليم التخطيطى فى الاطار الجغرافى المحبوك ، أو وهى تستثمر مناخ الانفتاح الجغرافى وحسن تعبيره الواقعى عن جغرافية هذا الاقليم التخطيطى ، دون أن تستنفد الرحلة الجغرافية الميدانية كل اغراضها المعلنة ، تنتهى أيضا رحلة تقصى الحقائق الجغرافية التى تلتمس تفاصيل الواقع الجغرافى على الوجهين الطبيعى والبشرى • وقل ان عودة الفريق المتعاون من الرحلة الجغرافية الميدانية ، هذه المرة بعد تقصى الحقائق على صعيد الاقليم التخطيطى، لا تعنى نهاية المطاف، ولا تعنى أنها قد استنفدت اغراضها من الميدان • وقل ايضا يبقى الباب مفتوحا ، للذهاب من جديد الى

نفس الميدان ، طالما لم تستنفد الدراسة الميدانية ، كل أغراضها من العمل الجغرافي ، عن الاقليم التخطيطى . بل قل بكل اليقين تبقى الحاجة ملحة الى رحلة جغرافية ثالثة ، فى الوقت المناسب . وتطلب الرحلة هذه المسرة ، استيفاء هذه الاغراض الحيوية ، حتى يستشعر الباحث انه قد أنهى بالفعل كل العمل الجغرافى الميدانى ، أو حتى يبوح له الواقع الجغرافى على صعيد الاقليم التخطيطى ، بكل ما ينبغى أن يتوفر من بيانات صريحة تسعف التطلع الى التقويم الجغرافى ، وصدق تعبير الرأى الجغرافى ، لحساب التنمية .

وهكذا يتبين الفريق عند العودة من الميدان ، ان هناك حاجات يحتاج اليها ، وهى تنقصه وتلقى بعضا من التعتيم على وضوح الرؤية الجغرافية ، على صعيد الاقليم التخطيطى. بمعنى أن تتكشف للاجتهاد الجغرافى، أن هناك بقية باقية ينبغى أن يتفرغ لاستيفائها ، وأن دور الرحلة الجغرافية الوظيفى فى طلب هذا الاستيفاء ، يتجدد لحساب الحصول على هذه البقية . وكيف لا تكون هناك بقية ينبغى استيفائها ، والدراسة المكتبية هى التى تؤكد الحاجة الى هذه البقية ، أو تكشف عن بعض جوانب الغموض وعدم وضوح ملامح الواقع الجغرافى ، فى الاقليم التخطيطى ؟ بل قل كيف تنتهى الرحلة الجغرافية ، أو كيف يعفيها الاجتهاد الجغرافى من العودة من جديد مرة وربما مرات كثيرة ، تتكرر وهو لم يفرغ بعد من تكديس وجمع أوصال المادة الجغرافية الخام ، من ثمرات العمل الجغرافى العملى فى الميدان ؟

وعودة الرحلة الجغرافية الميدانية ، من الميدان ، بعد تقصى الحقائق الجغرافية ، وتعاون الفريق فى جمع أوصال المادة الخام ، واجراء الجزء العملى من العمل الجغرافى ، عن مواصفات وخواص الاقليم التخطيطى ، تكون عودة منطقية وموفقة . بل قل انها العودة التى تأتى ، فى الوقت المناسب تماما . ولا تعنى هذه العودة ، شيئا أهم من انهاء أهم شوط من الاشواط العملية ، أو أهم جولة عمل جغرافى ميدانى ، على أوسع مدى فى الاقليم التخطيطى . وتحمل هذه العودة معها ، رصيدا كبيرا عن الأوضاع والاحوال الجغرافية السائدة ، فى الاقليم التخطيطى ، فى الجعبة الجغرافية .

وصحيح ان هذه العودة ، أو أن هذا الرجوع من الميدان ، يعطى الاجتهاد الجغرافى الفرصة ، لكى يلتقط الانفاس ، حتى يستوعب الرصيد الجغرافى المتراكم ، فى الجعبة الجغرافية ، عن الاقليم التخطيطى . وصحيح أيضا ،

ان هذه العودة الموفقة ، فى الوقت المناسب ، توجه الاجتهاد الجغرافى توجيهاً مباشرا وسليما ، نحو الدراسة المكتبية ، والاطلاع على المراجع والمصادر والكتب ، فى طلب حسن التنسيق والتكامل بين ، المادة الخام التى يسفر عنها ويوفرها العمل الجغرافى الميدانى ، والمادة غير الخام التى يوفرها الاطلاع على الكتب والمراجع • ولكن الصحيح بعد ذلك ، ان هذه العودة من الميدان ، لا تطلق أيدى الاجتهاد الجغرافى حرة أبدا ، لكى يكتب أو لكى يعلن عن ما تنبىء به الدراسة الجغرافية الكاملة ، عن الاقليم التخطيطى •

وقد يستشعر الاجتهاد الجغرافى انه يقترب من نهاية هذه المهمة الجغرافية ، لحساب التنمية فى الاقليم التخطيطى ، ولكنه لا يستبعد فى نفس الوقت ، احتمال العودة مرة أخرى ، من جديد ، فى رحلة جغرافية ميدانية ، الى نفس الاقليم التخطيطى • وتتم هذه الرحلة الجغرافية المرتقبة ، الرحلة الجغرافية الميدانية السابقة ، وتعقب عليها ، تعقيب من يطلب أقصى درجات الجدوى من العمل الجغرافى العملى ، على صعيد الاقليم التخطيطى • وتبتنى هذه العودة المتوقعة - فى الغالب - على استشعار الحاجة الى استكمال أو الى استيفاء بعض العمل الجغرافى العملى ، الذى تستجد اليه الحاجة ، بعد شىء مناسب من الدراسة المكتبية عن الاقليم التخطيطى •

ويبقى الحكم السليم بصدق هذا الاحتمال وجديته وجدواه ، لكى ترجع الرحلة الجغرافية الميدانية ، الى الاقليم التخطيطى نفسه من جديد ، فى حاجة الى قرار مستقل جديد • وتبصر الدراسة المكتبية ، أو ترشد اتخاذ هذا القرار • ويصدر الاجتهاد الجغرافى ، هذا القرار الجديد ، دون حاجة الى التشاور الموضوعى ، مع أعضاء الفريق المتعاون • وقل انه هو وحده الذى يستشعر النقص ، ويفهم مبررات العودة من جديد الى الميدان • بل قل انه لا ينبغى أن يتأخر كثيرا ، فى اتخاذ هذا القرار الجديد ، الذى يحق الحق فى العمل الجغرافى الميدانى ، ويستوجب الواجب لاستيفاء النقص عن الاقليم التخطيطى •

ومثل هذه العودة من جديد الى الاقليم التخطيطى ، لا تعنى أبدا أن العمل الجغرافى العملى ، أثناء رحلة تقصى الحقائق الجغرافية من الميدان ، قد وقع فى الخطأ ، الذى ينبغى تداركه فورا • كما لا تعنى هذه العودة أيضا ، أن رحلة تقصى الحقائق الجغرافية ، قد تعجلت فى العودة من الميدان ، قبل اتمام كل العمل الجغرافى العملى ، وينبغى أن يحتسب عليها وزر هذا التقصير

والتعجل • ولكن قل أن هذه العودة ، تعني في المقام الأول ، طلب استيفاء النقص غير المتعمد في العمل الجغرافي ، وتستجد الحاجة اليه ، ولا يجوز اهماله أو الاستغناء عنه •

ومن شأن هذا القرار الجديد المستقل ، الذي يعيد الرحلة الجغرافية الميدانية مرة أخرى الى الميدان ، أن يتمهل كثيرا • ولا ينبغي أن يصدر هذا القرار ، الا بعد أن يتيقن الاجتهاد الجغرافي ، من أوجه النقص أو من التقصير • بمعنى ان تكون هذه العودة ، في الوقت المناسب تماما ، بعد أن يدرك الاجتهاد الجغرافي بالضبط ، لماذا ترجع الرحلة الجغرافية الميدانية مرة أخيرة الى الاقليم التخطيطي ؟ ، ومتى وكيف يكون هذا الرجوع واجبا اجباريا ، لا يجوز اهماله والتفريط فيه أو العدول عنه أبدا ؟

رحلة جغرافية ميدانية أخيرة الى الاقليم التخطيطي :

هذه رحلة ذهاب جغرافي ، يتكرر من جديد الى الاقليم التخطيطي ، الذي شهد من قبل ، رحلة الزيارة التفقدية مرة ، ثم يعود ويتعايش ويتعامل على صعيده من أجل تقصي الحقائق الجغرافية عن خواص الاقليم التخطيطي في رحلة عمل جغرافي ميدانية ، مرة أخرى • وحاجة جغرافية ملحة ، تدعو الى هذا الذهاب الاخير الى الميدان ، تعني أولا وأخيرا ، طلب اضافات جديدة ضرورية ، لا تستغني عنها دراسة الاقليم التخطيطي ، دراسة جغرافية مناسبة ، تجهز القاعدة الصلبة من المعرفة التي يبتني عليها التغيير الاقتصادي والاجتماعي الشامل ، لحساب التنمية •

وسواء تكون هذه الاضافة الجديدة مطلوبة عمليا ، لاستكمال وضوح رؤية الاقليم التخطيطي جغرافيا على صعيد الارض وتأكيد حسن معاينتها التفصيلية ، أو تكون هذه الاضافة لازمة عمليا ، لاستيفاء مقومات حسن تقويم هذه الرؤية الجغرافية والتعقيب عليها ، واستخلاص الرأي الجغرافي الذي يبصر العمل التطبيقي في العمل التنموي ، يصبح الذهاب الى الميدان في هذه الرحلة الجغرافية الاخيرة أمرا ضروريا • بل قل لا مفر من هذا الذهاب في الوقت المناسب ، ولا يجوز أبدا التفريط في جدواه ، التي يتحقق بها حسن الاسهام الجغرافي التطبيقي في العمل التنموي ، على صعيد الاقليم التخطيطي •

وقل ان هذه الحاجة الملحة الى الاضافة الجديدة ، هي التي تدعو أو تلزم الاجتهاد الجغرافي بالخروج في الوقت المناسب ، دون حرج أو دون تكاسل الى الاقليم التخطيطي مرة أخرى • ويتم هذا الخروج في هذه المرة

الاخيرة ، مهام الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى يتعين تنفيذها العمل على صعيد الاقليم التخطيطى • بل قل انه الخروج ، الذى يكفل حسن استيفاء بعض النقص أو التقصير عن جوانب محددة من الحقائق الجغرافية أو المادة الخام ، التى تكون ألزم ما ينبغى الالتزام به ، فى البحث الجغرافى والتحرى الدقيق ، عن الخلفية الجغرافية الصلبة ، وهى قاعدة البناء التنموى الشامل •

وقل أيضا ، انها رحلة استيفاء جغرافى واجبة ، بقدر وجوب الاسهام الجغرافى التطبيقى فى العمل التنموى • وهى الرحلة الجغرافية الاخيرة ، التى تتدارك ما فات العمل الجغرافى العملى فى الاقليم التخطيطى ، وتطلب أن تحصل عليه • بل قل انها رحلة عمل جغرافى من جديد ، تستحق شيئا من الاعداد الجيد ، قبل الذهاب من جديد ، الى الاقليم التخطيطى نفسه مرة أخيرة • وهذا الاعداد الجيد ، لا يكون الا من أجل حسن العنـــاية بتدارك النقص أحيانا ، أو بتلافى أوجه التقصير أحيانا أخرى ، فى مجمل حصاد العمل الجغرافى العملى وتوجهاته التطبيقية المفيدة ، لحساب العمل التنموى ، فى الاقليم التخطيطى •

وصحيح ان الجغرافى وحده ، هو صاحب القرار فى الذهاب الأخير الى الاقليم التخطيطى ، لكى يتدارك النقص ، أو لكى يلتمس الاضافة • وصحيح أيضا ، انه هو الذى يحدد موعد هذا الذهاب ، وكيفية التوجه الانسب الى الاقليم التخطيطى • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، يكون الاجتهاد الجغرافى فى حاجة الى شيء مناسب من التشاور ، مع بعض أعضاء الفريق المتعاون ، من الجغرافيين ومن غير الجغرافيين • ويدور هذا التشاور الجاد ، فى أمر :

١ ـ من الذى ينبغى أن يخرج فى صحبة هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الأخيرة بالذات ، من بين الفريق المتعاون ، حتى تعاود العمل الجغرافى الميدانى واستيفاء النقص فى الميدان ؟

٢ ـ ما هو بالضبط العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى ينبغى القيام به ، حتى يتدارك النقص أو حتى يتجنب عواقب التقصـــير ، أو حتى يسد الثغرات ، أو حتى يجنى الثمرة الاضافية ، ويلتزم به فرد ومعه متعاون ، أو تلتزم به مجموعة منتخبة ، تمضى مع الجغرافى قائد الفريق ، وهو يذهب الذهاب الاخير الى الاقليم التخطيطى ؟

٣ ـ ما هو أسلوب العمل الجغرافى التكميلى الانسب ، الــذى يتعين

الالتزام به واتباعه ، أو الأخذ بما يمليه فى الأداء الجغرافى المستجد ، حتى يجاوب الغاية أو القصد الجغرافى عن الاقليم التخطيطى ، أو حتى يلبى ارادة التوجه من جديد ، فى طلب المعلومة الصحيحة الجديدة ، أو فى طلب تصحيح المعلومة التى سبق الحصول عليها ، من الميدان عن جغرافية الاقليم التخطيطى ؟

٤ ـ كيف ينبغى أن يجرى العمل الجغرافى الميدانى ، وان ينضبط الأداء العملى، الذى يتحرى الدقة والتدقيق أو الذى يلتمس الاضافة والتجديد، حتى يضمن الاجتهاد الجغرافى حسن التوجه السديد فى هذه الدراسة الميدانية ، ذات الطابع التكميلى ، فى الاتجاه الصحيح ، ويتسنى بالفعل تدارك النقص أو معالجة التقصير ، أو استيفاء بعض المستجد الجديد فى الميدان ؟

وهكذا ، يخضع خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الاخيرة ، ذات الطابع التكميلى ، الى الميدان ، فى الاقليم التخطيطى ، وهى تحمل همتوم الاستيفاء أو وهى تلتمس تدارك النقص والتقصير ، أو وهى تتحرى تثبتا فى التدقيق الجغرافى لضوابط محددة . ويضع التشاور الذى يجرى بعناية بين بعض أو كل أعضاء الفريق المتعاون ، ايدى الاجتهاد الجغرافى ، على كنه وماهية هذه الضوابط التى تحكم الذهاب الاخير ، الى الميدان . كما يسعف هذا التشاور أيضا ، وضع خطة العمل الجغرافى التكميلى الاضافى ، التى تنظم وتضبط مسيرة العمل الجغرافى العملى المستجد ، على الساحة عن جغرافية الاقليم التخطيطى ، وجوانبها الطبيعية أو جوانبها البشرية .

ومن ثم لا ينبغى أن يلتزم بالخروج ، فى هذه الرحلة الجغرافية والذهاب من جديد من بين أعضاء الفريق المتعاون ، الا من تستوجب حاجة العمل الميدانى المستجد التحاقه بها . ولا يمكن ولا يجوز أبدا فى مثل هذه الحالة الاستغناء عن من يقع عليه الاختيار . وقد يكون فى وسع الباحث الجغرافى ، أن يذهب وحده ودون أن يصطحب معه أحدا ، فى هذا الذهاب الاخير الى الميدان ، ولكن لا ينبغى أن يفعل . بل قل انه قد يمتلك القدرة ، لانجاز المهمة متفردا ، بالعمل الجغرافى العلمى ، ولكنه لا يقع أبدا فى هذا المحظور . ذلك ان التفرد مرفوض أصلا ، وان شرط الصحبة فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الاخيرة ، وكل رحلة جغرافية ميدانية أخرى ، فهو شرط جوهرى وضرورى ، ولا ينبغى اهماله أبدا .

ويمضى هذا الذهاب الاخير الى الاقليم التخطيطى ، وهو لا يتجاوز أبدا شرط الصحبة • وقل يتعين هذا الالتزام الصارم ، بشرط الصحبة ، لصالح العمل الجغرافى العملى ، دون تهاون أو تفريط • بل قل تصح هذه الصحبة، التى تكون حتى لو وقع الاختيار على الفني الذى يعاون الجغرافى ، فى انجاز العمل الجغرافى العملى • ومع ذلك ، فلا بأس من اختيار شريك من الجغرافيين، وشريك آخـــر من العلميين فى التخصصـــات الطبيعية أو فى التخصصات الانسانية ، امعانا فى العناية بالأداء التكميلى للدراسة الميـــدانية ، وهى لحساب هدف تنموى حيوى ، فى الاقليم التخطيطى •

وتكون هذه الصحبة فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الاخيرة الى الاقليم التخطيطى ، ضرورية ، حتى لو لم تستغرق الذهاب اليه والعودة منه، غير سويعات قليلة ، لقضاء مهمة عاجلة • وتضم هـــذه الصحبة الى قائد الفريق عضوا أو أكثر من عضو من أعضاء الفريق المتعاون ، فى الخروج الاخير الى الميدان • ويتمثل الحد الادنى فى هذه الصحبة ، فى زمالة عمل ميدانى ، تجمع بين الجغرافى وهو الأصل ، ورفيق واحد على الأقل من المتخصصين أو من الفنيين ، لكى يعينه أو لكى يعاونه هذا الرفيق فى انجاز العمل الجغرافى ، فى الاقليم التخطيطى •

وهذا معناه ان الذهاب المنفرد الى الميدان ، غيره ممكن لانه قد يفضى فى الغالب الى شيء من التقصير • كما ان اجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى الانفرادى ، غير وارد أبدا ، لأن هذا الانفراد لا يخدم أو لا يكفل الانجـــاز الجيد • بل قد يكون العمل الجغرافى الميدانى الانفرادى مرفوضا على الاطلاق، وينبغى تجنبه تماما ، فى كل مرة يتأتى فيهـــا الذهاب الى الميـــدان ، فى رحـــلة الزيارة الجغرافية التفقدية ، أو فى رحـــلة الدراسة الميـــدانية الحقيقية ، أو فى رحـــلة تدارك النقص الجغـــرافى الأخـــير ، لأن هـــذا العمل الانفرادى الذى يتمرد على روح الفريق يكون غير مجـــد ، وخاصة فى اجراء الدراسة الميدانية ، لحسا بالتنمية فى الاقليم التخطيطى •

ويستوجب خروج هـــذه الرحلة الجغـــرافية ، والـــذهاب الى الاقليم التخطيطى من جديد ، الى جانب حسن اختيار شريك و رفيق الجغرافى من بين أعضاء الفريق المتعاون ، شيئا من العناية بحسن وضع خطة العمل الميدانى ، التى تغطى وتنظم وتضبط ايقاعات العمل ومسيرة التنفيذ التكميلى ، فى هذه المرة الأخيرة • ويتعين على الباحث الجغرافى وهو قائد الفريق ، ومن معه ، أن يعرف بالضبط حدود وحجم المهمة المنوطة بهذا الذهاب الضرورى الاخير

الى الاقليم التخطيطى • كما يجب أن يدرك أيضا كل شريك متعاون ، فى هذا الذهاب بالضرورة ، كل شئ عن مواقع العمـــل الجغـــرافى التكميلى المستهدف ، على صعيد الاقليم التخطيطى • بل قل ينبغى أن يتحدد ، قبل الذهاب مباشرة ، نصيب كل شريك من العمل ، والمدى الزمنى الانسب ، للذهاب والعودة ، مع حسن تأمين حسن التفرغ لانجاز المهمة المنوطة به ، فى أنحاء الميدان •

ومن أجل هذه المهمة الطارئة ذات الطابع التكميلى ، التى تكرس لتكميل أو لاستيفاء العمل الميدانى ، قد توضع الخطة بعناية شديدة ، لكى يتكـــرر بموجبها الذهاب الى الميدان ذهابا خاطفا أكثر من مرة ، والى أكثر من موضع معين متفق عليه مسبقا فى أنحاء معينة من الاقليم التخطيطى • وفى كل مرة من مرات الذهاب المتكررة ، تنجز الرحلة الجغرافية الميدانية الخاطفة ، عملا ميدانيا معينا ، لاستيفاء النقص أو التقصير ، أو تباشر الاجتهاد الذى يلتمس وضوح الرؤية الجغرافية على صعيد الاقليم التخطيطى ، ويلتمس أيضا الراى الجغرافى التخطيطى السديد عنها • ولا ينبغى أن يتوالى هذا الذهاب المتكرر بسرعة كبيرة ، لان التريث والتقاط الأنفاس يخدم تجويد الانجاز • كمـــا لا ينبغى أن يتزامن هذا الذهاب المتكرر أبدا ، فى اطار الخطـــة الموضوعة خصيصا له ، لان الباحث الجغرافى ، يكون الشريك الدائم والاصلى فى ذهاب كل مرة من هذه المرات المتكررة ، الى مواقع متفرقة ، فى الاقليم التخطيطى •

وهناك فى الميدان ، وفى كل موقع عمل جغرافى ميدانى ، ينبغى أن يتعاون الاجتهاد الجغرافى ، مع الاجتهاد العلمى غير الجغرافى ، أو مع الاجتهاد الفنى ، تعاونا مستنيرا وحصيفا ، تظلله روح الفريق ، فى انجاز المهمة ، التى تتوجه من أجلها رحلة الذهاب الاخير الى الاقليم التخطيطى • ولا يجب أن يكون هذا العمل الجغرافى العملى متعجلا ، من أجل عودة سريعة تهرول فى لهفة لانهاء المهمة بأى شكل • ولا يجب أن يهبط مستوى الأداء والتدقيـــق فى جمع المادة الخام وحصر الاجابات والردود على الاسئلة المطروحة ، عـــن مستوى الاداء فى الرحلة الجغرافية الميدانية الســـابقة ، الى نفس الاقليم التخطيطى • بل قل ينبغى أن يعزز هذا الأداء ، شيئا كثيرا من حسن التحلى بالصبر والجلد والمثابرة ، فى طلب النتـــائج وحصرها وحسن تصنيفها ، التصنيف الذى يتمم الرصـــيد الجغرافى عن الاقليم التخطيطى ، ويحسن تقديمه زادا مناسبا ، يشد أزر عمليات التنمية الشاملة •

وسواء يتكرر هذا الذهاب الاخير الى الاقليم التخطيطى ، أو لا يتكرر ، فلا تنقطع الصلة أبدا ، بين الاجتهاد الجغرافى وفى معيته المتعاونين معه من المتخصصين والفنيين ، وهو يعمل عملا جغرافيا مناسبا فى أنحـاء الاقليم التخطيطى من ناحية ، والمساحة المعنية التى يغطيها هذا الاقليم التخطيطى المتميز جغرافيا من ناحية أخرى • وتبقى هذه الصلة قائمة لحساب العمـل الجغرافى ، ولا ينبغى أن يكف الجغرافى ومن معه عن مواصلة واستمرار التمعن الجغرافى ، فى رؤية الواقع الجغرافى على الوجهين الطبيعى والبشرى ، حتى تتبين له ، حقيقة كيف يسفر هذا الواقع الجغرافى المتميز عن قاعدة أو خلفية أو أساس تناسبه خطة تنموية خاصة ومتميزة ، فى الحيز المحـدود أو فى الاطار الحاكم للاقليم التخطيطى • وقل ان هذا التمعن الجغرافى ، يقود ويوجه حسن صياغة الرأى الجغرافى السديد ، الذى يسدد صياغة وبنـاء الخطة التنموية ، فى الحبكة الانسب للاقليم المتميز •

والرأى الجغرافى الذى يجسد محصلة الاجتهاد الجغرافى فى الدراسة الميدانية وفى صحبته من يتعاون معه ويشد أزره ، وفى الدراسة المكتبية التى يتفرد بها ، هو الذى يوجه الانظار الى جدوى الاسهام الجغرافى التطبيقى فى العمل التنموى • وقل ان هذا الرأى علامة تجسد معنى التجول الجغرافى من علم عملى فى موضع بينى بين العلوم النظرية البحتة ، الى علم عملى فى موضع بينى بين العلوم التطبيقية • ومثل هذا التحول الجغرافى ، معنـاه الاستعداد الجغرافى الكامل ، لدور وظيفى مهنى ، يقدم الخبرة والمهارة من وراء هذا الرأى الجغرافى ، لحساب حركة الحياة فى التنمية الشاملة ومضى العملية التنموية ، على الدرب الصحيح ، دون التفريط فى أقصى درجـات التوازى والتوازن والتزامن فى الانجازات التنموية الشاملة ، على صعيد الأقاليم التخطيطية التى تغطى مساحة الدولة الكلية •

* * *

خـــاتمـــة

الدراسة الميدانية وتوثيق العلاقة الاصولية
بين الفكر الفلسفى الجغرافى وعلم الجغرافية المعاصر

خاتمة

الدراسة الميدانية وتوثيق العلاقة الاصولية بين الفكر الفلسفي الجغرافي وعلم الجغرافية المعاصرة

ضرورة أو حتمية الاحساس بالمكان والتعرف على منظومة المدركات الجغرافية ، التي يتألف منها المنظور الجغرافي العام ، على صعيد الارض ، كانت وما زالت الأساس المتين ، الذي يرسخ ويؤمن وجود حركة الحياة في المكان • وفي الاعتقاد الجغرافي ، ان الانسان بداية من وقت ظهوره على الأرض ، يمتلك في داخله ، حسا فطريا ذكيا ، يوظفه توظيفا مناسبا ، للاحساس بالمكان والتعرف على منظومة المدركات الجغرافية ، من حوله على صعيد الأرض ، وهي مسرح فسيح يشهد وجود حركة احداث التعامل والتعايش مع الواقع الجغرافي • ولا سبيل لان تقلل من شأن فطرية الاحساس بالمكان أبدا ، سواء وهو يبصر أو وهو ينتصر لوجود حركة الحياة التي تضم الانسان والحيوان والنبات في المكان الجغرافي ، أو وهو يفتح أبوب الادراك الجغرافي ، التي تستوجب التمعن واثارة ملكات العقل الانساني ، لكي يفكر تفكيرا رزينا في كنه وماهية المدركات الجغرافية ، وهي متداخلة في توليفة أو في منظومة المنظور الجغرافي العام •

ومن ثم ينبغي أن نؤكد على أن الانسان ظهر على الأرض ، وعاش ويعيش على الأرض ، وهو جغرافي بطبعه ليس لانه يمتلك هذا الاحساس بالمكان فقط ، بل لأن هذا الاحساس بالمكان ، يفجر فيه كل دواعي وموجبات التأمل والتفكير في المدركات الجغرافية ، لكي يعرف كيف يؤمن وجوده وتعايشه وتعامله مع هذه المدركات الجغرافية ، في المكان • وفي الاعتقاد الجغرافي ان هذا التفكير في المدركات الجغرافية ، الذي ملأ على الانسان حياته وسيطر عليه وكان شغله الشاغل ، هو الذي رشد وما زال يرشد ابداع الوسيلة الحضارية وتوظيفها التوظيف المناسب ، الذي يقوى قبضة التعامل الانساني مع المدركات الجغرافية ، حتى يضع أو حتى يبنى حد المصالحة بينه وبين الطبيعة ، في المكان والزمان • بل قل انه لا يتسنى للانسان أن يقدم من عصر الى عصر آخر ، على مصارعة الطبيعة في المكان ، من أجل تعديل حد المصالحة بينه وبين الطبيعة ، لحسابه وعلى حسابها ، من غير أن ينور التفكير

الجغرافي المناسب له سبل هذا الاقدام الجرىء • بمعنى ان التفكير الجغرافي هو الذى يعمق المعرفة بالأرض فى المكان والزمان ، وان تعميق المعرفة بالارض ، تقوى قبضة سيطرة الانسان على الأرض •

ولأن من لا يعرف الأرض فى المكان والزمان ، لا يعرف كيف يؤمن وجوده ويسيطر على توجهات مصيره ، انهمك العقل الانسانى فى تفكير مستمر من المدركات الجغرافية من حوله ، على صعيد الأرض • والتزم هذا التفكير التزاما صارما ، بتوسيع دائرة الرؤية الجغرافية حتى تشمل كل الأرض ، وبتعميق أغوار هذه الرؤية الجغرافية حتى يتمكن من ترسيخ علاقته بالمدركات الجغرافية ، وتعامله معها وسيطرته عليها فى ربوع الأرض • وتبنت الفلسفة فى مرحلة من المراحل هذا التفكير ، ولبت الرحلة غير الجغرافية التى عملت فى خدمة التجارة أو الحرب أو السفارة أو الحج أو طلب العلم ، مطالب هذا التفكير وزودته بالزاد المناسب ، حتى تتكشف للانسان صورة الأرض ومعرفة خواصها الطبيعية والبشرية • ثم كانت الرحلة التى تخصصت فى الخروج والابحار ، لحساب الكشف الجغرافى ، واسعفت نضج التفكير الجغرافى فى أحضان الرحم الفلسفى ، حتى كان ميلاد علم الجغرافية •

وجاء هذا الميلاد العظيم فى وقت مناسب ، كانت حركة الحياة فيه قد أدركت وتأكدت من جدوى المعرفة الجغرافية ، التى مهدت وبصرت وشدت أزر الانتشار الاوروبى فى ربوع الارض ، ثم رسخت الانتصار الاوروبى فى كل مكان ، اقتصاديا وسياسيا وحضاريا • ومن ثم تشبث الاجتهاد الجغرافى الذى تخصص فى علم الجغرافية ، بحسن استثمار العلاقة بين النتائج التى تجاوب الهدف الجغرافى من ناحية ، والنتائج العلمية المتنوعة الطبيعية والبشرية التى تتداخل فى نسيج الهدف الجغرافى من ناحية أخرى • كما تشبث هذا الاجتهاد الجغرافى أيضا ، بحسن الانتفاع بالرحلة الجغرافية المتخصصة فى الهدف وفى القيادة ، حتى تيسر أمر الانفتاح الجغرافى وهو فى خدمة الحصول على أقصى درجات الانطباع الجغرافى ، أو فى خدمة التحرى عن الحقائق والوضوح الجغرافى •

وفى المكان المناسب الذى يقف فيه علم الجغرافية بين العلوم ، يكون الاخذ الذى يحسن اختيار النتائج العلمية لحساب الفهم الجغرافى • ثم يكون الاستيعاب الجغرافى المناسب الذى يجيد هضم هذه النتائج ، أو الذى يجيد خلطها خلطا مناسبا ، حتى يبتنى عليها نتيجة مناسبة يلتمسها الهدف الجغرافى وتجاوب مغزاه ومرماه • وتصبح هذه النتيجة الجغرافية التى يصنعها

الاجتهاد الجغرافى من خلاصة نتائج العلوم الطبيعية احيانا وهـو يكشف الغطاء عن خواص الارض في المكان والزمان ، أو من خلاصة نتائج العلوم الانسانية احيانا أخرى ، وهو ينفتح على أوضاع حركة الحياة على الارض فى المكان والزمان ، نتيجة أكثر من مهمة • بل قل انها تبرهن عـلى مهـارة الجغرافى ، فى حسن تبنى نتائج العلوم الطبيعية والانسانية وحسن تطويرها من خلال ادخال منضبط وسليم فى نسيج البحث الجغرافى • كما يبرهن على مهارة الجغرافى فى استخلاص نتائج جغرافية خاصة ومتخصصة ، تبدو وهى متقدمة خطوة الى الأمام ، لكى تسبق كل النتائج العلمية التى ابتنيت عليها •

ولا يضير علم الجغرافية أبدا ان يمد الايدى لكى يأخذ من نتائج العلوم الاخرى ، ولكى يبتنى على هذه النتائج العلمية ، نتائج جغرافية • ومن ثـم يصبح فى وسعه أن يعطى هذه النتائج الجغرافية فى مقابل ما يأخذه • وهذا معناه ان علم الجغرافية ، يمضى فى الاتجاه الصحيح ، فلا ينغلق وهو يأخذ بعض النتائج التى تمثل شيئا مهما فى بنية مادته الخام ، ولا يمتنع وهـو يعطى بعض أهم النتائج الجغرافية التى تضع الأرض خواصها وحركة الحياة التى تتعايش معها ، فى موضع الوضوح الجغرافى الذى يعرف الانسان به الارض معرفة كاشفة عن خواصها وعن تحدياتها ، حتى يصبح فى وسعه أن يتهيأ بقوة فعل مناسب ، لكى يهيمن على الأرض فى المكان والزمان •

وعلى صعيد المساحة المعنية ، التى يؤدى فيها علم الجغرافيـة دوره الوظيفى ، تكون الرحلة الجغرافية الميدانية ، وكأنها العين المبصرة على مستوى المعاينة الجغرافية احيانا ، وعلى مستوى الدراسة الميدانية أحيانا أخرى • وعلى مدى عدد من القرون كانت الرحلة الجغرافية متخصصة فى خدمة الهدف الجغرافى ، الذى لم يتجاوز حد المعاينة والكشف الجغرافى • ثم تعمد علم الجغرافية وضع صيغة جديدة مناسبة ، حيث أصبحت متخصصة فى الهدف ، ومتخصصة فى القيادة • بل قل أهل هذا الوضع الجديد ، أو هذه الصيغة الجديدة ، الرحلة لكى تتحول من المعاينة الجغرافية وهى فى خدمة التمعن والتفكير الجغرافى ، الى الدراسة الميدانية ، وهى فى خدمة الهدف الجغرافى العلمى •

وأفلح الاجتهاد الجغرافى ى ابتكار المنهج المناسب ، الـذى تستوجبه الدراسة الميدانية ، فى المساحة المعنية • ونجح بل قل تألق الاجتهاد الجغرافى فى اجراء العمل الجغرافى العملى ، وفى مباشرة الحوار الناطق مـع المدركات الجغرافية البشرية ، وفى مباشرة الحوار الصامت مع المـدركات الجغـرافية

الطبيعية • وأصبحت الدراسة الميدانية معينا لا ينضب ، وهى تسعف البحث الجغرافى ، وتزوده بالبيانات والمعلومات والمادة الجغرافية الخام • بل قل اتخذ الجغرافى من الدراسة الميدانية ، وسيلة مثلى ، وهو يلتمس أهم وأحسن الاضافات التى تثرى البحث الجغرافى ، وتزوده بالجديد ، حتى تكفل له التجويد والتجديد •

ويحسن الاجتهاد الجغرافى صنعا ، وهو ينسق تنسيقا بديعا ، بين عطاء الدراسة الجغرافية المكتبية وعطاء الدراسة الجغرافية الميدانية ، فى مجالات اعداد البحث الجغرافى • وفى الوقت الذى يستشعر فيه جدوى الدراسة المكتبية ، حتى يكون الاطلاع على الانتاج العلمى ، ذات العلاقة ، والوقوف على أقصى ما انتهى اليه ، والتماس كيفية الاخذ منه والاضافة الجديدة اليه ، يثق الاجتهاد الجغرافى فى جدوى الدراسة الميدانية ، حيث توفر فرص العثور على الاضافة الجديدة بالفعل ، أو على المادة الجغرافية الخام التى تبدأ بها الاضافة الجديدة ، من حيث انتهت البحوث الجغرافية السابقة• وقل ان الدراسة المكتببة تخدم البحث ، حتى يعرف الباحث الجغرافى من أين يبدأ ، وان الدراسة الميدانية ، هى التى توجه البحث فى الاتجاه الصحيح ، حتى يعرف الى أين ينتهى ، ويضيف الى صلبه شيئا جديدا •

وتطاوع الرحلة الجغرافية الميدانية وهى تؤدى دورها الوظيفى فى المساحة المعنية ، منطق وتوجهات وفلسفات الفكر الجغرافى الذى يتصدى بالتمعن والتدبر والتأمل ، للقضية أو للموضوع الجغرافى • وقل انها تجاوب ما يمليه عليها التفكير الجغرافى المتفتح ، الذى يعتنى تماما بجنى ثمرات انفتاح الرحلة الجغرافية على المنظور الجغرافى السائد ، فى المساحة المعنية ، لحساب البحث فى القضية أو فى الموضوع الجغرافى • وامعانا فى الاستجابة أو فى الامتثال لما يمليه التفكير الجغرافى وهو يوظف الرحلة الجغرافية الميدانية فى خدمة الدراسة الميدانية عن القضية أو عن الموضوع الجغرافى ، يقبل الاجتهاد الجغرافى على اسناد العمل الجغرافى الميدانى الى الفريق ، وعلى مباشرة الدراسة الميدانية فى تعاون علمى عملى ، تخيم عليه روح الفريق •

وفى طفرة انتقال الاجتهاد الجغرافى من العناية الجغرافية بتوزيع الظاهرة الجغرافية ، وتحليل هذا التوزيع والانتشار الأفقى على صعيد المساحة المعنية ، ثم تحرى دواعى وتوجهات الربط بينها وبين الظاهرات الجغرافية الأخرى ، الى العناية الجغرافية الأهم بتقويم هذه الظاهرة الجغرافية

في المكان والزمان ، لحساب حركة الحياة ، استجابت الدراسة الميدانية استجابة فورية لدواعي وموجبات هذه الطفرة . وتمثلت هذه الاستجابة الفورية في انجاز الدراسة الميدانية التي تفضي الى نتائج جغرافية ، تكون بمثابة التوصية التي ترشد العمل التطبيقي ، أو التي تدعم قوة فعل الانسان ووسائله ، وهو يباشر علاقته مع الأرض وخواصها بشكل مباشر ، أو وهو يباشر علاقته بصنع حركة الاحداث على صعيد المسرح الجغرافي ، في ربوع المساحة المعنية .

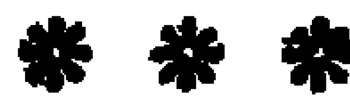
وفي اطار هذا التوجه الجغرافي الحميد ، الذي يلتمس النتائج الجغرافية ذات الطابع التطبيقي ، تعرف الدراسة الميدنية ، كيف تجاوب هذا التوجه . وقل أصبح في وسع الاجتهاد الجغرافي أن يجري البحث الجغرافي ، وان يوظف الدراسة الميدانية لانجاز هذا البحث لحساب الغير ، وهو جزء من حركة الحياة . بل قل أفسح الاجتهاد الجغرافي صدره ، والتمس ضم المتخصصين العلميين الى صف الفريق لاجراء الدراسة الميدانية في المساحة المعنية . وتبدو الدراسة الميدانية التي تجاوب الهدف التطبيقي ، ويشارك في حسن اجرائها ، مسئولة عن وضع علم الجغرافية في المكان البيني المناسب بين مجموعة العلوم التطبيقية . وفي وسع الاستمرار في هذا المكان البيني ذات الطابع التطبيقي ، أن يصطنع من الخبرة أو المهارة الجغرافية مهنة ، تملك التوصية التي تشد أزر حركة الحياة وهي تتعامل أو وهي تتعايش على صعيد الارض في أي مساحة معينة . ولا شيء يقف وراء هذا التحول الى الدور الوظيفي الجغرافي المهني ، أهم من الدراسة الميدانية ، التي تعرف بل وتجيد مباشرة العمل الجغرافي العملي ، وصولا الى النتائج الجغرافية التطبيقية المبنية على حسن تقويم الظاهرة الجغرافية المعنية ، لحساب حركة الحياة ، في المكان والزمان .

وبعد ، هل لنا أن نسجل بثقة ، مدى التوازي والتزامن والتوازن ، في علاقة صعبة لم تنفصم أبدا ، بين تطور التفكير الجغرافي وتفتحه وانفتاحه الملتزم ، في شأن العمل الجغرافي العملي ، من ناحية ، وتطور وظيفة وأداء الرحلة وهي غير جغرافية في الماضي أو وهي رحلة جغرافية ميدانية متخصصة في الهدف وفي القيادة لحساب العمل الجغرافي الميداني من ناحية أخرى ؟

ومن غير افراط أو تفريط ، في حسن تصوير هذه العلاقة بين تطلعات العمل الجغرافي العملي في الميدان ، واستجابة الرحلة الجغرافية لهذه

التطلعات ، على المدى الطويل ، يجب أن ندرك قيمة هذه العلاقة بالفعل في كل المراحل . بمعنى أن نستشعر جدوى توظيف الرحلة الجغرافية في مرحلة، في انجاز مهمة المعاينة الجغرافية والوصول الى أحسن انطباع جغرافي عن المساحة المعنية . كما يجب أن نستشعر جدوى توظيف الرحلة الجغرافية في مرحلة أخرى ، لكى تضيف الى المعاينة الجغرافية ، دوابسة تقصي الحقيقة الجغرافية أو تلتقين الموضوعية الجغرافية وحسن تعبيرها عن المنظور الجغرافي، على صعيد المساحة المعنية . هذا بالاضافة الى استشعار جدوى توظيف الرحلة الجغرافية في مرحلة ثالثة ، لكى تعين الجغرافي في تقويم الظاهرة الجغرافية أو الموضوع الجغرافي ، تقويما سليما لحساب الانسان وقوة فعل ضبطه وانضباطه المتبادل مع خواص الارض ، في المساحة المعنية . ومن ثم لا ينبغي بعد ذلك كله ، أن ننكر أو أن نتنكر ، لجدوى الرحلة الجغرافية المتخصصة في الهدف الجغرافي ، يوم لم يكن من شأنها أن تخدم غير المعاينة الجغرافية ، أو لجدوى الرحلة الجغرافية المتخصصة في الهدف الجغرافي ، وفي القيادة الجغرافية ، حيث تباشر العمل الجغرافي العمل الميداني لحسن التعبير عن رؤية المنظور الجغرافي ، ولحسن تقويم وحساب جدوى هـذا التعبير ، لحساب حركة الحياة ، في المكان والزمان .

وليس من قبيل الافراط الذى يبلغ حد المبالغة والتهويل ، في جدوى هذه العلاقة ، وليس من قبيل التفريط الذى يبلغ حد الإستهانة بهـا ، أن نؤكد بكل الصدق والواقعية ، على فاعلية وجدوى وقيمة هـذه العـلاقة الأصولية المتينة ، بين العمل الجغرافي المكتبي والعمل الجغرافي الميـداني . وعندئذ ، ينبغي أن نتبين كيف كانت الرحلة وهي غير جغرافية في مراحل طويلة تبصر الاجتهاد الجغرافي وتوسع دائرة رؤيته للواقع الجغرافي على صعيد الارض . كما نتبين أيضا كيف كانت الرحلة الجغرافية وهي متخصصة في الهدف الجغرافي الذى لم يتجاوز حد الكشف الجغرافي ، عينـا بصرت الافتتاح الجغرافي . وهي في الوقت الحاضر بعد أصبحت الرحلة الجغرافية الميدانية متخصصة في الهدف وفي القيادة ، عين العمل الجغرافي الميداني المبصرة . بل قل انها تبصر وتشد أزر الاجتهاد الجغرافي فكرا وعلما وعملا . ومن غير هذه العين المبصرة ، يكون الاجتهاد الجغرافي في ضلال مبين ، ويعمل عملا منقوصا في ظلام دامس .



ملاحق

ملحـــق (١)

بيان عن الفريق المتعاون فى الرحلة الجغرافية الميدانية

من شأن الرحلة الجغرافية الميدانية الميدانية ، سواء وهى تخرج لاجراء البحث الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، لحساب البحث الجغرافى البحت المجرد أو لحساب البحث الجغرافى التطبيقى فى خدمة حركة ايلحاة ، أن تضم أعضاء الفريق المتعاون ، تحت قيادة الباحث الجغرافى • ومن شأن الرحلة الجغرافية الميدانية ، سواء وهى تخرج لاجراء البحـثالجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، بتكليف صريح من الجامعة أو بتكليف من الجمعية الجغرافية الوطنية ، أو من أى هيئة خاصة أو عامة ، فى خدمة الغرض الجغرافى العلمى الاكاديمى ، أو فى خدمة الغرض الجغرافى العلمى التطبيقى ، أن تجد الممول الذى يوفر التمويل اللازم لأداء المهمة المنوطة بها فى الميدان •

ولان العصر الذى شهد تفرد الباحث الجغرافى بالخروج فى الرحـلة الجغرافية الميدانية ، قد انتهى الى غير رجعة ، فان الحاجة الى روح الفريق التى تخيم على توجه هذه الرحلة ، تكون فى غاية الاهمية ، لانجاز العمل الجغرافى العملى الجماعى • ولأن العصر الذى أعطى الممول من خلال التمويل ، فرض ارادته على الرحلة الجغرافية الميدانية ، قد ولى تماما الى غير رجعة ، فان الرحلة الجغرافية الميدانية لا تلتزم فى الميدان ، على صعيد المساحةالمعنية بشىء غير الأداء الجغرافى الميدانى الانسب ، الذى يناسب ويخدم الهـدف الجغرافى الصحيح ، ويعرف كيف يستخلص منه النتائج الجيدة التى تبصر وتشد أزر العمل التطبيقى ، لحساب حركة الحياة ، فى المكان والزمان •

وتضم الرحلة الجغرافية الميدانية فريقا كبيرا من المتخصصين ، وهـم صفوة منتخبة• وقلما يضم هذا الفريق الكبير واحدا من الهواة ، الذين كانت لهم فى الماضى صولات وجولات فى خروج الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهى لا تهتم بشىء غير الكشف الجغرافى ، ومباشرة المعاينة الجغرافية فقط • ويقود هذا الفريق الجغرافى الذى تكون قد صقلته التجارب العلميـة الميدانية ، ويمتلك فى نفس الوقت شيئا كثيرا من المهارة والخبرة ذات العلاقة ، بموضوع البحث الجغرافى ، وانماط الدراسات الجغرافية الميدانية المتنوعة • وقل ينبغى أن ينال قائد هذا الفريق تقدير واحترام أعضاء الفريق المتعـاون معه ، فى

انجاز العمل الجغرافي الميداني العملي . بل قل ينبغي أن يكون في وسع هذا الجغرافي القائد ، وهو مشهود له بالمهارة والخبرة ، حسن استخدام عصا المايسترو - القيادة - لانجاز مهمته الاشرافية ، على مسيرة العمل الجغرافي الميداني العملي ، في المساحة المعنية .

ومن بين النخبة المتخصصة في التركيب الهيكلي للفريق المتعاون ، نذكر المتخصص الجغرافي في الجغرافية الطبيعية (تضاريس وجيمور فولوجيا ومناخ ووجود حيوى) ، والمتخصص في الجغرافية البشرية (سكان وسكن وحضارة واستخدام الأرض ونقل وتجارة وسائر فروع الجغرافية الاقتصادية . وموضوع الدراسة الميدانية هو الذى يوجه الاختيار وينتخب من هؤلاء جميعا الأولى بالانضمام الى الفريق، حتى يتسنى الانتفاع بتخصصه في انجاز الجزء الذى يخصه من العمل الجغرافي الميداني ، على صعيد المساحة المعنية . ولا ينضم أى عضو من هؤلاء المتخصصين ، الى الفريق ، الا وهو على يقين كامل ، بدوره الوظيفي ومسئوليته المحدودة عن حصة معينة من العمل الجغرافي الميداني ، يتعين اسنادها اليه لحساب الهدف الجغرافي ، في المكان والزمان .

ومن بين النخبة المتخصصة ، في التركيب الهيكلي للفريق المتعاون ، نذكر أيضا ، المتخصص العلمي غير الجغرافي . ويتوجه الاختيار الى ضم لفيف من المتخصصين العلميين في العلوم الطبيعية ، ومنهم الجيولوجي وعالم النبات وعالم المناخ وعالم التربة وعالم الحيوان ، وعالم الزراعة وعالم الهندسة . كما يتوجه الاختيار الى ضم لفيف آخر ، من المتخصصين العلميين، في العلوم الانسانية ، ومنهم عالم الآثار وعالم التاريخ وعالم الاجتماع وعالم الاقتصاد ، وعالم الانثروبولوجي ، وعالم الديموجرافي وعالم الطب . وموضوع البحث الجغرافي الميداني ، هو الذى يوجه هذا الاختيار ، وينتخب من بين هؤلاء جميعا الأولى بالانضمام الى الفريق ، حتى يتسبنى الانتفاع بتخصصه غ يرالجغرافي في انجاز الجزء الذى يسند اليه من العمل الميداني التخصصي ، على صعيد المساحة المعنية . ولا ينضم أى عضو من هؤلاء المتخصصين الى الفريق ، الا وهو على يقين كامل بدوره الوظيفي ومسئوليته المحدودة ، عن حصة معينة من العمل الميداني يتعين اسنادها اليه ، لحساب الهدف الجغرافي في المكان والزمان .

كما تصطحب الرحلة الجغرافية الميدانية معها ضمن الفريق ، لفيفا من

المساعدين الفنيين والمساعدين العلميين • وهم جميعا من أصـــحاب الخبرة الفنية والمهارات فى تشغيل واستخدام وصيانة الأجهزة والمعـدات أو من أصحاب الخبرة العملية والمهارات التجريبية فى اجراء وتنفيذ التجارب العملية الميدانية • ونذكر من هذا الجمع الفنى ، المصور والرسام والمساح وغيرهم من الخبراء الفنيين فى العلوم الطبيعية ، وفى العلوم الانسانية • وقد يضاف اليهم أحيانا وخاصة فى المساحات المعنية الفارغة غير المعمورة ، من يملك خبرة فى التصوير على الأرض ، وهو يلحق فى الطائرة ، ويجمع أوصـــال الصور الجوية •

وأيدى المتخصصين العلميين الجغرافيين وغير الجغرافيين فى الفـــريق المتعاون ، تكون مطلقة فى شأن انتخاب من يقع عليهم الاختيار من المرافقين الفنيين • ولا شروط ينبغى الالتزام بها فى هذا الاختيار ، غـــير الاطمئنان العام على حسن استعداد المرافقين الفنيين ، لانجاز العمل الميدانى ، الـذى يسند اليهم فى أنحاء المساحة المعنيـــة • وفى بعض الاحـــوال ، يصطحب المتخصص فى الفريق المتعاون ، بعض طلابهم من صفوف الدراسة الجامعية الأولى أو الدراسات العليا ، طلبا لشكل مناسب من الانتفاع العلمى المتبادل فى مسيرة العمل الجغرافى العملى الميدانى • ويكون المتخصص الذى يصطحب معه لفيفا من طلابه ، هو المسئول عن توزيع تكليفات العمل عليهم ،فىالميدان دون الخروج عن اطار الخطة المعمول بها على مستوى عمل الفريق الجماعى •

وهناك بعد ذلك كله ، جمع كبير من العمال المهرة ، الذين تصطحبهم الرحلة الجغرافية الميدانية فى ركابها الى المساحة المعنية • وهم جميعا من أصحاب التجارب المتكررة فى صحبة رحلات العمل الجغرافى الميدانى • وهم جميعا مكلفون فعلا ، بأداء خدمات متنوعة لحساب الرحلة الجغرافية الميدانية على صعيد المساحة المعنية • ومنهم من يشارك فى انجاز العمـــل الميـــدانى بالفعل ، ومنهم من يخدم الاقامة فى معسكر العمل الميدانى ويؤمنها • ونذكر من هؤلاء العمال المهرة ، السائق والدليل الذى ينقل أو يبصر تنقلات وجولات الأفراد فى أنحاء الساحة المعنية • كما نذكر منهم أيضا الخفـــير والطاهى والكاتب والمعاون الادارى حيث يتولى الواحد منهم مسئوليته عن الحضـــور والمعيشة فى المعسكر •

هذا ، وينبغى أن تبقى القيادة دائما للخبرة الجغرافية ، التى تتحمل تبعات ومسئوليات توجيه العمل الميدانى ، فى الوجهة الصحيحة ، شـــطر

الهدف الجغرافى النظرى أحيانا ، أو شطر الهدف الجغرافى التطبيقى أحيانا أخرى • وأداء هذا الدور القيادى الوظيفى ، هو دور اشرافى حقيقى ، فى اطار الخطة المعمول بها ، وانجاز العمل الجغرافى العملى المباشر وغير المباشر ، على صعيد المساحة المعنية • والاشراف الجغرافى الغنى عن التشريف ، لا يعنى أكثر من أن تتحمل الخبرة الجغرافية مسئولياتها ، حتى لا تترك لانجاز العمل الجغرافى الميدانى العملى ، الحبل على الغارب ، فيضل عن الهدف الجغرافى أو يضلل الوصول اليه •

ملحــق (٢)

بيان عن تجهيزات وأدوات ومعدات العمل الجغرافى فى صحبة الرحلة الجغرافية الميدانية

سواء تكون الرحلة الجغرافية الميدانية ، بصدد الاقامة فى معسكر عمل فى موقع منتخب على صعيد المساحة المعنية ، أو بصدد الاقامة فى مستوطنة نرحب وتيسر أمر اقامة الفريق أعضاء الرحلة ، أو تكون الرحلة الجغرافية الميدانية ، بصدد الذهاب والعودة يوميا من الميدان على صعيد المساحة المعنيه، الى حين الانتهاء من أداء المهمة المنوطة بكل عضو من أعضاء الفريق المتعاون ، يصطحب فريق العمل المتعاون معه الأدوات والمعدات والاجهزة المناسبة ، لانجاز العمل الميدانى • وصحيح ان هناك فرق بين اصــطحاب الاجهــزة والمعدات فى حالة الاقامة والعمــل الميدانى المستمر أحيــانا ، واصطحاب الأجهزة والمعدات فى حالة الذهاب والعودة ومباشرة العمل الميدانى المتقطع أحيانا أخرى • وصحيح أن طبيعة البحث الجغرافى الذى يكون عن الظاهرة الجغرافية أو عن الشخصية الجغرافية أو عن البيئة أو عن استخدام الأرض أو عن المسح الجغرافى الموضوعى ، أو عن التجهيز الجغرافى لعملية التنمية ، فى المساحة المعنية ، تحدد أنواع الاجهزة والمعدات التى يتأهل بها الفريق لانجاز العمل الجغرافى الميدانى المناسب ، حسب الغرض أو المهمة التى تخرج من أجلها الرحلة الجغرافية الميدانية ، حيث تقيم أو حيث لا تقيم • ولكــن الصحيح بعد ذلك كله ، هو حسن اختيار الاجهزة والمعدات الانسب ، لانجاز العمل الجغرافى العملى المدانى دون افراط أو تفريط فى حسن خدمة كــل عنصر من عناصر البحث والتدقيق ، فى اطار الموضوعية الجغرافية •

ويكون اختيار التجهيزات والمعدات فى صحبة فريق العمل المتاون ، رهنا بحاجة كل عضو يسند اليه بعض العمل الميدانى • ولا يتجاوز هــذا الاختيار ـ فى الغالب ـ الوارد فى القائمة التالية :

أولا ـ أدوات المعيشة فى معسكر العمل أو فى المستوطنة المنتخبة :

١ ـ خيام اقامة مؤقتة ، بواقع خيمة واحدة لكل أربعة أفراد •

٢ ـ أسرة نوم بعدد أفراد الفريق •

٣ - خيمة مكتب وعقد اجتماعات وجلسات العمل .
٤ - خيمة خدمات خاصة وحمام .
٥ - خيمة مطبخ واخرى كبيرة لتقديم وجبات الطعام اليومى .
٦ - عدد مناسب من المقاعد والمناضد والمكاتب ومفارش الأرضية .
٧ - أدوات اعداد الطعام وتشغيل المطبخ وأدوات مائـدة واعاشة غذائية .
٨ - أنوار اضاءة وموتور مولد كربائى ، وأدوات اسعاف ورعاية طبية ، وأدوات أطفاء حريق .
٩ - جهاز استقبال (راديو - تليفزيون) ، وجهاز ارسال واتصالات لاسلكية .
١٠- سيارات ركوب صالون صغيرة مجهزة بفتيس غرز .
١١- سيارة نقل كبيرة .
١٢- طائرة عمودية فى بعض الاحوال الخاصة للدراسة على الصعيد الصحراوى أو فى المساحات غير المأهولة بالسكان .

ثانيا - ادوات ومعدات وأجهزة العمل الجغرافى الخاص فى الميدان :

١ - تيودوليت مناسب .
٢ - ميزان .
٣ - بلانشيطة وحامل .
٤ - بوصلة منشورية .
٥ - بوصلات عادية للافراد فى الفريق .
٦ - اليـداد .
٧ - مساطر رسم عادية ، ومساطر حرف T .
٨ - ميزان ابنى
٩ - شواخص وشوك وأشرطة قياس مساحية أطوال متفاوتة .
١٠ - شاكوش عينات جيولوجية .
١١ - جاروف وفاس عينات تربة .
١٢ - أكياس جمع عينات من الصخور ومن التربة .
١٣ - أحماض وتحاليل ميدانية سريعة .
١٤ - وحدة تحاليل تربة (ميكانيكية وكيماوية) .
١٥ - قامات قياس مساحية .
١٦ - آلة كاتبة ، وآلة طباعة صغيرة للاستبيان .

١٧ - كاميرا عادية ، وكاميرا تصوير تليفزيوني ، وكاميرا تصوير سينمائي ، وكاميرا تصوير جوى .
١٨ - منظار مكبر .
١٩ - ميكروفون ، وجهاز عرض سينمائي ، وجهاز فيديو .
٢٠ - لفات من الحبال (سمك متنوع) .

ثالثا - أدوات رسم الخرائط والرسوم البيانية :

١ - ورق كتابة مساحات متنوعة ، وورق رسم فبريانو ، وورق رسم مربعات .
٢ - مناظر تهشير متنوعة .
٣ - مساطر رسم منحنيات ، ومجموعة من المثلثات المتنوعة .
٤ - أقلام رصاص درجات متباينة ، وأقلام تحبير ، وأقلام فلوماستر ، وأقلام ألوان .
٥ - مجموعة استونجات رسم كبيرة .
٦ - لوحات رسم كبيرة .
٧ - دبابيس تثبيت لأوراق الرسم .
٨ - أدوات رسم كثيرة أخرى معاونة .

رابعا - خرائط ورسوم وصور جوية :

١ - خرائط تفصيلية عن المساحة المعنية (طبوغرافية - تضاريسية - مناخية - حيوية - سكانية - اقتصادية ، وأى خرائط أخرى متاحة) .
٢ - صور جوية عن الأقمار الصناعية ، تغطى المساحة المعنية .
٣ - رسوم بيانية وقطاعات متنوعة .
٤ - مجموعات من الخرائط الصماء بمقاييس رسم مناسبة ، لتفريغ المعلومات عليها في الميدان .

* * *

ملحـــق (٣)

الميدان وتوجهات العمل الجغرافى الميدانى

يغطى الميدان ، من وجهة النظر الجغرافية مساحة معينة من الارض ، وتكون هذه المساحة المعنية فى الغالب - مأهولة بالسكان ، حتى تتحقق مقومات الهدف الجغرافى ، الـــذى يلتزم بدراسة الارض لحساب الانسان وبدراسة وجود الانسان ونبض حركة الحياة على صعيد الأرض • ومع ذلك قد يقتحم الاجتهاد الجغرافى ، مساحة معينة غير مأهولة بالسكان ، لكى يكون الميدان الذى تمهد الدراسة الجغرافية الميدانية فيه ، لوجود الانسان ، سواء كان هذا الوجود توطينا أو استيطانا • وفى جميع الاحوال ، تكون الحاجة ملحة ، للبحث عن الحدود المثلى ، التى تتحدد بموجبها أبعـــاد هذه المساحة المعنية •

وتفضى العوامل الجغرافية - فى بعض الحالات - الى تهيئة الضوابط الحاكمة ، التى تتحدد بموجبها الحدود الجغـــرافية للمساحة المعنيـــة ، وهى تحتوى الميدان • بمعنى ان يفرض التوجه الجغرافى الى دراسة الظـــاهرة الجغرافية المعنية ، على الباحث الجغرافى التماس العوامل الجغرافية ، التى تبتنى عليها ضوابط تحديد أبعاد الميدان ، على صعيد المساحة المعنية • وقد تكون حدود المساحة المعنية التى يغطيها الميدان حدودا طبيعية أو حدودا بشرية أو حدودا جغرافية طبيعية وبشرية ، وهى تصطنع الاطار الحاكم ، الـــذى لا ينبغى أن تتجاوزه الدراسة الميدانية • وقل ان هذا معناه ، ان وضوح رؤية الحد الجغرافى الذى يتحدد به الميدان على صعيد المساحة المنية ، يحدد الحيز المكانى الذى تجرى فيه الدراسة الميدانية • بل قل ان الدراسة الميـــدانية داخل هذا الحيز ، لا ينبغى أن تتجاوز حدود هذا الحيز ، حتى لو استوجبت الدراسة شيئا من التوسع الافقى المكانى ، لتقصى أطراف وجذور عن الحقيقة الجغرافية ، الا بحذر شديد وفى ظل تحفظات كثيرة •

واستثناء من دواعى الالتزام بالبحث عن العوامل الجغرافية التى تهيىء الضوابط الحاكمة للاطار الذى يحدد أبعاد الميدان على صعيد الساحة المعنية ، يضع الاجتهاد الجغرافى أو يصطنع من عنده هذا الاطار • وهناك بالفصـــل

حالات ، يتحرر فيها الاجتهاد الجغرافى تحررا مناسبا وضروريا ، وهو يلتمس الحد المناسب ، الذى يحتوى المساحة المعنية ، ويحدد الحيز المناسب للميدان • ومع ذلك لا يقدم الاجتهاد الجغرافى على هذا الاستثناء ، ولا يباشر وهو متحرز من دواعى الالتزام بالعوامل الجغرافية وضوابطها الحاكمة لتحديد أبعاد الحيز المكانى الذى يحتوى المساحة المعنية ، الا وهو على يقين كامل بأن هذا التحرر لا يضر ولا يتضرر به انجاز الدراسة الميدانية ، أو لا يطمس ملامح الموضوعية الجغرافية ، فى المكان والزمان • وقل ينبغى أن يجد الاجتهاد الجغرافى فى مثل هذا الاستثناء والخروج عن قواعد التحديد الجغرافى ، المبرر الذى يقنعه ويقتنع به من يطلب اجراء الدراسة الميدانية عن الظاهرة الجغرافية ، فى المكان والزمان ، لحساب حركة الحياة •

وصحيح ان الباحث الجغرافى ومعه الفريق المتعاون ، يطلب المادة العملية الخام ، التى تفضى اليها الدراسة الميدانية فى المساحة المعنية ، داخل الاطار الجغرافى المنضبط أحيانا ، أو داخل الاطار غير الجغرافى أحيانا أخرى، فيجرى العمل الجغرافى العملى ويواجه المتاعب ، من أجل بلوغ هذه الغاية • وصحيح أيضا ، انه قد يلتمس بعض المادة العملية من خلال تعاون المتخصصين العلميين غير الجغرافيين ، وفى وسعه أن يطوعها ويدخلها فى نسيج البحث الجغرافى • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو انه لا يستطيع ان يعتمد فقط على نتائج الدراسة الميدانية وحدها ، فى اخراج البحث الجغرافى المناسب ، الا فى حالة الاقدام الجغرافى على اجراء هذه الدراسة على صعيد أرض غير مأهولة ، توطئة لتوطين أو لاستيطان الانسان فيها • فى مثل هذه الحالة ، يقوم الانفتاح الجغرافى بتهيئة المناخ المناسب ، تهيئة تبشر بحسن توثيق العلاقة المستجدة على صعيد المساحة المعنية ، بين الأرض وخواصها الطبيعية من ناحية ، والانسان وحضوره وتوطينه أو استيطانه الحضارى المرتقب ، من ناحية أخرى •

وفى اعتقاد الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، انه لا يتأتى انجاز البحث الجغرافى الجيد الذى يحتوى على الاضافة الجغرافية المناسبة عن الظاهرة الجغرافية ، من غير اجراء الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية • ومع ذلك يبقى بعد ذلك حسن الاخذ من المراجع والمصادر أثناء الدراسة المكتبية ، وحسن الخلط وصياغة التداخل السليم بين نتائج الدراسة الميدانية ونتائج الدراسة المكتبية ، فى صلب البحث الجغرافى • وهناك اتفاق كامل على جدوى هذا التوجه الحميد الذى يوثق العلاقة بين المادة الخام وهى محصلة الدراسة الميدانية والمادة غير الخام وهى محصلة الدراسة المكتبية ، لانه يعنى :

١ - أن يبدأ الباحث الجغرافي في البحث الجغرافي ، بداية موفقة من حيث انتهت كل الابحاث الجغرافية السابقة ، حتى يبدو انجازه وهو يسجل الاضافة الجغرافية الحقيقية ٠

٢ - ان يمارس الجغرافي تجربة الحصول على النتائج غير الجغرافية من خلال تعاون العلميين معه في انجاز العمل الميداني ، أو من خلال الاطلاع على المراجع والمصادر غير الجغرافية ، حتى يصبح في وسعه أن يطوع هذه النتائج ويسيطر عليها سيطرة مناسبة وهو يزج بها في صلب الصياغة الجغرافية للبحث الجغرافي ٠

٣ - أن يبرهن الجغرافي الذي يعمل ، وتظله روح الفريق المتعاون في الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، على مهارة وخبرة ، في حسن توظيف أو حسن استثمار البيانات ونتائج الدراسة الميدانية والمكتبية، وفي تجسيد الفكرة الجغرافية ، التي يعالجها البحث الجغرافي توزيعا وتعليلا وربطا وتقويما ، لحساب الانسان في المكان والزمان ٠

وقل أن توجه الجغرافي المعاصر الى حسن الجمع والتنسيق والتوليف ، بين حصاد الدراسة المكتبية وثمرات المادة العلمية المتنوعة حتى ولو لم تكن قد وضعت لحساب العمل الجغرافي من ناحية ، وحصاد الدراسة الميدانية وثمرات المادة الخام التي يفضي اليها التعامل مع المدركات الجغرافية في الميدان من ناحية أخرى ، هو العلامة التي تبشر بصدق وموضوعية البحث الجغرافي؟ وقل أيضا ان مثل هذا التوجه يعني ان انجاز البحث الجغرافي لا يبدأ من فراغ لانه يطلع على بحوث مسابقة ويأخذ منها ، ولا ينتهي من غير غاية ، لانه يتعمد توظيف حصاد الدراسة الميدانية في تحقيق الاضافة الجديدة ٠ ومن خلال فهم معاني هذا التوجه الجغرافي ، لانجاز البحث الذي لا يبدأ من فراغ ولا ينتهي من غير غاية ، يكون الاعتراف بالواقع الذي يمكن ان يجسد قيمة أو يحدد جدوى الدراسة الميدانية ، ومباشرة العمل الجغرافي العملي الميداني ٠ كما يتحقق أيضا الاعتراف الصريح الذي يمكن أن يبتني عليه ادراك مدى التباين ، بين مستويات وتوجهات توظيف العمل الجغرافي الميداني ، لحساب البحث الجغرافي ، في المكان والزمان ٠

ومن شأن العمل الجغرافي الميداني ، وهو في خدمة البحث الجغرافي ، أو وهو لحساب المسح الجغرافي أو وهو عن الشخصية الجغرافية ، أو وهو

عن البيئة ، أو وهو عن استخدام الارض أو وهو لحساب عملية التنمية ، أن يتوجه فى ثلاثة اتجاهات ، لكى يؤدى المهمة الميدانية المنوطة به • ومع كل توجه من هذه التوجهات الموضوعية الثلاثة ، ينبغى أن يفطن الجغرافي الى مبلغ التباين الذى يعينه الميدان ، فى كل توجه • وهذا يكون بمعنى أن المتوجه نحو الهدف الجغرافي الى الميدان ، هو الذى يحدد بالضبط مواصفات وطبيعة التعامل الجغرافي العملى مع المدركات الجغرافية الماثلة على صعيد الارض فى الميدان • وبمعنى أن الميدان هو الذى يشمل المساحة المعنية ، حيث يباشر الباحث العمل الجغرافى العملى ، بكل أساليبه المناسبة لكل توجه مرحلى ، فى شأن دراسة جغرافية موضوعية معينة أو مستهدفة ، فى المكان والزمان•

وهكذا ، ينبغى أن تتفاوت فكرتنا عن مفهوم الميـــدان ، وعن معنى ومغزى العمل الجغرافى الميدانى الانسب ، على صعيد كل ميدان من ميادين البحث الجغرافى • وهناك ثلاثة أنواع من الميادين ، التى تشهد نشاط البحث الجغرافى ، وتستوجب تعاون الفريق ، وتستحق خروج الرحلة الجغرافية الميدانية اليها ، من أجل الزيارة التفقدية مرة ، وتقصى الحقائق الجغرافية مرة ثانية ، واستيفاء النقص فى محصلة المادة الخام مرة ثالثة • وتتمثل هـــذه الميادين فى :

١ ـ الميدان الذى يطلب العمل الجغرافى الميدانى فيه انجازا أصيلا ، وهو على صعيد المساحة المعنية • وفى هذا الميدان يتفرغ البـاحث الجغرافى وهـــو فى معية الفريق المتعـــاون ، تفرغا حقيقيا ، ويعمل بكل الوسائل والاساليب ، حتى يتسنى له جمع ا المادةالجغرافية الخام • وما من شك فى أن هذا التوجه الحميد ، يخدم الموضوعية فى البحث ، حتى تكاد تتفوق قيمة الدراسة الميدانية تفوقا ساحقا على قيمة الدراسة المكتبية • بل قل انه يكون التوجه الذى يكفل الثقة ، فى شأن موضوعية تقصى الحقـــائق الجغرافية ، وحسن التقاط وجمع وتحصيل البيانات والمعلومات الصحيحة ، من مصادرها الجغرافية البكر ، على صعيد المساحة المعنية • ويناسب هذا العمل الجغرافى ، استشعار الحس الجغرافى جدوى هذا التحصيل وحسن تذوقه لمبناه ومغزاه ، والكيفية التى يتسنى بموجبها الانتفاع به فى صياغة البحث الجغـــرافى • وتفضى هذه الصياغة حتما الى تسجيل الاضافة الجغرافية المناسبة ، فى اطار الموضوعية الجغرافية •

٢ ـ الميدان الذى يطلب العمل الجغرافى الميدانى فيه ، دراسة عينة جغرافية أو دراسة موضوع جغرافى على صعيد المساحة المعنية • وفى هذا

الميدان ، الذى يحتوى توليفة الواقع الجغرافى ، يتعقب الجغرافى مع أعضاء الفريق المتعاون ، العينة الجغرافية المعنية أو الموضوع الجغرافى الخاص ، تعقبا مثابرا ، بكل الوسائل والاساليب المتاحة عمليا • وما من شك فى أن هذا التوجه الجغرافى العملى الحميد ، يخدم الموضوعية فى البحث ، ويحافظ على شيء من التوازن الموضوعى بين حصيلة الدراسة الميدانية ، وحصيلة الدراسة المكتبية • وقل ان الدراسة الميدانية تتقصى الحقائق عن العينة المعنية أو عن الموضوع المعين على صعيد المساحة المنية ، ولكنها لا تغطى فى نفس الوقت كل الحقائق عن العينة المعنية أو عن الموضوع المعين تغطية شاملة • ولا ينبغى أن يهيم الباحث الجغرافى مع الفريق على وجهه ، فى أنحاء المساحة المعنية ، لكى يلتمس هذا التكرار ، ومدى التنوع فى اطار التكرار الجغرافى • وعندئذ لا يملك الباحث الا أن يجمع جانبا فقط من الحقائق الجغرافية عن العينة المعنية أو عن الموضوع المعين • ويحصل على الجانب الآخر من المراجع والمصادر الجغرافية وغير الجغرافية • وفى مثل هذه الحالة ، تبقى الدراسة الميدانية ، وهى المسئولة عن الاضافة التى تضيف شيئا مهما عن العينة الجغرافية المعنية أو عن الموضوع الجغرافى المعين •

٣ ـ الميدان الذى يطلب العمل الجغرافى الميدانى فيه ، دراسة محدودة تستكمل أو تسد الثغرات، أو تجدد وتضيف وتعمق البحث الجغرافى عن ظاهرة جغرافية أو عن موضوع جغرافى ، فى المساحة المنية • وفى هذا الميدان الذى يحتوى توليفة الواقع الجغرافى ، لا يذهب الباحث الجغرافى الى أبعد من تغطية أوجه النقص ، وتحرى العمق الموضوعى من وراء الحقائق الجغرافية المعنية • ولا يكون الهدف الجغرافى ، عندئذ متحررا فى العمل الجغرافى العملى ، أو فى اجراء ومباشرة التحرى على مستوى الميدان • بل قل يلتزم الفريق المتعاون التزاما جادا ، باتمام عمل جغرافى عملى معين ، لتغطية البحث عن موضوع أو عن ظاهرة معنية لم يبدأه بنفسه • بمعنى أن تتمم الدراسة الميدانية فى المساحة المعنية ، بحثا جغرافيا ، كان قد أنجزه عمل جغرافى سابق • ولا تثريب على الجغرافى ومعه الفريق ، فى مثل هذه الحالة ، لأنه هو الذى يقدم على تجديد البحث ، وعلى استكمال أبعاده ، وعلى تعميق أغواره، حتى تزداد جدواه ، وتتحقق له الاضافة وتثريه • ومع ذلك كله لا يملك الباحث ومعه الفريق ، حرية التحرك المطلقة فى الميدان ، ولا يملك حق تحرير رؤيته الجغرافية للظاهرة المعنية أو للموضوع الجغرافى المعين ، فى الميدان •

وتأسيسا على ما ندركه من تفاوت بين هذه التوجهات فى هذه الميادين على صعيد المساحة المعنية يجب أن نذكر جيدا : أن الدراسة الميدانية الحقيقية، ذات الجدوى الجغرافية العلمية البحثية ، أو ذات الجدوى الجغرافية التطبيقية المفيدة ، هى التى تكون أو التى تتأتى على صعيد المساحة المعنية • ويكون فى وسع الباحث أن يحدد :

١ ـ أبعاد الميدان على صعيد المساحة المعنية فى اطار ما تمليه الضوابط الجغرافية أو غير الجغرافية حتى يعرف كيف تتوجه اليـــه وتغطيه الرحـــلة الجغرافية الميدانية فى كل مراحلها المتـــوالية والمتكاملة ، تغطية شـــاملة ومتأنية ، لحساب الهدف الجغرافى •

٢ ـ هدف البحث الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، التى يغطيها العمل الجغرافى العملى ، وهو يلتمس جمع الحقائق الجغرافية أو المادة الجغرافية الخام عن الظاهرة الجغرافية المعنية أو عن الموضوع الجغرافى المعين ، من خلال حسن تفكيك أوصال التوليفة الجغرافية فى المنظور الجغرافى العام •

٣ ـ مبلغ اصالة المادة الجغرافية الخام ، التى تفضى اليهـــا الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المنية حتى يعرف كيف يوظفها توظيفا جغرافيا مناسبا فى صياغة البحث الجغرافى ، أو فى تسجيل الاضـــافة الجديدة ، أو المجددة وحسن ادخالها فى بنية البحث الجغرافى عن الظاهرة الجغرافية المعنية أو عن الموضوع الجغرافى المعين •

وهذا معناه فى الاعتقاد الجغرافى المعاصر ، ان الميدان الحقيقى يكون على صعيد المساحة المعنية ، التى تغطى اقليما صغيرا ومحددا بكل الوضـــوح الجغرافى • ويكون هذا التحديد واجبا ، سواء اعتمد على حسن توظيف الحس الجغرافى فى صياغة هذا التحديد واجبا ، سواء اعتمد عـــلى حسن توظيف العوامل الجغرافية الطبيعية أو العوامل الجغرافية البشرية ، أو عليهما معا ، أو اعتمد على حسن توظيف الحس الجغرافى فى صياغة هذا التحديد • وفى ضوء وضوح رؤية الجغرافى لهذا الحد والاقتناع بالأساس الذى ابتنى عليه ، لا ينبغى أن تتجاوز الدراسة الميدانية هذا الحد أبدا • ولا يعتبر التوســـع المكانى الذى يتعقب الجغرافى بموجبه شيئا جغرافيا يخدم الغرض الجغرافى داخل هذا الاطار المحدد ، تجاوزا أو اختراقا أو خروجا عن دواعى التركيز الدراسى الميدانى فى المساحة المعنية المحدودة •

ومن بعد هذا التحديد الواضح للميدان الذى يحتوى المساحة المعنية ، يستطيع الجغرافى وفى صحبته فريق العمل المتعاون ، أن يتوجه الى الميدان ، وأن يطوف فيه طواف من يلتمس الدراسة الميدانية ، وهو يعاين ويسأل ويتأمل ويتمعن ، ولا يسكت أبدا حتى تستسلم له الحقائق الجغرافية التى تجاوب الهدف الجغرافى • وصحيح انه كلما أفلح الفريق الجغرافى فى جمع المادة الجغرافية الخام ، وأحسن انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، كان البحث الجغرافى أكثر اصالة ، ويتحقق الهدف الجغرافى • ولكن الصحيح أيضا أن تمادى الاجتهاد الجغرافى فى الاعتماد على حصيلة الدراسة الميدانية ، واستدبار أو رفض أو اهمال المادة الجغرافية التى تتحدث عنها المراجع ، يؤثر تأثيرا سلبيا على سلامة بنية البحث ، أو على سبل الوصول الموضوعى الى مغزى ومرمى الهدف الجغرافى •

ومهما يكن من أمر ، فينبغى أن ندرك صدق وموضوعية وجدوى العلاقة بين الميدان وتحديده على صعيد المساحة المعنية من ناحية ، والهدف الجغرافى المعنى الواضح الذى يدعو الباحث الجغرافى الى طلب الخروج فى الرحلة الجغرافية اليه ومباشرة الدراسة الميدانية فيه من ناحية أخرى • وصحيح أن الهدف الجغرافى ، يتفاوت تفاوتا كبيرا من موضوع الى موضوع جغرافى آخر ، ومن ميدان على صعيد مساحة معنية ، الى ميدان على صعيد مساحة معنية أخرى • وصحيح ان العمل الجغرافى العملى لحساب الهدف الجغرافى ، لا يمكن أن يوقع باسلوب العمل الجغرافى الميدانى ، فى قبضة القوالب الجامدة أو فى جمود التكرار الجامد • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو الالتزام الجغرافى بأكبر قدر من المرونة فى الأداء ، حتى تكون الدراسة الميدانية المتحررة من أى قيد ، والأنسب وصولا الى ما يبتغيه الهدف الجغرافى •

ونجاح الفريق الجغرافى فى مباشرة الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، دون الوقوع فى قبضة القوالب الجامدة ، هو خير ما يبشر بانجاز البحث الجغرافى الجيد • بل قل ان هذا النجاح هو الذى يجسد مبلغ تفتح الخبرة الجغرافية ، وحسن تمييز الهدف الجغرافى ، وحسن التماس الأسلوب أو المنهج للوصول الى هذا الهدف • كما يجسد مهارة الانفتاح الجغرافى فى شأن الانتفاع المباشر بالدراسة الميدانية ، والتماس الحصيلة العملية الجغرافية التى تخدم الهدف الجغرافى •

والمهم هو الا يترك أو ألا يهمل الباحث الجغرافى ، فرصة العمل

الجغرافى الميدانى الإنسب ، لموضوع الدراسة المعنية ، تفلت من بين يديه . وقل لا ينبغى أن يفرط الجغرافى أبدا ، فى أداء أى عمل ميدانى مناسب ، وهو يعلم انه يخدم الانفتاح الجغرافى على معين المادة الجغرافية الخام ، أو وهو يريد أن يتأكد من صدق وموضوعية بعض الحقائق الجغرافية . بل قل يكون الاهتمام بالدراسة الميدانية ، على قدر من صدق وموضوعية بعض الحقائق الجغرافية . بل قل يكون الاهتمام بالدراسة الميدانية ، على قدر اللهفة على جمع أوصال الاضافة الجغرافية ، أو على قدر التماس النتائج الجغرافية ذات الطابع التطبيقى . وفى اطار هذا الاهتمام الجغرافى بالبحث عن الجديد والتماس التجديد ، ينبغى أن يحسن الجغرافى التنسيق بين حصاد العمل الجغرافى العملى الميدانى وهو محصلة الدراسة الميدانية ، وحصاد الاطلاع الجغرافى وجنى ثمراته ، وهو محصلة الدراسة المكتبية .

هذا ، واذا كان طلب التجديد والاضافة وتعميق البحث الجغرافى ، واجراء الدراسة الميدانية لهذا الغرض ، قد دعا الخبرة الجغرافية الى أكبر قدر من الانفتاح الجغرافى ، فينبغى أن يحسن الجغرافى توظيف واستثمار هذا الانفتاح . ومن علامات هذا الانفتاح ، ضم المتخصصين العلمين فى تخصصات علمية وانسانية متنوعة الى فريق العمل المتعاون ، فى حقل الدراسة الميدانية . وهم يباشرون العمل الجغرافى العملى فى اطار الخطة المعمول بها ، لحساب الموضوع الجغرافى المعين . ويتعقب الجغرافى نتائج هذا العمل ، ويضيفها الى الرصيد الجغرافى ، وينتفع بها فى صلب البحث الجغرافى . وليس هناك ما يمنع الجغرافى أيضا ، من الاطلاع على نتائج الدراسات المتنوعة والانتفاع بها ، حتى ولو كان الغرض الذى أعدت من أجله غير جغرافى .

وصحيح ان انفتاح الخبرة الجغرافية لحساب الدراسة الميدانية يكون انفتاحا حقيقيا ، وهو يكفل حسن اختيار واصطحاب الخبرات العلمية غير الجغرافية معه فى الرحلة الجغرافية الميدانية ، وحسن الاعتماد عليها فى اجراء العمل الجغرافى ، بمهارات العين الجغرفية وهى تطل وتتعامل مع المدركات الجغرافية ، أو وهى تتفوق ما تنبىء به ، فى اطار المنظور الجغرافى . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو حاجة الخبرة الجغرافية ، الى السيطرة على مسيرة اجراء الدراسة الميدانية ، أو الى حسن توجيه العمل الجغرافى الى ما يناسب أو يخدم الهدف الجغرافى .

وتكفل مسألة اسناد قيادة الفريق المتعاون للخبرة الجغرافية حسن السيطرة على تنفيذ العمل الجغرافى الميدانى تنفيذا يناسب الغرض الجغرافى .

ومع ذلك يجب أن تنطوى خطة تنفيذ هذا العمل الجغرافى الميدانى على الضوابط التى تقوى القبضة الجغرافية ، وهى تمسك بزمام العمل الجغرافى الميدانى ، حتى لا ينحرف أو حتى لا يضل ؛ أو حتى يفضى الى بلوغ الغاية التى يتحقق بموجبها الغرض الجغرافى من اجراء الدراسة الميدانية • وتبقى بعد ذلك كله ، للخبرة الجغرافية كل دواعى المهارة والقدرة والحنكة ، لكى تعرف جيدا ، كيف تطوع نتائج العمل الجغرافى الميدانى تطويعا يناسب الغرض الجغرافى ، أو كيف تستخلص النتائج المناسبة من كل عمل ميدانى لحساب الغرض الجغرافى •

وليس أخطر على موضوعية البحث الجغرافى المتخصص ، الذى يلتمس اصالته وجدواه من الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، من انغلاق الخبرة الجغرافية انغلاقا متعمدا • ومثل هذا الانغلاق يعنى التخوف من الانفتاح وموجبات الاعتماد على اشراك غير الجغرافيين فى فريق العمل المتعاون • كما يعنى حرمان العمل الجغرافى من الانتفاع بأداء الشريك غير الجغرافى الذى يعمق التعامل الميدانى مع تفاصيل دقيقة تتألف منها المدركات الجغرافية ، فى اطار المنظور الجغرافى على صعيد المساحة المعنية • ولا ينبغى أن يتمادى الجغرافى فى خطيئة هذا الانغلاق ، الى حد يوقع به فى الخطأ ، ويحمله تبعات عمل ميدانى يتعقب التفاصيل الدقيقة ، وهو ليس من صميم العمل الجغرافى البحت • ولا يملك الجغرافى أبدا العصا السحرية التى تبرر هذا الانغلاق ، وتيسر له أن يقوم فى مقام المتخصصين العلميين لانجاز العمل الميدانى ، لحساب البحث الجغرافى • والافضل أن ينفتح وأن يتفتح وأن يتعلم كيف يوظف المتخصصين وكيف يحسن الانتفاع بهم وباعمالهم الميدانية ، كأدوات مساعدة تسعف وتخدم الغرض الجغرافى •

المصادر والمراجع

أولا ـ المراجع العربية :

١ ـ الشامي ، صلاح الدين : الفكــر الجغرافي ، ســيرة ومسيرة ، الاسكندرية سنة ١٩٨٠ ٠

٢ ـ الشامي ، صلاح الدين : الرحلة ، عين الجغرافيــة المبصرة ، فى الدراسة الميدانية ٠ الاسكندرية ١٩٨٢ ٠

٣ ـ الشامي ، صلاح الدين : الجغرافيا المعاصرة ، ماذا عن تطــوير الهدف واحتواء الأزمة ٠ الاسكندرية ١٩٨٧ ٠

٤ ـ الشرنوبي ، محمد عبد الرحمن : الجغرافية بين العــلم التطبيقى والوظيفة الاجتماعية ٠ الكويت ١٩٨١ ٠

٥ ـ بنتام ، د٠ف٠ : الجغرافية علم عملى (الجزء الثانى من الجغرافية فى القرن العشرين ترجمة د٠ محمد السيد غلاب ومحمد مرسى أبو الليــل) القاهرة ١٩٧٤ ٠

٦ ـ خطاب ، عادل عبد الله : الدراسات الميدانية فى الجغرافية (دراسة فى الأهداف والأساليب) مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ٠ بغداد ١٩٨٠ ٠

٧ ـ روجر منشل : تطور الجغرافية الحديثة (ترجمة د٠ محمد السيد غلاب ود٠ دولت صادق) القاهرة ١٩٧٣ ٠

٨ ـ وهيبة ، عبد الفتاح : الجغرافى والدراسة الميدانية ٠ (مجــلة الجمعية الجغرافية المصرية ـ السنة الأولى ـ العدد الأول) ٠

ثانيا ـ المراجع الأجنبية :

1. Alen, Jones, P. : Fieldwork in Geography. London, 1969.
2. Archer, J & Dalton, T.H. : Field Work in Geography London 1970.
3. Hutchings, G.E. : Geographical Field teaching geography London 1962.
4. Freeman, T.W. : Geography and Planning Hull, 1958.
5. Wooldridge, S.W. & East W.G. : The Spirit and purpose of Geography London, 1951.

فهرس

رقم الايداع ١٩٨٧/٧٤٥٦
٣ - ٢٥٧ - ١٠٣ - ٩٧٧

مطبعة اطلس
١١، ١٣ شارع سوق التوفيقية
تليفون : ٧٤٧٧٩٧ - القاهرة